

موسوعة شعب الإيمان
في ضوء مصادرها الأصلية

الطبعة الأولى

1443هـ - 2022م

رقم الإيداع

2021/27634م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-404-0





ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية
محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+
E-mail: alamia_misr@hotmail.com

مَوسُوعَة شُعَبِ الإِيمَانِ

فِي ضَوْءِ مَصَادِرِهَا الأَصْلِيَةِ

بتحقيقات العلامة المحدث

محمد ناصر الدين الألباني

جمع وترتيب

محمد أحمد الكوت

راجعه وقدم له أصحاب الفضيلة

الشيخ الدكتور/ أحمد فريد — الشيخ الدكتور/ سعيد الروني

الشيخ/ نزيه الشبراوي

المُجَلَّدُ الأَوَّلُ

الدار العالمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

إنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِىَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ آل عمران

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ النساء

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ الأحزاب

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ أصدق الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِى النَّارِ .

مقدمة الكتاب

من أعظم نعم الله تعالى التي لاتُعدّ ولاتحصى وأجلَّها على العبد نعمةُ الهداية للإيمان، والتوفيق لسلوك الصراط المستقيم .

قال تعالى : وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ النساء

فهذه فصول وأبواب في شعب الإيمان، يسَّر الله تعالى لى جمعها، وتأليف بعضها إلى بعض وبعد العزيمة على إخراجها، وكنت أظن أن الأمر سهل و يسير وأنه مجردُ اختصار وترتيب وعزوُ نقل وإعادة صياغة؛ فلما توغلت فيه رأيت أنني أمام بحر لا ساحل له . ولكن من نعم الله على العبد عند عزمه على البحث فى موضوع ما أنه يراه سهلًا ميسورًا، ثم لا يكاد تمر عليه مدة إلا ويجد نفسه في واد متشعب، ولو علم فى بادئ الأمر ما سيلقاه ربما أبعد عن فكره الفكرة، ونأى بنفسه عن التكليف ولكنها رحمة الله عز وجل ليقضى الله أمرًا كان مفعولًا .

وهذا الكتاب لم تكن الصعوبة في دقته وطول باعه بقدر ما كانت في تشتت موضوعاته وتجددها، ولكن مما يسر الله عز وجل به الأمر كون بعضها مذكورًا في كتب الأئمة الأوائل كالإمام الحليمى فى كتابه : المنهاج في شعب الإيمان والإمام البيهقى فى كتابه : الجامع لشعب الإيمان . وكذلك فى كتب المفسرين والفقهاء وشارحى السنن والمُحْدثين .

كما أنه بيان لشعب الإيمان بطريقة مشوقة ومنهجية معاصرة، وقد أوردت تحت كل شعبة ما يناسبها من الكتاب والسنة مقتصرًا على الصحيح منها مع ذكر شرح مختصر لكل شعبة من أقوال أهل العلم من المتقدمين والمعاصرين، وقد حرصت على سهولة الأسلوب ووضوح المعني ، وراعيت في ذلك القصد والإيجاز حتى لا يخرج الكتاب عن مقصده، وهو الإختصار أو الإطالة .

ويُعد الكتاب بمثابة موسوعة إيمانية اشتملت على أبواب التوحيد ومسائل الإعتقاد وأصول الإيمان، وأركان الإسلام وأحكام العبادات والمعاملات وفضائل الأعمال والآداب والأخلاق والأذكار والأدعية، والقصاص والحدود والكفارات والأيمان والشهادات وغيرها من أبواب الشريعة . ولذلك يصلح لتعريف المسلم بأصول الإيمان وشروطه وواجباته ومستحباته . وكذلك أركان الإسلام وفروضه وواجباته ومستحباته بعبارة سهلة وواضحة لا تحتاج لكثير شرح وبيان، وهذه الموسوعة تصلح لكل خطيب وداعية لإلقاء سلاسل دعوية لتعريف المسلمين بالإيمان وأركانه وشروطه وواجباته ومستحباته بأسهل عبارة وأيسر أسلوب وأوضح بيان . فحرى بالمؤمن أن يجتهدَ في تحصيل هذه الشُّعَب وخصال الخير، أو ما تيسَّر منها حتى ينال الخير ويحصل على الأجر العظيم .

والمتأمل فى المؤلفات فى شعب الإيمان مع عظم قدرها وأهميتها فى الإسلام يجد أنها لم يكن لها حظ وافر كما حظيت به كثير من علوم الشريعة لذلك قلت المصنفات في هذا الباب إلا ما كان من المطولات كالمنهاج للحليمى والجامع للبيهقى وبعض المختصرات كمختصر القزوينى، لذا أردت أن أشارك في هذا الباب العظيم من أبواب الخير لعله يكون باب خير لى ولإخوانى .

وغايتى من هذا البحث هو تذكير نفسي والمسلمين بما خُلقنا له، الا وهو العبادة . قال تعالى : وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ الذاريات

والعبادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . وقد يغفل كثير من المسلمين ـ إلا ما رحم ربى عز وجل ـ عن بعض العبادات السهلة اليسيرة مع عظم أجرها والتى لا تحتاج من المسلم أكثر من احتساب النية، لذا كان هذا الكتاب بمثابة تذكرة بين يدى المسلم الذى يرجو الله عز وجل والدار الآخرة . فيجب على كل مسلم أن يعتني بأمر دينه تعلمًا وتعليمًا وفهمًا وتدبرًا وعملًا واعتقادًا ليبني دينه على أساس صحيح فيسعد به فى دنياه وآخرته، فيتعهد إيمانه بالإكثار من الطاعات والعبادات والقربات التي تقربه من رب الأرض والسماوات . فهذه شعب الإيمان قد جمعتها تذكرة لنفسي ولسائر المسلمين ليكون ذلك باعثًا على العمل بها، ليفوز المسلم بما وعد الله به المؤمنين من الثواب الجزيل في الآخرة والحياة الطيبة في الدنيا . واسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعني بها وإخواني المسلمين وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا للفوز بجنات النعيم إنه على كل شيء قدير .

مقدمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد :
أحمد الله عز وجل الذي بنعمته تتم الصالحات؛ حيث أعانني على جمع ما تيسر وما تفرق من أقوال أهل العلم حول شعب الإيمان . وأرجو أن أكون قد وُفقت إلى الصواب . وحسبي إن شاء الله أني اجتهدت في تحري الحق ولم أتعمد الخطأ . فما كان فيه من صواب فمن الله تبارك وتعالى وله الحمد، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان ولا يسلم من الخطأ إلا من عصمه الرحمن . وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه .
وأشكر الله جل وعلا أولاً وآخراً فوالله ما كان لهذا القلم أن يكتب إلا بفضل الله تبارك وتعالى وإعانته، فلله الحمد والشكر على ما وفق وأعان .
ثم أشكر مشايخي وإخوانى على جهودهم وإسداء النصح لى . كما أشكر كل من أعانني وأخص بالشكر :
فضيلة الشيخ الدكتور / أحمد فريد
وفضيلة الشيخ الدكتور / سعيد الروبى
وفضيلة الشيخ / نزيه الشبراوى
على تقديمهم لهذا الكتاب، سائلًا الله جل وعلا أن يجزيهم عنى وعن المسلمين خير الجزاء . وأن يجعلهم ذخرًا للإسلام والمسلمين .
وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه .
وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير . وأن يوفقنا إلى القيام بتكاليف الإيمان وتحقيق شُعبه .
وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل واتباع كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
كما أسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع بهذا الكتاب ويجعله مباركًا وأن يكتب الأجر الجزيل والثواب العظيم لكل من ساهم في كتابته وجمعه، أو طبعه ونشره وتوزيعه .
وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشائخنا ولعلمائنا وللمسلمين والمسلمات، إنه ولى ذلك والقادر عليه . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .
كتبه العبد الفقير / محمد أحمد الكوت
الأسكندرية فى ٨ / ربيع الأول/١٤٤٢هـ الموافق ٢٥ / ١٠ / ٢٠٢٠م

عملى فى الكتاب :

١- سميت الكتاب : { موسوعة شعب الإيمان فى ضوء مصادرها الأصلية }
وقد اشتملت هذه الموسوعة على { سبعة وسبعون شعبة }
٢- أدرجت تحت كل شعبة من أمهات الطاعات ما يناسبها من أفرادها أو ما كان قريبًا من جنسها .
٣- ذكرت تحت كل شعبة ما يناسبها من الكتاب والسنة الصحيحة .
٤- اعتمدت في ذلك على ما كان فى الصحيحين أولًا ثم في سائر كتب السنة بتحقيقات العلامة المحدث الألبانى
٥- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية .
٦- خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية .
٧- اعتمدت رواية : الإيمان بضع وسبعون شعبة والتى أخرجها الإمام مسلم فى صحيحه .
٨- اعتمدت فى جمع شعب الإيمان على كتابى شعب الإيمان للإمام الحليمى والإمام البيهقى .
٩- اجتهدت فى جمع بعض الشعب الأخرى من الكتاب و السنة والتى لم ترد فى كتب الأوائل .
١٠- اعتمدت على تقسيم ابن حجر لشعب الإيمان مع شئ من التعديل .
١١- اجتهدت فى ذكر الأدلة الشرعية تحت كل مسألة في جميع أبواب الكتاب لحاجة كل مسلم إلى ذلك .

عملى فى الشعب :

ذكرت تحت كل شعبة ما يلى :
١- توطئة وتمهيد عن فضل الشعبة .
٢- معناها لغة واصطلاحًا .
٣- حكمها الشرعى منقولاً عن أئمة السلف أو بعض المعاصرين ممن ساروا على نهجهم .
٤- بعض الأحكام الفقهية الخاصة بها .
٥- منزلتها ومكانتها فى الكتاب والسنة .
٦- كيفية تحقيق المسلم لهذه الشعبة .
٧- أقوال بعض أئمة السلف حول هذه الشعبة .
٨- ثمرات هذه الشعبة وفوائدها .
٩- قسمت الكتاب إلى تمهيد وخمسة فصول وخاتمة على النحو التالى :

أ- التمهيد : وفيه مقدمة الكتاب ومقدمة المؤلف وبيان مختصر لمحتوى الكتاب .

ب- الفصل الأول ويشتمل على بابين :
الباب الأول : وفيه مبحثين :
١- المبحث الأول : شرح حديث شعب الإيمان
٢- المبحث الثانى : أقوال أهل العلم حول حديث شعب الإيمان
الباب الثانى وفيه : مسائل حول الإيمان والكفر .

ج- الفصل الثانى العبادات القلبية : ويشتمل على {٣٠} شعبة وهى :

الشعبة الأولى : الإيمان بالله تعالى
الشعبة الثانية : الإيمان بالملائكة
الشعبة الثالثة : الإيمان بالكتب
الشعبة الرابعة : الإيمان بالرسل
الشعبة الخامسة : الإيمان باليوم الآخر
الشعبة السادسة : الإيمان بالقدر خيره وشره

الشعبة السابعة : محبة الله عز وجل
الشعبة الثامنة : محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره
الشعبة التاسعة : الحب فى الله ويدخل فيه : محبة الرجل لأخيه ما يحبه لنفسه
الشعبة العاشرة : الإخلاص ويدخل فيه : ترك الرياء والنفاق
الشعبة الحادية عشرة : الصدق ويدخل فيه ترك الكذب
الشعبة الثانية عشرة : الخوف
الشعبة الثالثة عشرة : الرجاء
الشعبة الرابعة عشرة : الصبر
الشعبة الخامسة عشرة : الرضا
الشعبة السادسة عشرة : الشكر
الشعبة السابعة عشرة : التوكل
الشعبة الثامنة عشرة : الحياء
الشعبة التاسعة عشرة : الغيرة
الشعبة العشرون : التوبة
الشعبة الحادية والعشرون : الوفاء
الشعبة الثانية والعشرون : حسن الخلق
الشعبة الثالثة والعشرون : التواضع
الشعبة الرابعة والعشرون : العفو
الشعبة الخامسة والعشرون : الرحمة
الشعبة السادسة والعشرون : توقير الكبير ورحمة الصغير
الشعبة السابعة والعشرون : سلامة الصدر من الكبر والعجب و الحسد والحقد
الشعبة التاسعة والعشرون : كظم الغيظ وترك الغضب
الشعبة الثامنة والعشرون : السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة
الشعبة الثلاثون : شح المرء بدينه ويدخل فيه : قصر الأمل

د ـ الفصل الثالث العبادات البدنية : ويشتمل على { ٢٧ } شعبة وهى :

الشعبة الأولى : اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
الشعبة الثانية : الطهارة
الشعبة الثالثة : الصلاة
الشعبة الرابعة : الصيام ويدخل فيه الإعتكاف والتماس ليلة القدر
الشعبة الخامسة : الحج والعمرة
الشعبة السادسة : الجهاد ويدخل فيه ترك الفرارمن الزحف
الشعبة السابعة : الرباط في سبيل الله
الشعبة الثامنة : بر الوالدين ويدخل فيه ترك العقوق
الشعبة التاسعة : صلة الأرحام ويدخل فيه ترك القطيعة
الشعبة العاشرة : حق المسلم على المسلم
الشعبة الحادية عشرة : تربية الأولاد والإحسان إلى الأهل
الشعبة الثانية عشرة : الإحسان إلى الجيران
الشعبة الثالثة عشرة : التعاون على البر والتقوى ويدخل فيه : إصلاح ذات البين ـ تفريج الكربات وقضاء حوائج الناس ـ إقراض المعسر
الشعبة الرابعة عشرة : حق السادة على المماليك ويدخل فيه : الاحسان إليهم
الشعبة الخامسة عشرة : حفظ الفروج
الشعبة السادسة عشرة : اجتناب المحرم من اللباس و الزينة
الشعبة السابعة عشرة : إماطة الأذى
الشعبة الثامنة عشرة : كف الأذى عن الناس

الشعبة التاسعة عشرة : اجتناب اللهو
الشعبة العشرون : الإعراض عن اللغو
الشعبة الحادية والعشرون : تعظيم شعائر الله وحرماته
الشعبة الثانية والعشرون : طاعة أولي الأمر
الشعبة الثالثة والعشرون : لزوم جماعة المسلمين
الشعبة الرابعة والعشرون : الحكم بما أنزل الله
الشعبة الخامسة والعشرون : إقامة الحدود
الشعبة السادسة والعشرون : إقامة العدل
الشعبة السابعة والعشرون : الستر

هـ - الفصل الرابع العبادات القولية : ويشتمل على { ٩ } شُعب وهى :

الشعبة الأولى : قول لا إله إلا الله
الشعبة الثانية : ذكر الله تعالى
الشعبة الثالثة : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
الشعبة الرابعة : الدعاء
الشعبة الخامسة : تعلم العلم وتعليمه
الشعبة السادسة : الأمر بالمعرووف والنهى المنكر
الشعبة السابعة : الدعوة إلى الله
الشعبة الثامنة : حفظ اللسان عن المحرَّمات ويدخل فيه : ترك الغيبة والنميمة
الشعبة التاسعة : حفظ الأيمان ويدخل فيه : إقامة الشهادة

و - الفصل الخامس العبادات المالية : ويشمل { ١١ } شُعبة وهى :

الشعبة الأولى : الزكاة ويدخل فيها : الصدقات
الشعبة الثانية : أداء الخمس من المغنم
الشعبة الثالثة : أداء الكفارات
الشعبة الرابعة : حفظ الأمانة وأدائها
الشعبة الخامسة : تحرى الحلال واجتناب الحرام فى المأكل والمشرب والملبس
الشعبة السادسة : اجتناب الإسراف والتبذير
الشعبة السابعة : كفالة اليتيم
الشعبة الثامنة : الجود والكرم
الشعبة العاشرة : إطعام الطعام
الشعبة التاسعة : إكرام الضيف
الشعبة الحادية عشرة : الذبائح والأضاحى والهدى

الخاتمة وتشتمل على :
١- خاتمة الكتاب
٢- فهارس المراجع والمصادر
٣- فهارس الموضوعات

الفصل الأول : ويشتمل على بابين :

الباب الأول : وفيه مبحثين :

المبحث الأول : شرح حديث شعب الإيمان .

المبحث الثانى : بعض أقوال أهل العلم حول حديث شعب الإيمان .

المبحث الأول : شرح حديث الإيمان :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ .
رواه البخاري
وعَنْه أيضا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ . رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والتِّرمِذي والنَّسائي
تخريج الحديث :
اختلفت روايات هذا الحديث في تعداد شعب الإيمان ، ففي رواية البخاري بضع وستون شعبة
ورواية مسلم على الشك : بضع وستون أو بضع وسبعون
ورواية أصحاب السنن بالجزم : بضع وسبعون شعبة
وقد رجح الحافظ ابن حجر رواية البخاري بقوله : لكن يرجح بأنه المتيقن، وما عداه مشكوك فيه

قال الدكتور محمد علي الوهيبي فى نواقض الإيمان الإعتقادية :
اعتنى الأئمة بهذا الحديث واعتبروه أصلاً لإدخال الطاعات في الإيمان وعدوها من شعبه وألفوا في ذلك بعض المصنفات، ومن أغزرها كتاب المنهاج في شعب الإيمان للإمام للحليمي، ثم اختصره الإمام البيهقي في كتاب الجامع لشعب الإيمان مع عنايته بالأسانيد ، واختصره الإمام القزويني وجميعهم عدوا سبعًا وسبعين شعبة من شعب الإيمان مع شرحها . وممن اعتنى بحصر شعب الإيمان الإمام اللالكائي فقد ذكر في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة اثنتين وسبعين خصلة من خصال الإيمان وذكر تحت كل خصلة ما يناسبها من الأحاديث . وعد الإمام ابن بطه في الإيمان سبعين شعبة سرداً دون ذكر أدلتها .

قال الشيخ صالح آل الشيخ فى شرح الأصول الثلاثة :
قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً .
البضع من الثلاثة إلى التسعة . والشعبة الطائفة من الشيء والقطعة منه . وكل خصلة من خصال الخير هي شعبة من شعب الإيمان والشعبة يدخل تحتها أفرادًا من خصال الخير .
وقوله شُعب هذا تمثيل للإيمان بالشجرة التي لها شعب وفروع ، وقد مثل عليه الصلاة والسلام بأعلى الشعب وبأدنى الشعب ، ومثّل بشعبة من الشعب، وهذه الثلاث التي ذكرها عليه الصلاة والسلام متنوعة :
فالأولى : أعلاها : قول لا إله إلا الله وهو عمل اللسان .
والثانية : أدناها : إماطة الأذى عن الطريق وهذا عمل الجوارح .
والثالثة : الحياء وهذا عمل القلب، فتمثيله عليه الصلاة والسلام لذلك لأجل أن يُستدل لكل شعبة من هذه الشعب الثلاثة على نظائرها : فيُستدل بكلمة التوحيد بقول لا إله إلا الله على الشعب القولية .
ويُستدل بإماطة الأذى عن الطريق بالشعب العملية، أى عمل الجوارح .
ويُستدل بالحياء على الشعب القلبية .
وهذا من أبلغ ما يكون من التمثيل لأن التنويع يجعل الناظر يُعدِّي هذا الذي ذكر إلى أمثال تُماثلها كثيرة .

وقال الشيخ ابن عثيمين فى شرح رياض الصالحين :
وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَفْضَلُهَا أو أعلاها قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ :
هذه الكلمة العظيمة هى كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص وكلمة الإسلام وهي العروة الوثقى وكلمة التقوى وأساس الملة ومفتاح الجنة، لو وزنت السماوات السبع والأرضين السبع وجميع المخلوقات لرجحت بهن لأنها أعظم كلمة، إذا قالها الإنسان صار مسلمًا وإذا استكبر عنها صار كافرًا فهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ولذلك كانت أعلى شعب الإيمان وأفضلها .
ومعنى لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله عز وجل فكل المعبودات من دون الله باطلة إلا الله وحده لا شريك له فهو الحق

قال تعالى : ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ الحج

هذه الكلمة أعلى شعب الإيمان وأفضلها ومن خُتم له بها في الدنيا فإنه يكون من أهل الجنة فمن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة نسأل الله أن يختم لنا بها .

وقوله صلى الله عليه وسلم : وأدناها إماطة الأذى عن الطريق :

أي إزالة الأذى من شوك وحجر ونحوه مما يتأذى المار به، وإماطة الأذى يبيِّن عَظَمة هذا الدِّين، وشمولية هذه الشريعة كيف جعلتْ إزالة الأذى عن الطريق مِن شُعَب الإيمان التي مَن فرَّط فيها، فقد نقصَ إيمانُه لأنه لم يستكمل الشُّعَب . وفيه أن الإيمان يشمل الأعمال كلها . فإماطة الأذى إذا كان من الإيمان فافعله يزدد إيمانك ويكمل فإذا وجدت أذى في الطريق فأزله فإن ذلك من الإيمان حتى السيارة إذا جعلتها في وسط الطريق وضيقت على الناس فقد وضعت الأذى في الطريق، وإذا كان إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان فوضع الأذى في الطريق من الخسران والعياذ بالله ومن نقص الإيمان ولذلك يجب أن يكون الإنسان حيى القلب يشعر بشعور الناس يحب لهم ما يحب لنفسه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : والحياء شعبة من الإيمان :

الحياء غريزة يحمل المرء على فعل الجميل وترك المشين . والحياء من الله يوجب للعبد أن يقوم بطاعة الله وأن ينتهي عما نهى الله .والحياء من الناس يوجب للعبد أن يستعمل المروءة وأن يفعل ما يجمله ويزينه ويتجنب ما يدنسه ويشينه . واختار صلى الله عليه وسلم الحياء ختامًا لأنه يحضُّ على الشُّعَب جميعها، ويتَّجه بصاحبه وجهة الخير والإستقامة، ثم هو حِلْية الأخلاق وزينتها وهو خُلُق هذه الحنفية السمْحة، كما قَالَ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الإِسْلاَمِ الْحَيَاءُ . صحيح ابن ماجة . فكأنه صلى الله عليه وسلم يشير بهذا الخِتام العجيب إلى أن الحياء مهيمن على هذه الشعب ومسيطر عليها، فلن تقع هذه الشعب موقع الكمال والرضا إلا إذا اتَّسمت بسيما الحياء، والمستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي، ولأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار وانتهاء، فإذا حصل الإنتهاء بالحياء كان بعض الإيمان، والحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدراً . وفي الحديث : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ . رواه البخاري

بعض الفوائد من حديث شعب الإيمان :

قال الشيخ عبد الرزاق البدر فى تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي :

وفي الحديث فوائد منها :

١- أنَّه صريح في أنَّ الإيمان يتناول ما يقوم بالقلب وما يقوم باللسان وما يقوم بالجوارح ، أمَّا ما يقوم بالقلب ففي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : والحياء شعبة من شعب الإيمان، وأمَّا ما يقوم باللسان ففي قوله صلى الله عليه وسلم : فأفضلها قول : لا إله إلا الله، وأمَّا ما يقوم بالجوارح فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .

٢- كلمة التوحيد أفضل الكلمات ولهذا عدها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل شعب الإيمان وأرفع درجاته .

٣- شعب الإيمان ليست على مرتبة واحدة، فأعلاها : قول لا إله إلا الله، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعبٌ كثيرةٌ منها ما هو قريب من الأعلى ومنها ما هو قريب من الأدنى .

٤- الإيمان يزيد وينقص، فإنَّه إذا كان متناولًا لهذه الشعب وهي شعب متفاوتة لها أعلى وأدنى، والناس متفاوتون في تطبيقها قوة وضعفًا زيادة ونقصاً، فهذا فيه أبين دلالة على أنَّه يزيد وينقص .

٥- الشعبة الواحدة يتفاوت الناس في تحقيقها والقيام بها تفاوتًا كبيرًا، فليسوا على درجة واحدة في الحياء مثلًا كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أصدقهم حياًء عثمان . صحيح الجامع .

٦- عدَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إماطة الأذى عن الطريق إيمانًا، والمراد بالأذى : أي الحسي الذي يؤذي الناس ويعيقهم في سيرهم لتحصيل مصالحهم الدنيوية . وعليه فإنَّه من باب أولى أن يكون إماطة الأذى المعنوي الذي يعيق الناس في طريقهم إلى طاعة ربهم إيمانًا ولهذا كان الرد على أهل البدع وتحذير الناس من باطلهم والرد على شبهاتهم من إماطة الأذى عن الطريق وهو من الإيمان .

المبحث الثاني : بعض أقوال أهل العلم حول حديث شعب الإيمان

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم : قال القاضي عياض :

وبقي بين هذين الطرفين - أي الشهادتان وإماطة الأذى – أعدادًا لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه وقد فعل ذلك بعض من تقدم، وفي الحكم بأن ذلك مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعوبة ثم إنه لا يلزم معرفة أعيانها، ولا يقدح جهل ذلك في الإيمان، إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة والإيمان بأنها هذا العدد واجب في الجملة .

وقال الإمام الخطابي فى معالم السنن :

وفي هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له أدنى وأعلى، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها .

وقال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر فى تذكرة المؤتسي :

قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شُعْبة : والمراد بذلك أنَّ خصال الإيمان لا تخرج عن هذا العدد وأنَّها متفاوتة فتدخل فيها أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، وأعمال اللسان، وعنها تتفرَّع شُعب أخرى من أعمال البَدَن، كالنفْع المتعدي من البر والصلة والصَّدَقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى .

مسألة : لماذا لم ينص الحديث على بيان شعب الإيمان ؟

قال الشيخ ابن عثيمين فى شرح رياض الصالحين :

بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإيمان شعب كثيرة بضع وستون أو بضع وسبعون ولم يبينها لأجل أن يجتهد الإنسان بنفسه ويتتبع نصوص الكتاب والسنة حتى يجمع هذه الشعب ويعمل بها وهذا كثير أي أنه يكون في القرآن والسنة أشياء مبهمة يُبهمها الله ورسوله من أجل امتحان الخلق ليتبين الحريص من غير الحريص فمثلًا ليلة القدر في العشر الأواخر أو في السبع الأواخر من رمضان لكن لا تعلم في أي ليلة هي من أجل أن يحرص الناس على العمل في كل الليالي رجاء هذه الليلة .
ومن ذلك أبهم ساعة الإجابة في يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله إلا أعطاه إياه من أجل أن يحرص الناس على التحري والعمل، كذلك في كل ليلة ساعة إجابة لا يوافقها أحد يدعو الله سبحانه وتعالى إلا استجاب له، كذلك أخبر النبي عليه الصلاة والسلام : أن لله تسعة وتسعون اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة ولم يعدها، وعلى هذا فإن قول النبي صلى الله عليه وسلم هنا الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ترك تعيينها من أجل أن نحرص على تتبعها في الكتاب والسنة حتى نجمع هذه الشعب ثم نقوم بالعمل بها وهذا من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم التي أتاه الله تعالى .

مسألة : هل اتفق العلماء على عدد معين فى شعب الإيمان ؟

قال الشيخ صالح آل الشيخ فى شرح الأصول الثلاثة :

اختلف العلماء في عدد شعب الإيمان، فعدُّوها على اجتهاد منهم، وهذا الإجتهاد يختلف فيه العلماء فمنهم من يعد خصالًا من شعب الإيمان، ومنهم من يعد أخرى، وسبب ذلك اجتهادهم في قياس ما لم يذكر على ما ذُكر، فيجعلون بعضًا منها قولية، ويجعلون بعضًا منها عملية ويجعلون بعضًا منها لعبادات القلب .

وقال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر فى تذكرة المؤتسي .

هذا الحديث مشهور عند أهل العلم بحديث الشعب وللعلماء عناية فائقة به حتى أفرده بعضهم في مصنف كما فعل البيهقي في كتابه : شعب الإيمان وقبله الحليمي وقد اعتنى عدد منهم بجمع هذه الشعب وذكر أدلتها وتفاوتت مناهجهم في جمعها .
وأعجب طريقة مرت عليَّ في مناهج من جمعها هي طريقة ابن حبان البستي حيث قال : تتبعت معنى الخبر مدة وذلك أنَّ مذهبنا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم قط إلا بفائدة، ولا من سننه شيء لا يُعلم معناه، فجعلت أعد الطاعات من الإيمان فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئًا كثيرًا، فرجعت إلى السنن فعددت كلَّ طاعة عدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان فإذا هي تنقص من البضع والسبعين، فرجعت إلى ما بين الدفتين من كلام ربنا وتلوته آية آية بالتدبر، وعددت كلَّ طاعة عدها الله جل وعلا من الإيمان، فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فضممت الكتاب إلى السنن وأسقطت المعاد منها، فإذا كلُّ شيء عدَّه الله جل وعلا من الإيمان في كتابه، وكلُّ طاعة جعلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان في سننه تسع وسبعون شعبة، لا يزيد عليها ولا ينقص منها شيء، فعلمت أنَّ مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الإيمان بضع وسبعون شعبة في الكتاب والسنن، فذكرت هذه المسألة بكمالها بذكر شعبه في كتاب {وصف الإيمان وشعبه} بما أرجو أنَّ فيها الغُنية للمتأمل إذا تأملها .
وللحافظ ابن حجر كلام مختصر جميل في عد هذه الشعب بدون ذكر للأدلة، استخلصه مما أورده أهل العلم من هذه الشعب فقال : ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه ، وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره : وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن .
فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة :
الإيمان بالله ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنَّه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه . والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره . والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان، والصراط ، والجنة والنار. ومحبة الله. والحب والبغض فيه. ومحبة النبي واعتقاد تعظيمه ويدخل فيه الصلاة عليه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع سنته. والإخلاص ويدخل فيه : ترك الرياء والنفاق. والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر والرضا بالقضاء والتوكل . والرحمة والتواضع ويدخل فيه توقير الصغير، وترك الكبر والعجب. وترك الحسد وترك الحقد وترك الغضب .
وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال :
التلفظ بالتوحيد. وتلاوة القرآن. وتعلم العلم وتعليمه. والدعاء والذكر، ويدخل فيه الإستغفار. واجتناب اللغو .
وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة :
منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة :
التطهير حساً وحكماً ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة. والصلاة فرضاً ونفلاً. والزكاة. وفك الرقاب. والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف. والصيام فرضاً ونفلاً. والحج والعمرة كذلك. والطواف. والإعتكاف. والتماس ليلة القدر. والفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك. والوفاء بالنذر. والتحري في الأيمان. وأداء الكفارات.
ومنها ما يتعلق بالأتباع ، وهي ست خصال :
التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين وفيه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد
ومنها ما يتعلق بالعامة ، وهي سبع عشرة خصلة :
القيام بالإمرة مع العدل. ومتابعة الجماعة. وطاعة أولي الأمر. والإصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة. والمعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإقامة الحدود. والجهاد ومنه المرابطة . وأداء الأمانة ومنه أداء الخُمس والقرض مع وفائه. وإكرام الجار. وحسن المعاملة وفيه جمع المال من حِله وإنفاق المال في حقه ومنه ترك التبذير والإسراف. ورد السلام. وتشميت العاطس. وكف الأذى عن الناس. واجتناب اللهو. وإماطة الأذى عن الطريق.
فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدها تسعاً وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض . وقد يتغير الرقم قليلاً باختلاف بعض المسميات عند طوائف من العلماء، وقد اختير هنا ما ذكره ابن حجر رحمه الله فى شرح صحيح البخارى ، لدقتها وشمولها واختصارها من جهة ، ولإستنادها على جملة النصوص الشرعية الصحيحة .

مسألة : هل العدد فى الحديث مقصود ؟

قال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر فى تذكرة المؤتسي :
من أهل العلم من يرى أنَّ هذا العدد لا مفهوم له وأنَّ المراد التكثير، قالوا : وهذا كثير في لغة العرب لاسيما في العدد سبعة وما تضاعف منها، ومنهم من يرى أنَّ العدد مقصود، وأنَّ المراد أنَّ عدد شعب الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون .
قال الحافظ ابن رجب فى فتح الباري في شرح صحيح البخاري :
أهل الحديث والسنة عندهم أن كل طاعة فهي داخلة في الإيمان، سواء كانت من أعمال الجوارح أو القلوب أو من الأقوال، وسواء في ذلك الفرائض والنوافل، هذا قول الجمهور الأعظم منهم وحينئذ فهذا لا ينحصر في بضع وسبعين، بل يزيد على ذلك زيادة كثيرة، بل هي غير منحصرة ، قيل : ويمكن أن يجاب عن هذا بأجوبة :
الأول : إن عد خصال الإيمان كان منحصرًا في هذا العدد ثم حدثت زيادة حتى كملت خصال الإيمان في آخر حياته صلي الله عليه وسلم .
الثانى : أنها تنحصر في بضع وسبعين نوعًا، وإن كان أفراد كل نوع تتعد كثيرًا، وربما كان بعضها لا ينحصر
الثالث : أن ذكر السبعين على وجه التكثير للعدد، لا على وجه الحصر وهذا ذكره أهل الحديث من المتقدمين وفيه نظر .
الرابع : أن هذه البضع وسبعين هي أشرف خصال الإيمان وأعلاها وهو الذي تدعو إليها الحاجة منها .

مسألة : هل شعب الإيمان كلها تتساوى فى المرتبة ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى :
الإيمان مركب من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصاً يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة، فالناس فيه ظالم لنفسه ومقتصد وسابق كالحج وكالبدن والمسجد وغيرها من الأعيان والصفات، فمن أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل، ومنه ما نقص عن الكمال وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات، ومنه ما نقص ركنه وهو ترك الإعتقاد والقول . فالإيمان كالحج في اشتماله على أركان وواجبات ومستحبات، ففي الحج أركان متى تركت لم يصح الحج كالوقوف بعرفة، ومشتمل على واجبات يأثم بتركها أو فعلها عمداً، ويجب مع تركها الجبران بدم كالإحرام من المواقيت المكانية ورمي الجمار ونحو ذلك، ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها ولا يأثم بتركها، مثل رفع الصوت

بالإهلال والإكثار منه ودعائه في الطواف وغيرهما، فكذا الإيمان كما سبق ذكره ومن ثم فإن الناس متفاوتون في الإيمان، فمنهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات بإذن ربه .

قال الإمام ابن القيم فى الصلاة وحكم تاركها :

الإيمان عند جمهور أهل السنة له شعب متعددة، كما أخبر بذلك أعلم الخلق صلى الله عليه وسلم في حديث شعب الإيمان، وكل شعبة منه تسمى إيماناً، فالصلاة وسائر أعمال الجوارح من الإيمان، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والرجاء من الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب . وإذا كان الإيمان مشتملاً على شعب متعددة ومتفاوتة، فإنه يتضمن بناء على تفاوت شعبه أركاناً وواجبات ومستحبات .

مسألة : هل يستوى الناس فى تحقيق الشعبة الواحدة أم يتفاتون ؟

قال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر فى تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي :

فكما أن المؤمنين متفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض، فكذلك يتفاوتون فى تحقيق الشعبة الواحدة كما دلت علي ذلك النصوص . قَال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رأى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْه بِيَدِه فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ . رواه مُسْلِمٌ . ففى هذا الحديث بيان واضح وصريح فى أن شعبة تغيير المنكر لا يتساوى فى تحقيقها الناس بل كل بحسب إيمانه .

وكذلك الحال في إماطة الأذى عن الطريق ، فإنَّ الناس مع هذه الشعبة على ثلاثة أقسام :

١ـ قسم يميط الأذى عن الطريق ٢ـ قسم يدع الأذى في الطريق ٣ـ قسم يضع الأذى في الطريق

وكذلك الحياء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : أصدقهم حياء عثمان . فكلُّهم من أهل الإيمان لكنهم لا يستوون .

ضابط شعب الإيمان :

قال الشيخ عبد الرحمن البراك فى جواب في الإيمان ونواقضه :

اسم الإيمان يشمل كل ما أمر الله به ورسوله من الإعتقادات وأعمال القلوب والجوارح، وأقوال اللسان أفعالاً وتروكاً، فيدخل في ذلك فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات وإحلال الحلال وتحريم الحرام. وترك الشرك والكفر والبراءة منهما شرط لصحة الإيمان . وترك سائر الذنوب شرط لكمال الإيمان .

وقال الشيخ صالح آل الشيخ فى شرح الأصول الثلاثة :

والشعبة من شعب الإيمان يدخل تحتها أفراداً من خصال الخير .

وقال الإمام الطحاوى فى العقيدة الطحاوية : الطاعات من شعب الإيمان، والمعاصي من شعب الكفر .

فالظاهر من كلام العلماء أن الإيمان يشتمل علي جميع الطاعات فرضها ونفلها مما يجب على القلب واللسان والجوارح، كما يشتمل على ترك جميع المحظورات المحرم منها والمكروه . وعليه يمكن القول بأن شعب الإيمان هى فعل جميع الطاعات وترك جميع المحظورات .

بعض المصنفات فى شعب الايمان :

١ـ كتاب المنهاج في شعب الإيمان للإمام للحَلِيْمِي رحمه الله وهو من أئمة الشافعية في وقته، وهو في طبقة الحاكم وكتابه نافع في بابه جدًا . وقد مهّد للشعب بالكلام عن حقيقة الإيمان وبعض أحكامه، وعنوان الكتاب يدل على أن الحليمي أراد أن يبحث في شعب الإيمان من حيث تعيين أفرادها، وبيان ما يلزم المؤمن من فروضها وآدابها وسننها. والكتاب ينقسم إلى قسمين :

الأوّل : حقيقة الإيمان وما يتعلق به من الأحكام من حيث الجملة .

الثاني : بيان شعب الإيمان .

٢ـ كتاب الجامع لشعب الإيمان للحافظ أبي بكر أحمد الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ) وهو شرح لشعب الإيمان للإمام الحليمي وإنما عظمت قيمة كتاب البيهقي رحمه الله لأنه كتاب مسند .

نبذة حول كتاب الجامع لشعب الإيمان للبيهقي

قال البيهقي فى مقدمة الكتاب : أنه جمع آثاراً في أصل الإيمان ثم وقف على كتاب الحليمي شعب الإيمان فأعجبه الكتاب لولا تجريد مؤلفه له من الأسانيد، فأخذ تقسيم الحليمي لكتابه فجعله عمدة شعبه، وأضاف إليها الأسانيد وعلق على مواضع من كتاب الحليمي .

سفر جليل في بيان شعب الإيمان التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : الإيمان بضع وسبعون شعبة.
رواه مسلم وقد اختصر بعض العلماء اسمه فقالوا : شعب الإيمان .

وسبب تأليفه ـ كما قال الدكتور عبد العلي حامد في مقدمة تحقيقه للكتاب : هو أن البيهقي اطلع على كتاب شعب الإيمان للحليمي الشافعي فأعجب به، وأدرك ضرورة توفير مثله نظرًا لما يشهده عصره من مناقشات حول أصول الدين الأساسية من معنى الإيمان وزيادته ونقصانه، ومواضيع الكتاب هي شعب الإيمان وقد اتبع في تبويبها الإمام الحليمي، وقسم الأحاديث التي يستدل بها على هذه الأبواب اثنا عشر بابا وهي :

الأول : في بيان حقيقة الإيمان .
الثاني : في زيادة الإيمان ونقصانه .
الثالث : في الإستثناء في الإيمان وما يصح من ذلك ومالا يصح .
الرابع : في ألفاظ الإيمان وما يصح منها وما لا يصح .
الخامس : في إيمان المقلد والمرتاب .
السادس : في من يكون مؤمنا بإيمان غيره .
السابع : في من يصح إيمانه أو لا يصح .
الثامن : في من لم تبلغه الدعوة .
التاسع : في من مات مستدلا.
العاشر : في شعب الإيمان وهي سبع وسبعون شعبة .
الحادي عشر : في ذكر آيات وأحاديث اشتمل كل واحد منها على عدة من الشعب .
الثاني عشر : في بيان السبب الذي لأجله اختار المؤلف تخريج هذه الشعب على سبعة وسبعين بابا .

وقد طبع الكتاب بالدار السلفية في بومباي في الهند في عشرين مجدًا بتحقيق الدكتور عبد العلي حامد، وقد ذكر أنه وقف على عدة نسخ من الكتاب في عدة مجلدات ولم يكن شيء منها في مجلد واحد .

{ملخصًا من مقدمات تحقيق جامع شعب الإيمان للدكتور عبد العلي حامد طباعة الدار السلفية بومباي الهند }
مقدمات تحقيق جامع شعب الإيمان للدكتور عبد العلي حامد

بعض المختصرات لكتاب الجامع لشعب الإيمان للبيهقي :

١ـ مختصر للشيخ شمس الدين القونوي .
٢ـ مختصر للإمام معين الدين محمد بن حمويه .
٣ـ مختصر القزويني : عمر بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٦٩٩ هـ طبع بدار الكتب العلمية ١٩٨٣
٤ـ مختصر محمد بن إسماعيل الحضرمي المتوفى سنة٦٥١ هـ سماه : المرتضى وله فيه زيادات حسنة .
٥ـ شعب الإيمان عبد الجليل القصري المتوفى سنة ٦٠٨هـ دار الكتب العلمية في مجلد بتحقيق سيد كسروي.
وبدار الحديث مصر ١٤١٧هـ في مجلدين بتحقيق : أيمن صالح شعبان .

الباب الثاني : مسائل حول مفهوم الإيمان :

جاء فى كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة :

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان وعظم شأنه وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح فهو أجل المطالب وأهم المقاصد وأنبل الأهداف وبه يحيا العبد حياة طيبة وينجو من المكاره والشرور وينال ثواب الآخرة ونعيمها وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول .

قال تعالى : مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ النحل

وقال تعالى : وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ الإسراء

ومعتقد أهل السنة والجماعة فى الإيمان أنه لا يقوم إلا على أركانه تامة كما لا يقوم البنيان إلا على أركانه مكتملة . لذا لا يتم الإيمان إلا بأركانه الستة جميعًا على الوجه الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة ومن جحد شيئًا منها فليس بمؤمن وإن ادعى الإيمان وقام ببعض أركان الإسلام . ولذا كان متأكدًا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول علمًا وتعلمًا وتحقيقًا .

الإيمان لغة :

قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرح العقيدة الواسطية :

هو التصديق والإستجابة، لأن التصديق لا يقال له تصديق حتى يكون مستجيبًا في ما كان يحتاج إلى الإستجابة في أمور التصديق

قال تعالى في قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل : فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ الصافات

ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام كان مصدّقا للرؤيا لأنه هو الذي رآها فلم يكن عنده شك من حيث اعتقاد أنه رأى هذا الشيء الذي رآه، ولكن سمي مصدقًا للرؤيا لما استجاب بالفعل :

وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ . متى ؟ لما أسلما وتله للجبين . إذن : التصديق الجازم في لغة العرب : تارة يكون من جهة الإعتقاد . وتارة يكون من جهة العمل . فما كان من الأخبار فتصديقه باعتقاده، وما كان من الأمر والنهي فتصديقه بامتثاله هذا من جهة دلالة اللغة .

أما التصديق فليس مرادفاً للإيمان، بل الإيمان : تصديق وقدر زائد عليه، وهو الإذعان وانقياد القلب؛ فإنَّ العبد قد يكون مصدقاً ولا يكون مقراً ولا مؤمناً .

مسألة : هل التصديق فقط يعد إيماناً شرعياً ؟

وقال الدكتور عبد العزيز عبد اللطيف فى نواقض الإيمان القولية والعملية :

التصديق بحد ذاته لا يعد إيماناً شرعياً، بل لابد من الإنقياد والخضوع لشريعة الله تعالى، وإلا فمن المعلوم بالإضطرار من دين الإسلام أن الكثير من أهل الكتاب والمشركين قديماً وحديثاً يعرفون أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله وأنه صادق ومع ذلك فهم كفار، لأنهم لم يعملوا بما يوجبه هذا التصديق من الحب والتعظيم والإنقياد للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الإيمان شرعًا :

قال الشيخ صالح آل الشيخ فى شرح العقيدة الطحاوية :

قالت طائفة من السّلف : الإيمان قول وعمل وهذا تعريف دقيق لأنه يشمل قول القلب وقول اللّسان .

فقول القلب : هو تصديقه وإخلاصه لله عز وجل . وقول اللّسان : هو إعلانه الشّهادة .

وعَمَلْ : يشمل عمل القلب وعمل الجوارح .

وعَمَلُ القلب : كمحبة الله عز وجل والتوكل عليه والخوف منه ورجاؤه والإنابة إليه وخشيته ونحو ذلك من أعمال القلوب .

فإذاً ما يتّصِلُ بالقلب من أمور الإيمان ليس هو التصديق فقط، بل ثَمَّ أشياء كثيرة في القلب والتصديق هو أحدها .

وعمل الجوارح : كالصلاة والصيام والصدقات والحج والجهاد في سبيل الله، وغير ذلك من أعمال الجوارح .

مسألة : ما مراد السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان قول وعمل ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى : المراد بقولهم : الإيمان قول وعمل
إنَّ من قال من السَّلف : الإيمان قول وعمل أراد قول القلب وقول اللِّسان وعمل القلب وعمل الجوارح .
ومن أراد الإعتقاد رأى أنَّ لفظ القول لا يُفهم منه إلاَّ القول الظَّاهر أو خاف ذلك فزاد الإعتقاد بالقلب .
ومن قال : قول وعمل ونية ؛ قال : القول يتناول الإعتقاد وقول اللِّسان ، وأمَّا العمل فقد لا يُفهم منه النِّيَّة فزاد ذلك . ومن زاد اتباع السُّنَّة فلأنَّ ذلك كلَّه لا يكون محبوبًا لله إلاَّ باتِّباع السُّنَّة .
وأولئك لم يريدوا كلَّ قول وعمل، إنَّما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرَّدَّ على (المرجئة) الذين جعلوه قولاً فقط ؛ فقالوا : بل هو قول وعمل . والذين جعلوه (أربعة أقسام) فسَّروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التَّستريُّ عن الإيمان : ما هو ؟ فقال : قول وعمل ونيَّة وسنَّة؛ لأنَّ الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نيَّة فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملًا ونيَّة بلا سنَّة فهو بدعة .

القول الراجح عند أهل السنة فى تعريف الإيمان ؟

القول الراجح عند أهل السنة أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى :
لقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المراد بلفظ الإيمان وما يضاده بياناً لا يحتاج معه إلى الإستدلال على ذلك بالإشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله عز وجل ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه شاف كاف، بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة بل كل من تأمل ما يقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان علم بالإضطرار أنه مخالف للرسول فالإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم . وقد عرَّف أهل السنة الإيمان بأنه قول وعمل، وقد حكى غير واحد منهم الإجماع على ذلك كابن عبد البر في التمهيد، ولقد تلقى أهل السنة هذا التعريف بالقبول والتسليم، اتباعاً للنصوص القرآنية، والأحاديث الصحيحة الدالة على أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح .

بعض أقوال السلف وأئمة السنة في أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص :

قال الإمام أحمد رحمه الله : أجمع سبعون من التابعين وأئمة المسلمين والفقهاء أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .
وقال البخاري رحمه الله : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص . وقد ذكروا أن البخاري رحمه الله لم يرْوِ في كتابه لمن لم يقل الإيمان قول وعمل .
وقال ابن أبي حاتم رحمه الله فى أصل السنة : سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك، فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقا ومصرًا وشامًا ويمنًا فكان من مذهبهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص .
وقال يعقوب بن سفيان رحمه الله : الإيمان عندنا أهل السنة الإخلاص لله بالقلوب والألسنة، والجوارح، وهو قول وعمل، يزيد وينقص، على ذلك وجدنا كل من أدركنا من عصرنا بمكة والمدينة والشام والبصرة والكوفة، ثم ذكر منهم بضعاً وثلاثين .
وقال سهل بن المتوكل الشيباني رحمه الله : أدركت ألف أستاذ وأكثر كلهم يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .
وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقال ابن بطال رحمه الله : مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص .
وقال الحافظ عبدالغني المقدسي رحمه الله : اعلم وفقنا الله وإياك . أن صالح السلف وخيار الخلف وسادات الأئمة وعلماء الأمة اتفقت أقوالهم على أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .
وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وهذا مذهب جمهور الأمة، بل حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد .

الأدلة على أن الإيمان قول بالقلب :

قوله تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ

﴿٤١﴾ المائدة

وقوله تعالى: قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴿١٤﴾ الحجرات

وفي حديث جبريل عليه السلام قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، دلت هذه النصوص على أن الإيمان يدخل القلب ويطمئن به، وأن إيمان القلب هو الأصل وأنه شرط في صحة الإيمان، ولا عبرة لغيره بدونه، وأن أساس الإيمان هي الإعتقادات التي تقوم بالقلب .

الأدلة على أن الإيمان قول باللسان :

قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ البقرة

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . رواه أحمد ومسلم

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ . رواه البخارى ومسلم

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن فى الأمثال القرآنية القياسية :

ففي هذين الحديثين دلالة واضحة على اشتراط النطق بالشهادتين لصحة الإيمان . وأن الإيمان الذي يدخل في الإسلام ويُنجي من الخلود مكوّن من قول اللسان مع عقد القلب . فقول اللسان أمر لابد منه، فهو الأصل في ثبوت وصف الإيمان في الظاهر.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : فمن صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فإنه لا يعلق به شيء في أحكام الإيمان، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

الأدلة على أن الإيمان عمل بالقلب :

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ البقرة

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ آل عمران

فالخوف من الله والرجاء فيه والتوكل عليه والخشية واليقين وغير ذلك من عمل القلب

الأدلة على أن الإيمان عمل بالجوارح :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ البقرة

قال البخاري رحمه الله : إِيمَٰنَكُمۡ . يعني صلاتكم عند البيت، فسمى الصلاة إيماناً . ثم أورد بسنده إلى البراء أنه مات على القبلة قبل أن تُحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى : وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ

ومن أقوى الأدلة وأصرحها في القرآن على أن الأعمال من الإيمان قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ الأنفال

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوفد عبد القيس : أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامُ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ . رواه البخارى

الأدلة من القرآن والسنة على أن الإيمان يزيد وينقص :

قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ التوبة

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : من رَأَى مِنْكُم مُنْكرا فليغيره بِيَدِهِ، فَإِن لم يسْتَطع فبلسانه، فَإِن لم يسْتَطع فبقلبه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَان . رواه مسلم

فدل على أن الإيمان لا يزال يضعف بتخلف تلك المراتب وهو النقصان ، وتحصيلها هو زيادته .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ . متفق عليه
فنفى عنه كمال الإيمان الواجب بفعل هذه الكبائر مما دل على نقص الإيمان بفعلها . وهكذا كل ما ورد من نفي كمال الإيمان الواجب أو المستحب تدل على زيادته ومن ثمَّ نقصانه .
وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ . رواه مسلم . وهذا يدل على أن الأعمال جزء من مسمى الإيمان يكمل بوجودها
وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ . رواه مسلم
قال ابن عبد البر في التمهيد : أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان .

بعض الفرق التى خالفت أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه :

١- المرجئة : فقالوا الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، واعتبروا زيادته في الآيات والأحاديث تجدد أمثاله .
٢- الخوارج والمعتزلة : فقالوا الإيمان يزيد ولا ينقص لأنه لا يتبعض فنقصه ذهابه كله .

الأدلة على أن الأعمال من الإيمان :

قال الدكتور محمد علي الوهيبي فى نواقض الإيمان الإعتقادية :
١- جعل الله عز وجل جميع الطاعات من الإيمان في كثير من الآيات .
قوله تعالى : وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣ البقرة
لم يختلف المفسرون بأن الله أراد من {إِيمَانَكُمْ} في الآية صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيماناً، ولو لم تكن جزءاً من الإيمان وركنا فيه لما صح تسميتها به .
وحديث وفد عبد القيس وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنْ الْمَغْنَمِ . رواه مسلم
ففسر الرسول صلى الله عليه وسلم للوفد الإيمان بقول اللسان وأعمال الجوارح . فسر الإيمان بالأعمال .
٢- نفي الإيمان عمن ارتكب الكبائر وترك الواجبات .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ . رواه مسلم
وعَنْ أَنَسٍ قَالَ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ . رواه أحمد . صحيح الجامع
يقول ابن رجب تعليقاً على ذلك : فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمي أو واجباته .
٣- ومنها : قوله : صلى الله عليه وسلم : الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ . رواه أحمد . صحيح الجامع
٤- ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ .رواه أبو داود . صحيح الجامع
٥- ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ . رواه مسلم
وقد اعتنى الأئمة بهذا الحديث واعتبروه أصلاً لإدخال الطاعات في الإيمان وعدوها من شعبه .
مسألة : الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا :
قال الشيخ وليد بن راشد السعيدان فى القواعد المذاعة في مذهب أهل السنة والجماعة :
النص الذي لا يرد فيه إلا ذكر الإيمان فقط فإنه يدخل فيه الإسلام والنص الذي لا يذكر فيه إلا الإسلام فإنه يدخل فيه الإيمان .
إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ١٩ آل عمران . فالإسلام هنا متناول للإيمان
وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الإيمان بضع وستون شعبة . متفق عليه . فالإيمان هنا متناول للإسلام

وقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس : هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامُ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَتُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ . البخارى فأراد بالإيمان الإيمان والإسلام .

وهذا معنى قولنا : إذا افترقا اجتمعا أي إذا لم يذكر إلا أحدهما فإنه يدخل فيه الآخر الذي لم يذكر تبعًا .

وأما إذا اجتمعا افترقا : أي إذا ذكرا في نص واحد في سياق واحد فإنهما يفترقان أي كل واحد منهما يأخذ معنى آخر فيأخذ الإسلام معنى الأعمال الظاهرة ويأخذ الإيمان معنى الأعمال الباطنة ولا أدل على ذلك من قوله تعالي في سورة الحجرات :

قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴿١٤﴾ الحجرات

فنفى عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام . وكذلك حديث جبريل عليه السلام المشهور لما اجتمعا الإسلام والإيمان في نص واحد، أجاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلامَ بالأعمال الظاهرة وهى الأركان الخمسة، وعن الإيمان بالأعمال الباطنة وهى أصول الإيمان. ووجه الدلالة تفريقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الإيمان والإسلام لما اجتمعا في نص واحد مما يدل أن لكل منهما معنى يختص به إذا اجتمعا .

مطلق الإيمان أو الإيمان المجمل :

قال الدكتور محمد علي الوهيبي فى نواقض الإيمان الإعتقادية :

مطلق الإيمان هو الحد الأدنى من الإيمان الذي يخلص به من الكفر . والنجاة من الخلود في النار إن مات على ذلك وبه تثبت الأحكام وهذا الإيمان غير قابل للنقصان لأن نقصانه يعني خروج الإنسان عن اسم الإيمان.

الإيمان المطلق :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى كتاب الإيمان :

الإيمان المطلق؛ يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك المحرمات كلها .

قال الشيخ محمد خليل هراس فى شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية :

الْإِيمَان الْمطلق يدْخل فِيه جَمِيع الدّين : ظاهِره وَبَاطنه أصوله وفروعه فلَا يستحق اسْم الْإِيمان الْمطْلق إِلَّا من جَمَع ذَلِك كلّه ولم ينقص مِنْه شيئًا . فالإيمان المطلق يشمل الإعتقاد والأقوال والأفعال الواجبة منها والمستحبة ولا يمكن لأحد أن يجزم لنفسه بأنَّه استكمل الْإِيمَان كله .

الخلاف بين مرجئة الفقهاء وأهل السنة فى مسمى الإيمان :

قال الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل فى مسألة الإيمان دراسة تأصيلية :

الخلاف بين مرجئة الفقهاء مع جمهور أهل السنة أن مرجئة الفقهاء قالوا : إن الإيمان قول وتصديق ، فأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وهم الذين يقال لهم : مرجئة الفقهاء أو مرجئة الكوفة أو مرجئة العراق ، يقولون أن الأعمال ليست من الإيمان وإن كانت واجبة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الإيمان :

لم يكفر أحد من السلف مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال لا من بدع العقائد، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظيٌّ، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب . وليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها، ولا يُخلد منهم فيها أحد ، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء . ولذا فإنك تجد كتب الفقه عند مرجئة الفقهاء مليئة بتقرير الأحكام العملية وترتيب الجزاءات عليها وهذا مما يستصحب كون النزاع معهم لفظياً؛ إذ لو كان العمل غير واجب لما قرّروه هذا التقرير في كتب فروعهم التي هي من أخصب المذاهب الفقهية بسطاً لتلك المسائل .

آثار الخلاف بين مرجئة الفقهاء وأهل السنة فى الإيمان :

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي فى أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر :

١- جمهور أهل السنة والجماعة وافقوا الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى ، فإن نصوصًا كثيرة أدخلت الأعمال في مسمى الإيمان ، أما مرجئة الفقهاء فوافقوا الكتاب والسنة في المعنى وخالفوهما في اللفظ، ولا يجب للإنسان أن يخالف النصوص حتى في اللفظ، بل يجب على المسلم أن يتأدب مع النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله فلا يخالفها لا لفظاً ولا معنى .

٢- فتحوا بابًا للمرجئة المحضة الغلاة بترك الأعمال فقالوا : إن الأعمال ليست من الإيمان وإن كانت واجبة . ففتحوا بابًا لم يستطيعوا إغلاقه فقالوا : الأعمال ليست واجبة وليست مطلوبة ولهذا قال المرجئة المحضة : الصلاة والصوم والزكاة والحج هذه كلها ليست بواجبة ومن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان ويدخل الجنة من أول وهلة لأن الأعمال ليست مطلوبة .
٣- فتحوا بابًا للفسقة والعصاة فقالوا : أن إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد، إيمان الأنبياء وإيمان الفساق واحد . فيأتي الذي يفعل الفواحش والمنكرات فيقول إيماني كإيمان جبريل وميكائيل وكإيمان أبي بكر وعمر، فإذا قلت له أبو بكر يعمل الصالحات ويجتنب المحرمات وأنت تفعل ذلك قال هذا ليس محلًا للخلاف .
٤- مسألة الإستثناء في الإيمان . فمرجئة الفقهاء يقولون : لا يجوز لك أن تستثني لأن الإيمان هو التصديق أن تعرف نفسك أنك مصدق كما تعرف نفسك ، ومن قال أنا مؤمن إن شاء الله فهو شاك في إيمانه، ويسمون أهل السنة الشكاكة . أما أهل السنة والجماعة قالوا : المسألة فيها تفصيل فإذا قال : أنا مؤمن إن شاء الله وقصده الشك في أصل إيمانه وهو التصديق فهذا ممنوع . أما إذا قصده فى الإستثناء راجع إلي الأعمال أعمال الإيمان، الواجبات كثيرة، والمحرمات كثيرة فلا يجزم الإنسان بأنه أدى ما أوجب الله عليه ولا يجزم الإنسان بأنه ترك كل ما حرم الله عليه، ولا يزكي نفسه، بل هو محل للتقصير والنقص، بل قد يقترف شيئا من ذلك ، فيقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، فلا بأس أن يقول : إن شاء الله ، كذلك إذا قال أنا مؤمن إن شاء الله، وقصده تعليق الأمر بمشيئة الله للتبرك باسم الله ، فلا حرج ، وكذلك إذا قال : أنا مؤمن إن شاء الله ، وأراد عدم علمه بالعاقبة ، فلا بأس أما إذا كان قصده الشك في أصل إيمانه ، فهذا لا يجوز . وبهذا يتبين أن الخلاف بين الأحناف والجمهور له آثار .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى رحمه الله :
مذهب السلف أصحاب الحديث كابن مسعود والثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أهل البصرة وأحمد وغيره من أئمة السنة كانوا يستثنون في الإيمان وهذا متواتر عنهم

كيفية الرد على قول المرجئة :

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي فى أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر :
من أيسر الأدلة في الرد على المرجئة حديث الشعب : وهو أن الإيمان بضعٌ وستون شعبة فأعلاها قول : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان . فقد جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بضعاً وستون شعبة ومثّل لقول اللسان بكلمة التوحيد ومثّل لعمل الجوارح بإماطة الأذى عن الطريق ومثّل لعمل القلب بالحياء . فأعلى شعب الإيمان كلمة التوحيد وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبينهما شعب متفاوتة منها ما يقترب من شعبة الشهادة ومنها ما يقترب من شعبة الإماطة ، فالصلاة شعبة والحج شعبة والزكاة شعبة والصوم شعبة وبر الوالدين شعبة وصلة الأرحام شعبة والجهاد شعبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعبة والإحسان إلى الجار شعبة إلى غير ذلك من الطاعات ، فهذه كلها أدخلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسمى الإيمان فكيف يقال إن الأعمال خارجة عن مسمى الإيمان .
ومن أقوى الأدلة أيضاً على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان حديث وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ حينما جاءوا إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ وَقَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ فَلاَ نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلاَّ فِي شَهْرِ الْحَرَامِ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا.قَالَ : آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ الإِيمَانِ بِاللَّهِ - ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ فَقَالَ - شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ . متفق عليه
ففسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بأعمال الجوارح وهذا دليل واضح صريح على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان .
فجمهور أهل السنة تأدبوا مع النصوص وأدخلوا الأعمال في مسمى الإيمان ومرجئة الفقهاء وافقوا النصوص في المعنى لكن خالفوها في اللفظ ولا يجوز مخالفة النصوص لا في اللفظ ولا في المعنى .

مسألة : هل يجتمع فى الرجل كفر وإيمان أو شرك وتوحيد أو تقوى وفجور؟

قال ابن القيم فى الصلاة وحكم تاركها :
من أصول أهل السنة والجماعة أنه من الممكن أن يجتمع في العبد بعض شعب الإيمان ، وبعض شعب الكفر أو النفاق التي لا تنافي أصل الإيمان وحقيقته .

قال تعالى : هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴿١٦٧﴾ آل عمران

وقد يجتمع في الرجل كفر وإيمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وإيمان ، وهذا من أعظم أصول أهل السنة ، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية ، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة وإجماع الصحابة .

قال تعالى :وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ يوسف

فأثبت لهم إيمانًا به سبحانه مع الشرك .

قال تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ ١٤ الحجرات

فأثبت لهم إسلامًا وطاعة لله ورسوله مع نفي الإيمان عنهم وهو الإيمان المطلق .

مسألة : هل يلزم من قام به شعبة من الإيمان أن يسمى مؤمنًا ؟

قال ابن القيم فى الصلاة وحكم تاركها :

لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمنا وإن كان ما قام به إيمانًا ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافرًا وإن كان ما قام به كفرًا ، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالمًا ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهًا ولا طبيبًا، ولا يمنع ذلك أن تسمى شعبة الايمان إيمانًا وشعبة النفاق نفاقًا وشعبة الكفر كفرًا . وقد يطلق عليه الفعل كقوله : فمن تركها فقد كفر . ومن حلف بغير الله فقد كفر ، وقوله : من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر ومن حلف بغير الله فقد كفر . رواه الحاكم في صحيحه بهذااللفظ . فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق، وكذا يقال لمن ارتكب محرمًا إنه فعل فسوقًا وإنه فسق بذلك المحرم ولا يلزمه اسم فاسق إلا بغلبة ذلك عليه .

مسألة : هل من كان معه من الإيمان أَقَل الْقَلِيل لم يُخلَّد في النَّارِ ؟

قال صاحب شرح العقيدة الطحاوية :

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ . فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار وإن كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك ثم يخرج من النار .

الفرق التى خالفت أهل السنة والجماعة فى حقيقة الإيمان :

قال الدكتور عصام السناني فى أقوال ذوي العرفان في أن أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان :

أهل السنة والجماعة قالوا : الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص . والأعمال كلها من حقيقة الإيمان ،وخالفهم طوائف من أهل البدع منهم :

١ ـ الخوارج والمعتزلة :

قالوا الإيمان قول وعمل واعتقاد ،كقول أهل السنة والجماعة : إلا إنهم خالفوهم بقولهم : يزيد ولا ينقص، لأن الإيمان عندهم كلٌ لا يتبعض فنقصه ذهابه كله . فمرتكب الكبيرة ليس في قلبه شيء من الإيمان وهو مخلد في النار ، واختلفوا في حكمه في الدنيا، فقالت الخوارج : هو كافر ، وقالت المعتزلة : هو بمنزلة بين منزلتين .

٢ ـ الجهمية :

قالوا الإيمان هو المعرفة فقط ، فلو لم يصدق بقلبه وينطق بلسانه ويعمل بجوارحه فهو مؤمن إذا عرف بقلبه لأن هذه الثلاثة غير داخلة في الإيمان ، ولازم كلامهم إيمان إبليس وفرعون وأبي جهل لأنهم عرفوا الله .

٣ ـ الكرامية :

قالوا الإيمان قول باللسان فقط ، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان لأن الإيمان عندهم لا يتبعض ، لكنهم لا ينكرون وجوب التصديق بل عندهم من كان مقراً بلسانه مكذباً بقلبه فهو منافق خالد في النار ، فخالفوا أهل السنة في مسألة التصديق في الاسم ووافقوهم في الحكم .

٤ ـ الأشاعرة :

قالوا الإيمان مجرد تصديق القلب ، لكنهم قالوا : إن للإيمان لوازم إذا ذهبت دل على عدم تصديق القلب .

٥ـ مرجئة الفقهاء :

قالوا أن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالقلب دون عمل الجوارح .

أقرب الفرق لأهل السنة وأبعدها :

أقرب الفرق لأهل السنة مرجئة الفقهاء القائلون بأن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالقلب ،

وأبعدها عن أهل السنة الجهمية القائلون بأن الإيمان هو المعرفة فقط ، لا يزيد ولا ينقص .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتاوى :

أصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم ، أنهم ظنوا أن الإيمان كل لا يتبعض ولا يتجزأ ولا يزيد ولا ينقص فإذا وجد فصاحبه مؤمن كامل الإيمان وإذا زال بعضه زال جميعه ، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلَّم : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان .

عقيدة الخوارج والمعتزلة والمرجئة في الفاسق من أهل القبلة :

قال الشيخ محمد إسماعيل فى قضايا الإيمان والكفر :

قالت الخوارج : المصر على كبيرة من زنا أو شرب خمر أو ربا كافر مرتد خارج من الدين بالكلية، لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولو أقر لله تعالى بالتوحيد وللرسول صلى الله عليه وسلم بالبلاغ، وصلى وصام وزكى وحج وجاهد، وهو مخلد في النار أبداً مع إبليس وجنوده ومع فرعون وهامان وقارون .
وقالت المعتزلة : العصاة ليسوا مؤمنين ولا كافرين ولكن نسميهم فاسقين، فإذا سألناهم ما معنى الفسق عندكم ؟ قالوا : الفسق منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر، وهذا هو أصل بدعة التوقف، يقول : أتوقف حتى يتبين لي ولا نحكم له بإسلام ولا بكفر، لكن المعتزلة قضوا بتخليده في النار أبداً، فوافقوا الخوارج مآلاً، وخالفوهم مقالاً ، وكان الكل مخطئين ضلالاً
وأما المرجئة كانوا على الطرف الأقصى فقالوا : لا تضر المعاصي مع الإيمان ، لأن الإيمان عندهم هو مجرد القول فقط أو المعرفة ، ولا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد وبين إيمان أبي بكر وعمر ، فالفاسق الذي وحد الله عز وجل وأتى بالمعرفة والقول فقط إيمانه تماماً مثل إيمان أبي بكر و عمر ، بل مثل إيمان جبريل ، بل إيمانه مثل إيمان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. بل لا تفاضل بينهم وبين الملائكة ، ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين ، ويلزم من هذا على قول المرجئة : أنه لا يوجد شيء اسمه نفاق ؛ لأن المؤمن والمنافق أتوا بنفس القول ؛ والكل مستوف النطق بالشهادتين ، نسأل الله تعالى العافية .

أسباب زيادة الإيمان و نقصانه :

قال الشيخ محمد المختار الشنقيطي فى دروس صوتية :

مذهب أهل السنة والجماعة : أن الإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فإذا كان الإنسان من الله قريباً محافظاً على حدوده ومحارمه ، ازداد إيمانه وقوي في الله يقينه . وأما إن كان بعيداً عن الله مضيعاً لحقوق الله منتهكاً لمحارم الله ضعف إيمانه ، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا يَزني الزَّاني حينَ يَزْني وهو مؤمِنٌ، ولا يسْرِقُ السارِقُ حينَ يسرِقُ وهو مؤمِنٌ، ولا يشرَبُ الخمرَ حينَ يشْرَبُها وهو مؤمِنٌ . رواه البخاري وقال بعض العلماء : لأنه لا يفعل ذلك إلا وقد انتقص الإيمان من قلبه .
فإذا أردت أن يزداد الإيمان في قلبك فلا طريق أمثل من :
١ـ تلاوة كتاب الله وتدبره ، ولذلك أخبر الله عز وجل : إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾ الإسراء
ويزيد الذين آمنوا إيماناً ويزيد الذين اهتدوا هدىً وصلاحاً ، فإذا أحببت أن يزيد الله في إيمانك فاتل كتاب الله مع التفكر والتدبر
٢ـ فعل الفرائض وترك المحارم ، فإذا جاءك أمر عن الله فكن من أسبق الناس إلى امتثاله ، فما من إنسان يحافظ على فرائض الله إلا كان أقرب الناس إلى طاعة الله ، فإن فعلت ازداد إيمانك وذقت حلاوة الإيمان .
٣ـ أداء الحقوق التي أمرك الله بها في العباد من بر الوالدين و صلة الأرحام ، وأداء حقوق كل الذين تحت يدك ، فإن فعلت ذلك لم تمض فترة إلا والإيمان قد خالط بشاشته قلبك .
٤ـ أن تكون أعف الناس عن الحرام وأبعدهم عن المعصية
فإياك أن ينظر الله إليك يوماً وقد نظرت إلى عورة من العورات التي لا يجوز لك النظر إليها .
إياك إياك أن ينظر الله إليك يوماً من الأيام وقد أصغيت بسمعك إلى أمر لا يأذن الله لك أن تصغي إليه .
إياك أن ينظر الله إليك يوماً من الأيام وقد خبطت قدمك على الأرض إلى حد من حدوده أو حرمة من محارمه .
إياك أن ينظر الله إليك يوماً وقد امتدت يدك بمال لا يحل لك، أو قبضتها على مال لا يحل لك أن تقبضها عليه .
إياك إذا أردت حلاوة الإيمان تكون على عفة عن الآثام والحرام ، فما أطفأ الإيمان شيء مثل المعصية ، ولا أظلم الإيمان في القلوب مثل المعصية ، ولا تزال المعصية تلو المعصية حتى يستدرج العبد فيسلب الإيمان والعياذ بالله . ونبه صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فقال : إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ ، ومحقرات الذنوب ذنب وراء ذنب حتى يهلك الإنسان بتراكم الذنوب عليه .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد :

ومن أسباب زيادة الإيمان :

١ ـ تعلم العلم : إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾ فاطر
٢ ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم : إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾ الإسراء
٣ ـ معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وعبادته عز وجل بمقتضى تلك المعرفة.

٤ ـ تأمل سيرة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وسيرة السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم .
٥ ـ التأمل فى محاسن الدين الإسلامي ، و في آيات الله الكونية .
٦ ـ الإجتهاد في العبادة والإكثار من الأعمال الصالحة من صلاة وزكاة، وصدقة وصيام وحج وعمرة وذكر.
٧ ـ الإهتمام بأعمال القلوب من خوف ، وخشية ، ومحبة ، ورجاء ، وإخبات ، وتوكل ، وغير ذلك .
٨ ـ الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب القدرة والإستطاعة
٩ ـ مجالسة أهل الخير ، والإعراض عن مجالس الخنا والزور .
١٠ ـ الإمساك عن فضول الطعام ، والكلام ، والمنام ، ومخالطة الأنام .
١١ـ الإبتعاد عن شعب الكفر والنفاق والفسوق والعصيان .

الفصل الثانى : العبادات القلبية

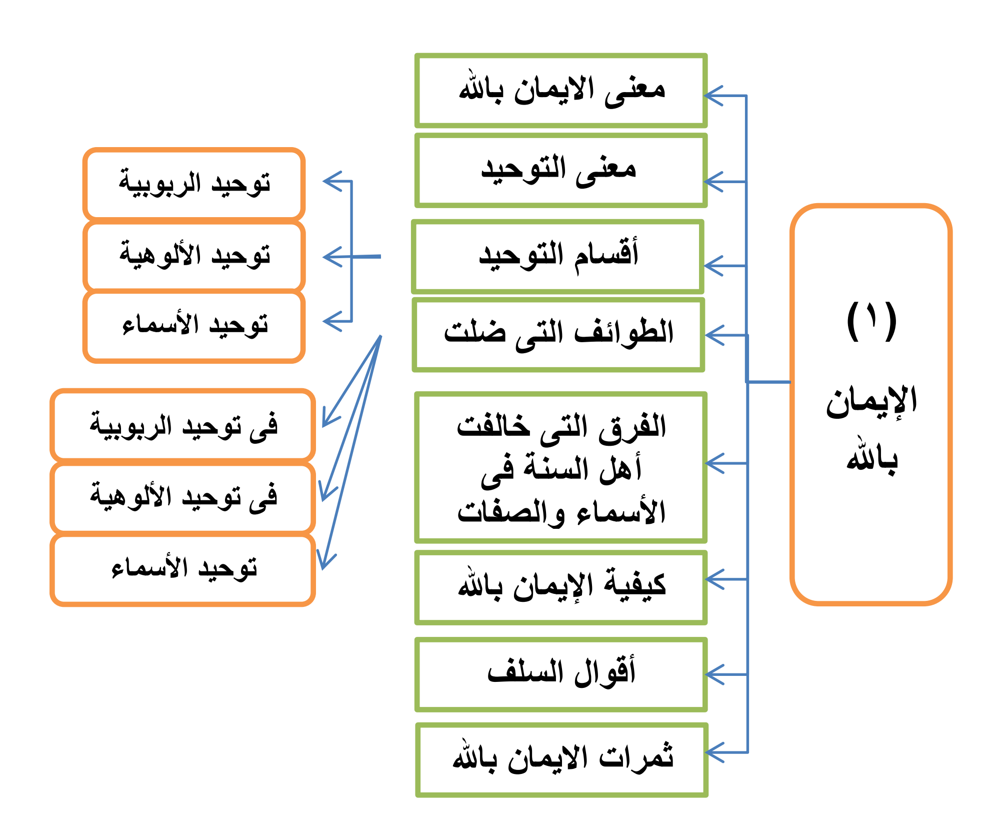
وهي الأعمال التي مدارها على القلب، كالمحبة والرجاء والخوف والتوكل والرضا والشكر والحياء ونحو ذلك . وهي أصل الأعمال، وأساس سائر العبادات البدنية والقولية والمالية، والمسلم يحتاج إليها كل لحظة ذلك لأن العبد له فى كل نفس وخاطرة عبادة ليزداد إيمانه، ويصل إلى رضوان ربه عز وجل . وما فاز الفائزون وسبق السابقون إلا بإحسانهم العبادات القلبية كحسن توكلهم على الله عز وجل، وإخلاصهم فى السر والعلن، وصدق حبهم وكمال خوفهم من ربهم . و الأعمال القلبية آكد من أعمال الجوارح، فهي أساس معاملة الخالق تبارك وتعالى، ومعاملة الخلق نحو حسن الخلق والبر والصلة والإحسان، والتواضع وسلامة الصدر نحوهم .

قال ابن القيم رحمه الله فى بدائع الفوائد :

ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب وأنها لا تنفع بدونها وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت .

وهذا الباب يشتمل على { ٣٠ } شعبة على النحو التالى :

الشعبة الأولى : الإيمان بالله تعالى
الشعبة الثانية : الإيمان بالملائكة
الشعبة الثالثة : الإيمان بالكتب
الشعبة الرابعة : الإيمان بالرسل
الشعبة الخامسة : الإيمان باليوم الآخر
الشعبة السادسة : الإيمان بالقدر خيره وشره
الشعبة السابعة : محبة الله عز وجل
الشعبة الثامنة : محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره
الشعبة التاسعة : الحب فى الله ويدخل فيه : محبة الرجل لأخيه ما يحبه لنفسه
الشعبة العاشرة : الإخلاص ويدخل فيه : ترك الرياء والنفاق
الشعبة الحادية عشرة : الصدق ويدخل فيه ترك الكذب
الشعبة الثانية عشرة : الخوف
الشعبة الثالثة عشرة : الرجاء
الشعبة الرابعة عشرة : الصبر
الشعبة الخامسة عشرة : الرضا
الشعبة السادسة عشرة : الشكر
الشعبة السابعة عشرة : التوكل
الشعبة الثامنة عشرة : الحياء
الشعبة التاسعة عشرة : الغيرة
الشعبة العشرون : التوبة
الشعبة الحادية والعشرون : الوفاء
الشعبة الثانية والعشرون : حسن الخلق
الشعبة الثالثة والعشرون : التواضع
الشعبة الرابعة والعشرون : العفو
الشعبة الخامسة والعشرون : الرحمة
الشعبة السادسة والعشرون : توقير الكبير ورحمة الصغير
الشعبة السابعة والعشرون : سلامة الصدر من الكبر والعجب و الحسد والحقد
الشعبة الثامنة والعشرون : كظم الغيظ وترك الغضب
الشعبة التاسعة والعشرون : السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة
الشعبة الثلاثون : شح المرء بدينه ويدخل فيه : قصر الأمل


(١)
الإيمان
بالله
معنى الايمان بالله
معنى التوحيد
أقسام التوحيد
الطوائف التى ضلت
الفرق التى خالفت
أهل السنة فى
الأسماء والصفات
كيفية الإيمان بالله
أقوال السلف
ثمرات الايمان بالله
توحيد الربوبية
توحيد الألوهية
توحيد الأسماء
فى توحيد الربوبية
فى توحيد الألوهية
توحيد الأسماء

الشعبة الأولى : الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله تعالى أصل شُعَب الإيمان، وأصل الدين وأصل التوحيد والعبادات والطاعات والقربات وكل الأعمال وأساس العقيدة، وهو أول أركان الإيمان وأعظمها، وما بقية الأركان إلا تبع له وفرع عنه، وهو أهم ما خُلِق له الخلق وأُرسِلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وأسست عليه الملة، وهو أساس كل خير ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المنشودة التي خُلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل إلى الإيمان بالله وعبادته هى الركيزة الأولى، فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما عُلم من تتبع دعوات الرسل في القرآن الكريم .

معنى الإيمان بالله تعالى :

هو الإعتقاد الجازم بوجوده سبحانه وتعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .
فالإيمان بالله يتضمن أربعة أمور، فمن آمن بها فهو المؤمن حقًّا .
فالأول : الإيمان بوجود الله تعالى وقد دل على ذلك العقل والفطرة، فضلاً عن الأدلة الشرعية الكثيرة .
الثاني : الإيمان بربوبيته تعالى : وهو التصديق الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار . فهو إفراد الله تعالى بأفعاله .
الثالث : الإيمان بألوهيته وهو الإعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق ولا إله غيره، فهو إفراده سبحانه بالعبادة .
الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته وهو الاعتقاد الجازم لكمال الله المطلق ونعوت جلاله، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، من أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وما تدل عليه ألفاظها من المعاني من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل .
انظر : رسالة شرح أصول الإيمان للشيخ ابن عثيمين .

معنى التوحيد :

التوحيد لغة : هو الإفراد . ولا يكون الشيء مفردًا إلا بأمرين :
أ - الإثبات التام ب - النفي العام
يقول الشيخ وليد السعيدان فى شرح قواعد توحيد الربوبية
و حقيقة التوحيد هو الجمع بين النفي والإثبات .
يقول العلماء لأن الإثبات وحده لا يمنع المشاركة، ولأن النفي وحده تعطيلٌ محض فالتوحيد ليس الإثبات فقط وليس النفي فقط وإنما حقيقة التوحيد هي الجمع بين النفي والإثبات تنفي ثم تُثبت .
كقولنا مثلًا لا خالق إلا الله هذا توحيد الله بصفة الخلق، لكن لو قلنا لا خالق فهذا تعطيل محض، وكذلك لو قلنا الله هو الخالق فهذا لا يمنع أن يكون هناك خالقًا آخر، لكن إذا قلنا لا خالق إلا الله فهذا هو حقيقة التوحيد .
إذاً حقيقة التوحيد التي يقوم عليها هي الجمع بين النفي والإثبات .
وكلمة التوحيد لا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات، فنفت الألوهية عن كل ما سوى الله تعالى فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلًا عن غيرهم ليس بإله، وأثبتت الألوهية لله وحده بمعنى أن العبد لا يأله غيره، أي لا يقصد بشيء من التأله وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة .
قال تعالى : فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴿٢٥٦﴾ البقرة
وأما التوحيد شرعًا : هو إفراد الله عز وجل بالخلق والرزق والتدبير وعدم صرف شيء من أنواع العبادة إلا له، والإيمان بما وصف وسمى به نفسه ووصفه وسماه به رسوله صلى الله عليه وسلم . فهو إفراد الله عز وجل بحقوقه الثلاثة وهى :
١- توحيد الربوبية . ٢- توحيد الألوهية . ٣- توحيد الأسماء والصفات .

معنى الإسلام دين التوحيد :

لأن مبناه على أن الله واحدًا في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له .
ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة .
قوله تعالى : رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ مريم
وقد ابتدأ الله عز وجل كتابه بسورة الفاتحة وختمه بسورة الناس وهما من السور التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة .

القرآن كله مشتمل على التوحيد :

قال ابن القيم في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين :

إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد . فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم .

أقسام التوحيد :

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

أنواع التوحيد بالنسبة لله عز وجل تدخل كلها في تعريف عام وهو : إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به . وهي حسب ما ذكره أهل العلم ثلاثة وعلموا ذلك بالتتبع والإستقراء والنظر في الآيات والأحاديث فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع وهي :

أولًا : توحيد الربوبية :

جاء فى كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة :

هو توحيد الله بأفعاله كالخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير، والقضاء والقدر وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، والواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله . فلا ينسب شيء من أفعال الله تعالى التي اختص بها لغيره، ومن اعتقد أن لله شريك فى الربوبية فقد أشرك شركًا أكبر .

قال الشيخ ابن عثيمين فى شرح العقيدة الواسطية :

وتوحيد الربوبية ليس هو الغاية من بعثة الرسل ولا ينجي من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه وهو توحيد الألوهية .

وربوبية الله عز وجل لخلقه على نوعين : عامة وخاصة .

قال العلامة السعدي رحمه الله :

فالعامة : هي خلقه للمخلوقات، ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا .

والخاصة : تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه .

وحقيقتها : تربية التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر .

بعض أدلة توحيد الربوبية :

قوله تعالى : ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ الروم

وقوله تعالى : أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ الأعراف

وقوله تعالى :ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ الأنعام

وقوله تعالى : تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الملك

وقوله تعالى : يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ السجدة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : كنت خلف النَّبيّ صلى الله عليه وسلم يومًا فَقَالَ : يَا غُلامُ، إنِّي أعلّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ اللهَ وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ وَاعْلَمْ : أنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ . رواه أحمد والترمذي . صححه الألباني

بعض الفرق التي أشركت فى توحيد الربوبية :

يقول الشيخ محمد إبراهيم الحمد فى الإيمان بالله تعالى منها :

١- المجوس : وهم أصحاب الديانة المجوسية وهى ديانة وثنية ثنوية تقول بإلهين اثنين، أحدهما إله للخير والآخر إله للشر .
٢- النصارى القائلون بالتثليث : يقولون باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد فيقولون : واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم . أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها .
٣- القدرية : وهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلْقَ فعله .
٤- الفلاسفة الدهرية : وقولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها
٥- عبدة الأصنام ممن يعتقدون أنها تضر وتنفع فيتقربون إليها وينذرون لها ويتبركون بها
٦- غلاة الصوفية : لغلوهم في الأولياء وزعمِهم أنهم يضرون وينفعون ويتصرفون في الأكوان ويعلمون الغيب .
٧- الشيعة الروافض : لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام يتصرف فيها كيف يشاء ولقولهم إن أئمتهم يعلمون الغيب .
٨- النصيرية : لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب ووصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله.
٩- الدروز : لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيد ووصفِه إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .
١٠- من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا فسيصيبه كذا وكذا ، ويضعون عليها دعاياتٍ تقول : مِنْ شهر ميلادك تعرف حظك أو من اسمك تعرف حظك . كل ذلك شرك في الربوبية لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ والغيبُ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له
١١- القانونيون : الذين يَصدون عن شرع الله والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية التي هي نحاتة أفكارهم وزبالة أذهانهم .

ثانيًا : توحيد الألوهية :

هو إفراد الله جل وعلا بالعبادة . ويسمى توحيد الألوهية وتوحيد العبادة باعتبارين . فباعتبار إضافته إلى الله عز وجل يسمى توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى العبد يسمى توحيد العبادة . ومن أخلَّ بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية، وبتوحيد الأسماء والصفات .

أهمية توحيد الألوهية :

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله فى القواعد الحسان :

توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق التي يقررها القرآن ويبرهن عليها، وهو أكملها وأفضلها وأوجبها وألزمها لصالح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وهو الذي بوجوده يكون الخير والصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد . وجميع الآيات إما أمر به أو بحق من حقوقه، أو نهى عن ضده .

بعض أدلة توحيد الألوهية :

قوله تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ البقرة

وقوله تعالى : وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ الأنبياء

وعن ابْنِ عمر ﷺ قَالَ قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أمرت أَن أقَاتل النَّاس حَتَّى يشْهدُوا أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَن مُحَمَّدًا رَسُول الله ويقيموا الصَّلَاة ويؤتوا الزَّكَاة، فَإِذا فعلوا ذَلِك فقد عصموا مني دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالهمْ إِلَّا بِحَق الْإِسْلَام وحسابهم عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ . رواه البخارى

بعض الفرق التي أشركت فى توحيد الألوهية :

يقول الشيخ محمد إبراهيم الحمد فى الإيمان بالله تعالى منها :

١- اليهود الذين عبدوا العجل ولا يزالون يعبدون الدرهم والدينار فالمال هو معبودهم .
٢- النصارى لإدعائهم ألوهية المسيح عليه السلام وعبادتهم له .
٣- الرافضة لدعائهم عليًا وغيرهما من آل البيت .
٤- النُصيرية لعبادتهم عليًا ﷺ وزعمهم أنه الإله .
٥- الدروز لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي .

٦- غلاة الصوفية وعباد القبور لغلوهم في الأولياء وصرف النذور والقرابين لهم وطوافهم حول القبور إلى غير ذلك .

ثالثًا : توحيد الأسماء والصفات :

هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . وتنزيهه عما نزّه عنه نفسه ونزّهه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من العيوب والنقائص .

قال تعالى : وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴿١٨٠﴾ الأعراف

وقال تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ الشورى

وكل الفرق التى فارقت الإسلام اختلفت مع أهل السنة فى أصول كلية أهمها توحيد الأسماء والصفات، لذلك يجب علينا أن نفهم معتقد السلف حتى لا نضل الطريق

ثلاث قواعد لفهم باب الأسماء والصفات :

القاعدة الأولى : نثبت ما أثبته الله عز وجل لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴿١٤٠﴾ البقرة

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَنَا وَاللهِ أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ . متفق عليه

القاعدة الثانية : ننفى ما نفاه الله عز وجل عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ الشورى

القاعدة الثالثة : نسكت عما سكت عنه الله عز وجل ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال تعالى :وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ طه

أى أن الأصل إننا لا نعرف شئ عن أسماء الله وصفاته إلا عن طريق الوحى لأن الأسماء والصفات توقيفية بالإجماع . وأهل السنة يثبتون لله ما أثبته لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

المقصود بالتحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل :

١- التحريف : هو تغيير النص لفظًا أو معنى، والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير ، فهذه ثلاثة أقسام :
أ- تحريف لفظي يتغير معه المعنى كفتح الهاء فى لفظ الجلالة من قوله : وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . ليكون التكليم من موسى .
ب- تحريف لفظي لا يتغير معه المعنى، كفتح الدال فى قوله تعالى : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
ج- تحريف معنوي وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك

٢- التعطيل : هو إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات ، أو إنكار بعضها ، وهو نوعان :
أ- تعطيل كلي ؛ كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات، وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضاً .
ب- تعطيل جزئي كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض .

٣- التكييف: جعل الشيء على هيئة معينة معلومة، والتكييف في صفات الله هو : الخوض في كنه وهيئة صفات الله .

٤- التمثيل : والتمثيل في باب الأسماء والصفات هو : الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوق.

من أدلة توحيد الأسماء والصفات :

قوله تعالى : ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ طه

قوله تعالى : رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ مريم

وقال تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ الشورى

بعض الفرق التى خالفت اعتقاد أهل السنة فى توحيد الأسماء والصفات :

يقول الشيخ محمد إبراهيم الحمد فى الإيمان بالله تعالى : منها :

١ـ الجهمية : أتباع الجهم بن صفوان وهم المعطلة الذين ينكرون شيئا من أسماء الله أو صفاته ويحرفون النصوص عن ظاهرها ويقال لهم المؤولة . فهم ينكرون الأسماء والصفات ولم يُثبتوها على ما يليق بالله ، وشُبهتُهم أنَّ إثبات الصفات يستلزم التشبيه ؛ لأنَّهم لَم يتصوَّروا الصفات إلاَّ وفقاً لِما هو مُشاهَد في المخلوقين ٢ـ المعتزلة : وهم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، وهم يثبتون الأسماء وينكرون الصفات .

٣ـ الأشاعرة : أتباع أبي الحسن الأشعري قبل أن يعود إلى إعتقاد السلف، وهم يثبتون الأسماء وبعض الصفات، فقالوا : إن لله سبع صفات عقلية يسمونها معاني، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام . وإثباتهم لهذه الصفات مخالف لطريقة السلف . ويحرفون باقى الصفات أو يؤلونها تأويل فاسد .

قال الشيخ ابن جبرين فى شرح العقيدة الطحاوية

الأشاعرة أنكروا الصفات الفعلية، كصفة المقت والأسف والحب والبغض والغضب والرضا والكراهية والسخط والرحمة وما أشبهها، وسبب إنكارهم لها ـ على زعمهم ـ لأنها حوادث، والله لا تحل به الحوادث .

٤ـ الممثلة : وهم الذين شبهوا صفات الله تعالى بصفات خلقه فأثبتوا الصفات وجعلوها مماثلة لصفات المخلوقين، وأبرز من ظهر عندهم التشبيه والتمثيل الرافضة وغلاة الصوفية الحلولية ومن أوائلهم هشام بن الحكم الرافضي، وهشام الجواليقي

٥ـ المكيفة : يعنى كيفية الصفة كقولهم يد الله أو نزوله إلى الدنيا كذا وكذا، أو أن يسأل عن صفات الله بكيف .

٦ـ المفوضة : وهم الذين زعموا أن معاني نصوص الصفات غير معقولة لا يعلمها إلا الله . أو إثبات الصفات وتفويض معناها وكيفيتها إلى الله عز وجل . والرد على هؤلاء يكون بدليل الإثبات أو النفى أو السكوت وبيان مخالفة معتقدهم بالنقل والعقل .

أهمية توحيد الأسماء والصفات :

يقول ابن القيم فى مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين :

لا يستقر للعبد قدم في المعرفة ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه فالإيمان بالصفات ومعرفتها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان والرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أرسلوا بالدعوة إلى الله وبيان الطريق الموصل إليه فعرفوا الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفًا مفصلًا حتى كأن العباد يشاهدونه وينظرون إليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته ويسمع أصوات خلقه ويرى أفعالهم وحركاتهم ويأمر وينهى ويرضى ويغضب ويحب ويسخط، ويغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويفك عانيًا وينصر مظلومًا ويقصم ظالمًا ويرحم مسكينًا ويغيث ملهوفًا ويجيب مضطرًا ويعين محتاجًا ويجبر كسيرًا ويغني فقيرًا ويميت ويحيي ويمنع ويعطي ويسوق الأقدار إلى مواقيتها ويجريها على نظامها فأزمة الأمور كلها بيده ومدار تدبير الممالك كلها عليه .

كيفية تحقيق الإيمان بالله تعالى :

لا يحقق العبد الإيمان بالله تعالى إلا بأربعة أمور هى :

١ـ أن تؤمن بوجود الله تعالى . وقد دل على وجود الرب سبحانه وتعالى العقل والحس والفطرة والشرع .

٢ـ أن تفرد الله تعالى بأفعاله { توحيد الربوبية } فلا تنسب شيء من أفعاله التي اختص بها كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والتدبير لغيره . ومن اعتقد أن لله شريك فى ربوبيته فقد أشرك شركًا أكبر . فتوحيد الربوبية معناه أن تؤمن بأنَّ الله وحده لا شريك له هو المتصرف في هذا الملكوت أمْرًا ونهيًا ، فهو الخالق وحده ، وهو الرَّزَاقُ وحده وهو المحيي المميت وحده وهو النافع الضار وحده وهو القابض الباسط وحده ، إلى آخر معانى الربوبية .

٣ـ أن تفرد الله تعالى بالعبادة { توحيد الألوهية } فلا تعبد إلا الله، ولا تعبده إلا بما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخلص توحيدك لله، وأخلص عبادتك لله، فلا تطوف إلا ببيته الحرام، ولا تذبح إلا لله، ولا تنذر إلا لله، ولا تحلف ولا تستغيث ولا تستعن إلا بالله، ولا تسأل ولا ترجو إلا الله، ولا تتوكل إلا على الله، ولا تطلب المدد والعون إلا من الله، ولا تخاف إلا من الله، ولا تذل ولا تخضع ولا تسجد ولا تركع إلا لله . فمن صرف شيئًا من العبادات لغير الله فقد أشرك شركًا أكبر .

٤ـ أن توحد الله تعالى فى أسمائه وصفاته بأن تؤمن بكل ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من أسماء الله تعالى وصفاته، فتصفه بها كما وصف نفسه وكما وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل

. فالأصل في هذا الباب أن تثبت لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتنفي عنه ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

من ثمرات الإيمان بالله تعالى :

١ـ تحقيق أعظم وأفضل وأعلى شعب الإيمان .

قال تعالى :وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

٢ـ الفوز بولاية الله عز وجل .

قال تعالى : ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ محمد

٣ـ الأمن والهداية في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ الأنعام

٤ـ الحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب .

قال تعالى :مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ النحل

٥ـ حلول الخيرات ونزول البركات .

قال تعالى :وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٩٦﴾ الأعراف

٦ـ الإستخلاف في الأرض والتمكين والعزة وهو من أعظم ثمار الإيمان في الدنيا .

قال تعالى :وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ النور

٧ـ الرفعة والعلو .

قال تعالى : يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ المجادلة

٨ـ النصر على الأعداء والظفر بهم وما أحوجنا إليه اليوم ونحن نعيش في مرحلة من الهزيمة والذل

قال تعالى : وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ الروم

١٠ـ دخول الجنان والنجاة من النيران .

قال تعالى :إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴿١٢﴾ محمد

١١ـ الهداية لكل خير .

قال تعالى : وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ التغابن

١٢ـ السلامة من الخسارة .

قال تعالى : وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴿٣﴾ العصر

١٣ـ الإيمان بالله سبب لدفاع الله عن أهله .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ الحج

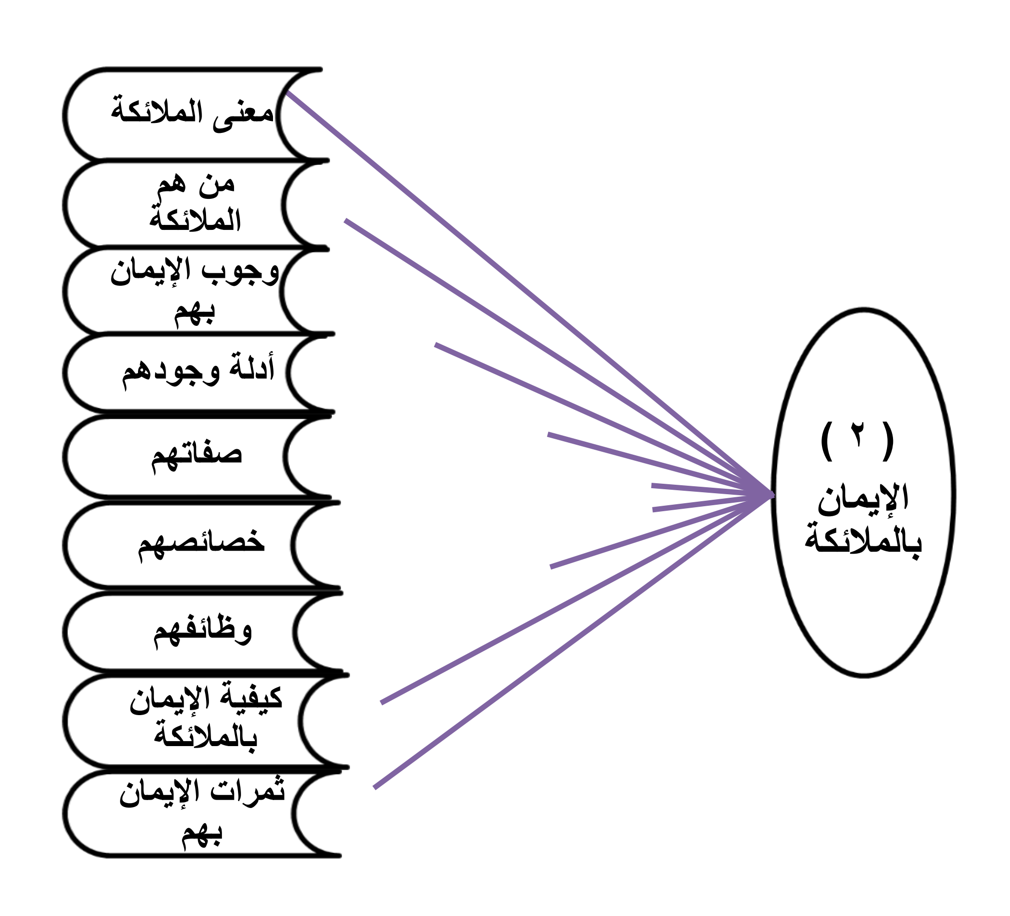
١٤ـ تكفير السيئات وإصلاح البال .

قال تعالى :وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ محمد

١٥ـ عدم تسليط الكافرين .

قال تعالى :وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ النساء

وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله فرع عن الإيمان، ومترتب عليه، والهلاك والنقصان إنما يكون بفقد، الإيمان أو نقصه .


معنى الملائكة
من هم الملائكة
وجوب الإيمان بهم
أدلة وجودهم
صفاتهم
خصائصهم
وظائفهم
كيفية الإيمان بالملائكة
ثمرات الإيمان بهم
(٢)
الإيمان بالملائكة

الشعبة الثانية : الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة شعبة من شعب الإيمان، وهو الركن الثانى من أركان الإيمان الستة كما جاء في الحديث الذى رواه الشيخان من حديث جبريل لما سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان فأجابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .
وأخبر الله عز وجل أن من كفر بشئ من أركان الإيمان كان كمن كفر به سبحانه

قال تعالى : وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء

والإيمان بالملائكة أصل للإيمان بالوحي ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب والنبيين، ويلزم من إنكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة ، وإنكار اليوم الآخر .

معنى الملائكة لغة :

قال الشيخ صالح آل الشيخ في إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل :
الملائكة في اللغة جمعٌ لِـ مَلْأَكْ، و مَلْأَكْ قال العلماء إنها مقلوبة من مَأْلَكْ . وأصل مألك - هذا مصدر- فيه معنى الأَلُوكَةْ ومادة الأَلُوكَةْ هي الرّسالة، وأَلَكَ فلانا بكذا يعني أرسله بكذا . فمادة الملائكة وأَلَكَ والأَلُوكَةْ كلها في الرسالة . إذاً الملائكة لغة هم المُرْسَلُونَ ؛ لكن رسالة خاصّة على وجه التّعظيم لها . ولهذا سَمَّى الله عز وجل الملائكة مرسلين

قال تعالى : ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴿٧٥﴾ الحج

من هم الملائكة :

الملائكة عالم غير عالم الإنس والجن خلقوا من نور، كرام بررة أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبدًا . وهم جند من جنود الله، قادرون على التمثل بأمثال الأشياء والتشكُل بأشكال جسمانية؛ حسبما تقتضيها الحالات التي يأذن بها الله سبحانه وتعالى وهم مقربون من الله ومكرَّمون، لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يتناكحون ولا يتناسلون ولا يأكلون ولا يشربون، طعامهم التسبيح والتهليل، لا يملون ولا يفترون ولا يتعبون، ويتصفون بالحسن والجمال والحياء والعلم والقوة والشدة وعظم الأجسام والخلق .

حكم الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وهو أصل من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به . وقد دل على ذلك القرآن والسنة وإجماع الأمة . ولذلك فإن منكر وجود الملائكة كافر بالإجماع .

قال تعالى :وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء

فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان، ووصفه بالبعد في الضلال فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان.

الأدلة على وجود الملائكة من الكتاب و السنة كثيرة جدًا منها :

قوله تعالى : وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

وقوله تعالى :وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء

وحديث جبريل لما سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان فأجابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . رواه البخاري ومسلم

بعض صفات الملائكة كما جاء فى الكتاب والسنة :

جاء فى كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة :
١ـ أنهم موصوفون بالقوة والشدة .

قال تعالى : عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ النجم

وقال تعالى : ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ التكوير

٢- أنهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق .
عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن معنى قوله تعالى : وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ . فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِى خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ . رواه مسلم
٣- أولو أجنحة متفاوتة فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له ستمائة جناح .
قال تعالى :ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴿١﴾ فاطر
٤- أنهم موصوفون بالحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك .
قال تعالى مخبرًا عن النسوة عند رؤيتهن ليوسف عليه السلام : فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ يوسف
وإنما قلن ذلك لِما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر .
٥- أنهم موصوفون بأنهم كرام بررة :
قال تعالى : بِأَيْدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾ عبس
٦- أنهم موصوفون بالحياء والعلم :
لقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حق عثمان ﷺ : أَلاَ أَسْتَحِى مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِى مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ . رواه مسلم
وقال تعالى في حق جبريل عليه السلام : عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ النجم
قال الطبري : علم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا القرآن جبريل عليه السلام وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم .
٧- أنهم موصوفون بأن عداوتهم موجبة لعداوة الله وسخطه .
قال تعالى : مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ البقرة

بعض خصائص الملائكة :

جاء في كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة :
١- أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أُسند إليهم من تصريف شؤونهم .
قال تعالى : يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ النحل
وقال تعالى : وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿٧٥﴾ الزمر
٢- أنهم لا يوصفون بالأنوثة والذكورة .
قال تعالى : وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ الزخرف
٣- أنهم لا يعصون الله في شيء، بل طبَّعهم الله على طاعته والقيام بأمره .
قال تعالى : قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ التحريم
٤- أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون .
قال تعالى : وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ الأنبياء
٥- لا يأكلون ولا يشربون :
قال تعالى : وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ هود
نقل الفخر الرازي في مفاتيح الغيب :
اتفاق العلماء على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وأما الجن والشياطين فإنهم يأكلون ويشربون .

وظائف الْمَلاَئِكَةَ :

جاء فى كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة أن الملائكة لهم وظائف منها :

١- الموكل بالوحي من الله تعالى والذى به حياة القلوب والأرواح : وهو جبريل عليه السلام الأمين على وحي الله تعالى وهو أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته .

قال تعالى : نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ الشعراء

وقال تعالى : إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ النجم

٢- الموكل بالقطر والمطر الذى به حياة الأرض والأبدان وهو ميكائيل عليه السلام .

٣- الموكل بقبض الأرواح عند الموت وهو ملك الموت وأعوانه .

قال تعالى : قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ السجدة

٤- الموكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم . وهو إسرافيل عليه السلام.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ . صحيح الترمذي

قال ابن كثير : إسرافيل موكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور .

٥- الموكل بالجبال وهو ملك الجبال .

عن عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُد قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِك مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. رواه البخارى

٦- الموكل بالرحم .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . رواه البخارى

٧- حملة العرش .

قال تعالى : وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ الحاقة

٨- خزنة الجنة :

قال تعالى : وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ الزمر

٩- خزنة جهنم وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك عليه السلام .

قال تعالى : وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ غافر

وقال تعالى : وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ المدثر

وقال تعالى : وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ الزخرف

١٠- الموكلون بجر جهنم :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا . رواه مسلم

١١- زوار البيت المعمور يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه .

جاء فى حديث الإسراء أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا قَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ . رواه البخارى ومسلم

١٢- الموكلون بحفظ أعمال العباد وإحصاؤها عليهم الكرام الكاتبون :

قال تعالى : إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ق

وقال تعالى : وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ الانفطار

١٣- الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم وهما الْمُنْكَرُ والنَّكِيرُ، يسألانه عن ربه ، ودينه ، ونبيه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ ، فَيَقُولاَنِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَيَقُولاَنِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : نَمْ ، فَيَقُولُ : أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولاَنِ : نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ . رواه الترمذي . صحيح الجامع

١٤- الموكلون بحفظ العبد من بين يديه ومن خلفه وهم المعقبات، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه .

قال تعالى : لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴿١١﴾ الرعد

١٥- الموكلون بالإستغفار للمؤمنين .

قال تعالى : ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ غافر

١٦- الموكلون بتشجيع أهل العلم .

قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ . رواه أبو داود والترمذى . صحيح الترغيب والترهيب

١٧- الطوافون والسياحون فى الطرق يلتمسون الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا . رواه البخارى

عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ . رواه أحمد . صحيح الجامع

كيفية تحقيق الإيمان بالملائكة :

١- أن نؤمن بوجودهم حقيقة .

٢- أن نؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة من أسمائهم . كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ورضوان ومنكر ونكير وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم . وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف : كرقيب وعتيد ، أو بذكر وظيفته : كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة : كحملة العرش، والكرام الكاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيت المعمور، والملائكة السياحين إلى غير ذلك .

٣- أن نؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله من صفاتهم .

٤- أن نؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله من خصائصهم بأنهم عباد مخلوقون خلقهم الله تعالى من نور وهم ذوات حقيقية وليسوا قوى خفية وهم خلق من خلق الله تعالى . وجند من جنوده قادرون على التمثل بأمثال الأشياء والتشكل بأشكال جسمانية؛ حسبما تقتضيها الحالات التي يأذن بها الله سبحانه وتعالى . فالملائكة يتميزون في أصل خلقتهم وصفاتهم ووظائفهم عن الإنس والجن . كما أن لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر .

٥- أن نؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله عن وظائفهم كتسبيحهم، وعبادتهم ليلًا ونهارًا دون ملل ولا فتور .

٦ - أن نؤمن بأن الملائكة لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمره، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في أسمائه وصفاته .

ثمرات الإيمان بالملائكة :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى : وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

٢- من ثمرات الإيمان بالملائكة الإيمان بالكتب ومن ثمرات الإيمان بالكتب الإيمان بالأنبياء وإلى آخره .

٣- العلم بعظمة خالقهم عز وجل وكمال قدرته . فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق فيزيد المؤمن تقديرًا وتعظيمًا لله وقد رأى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جِبْرِيلُ عليه السلام عَلَى صُورَتِهِ الَّتِى خُلِقَ عَلَيْهَا سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ . رواه مسلم

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أُذِنَ لِى أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ . رواه أبي داود . صحيح الجامع

٤- شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم .

٥- محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم .

قال تعالى : ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ غافر

٦- سد باب الخرافات والإعتقاد الزائف فيهم وذلك ببيان الحق في توضيح ما يخص البشر وينفعهم من العلم بأمر الملائكة .

٧- اطمئنان المؤمن إلى أنه مُحاط برعاية الله تعالى له بهؤلاء الخلق العظام الذين يحفظونه من الجن والشياطين ومن كل شر

قال تعالى : لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ۝١١ الرعد

والمعقبات : المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه، ويكون بدلًا منه، وهم الحفظة من الملائكة .

٨- العلم بأن الملائكة عباد مكرمون لا تنفع ولا تضر، فلا يعبدهم ولا يتوجه إليهم ولا يتعلق بهم .

٩- الإستقامة على الطاعة فمن آمن بأن الملائكة تكتب أعماله فإن هذا يوجب خوفه من الله فلا يعصيه .

قال تعالى : وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢ الانفطار

وقال تعالى : إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨ ق

فالملائكة تكتب أقوال الإنسان وأفعاله من خير وشر فيشعر المؤمن بهذه الرقابة الدائمة عليه فيحسن العمل ويستحي أن يُرى على غير ما أُمر به، فيستقيم على طاعة الله تعالى، فلا يعصيه لا في العلانية ولا في السر .

١٠- البعد عن ما يؤذي الملائكة كالصور والتماثيل والكلاب والأجراس والروائح الكريهة ، وكذلك المعاصي والذنوب .

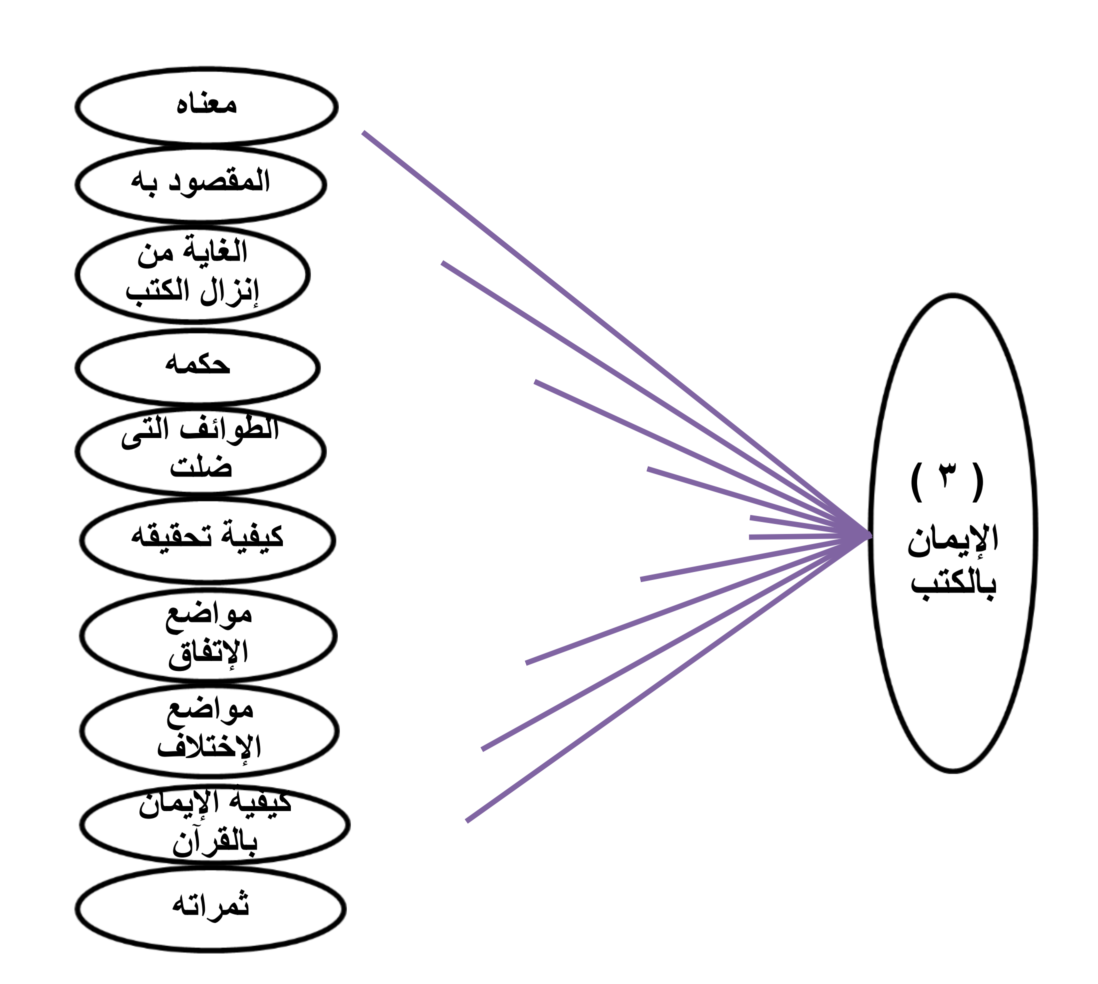
عَنْ أَبِي طَلْحَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ . متفقٌ عليه

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ تَصَاوِيرُ . رواه مسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ . رواه مسلم

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ جَرَسٌ . رواه أبو داود وحسنه الألباني

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ . رواه مسلم


(٣)
الإيمان بالكتب
معناه
المقصود به
الغاية من إنزال الكتب
حكمه
الطوائف التى ضلت
كيفية تحقيقه
مواضع الإتفاق
مواضع الإختلاف
كيفيه الإيمان بالقرآن
ثمراته

الشعبة الثالثة : الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب شعبة من شعب الإيمان، وأصل عظيم من أصول الدين، وهوالركن الثالث من أركان الإيمان الستة كما جاء في حديث جبريل لما سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان فأجابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ : صَدَقْتَ . رواه مسلم . وبين الله عز وجل أن من كفر بشئ من أركان الإيمان فقد ضل ضلالًا بعيدًا .

قال تعالى : وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء

ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام وقد أثنى الله عز وجل على رسله الذين يبلغون عن الله رسالاته .

قال تعالى : ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴿٣٩﴾ الأحزاب

وأهل السنة والجماعة يؤمنون ويعتقدون اعتقادًا جازمًا أن الله عز وجل أنزل على رسله كتبًا ومن هذه الكتب القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن، وأعظم الثلاثة وناسخها وأفضلها هو القرآن الكريم . ولم يتكفل الله سبحانه بحفظ شيء من هذه الكتب عدا القرآن بل استحفظ عليها الأحبار والربانيون لكنهم لم يحافظوا عليها، وما رعوها حق رعايتها؛ فوقع فيها تغيير وتبديل .

معنى الكتب لغةً واصطلاحًا :

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في الإيمان بالكتب :

الكتب جمع كتاب بمعنى مكتوب، مثل فراش بمعنى مفروش، وإله بمعنى مألوه، وغراس بمعنى مغروس .
ومادة (كتب) تدور حول الجمع والضم، وسمي الكاتب كاتبًا لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض . وكتيبة الجيش سميت كتيبةً لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض، وسمي الخياط كاتبًا؛ لأنه يجمع أطراف الثوب إلى بعض .
أما اصطلاحًا : فالمراد بها الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق وهداية لهم ليسعدوا في الدارين .

حكم الإيمان بالكتب :

الإيمان بالكتب ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين ، لا يتحقق الإيمان إلا به .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء

وحديث جبريل وسؤاله عَنِ الْإِيمَانِ فقَالَ صلى الله عليه وسلم : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ . رواه مسلم

الغاية من إنزال الكتب السماوية :

١- توحيد الله عز وجل والنهي عن الشرك .
٢- تأييد الرسل وإظهار صدقهم وإقامة الحجّة على الخلق .

قال تعالى : رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴿١٦٥﴾ النساء

٣- هدايةُ ومنهج حياة للبشر وإرشادهم إلى كل خير .
٤- لتكون نوراً تحيي نفوسهم وتكشف ظلماتها وتنير لهم دروب الحياة كلها .
٥- الحكم بين الناس بالعدل .

يقول تعالى : لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴿٢٥﴾ الحديد

٦- تأييد الرسل وإظهار صدقهم :

قول سبحانه :فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ آل عمران

٧- الحكم بين الناس حين الاختلاف:

قال تعالى : كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴿٢١٣﴾ البقرة

بعض الطوائف التى ضلت في الإيمان بالكتب :

١- اليهود وذلك بتكذيبهم للقرآن وتكذيبُهم للقرآن هو في الحقيقة تكذيب لجميع الكتب السماوية .
٢- النصارى ويقال عنهم ما قيل عن اليهود .
٣- الشيعة الرافضة وذلك بادعائهم أن القرآن ناقص ومحرّف وأن القرآن الكامل مع الغائب الذي سيخرج في آخر الزمان .
٤- البابية والبهائية وذلك بادعائهم نسخ القرآن الكريم والشريعة الإسلامية بشريعة الباب والبهاء .
٥- التيجانية وذلك بتفضيلها أورادَها وأذكارَها كصلاة الفاتح على القرآن الكريم، فقالوا : إن قراءة صلاة الفاتح مرة واحدة أفضل من قراءة القرآن ستة آلاف مرة .
٦- غلاة الصوفية عمومًا وذلك بادعائهم العلم اللَّدُنِّي الذي يُوحى إليهم ويغنيهم عن القرآن كما يزعمون . ثم إن مصدر التلقي عندهم ليس القرآن والسنة بل يقوم على الرؤى والأحلام والكشف وغير ذلك .
٧- النصيرية والدروز والفرق الباطنية وذلك بانحرافهم في تأويل القرآن وإغراقهم في التأويل الباطني وإخراج القرآن عن معانيه .
٨- القانونيون الذين أعرضوا عن تحكيم القرآن وعارضوه بزبالات أفكارهم زاعمين أنه لا يناسب العصر الحديث .

تحقيق الإيمان بالكتب :

حتى يتحقق الإيمان بالكتب لابد من أربعة أمور :
الأول : التصديق الجازم بأن جميعها كلام الله غير مخلوق منزَّل من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة على الوجه الذي أراد . فمنها المسموع منه تعالى من وراء حجاب بدون واسطة الرسول الملكي، ومنها ما بلغه الرسول الملكي إلى الرسول البشري، ومنها ما كتبه الله تعالى بيده .

قال تعالى : وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ الشورى

وقال تعالى : وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ النساء

وقال تعالى : وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴿١٤٥﴾ الأعراف

الثاني : التصديق الجازم بما فيها من أخبار لم يدخلها التحريف، فأما أخبار القرآن فيجب التصديق بها كلها من أولها إلى آخرها لأنها محفوظة بحفظ الله عز وجل، وأما أخبار التوراة والإنجيل والزبور فقد أثبت القرآن أنها قد طالتها يد التحريف والتبديل والزيادة والنقصان .

ودليل الزيادة : فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ البقرة

ودليل النقص : يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴿١٥﴾ المائدة

ودليل التحريف :أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ البقرة

فدلت هذه الآيات على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل . فلا يوثق في التوراة والإنجيل والزبور التى في أيدى اليهود والنصارى ولا يجوز قراءتها ولا النظر فيها لاسيما لمن ليس عنده علم ولا يريد بالإطلاع عليها كشف عوارها وبيان زيفها وتحريفها، وإنما نصدق بأخبار التوراة والإنجيل التى وردت في كتابنا وفى سنة نبيينا صلى الله عليه وسلم .
الأمر الثالث : العمل بما ورد في هذه الكتب من الأحكام الشرعية، فأما أحكام القرآن فيجب العمل بها كلها ما لم تنسخ، وأما في الكتب المتقدمة فإن المتقرر عند العلماء أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا ثبت بدليل صحيح ولم ينسخ في شرعنا .
الأمر الرابع : التصديق الجازم بأن القرآن أفضلها وخاتمها ومهيمنًا عليها ومصدقًا لها .

قال تعالى : وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ المائدة

قال المفسرون : مهيمنا : مؤتمنا وشاهدًا على ما قبله من الكتب، ومصدقا لها يعني : يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بنسخ أحكام سابقة، أو تقرير وتشريع أحكام جديدة ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه .

تحقيق الإيمان بالقرآن الكريم :

جاء فى كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة :

لما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليها والمتعبَد به لعامة الثقلين بعد بعثة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزول هذا الكتاب عليه، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لا بد من تحقيقها للإيمان به وهي :

١ـ عموم دعوته وشمول شريعته لعموم الجن والإنس فلا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به وألا يعبدوا الله إلا بما شرع .

قال تعالى : وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ سبأ

٢ـ اعتقاد نَسخُه لجميع الكتب السابقة، فلا دين إلا ما جاء به، ولا عبادة ولا حكم إلا ما شرع الله فيه .

قال تعالى : وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ المائدة

٣ ـ سماحة شريعته ويسرها، بخلاف الشرائع السابقة فقد اشتملت على كثير من الآصار والأغلال التي فرضت على أصحابها

قال تعالى : ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٧﴾ الأعراف

٤ – انفراده من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من التحريف. وقد هيأ الله تعالى لحفظ كتابه من العلماء الجهابذة من قاموا بذلك خير قيام من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا .

قال تعالى : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ الحجر

وقال تعالى : لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ فصلت

٥ ـ اشتماله على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب المنزَّلة ومن صور إعجاز القرآن حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته وقد وقع التحدي للإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو ببعضه على مراتب ثلاث : فقد تحداهم الله على أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا . ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما قدروا . ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه فما استطاعوا . فثبت بهذا إعجاز القرآن لما عجز الخلق عن معارضته بأدنى مراتب التحدي وهو الإتيان بسورة من مثله .

قال تعالى : قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ الإسراء

ثم قال تعالى : أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ هود

ثم قال تعالى : أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ يونس

٦ ـ أن الله تعالى بين فيه كل شيء مما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم .

قال تعالى : وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ النحل

٧ ـ أن الله تعالى يسره للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه .

قال تعالى : وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ القمر

٨ – تَضمنُه خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل .

قال تعالى : وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ المائدة

وقال تعالى : شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴿١٣﴾ الشورى

٩ ـ اشتماله على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله .

قال تعالى : وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴿١٢٠﴾ هود

١٠ ـ أنه آخر كتب الله نزولًا وخاتمها والشاهد عليها .

قال تعالى : نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ۝٤ آل عمران

مواضع الإتفاق بين الكتب السماوية :

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في الإيمان بالكتب منها :

١- وحدة المصدر : فالكتب السماوية جميعها مصدرها واحد فهي منزلة من عند الله تعالى .

قال تعالى : الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ۝٤ آل عمران

٢- وحدة الغاية : فجميع الكتب السماوية تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام فالإسلام هو دين جميع الرسل .

قال تعالى : وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۝٣٦ النحل

قال تعالى : إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ۝١٩ آل عمران

٣- مسائل العقيدة : كالإيمان بالغيب والإيمان بالرسل والبعث والنشور والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك .

٤- القواعد العامة : كقاعدة الثواب والعقاب، فالإنسان يحاسَب بعمله ويعاقَب بذنوبه وأوزاره ، ولا يؤاخذ بجريرة غيره .

قال تعالى : أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ النجم

٥- الفلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بتزكية النفس بالطاعة لله، والعبودية له، وإيثار الآجل على العاجل .

قال تعالى : قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ الأعلى

٦- الذي يستحق وراثة الأرض هم عباد الله الصالحون .

قال تعالى : وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥ الأنبياء

٧- العاقبة للتقوى وللمتقين .

قال تعالى : وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ۝١٣٢ طه

وقال تعالى : وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٢٨ الأعراف

٨- العدل والقسط، فجميع الأنبياء عليهم السلام حملوا ميزان العدل والقسط .

قال تعالى : لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ۝٢٥ الحديد

٩- محاربة الفساد والإنحراف : سواء كان الفساد عقديًا أو خلقيًا أو انحرافًا عن الفطرة أو عدوانًا على البشر ١٠- الدعوة إلى مكارم الأخلاق : كالعفو عن المسيء والصبر على الأذى والقول الحسن وبر الوالدين والوفاء بالعهد وصلة الأرحام وإكرام الضيف والتواضع والعطف على المساكين إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق .

١١- كثير من العبادات : كالصلاة والزكاة والصيام وفعل الخيرات ونحوها .

قال تعالى : وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۝٧٣ الأنبياء

وقال عيسى عليه السلام : وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ۝٣١ مريم

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ البقرة

والحج كذلك كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام : وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا ۝٢٧ الحج

قال تعالى : وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ۝٣٤ الحج

مواضع الإختلاف بين الكتب السماوية

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد :

تختلف الكتب السماوية في الشرائع . قال تعالى : لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ المائدة

وليس معنى ذلك أن الشرائع تختلف اختلافًا كليًا، فالناظر في الشرائع يجد أنها متفقة في المسائل الأساسية، فالإختلاف بينها إنما يكون في التفاصيل . فعدد الصلوات وأركانها وشروطها، ومقادير الزكاة، ومواضع النسك ونحو ذلك قد تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يُحِل الله أمرًا في شريعة ما، ويحرمه في أخرى لحكمة يعلمها عز وجل ولا يلزم أن نعلمها، ومن الأمثلة على ذلك مايلي :

١- الصوم : فقد كان الصائم يُفطر في غروب الشمس، ويباح له الطعام والشراب والنكاح إلى طلوع الفجر ما لم ينم، فإن نام قبل الفجر حرم عليه ذلك إلى غروب الشمس من اليوم الثاني، فخفف الله عن هذه الأمة، وأحله من الغروب إلى الفجر سواءً نام أم لم ينم .

قال تعالى : أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴿١٨٧﴾ البقرة

٢- ستر العورة حال الإغتسال : لم يكن واجبًا عند بني إسرائيل .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ . رواه البخاري ومسلم

٣- الأمور المحرمة : فمما أحله الله لآدم تزويج بناته من بنيه ، ثم حرم الله هذا بعد ذلك .

٤- التسري على الزوجة كان مباحًا في شريعة إبراهيم، وقد فعله إبراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة . وقد حرَّمه الله على بني إسرائيل في التوراة .

٥- الجمع بين الأختين كان سائغًا، وقد فعله يعقوب فتزوج بابنتي خاله : ليَّا وراحيل وهما أختان ثم حُرم عليهم في التوراة .

٦- ومما حرَّمه الله على اليهود ما قصه علينا في سورة الأنعام

قال تعالى : وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ الأنعام

ثم جاء عيسى عليه السلام فأحل لبني إسرائيل بعض ما حرم عليهم . وجاءت الشريعة الخاتمة لتكون القاعدة : إحلال الطيبات وتحريم الخبائث . ومما تميزت به الشريعة الخاتمة أنها عامة لجميع الناس إلى قيام الساعة بخلاف الشرائع الأخرى كانت خاصة بقوم دون قوم .

ثمرات الإيمان بالكتب :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

لحديث جبريل وسؤاله عَنِ الإِيمَانِ فأجابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . رواه مسلم

٢- ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع لكل أمة ما يناسبها، وختمها بالقرآن العظيم المناسب لجميع الخلق إلى قيام الساعة .

قال تعالى : لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴿٤٨﴾ المائدة

قال ابن جرير رحمه الله : لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلى الحق يؤمه، وسبيلًا واضحًا يعمل به .

٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وقد عجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه

قال تعالى : وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ البقرة

٤- التحرر من أفكار البشر بهدي السماء والسير على طريقٍ مستقيمةٍ واضحةٍ لا اضطراب فيها ولا اعوجاج .

قال تعالى : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ الكهف

قال تعالى : الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ إبراهيم

٥- معرفة أن هدى الله لم ينقطع عن البشر من وقت وجودهم على هذه الأرض إلى يوم القيامة .

قال تعالى : لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ فصلت

٦- العلم بأن هذا القرآن ليس بدعًا من الكتب الإلهية ، كما أن الرسول ليس بدعًا من الرسل .

قال تعالى : قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ الأحقاف

٧- إقامة الحجة على أهل الكتب السابقة بما ثبت فيها من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴿١٦٥﴾ النساء

٨- شكر نعمة الله تعالى على إنزال تلك الكتب والتى فيها الخير والهدى والنور والضياء للبشرية جمعاء .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ يونس

٩- معرفة أن دين الله دين واحد وهو الإسلام الذي جاءت به الرسل من أولهم إلى آخرهم .

قال تعالى : إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ آل عمران

وقال تعالى : وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ آل عمران

ونوح عليه السلام قال لقومه : وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ يونس

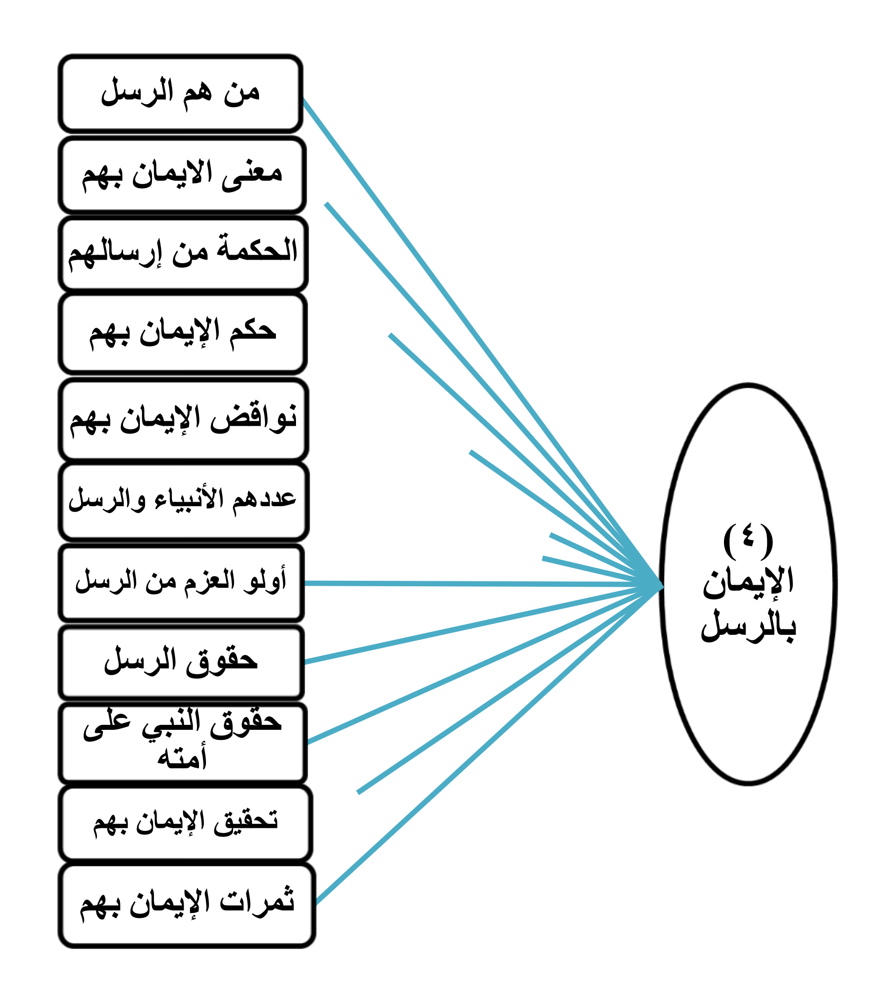
وإبراهيم عليه السلام : قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ البقرة

ووصى كل من إبراهيم ويعقوب عليهما السلام أبنائهما : فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ البقرة

وأبناء يعقوب أجابوا أباهم : قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ البقرة

وموسى عليه السلام قال لقومه : يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ يونس

والحواريون قالوا لعيسى عليه السلام : قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ آل عمران


(٤)
الإيمان بالرسل
من هم الرسل
معنى الايمان بهم
الحكمة من إرسالهم
حكم الإيمان بهم
نواقض الإيمان بهم
عددهم الأنبياء والرسل
أولو العزم من الرسل
حقوق الرسل
حقوق النبي على أمته
تحقيق الإيمان بهم
ثمرات الإيمان بهم

الشعبة الرابعة : الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل شعبة من شعب الإيمان، وركن من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصول الإعتقاد المعلومة من الدين بالضرورة والرسل هم صفوة الله من خلقه اختارهم الله عز وجل لإنذار البشر وإرشادهم، لذا يجب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله جملةً وتفصيلًا من قص الله عز وجل علينا خبره ومن لم يقصص . كما أن الكفر برسول واحد هو كفر بجميع الرسل .

قال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾ الشعراء

وقال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣﴾ الشعراء

ومعلوم أنَّ كلَّ أمةٍ ما كذَّبت إلا رسولها فقط إلا أن التكذيب برسول واحد هو تكذيب بالجميع، لأن الرسل يبشر المتقدم منهم بالمتأخر ويصدق المتأخر المتقدم فهم حملة رسالة واحدة، ودعاة دين واحد ومرسلهم واحد . ومن هنا كان الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعضهم كفرٌ بهم جميعاً .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٥١﴾ النساء

من هم الرسل :

قال الدكتور عبد الله الطيار في أركان الإسلام :

الرسل هم كل مَن أُوحِيَ إليه وَأُمِرَ بِالتَّبليغ، اختارهم الله تعالى ليكونوا واسطة بينه وبين خلقه، وذلك بإبلاغهم شرعه وما يجب عليهم لله، وغير ذلك مما أوحاه الله إليهم، وهم خير البشر وصفوتهم . فهم مخلوقون وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فلا يجوز صرف شئ من العبادة لهم كالإستغاثة والدعاء والنذر والذبح وغير ذلك من أنواع العبادة .
والرسالة والنبوة ليست كسبًا يناله العبد بالجد والإجتهاد وتكلف أنواع العبادات واقتحام أشق الطاعات، والدأب في تهذيب النفس وتنقية الخاطر وتطهير الأخلاق ورياضة النفس . إنما الرسالة والنبوة اصطفاء من الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ٧٥﴾ الحج

الفرق بين الرسول والنبى :

لفظ الرسول والنبي كلفظ الإسلام والإيمان، إذا اجتمعا فلكل واحد معنى، وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر .
فيطلق الرسول على النبي، ويطلق النبي على الرسول، فيكون معناهما واحداً، وهذا هو الغالب .

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ٦٧﴾ المائدة

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ٤٦﴾ الأحزاب

وتارة يذكران معًا في آية واحدة، فيكون لكل واحد منهما معنى .

قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢﴾ الحج

قال الشيخ صالح الفوزان :

كل من النبي والرسول يوحى إليه لكن النبي قد يبعث في قوم مؤمنين بشرائع سابقة ؛ كأنبياء بني إسرائيل ؛ يأمرون بشريعة التوراة وقد يُوحى إلى أحدهم وحي خاص في قصة معينة . وأما الرسل فإنهم يبعثون في قوم كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته .

معنى الإيمان بالرسل :

قال الشيخ حافظ حكمي في أعلام السنة المنشورة :

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولًا منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه، فأصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله وأما شرائعهم فمختلفة . وأن جميعهم صادقون مصدقون بارُّون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به ، لم يكتموا ولم يغيروا، ولم يزيدوا فيه ولم ينقصوه، وأنهم كلهم على الحق المبين والهدى المستبين وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم

خليلًا واتخذ محمدًا صلى الله عليه وسلم خليلًا وكلم موسى تكليمًا ورفع إدريس مكانًا عليًا وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات .

حكم الإيمان بالرسل :

الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان الستة لايتم إيمان المسلم إلا به . فيجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل وتصديقهم .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء

ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميع الرسل .

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴿١٥١﴾ النساء

الحكمة من إرسال الأنبياء والرسل :

١- إقامة الحجة على الخلق .

قال تعالى : رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴿١٦٥﴾ النساء

٢- رحمة الخلق .

قال تعالى : وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ الأنبياء

٣- دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه .

قال تعالى : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾ النحل

٤- بيان الطريق الموصل إلى الله وإلى رضاه .

قال تعالى : وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ النحل

٥- بيان حال الناس بعد القدوم على ربهم يوم القيامة .

قال تعالى : فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ الحج

نواقض الإيمان بالرسل :

قال الدكتور بكر أبو زيد في الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان :

١- من كفر بنبي أو رسول واحد أو آمن ببعض وكفر ببعض فهو كمن كفر بالله وجحده وقد فرق بين الله ورسله .

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴿١٥١﴾ النساء

٢- من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه أنه خاتم الأنبياء والرسل، وأن شريعته ناسخة لجميع ما قبلها، وأنه لا يسع أحدًا من أهل الأرض اتباع غير شرعه فهو كافر مخلد في النار كمن كفر بالله تعالى .

قال تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴿٩١﴾ البقرة

وقَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ . متفق عليه

والسر في تخصيص ذكر عيسى عليه السلام أنه عبد الله ورسوله في هذا الحديث العظيم الجامع . تعريض باليهود في التفريق بين رسله في إنكارهم رسالته، وتعريض بالنصارى في قولهم بالإيمان به مع التثليث وهو شرك محض، وبه تعرف أنه لا وحدة بين مسلم يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، ويهودي أو نصراني : لا يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴿١٣٧﴾ البقرة

٣- نسبة القبائح والكبائر إلى الأنبياء والرسل .
٤- نفي بشرية أحد من الأنبياء أو تأليه أحد منهم .
قال تعالى : وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ التوبة
وقال تعالى : لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴿٧٢﴾ المائدة
٥- عدم الإيمان بعموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع أهل الأرض عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم .
قال تعالى : وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ سبأ
وقال تعالى : قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ الأعراف

عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام المذكورين في القرآن :

خمس وعشرون نبيًا ورسولًا، منهم ثمانية عشر : إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط ذكرت أسماؤهم في أربع آيات متواليات (٨٣ : ٨٦) من سورة الأنعام
قال تعالى : وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ الأنعام
ومنهم سبعة في مواضع متفرقة من القرآن وهم : إدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم ونبينا محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين . منهم أربعة من العرب وهم : هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

الرسل أفضل من الأنبياء :

أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء، والرسل بعد ذلك متفاضلون فيما بينهم .
قال تعالى : تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴿٢٥٣﴾ البقرة

أفضل الرسل هم أولو العزم :

وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
قال تعالى : فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴿٣٥﴾ الأحقاف
قال تعالى : وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ الأحزاب
وأفضل أولو العزم الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة والسلام . وأفضل الخليلين محمد صلى الله عليه وسلم .
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ . رواه مسلم
وهو أعلم الخلق بالحق، وأنصح الخلق للخلق، وأفصح الخلق في البلاغ والبيان، وأكملهم معرفة بالله وأسمائه وصفاته، اجتمع في حقه كمال العلم بالحق، وكمال الإيمان به، وكمال الإرادة له، وكمال القدرة على بيانه، وكمال العمل به، وكمال الدعوة إليه، وكمال الصبر عليه، فصلوات الله وسلامه عليه .
قال تعالى : وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ القلم
وأول الأنبياء والرسل من ذرية آدم نوح عليه السلام .
عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ كما في حديث الشفاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ .متفق عليه
وآخر الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته هي آخر الشرائع :

قال تعالى : مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴿٤٠﴾ الأحزاب

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاص ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِعَلِىٍّ أَنْتَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِىَّ بَعْدِى . رواه مسلم

يقول الألوسي فى روح المعاني : وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه .

وقال النووي فى روضة الطالبين : إذا ادعى النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم، أو صدق مدعيًا لها ، فكل هذا كفر .

ويقول ابن قدامة فى المغنى : من ادعى النبوة، أو صدق من ادعاها فقد ارتد؛ لأن مسيلمة لما ادعى النبوة، فصدقه قومه، صاروا بذلك مرتدين، وكذلك طليحة الأسدي ومصدقوه .

وقال ملا علي قاري فى شرح الفقه الأكبر : ودعوى النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كفر بالإجماع .

كيفية تحقيق الإيمان بالرسل :

جاء فى أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة :

الإيمان بالرسل يكون إجمالًا وتفصيلًا .

الإيمان المجمل : يكون بالإقتداء بهم وبإنزالهم منازلهم وتعظيمهم وتوقيرهم وأن نعتقد أنهم مبلِّغون عن رب العزة عزوجل .ونؤمن بالرسل السابقين على سبيل الإجمال ونتأسى بأخلاقهم الحميدة مثل صبر نوح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الدعوة، ويقين إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكمال توكله على الله ومدى امتثاله لأمر الله حينما أمر أن يذبح ولده وكذلك مدى صبر نبى الله موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بنى إسرائيل . أما شرائعهم فقد أغنانا الله بما أنزل على رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ونؤمن بأنهم بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء . وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة .

قال تعالى : قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴿١١﴾ إبراهيم

ونؤمن بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة على الخلق .

قال تعالى : رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴿١٦٥﴾ النساء

ونؤمن بأنهم منصورون مؤيدون من الله وأن العاقبة لهم ولأتباعهم .

قال تعالى : إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ غافر

وأما الإيمان المفصل : فيكون بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته منهم إيمانًا مفصلًا على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم . والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على ما أخبر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهم . كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم .

كاتخاذ الله إبراهيمَ ومحمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلين :

لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِى خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً . رواه مسلم

وتكليم الله عزوجل لموسى عليه السلام : وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ النساء

وتسخير الجبال والطير لداود : وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ الأنبياء

وإلانة الحديد لداود : وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ سبأ

وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء .

قال تعالى : وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ سبأ

وتعليم سليمان منطق الطير : وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ النمل

كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله عز وجل في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم وما جرى بينهم من الخصومة ونصر الله لرسله وأتباعهم . كقصة موسى مع فرعون وإبراهيم مع قومه ، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم . وما قص الله علينا في شأن يوسف مع إخوته وأهل مصر وقصة يونس مع قومه إلى آخر ما جاء في

الكتاب والسنة من أخبارهم ، فيجب الإيمان به إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص . وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل .

بعض حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته :

{ من كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة }

١ـ الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة .

قال تعالى :وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ۚ ﴿٧﴾ الحشر

٢ ـ الإيمان بأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وما من خير إلا ودلها عليه وما من شر إلا ونهاها عنه . وقد شهد للنبي بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة فبين لهم ما أوجب الله عليهم وما حرم عليهم وأوصاهم بكتاب الله إلى أن قال لهم : وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . رواه مسلم

٣ ـ محبته صلى الله عليه وسلم وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق .

قال تعالى : قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ التوبة

فتوعد الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه منه ورسوله توعدهم بقوله :

فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . البخاري

٤ ـ تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله بعد موته كتعظيمه في حياته .

قال تعالى : لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴿٩﴾ الفتح

قال تعالى : فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ الأعراف

قال ابن عباس : تعزروه : تجلوه . وتوقروه : تعظموه .

٥ ـ الصلاة و التسليم عليه صلى الله عليه وسلم والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ الأحزاب

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ . رواه الترمذي . صحيح الجامع

٦ ـ الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة .

٧ ـ تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ الكهف

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ . رواه البخاري

لا تطروني أي : لا تبالغوا في مدحي والثناء علي بالباطل فتتجاوزوا بي حدود البشرية

٨ ـ محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء .

قال تعالى : وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١٠﴾ الحشر

وقال تعالى في حق قرابته صلى الله عليه وسلم وأهل بيته : قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴿٢٣﴾ الشورى

٩ ـ وجوب التحاكم إليه والرضي بحكمه صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ النساء

بعض خصائص ومناقب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم هي ما أكرمه الله به من المنح والهبات وانفرد به عن غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصّلاة والسّلام وما اختصّ به عن أمّته . تشريفا له وتعظيما وتكريما ممّا يدلّ على جليل منزلته وعظيم قدره وعلو شأنه عند ربّه عز وجل وهي كثيرة ومتنوعة منها :

١ ـ عموم رسالته صلى الله عليه وسلم لكافة الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدًا منهم إلا اتباعه والإيمان برسالته .

قال تعالى : تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الفرقان

قال ابن عباس : العالمين : الجن والإنس

٢ـ أرسله الله تبارك وتعالى رحمة للخلائق عامّة مؤمنهم وكافرهم وإنسهم وجنّهم،

قال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ الأنبياء

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ : إِنِّى لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً .

٣ ـ ختم الله تعالى به الأنبياء والمرسلين .

قال تعالى : مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴿٤٠﴾ الأحزاب

٤ ـ أيده الله بأعظم معجزة وهو القرآن العظيم كلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل الباقي في الأمة إلى أن يأذن الله برفعه إليه

قال تعالى : قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ الإسراء

٥ـ عصمه الله عزّ وجلّ من الناس

قال تعالى : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿٦٧﴾ المائدة

٦ـ اختصّه الله عزّ وجلّ من دون الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام بمعجزة الإسراء والمعراج .

قال تعالى : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ الإسراء

٧ـ جعله الله تبارك وتعالى أمنة لأصحابه .

قال تعالى : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ الأنفال

وعَنْ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قُلْنَا لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّىَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ : فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ : مَا زِلْتُمْ هَا هُنَا . قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّىَ مَعَكَ الْعِشَاءَ قَالَ : أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ . قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِى فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِى مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِى أَمَنَةٌ لأُمَّتِى فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِى أَتَى أُمَّتِى مَا يُوعَدُونَ . رواه مسلم

٨ـ أقسم الله تبارك وتعالى بعمره تشريفًا وتقديرًا لحياته وعزّتها عند المقسم بها .

قال تعالى : لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ الحجر

قال ابن عباس : ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم قال : وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا : إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ .

٩ـ نداؤه بوصف النبوة والرسالة :

قال تعالى : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿٦٧﴾ المائدة

وقال تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ الأنفال

١٠ ـ أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة .

قال تعالى : كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ آل عمران

١١ - سيد ولد آدم يوم القيامة .
عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ . رواه مسلم
١٢- صاحب الشفاعة العظمى .
قال تعالى : وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ الإسراء
قال قتادة : كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة . وقد دلت السنة على ذلك .
١٣ - صاحب لواء الحمد يحمله يوم القيامة، ويكون الناس تبعًا له وتحت رايته واختص به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره .
قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ وَبِيَدِى لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِى وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ . رواه أحمد . صحيح الجامع
١٤ - صاحب الوسيلة وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبد واحد وهي أعلى درجات الجنة .
قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا سمعتُمُ الْمُؤَذِّنَ ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً ، صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ . رواه مسلم
١٥- أخبره الله تعالى بأنه غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر تشريفا له وتكريما.
قال العزّ بن عبد السّلام : ولم ينقل أنّه أخبر أحدا من الأنبياء بمثل ذلك .
قال تعالى : إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ﴿٢﴾ الفتح
١٦- فضّله الله عزّ وجلّ على غيره من الأنبياء عليهم السّلام بأن نصره بالرّعب مسيرة شهر، وجعل له الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحل له الغنائم، وبعثه إلى الناس عامة، وأعطاه جوامع الكلم، وأعطاه مفاتيح خزائن الأرض بيده .
عن جَابِرَ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً . رواه البخارى
وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِىَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِىَ النَّبِيُّونَ . رواه مسلم
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي . متفق عليه

ثمرات الإيمان بالرسل :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
كما فى جوابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان فقَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ . رواه مسلم
٢- معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة عن طريق ما جاء به الرسل عليهم السلام لأنهم أعلم الخلق بالله تعالى
قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَنَا وَاللهِ أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ . متفق عليه
٣- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى الطريق المستقيم .
قال تعالى : يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ المائدة
٤- محبّتهم والثّناء والصّلاة والسّلام عليهم وتعظيمهم بما يليق بهم والدعاء لهم على ما تحملوه .
قال تعالى : وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴿١٠﴾ الحشر
٥- التأسِّي بهم في حُسن بَيانهم وعظم حِلمهم وكَمال صَبرهم على أذى قومهم ونُصحهم لهم في سائر الأحوال

قال تعالى : لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ الأحزاب

٦- بيان إمكان بلوغ البشر درجات عالية في القرب من الله تعالى بالطاعة، لأن المرسلين إليهم هم من جنسهم

قال تعالى : قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ ﴿٦﴾ فصلت

٧- العمل لله تعالى على بصيرةٍ عملًا بالكتاب المنزل، وتأسِّيًا بالنبي المرسَل .

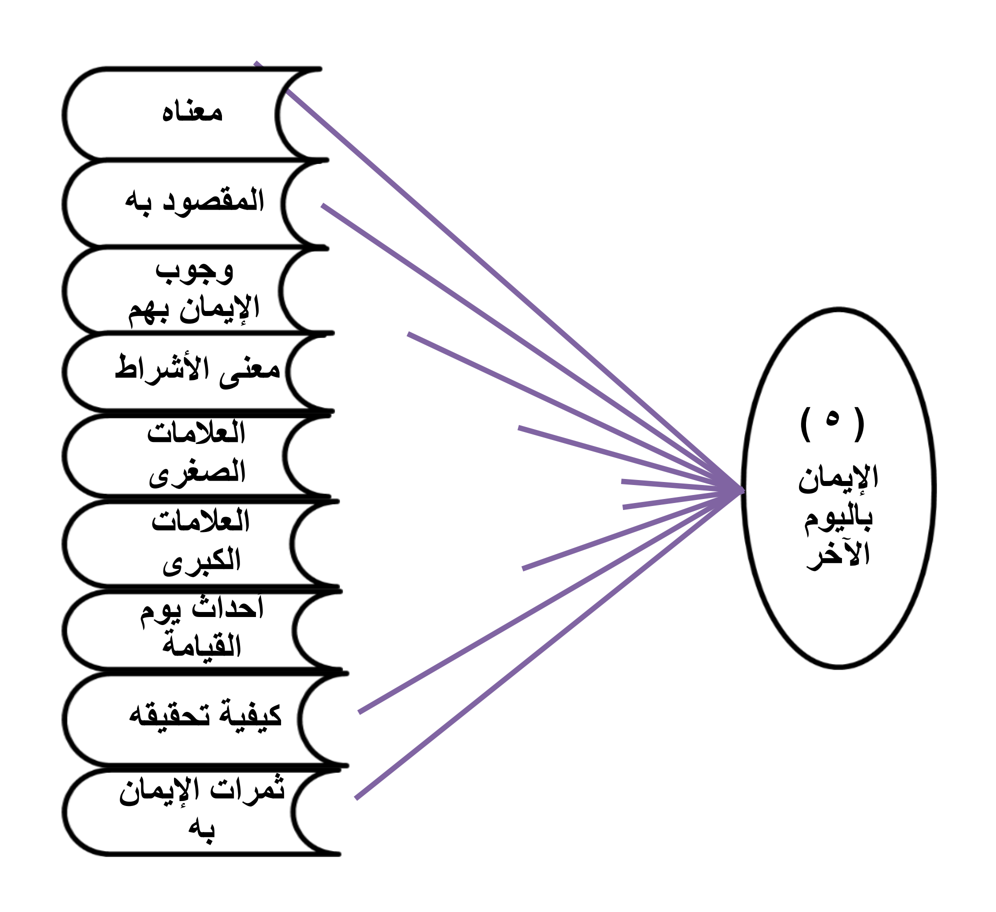
قال تعالى :قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ يوسف

٨- اليقين بحُسن العاقبة للمتَّقين وجزيل المثوبة للصابرين المحسنين .

قال تعالى :إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ غافر

٩ – شكر الله تعالى على هذه النعمة الكبرى .

قال تعالى : كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ البقرة



معناه
المقصود به
وجوب
الإيمان بهم
معنى الأشراط
العلامات
الصغرى
العلامات
الكبرى
احداث يوم
القيامة
كيفية تحقيقه
ثمرات الإيمان
به
(٥)
الإيمان
باليوم
الآخر

الشعبة الخامسة : الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر شعبة من شعب الإيمان و ركن من أركان الإيمان الستة كما جاء فى حديث جبريل لما سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ومن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . وكلما ازداد المسلم يقينًا باليوم الآخر زاد إيمانه وكان دافعًا له على فعل الصالحات وترك السيئات، واستعد لهذا اليوم العظيم بما يحبه الله عز وجل . وقد أكثر الله عز وجل من أسمائه تنويهًا بشأنه وتعظيمًا لقدره ليحذره العباد ويخافوه ؛ فسماه اليوم الآخر لأنه لا يوم بعده . وسماه يوم القيامة لقيام الناس لربهم فيه، وقيل لطول القيام فيه . وسماه يوم البعث لأن فيه البعث والحياة بعد الموت . وسماه يوم الخروج لأن العباد يخرجون فيه من قبورهم عندما ينفخ في الصور . وسماه يوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ، وسماه يوم الدين لأنه الله يجزي العباد ويحاسبهم في ذلك اليوم . وسماه يوم الحساب لأن الله يحاسب فيه عباده . وسماه يوم الخلود لأن الناس يصيرون إلى دار الخلد ، فالكفار مخلدون في النار ، والمؤمنون مخلدون في الجنان . وسماه الواقعة لتحقق كونها ووجودها. وسماه يوم الوعيد لأنه اليوم الذي أوعد به عباده، وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة . وسماه يوم الآزفة لاقترابها والساعة قريبة جداً . وكل آت فهو قريب وإن بَعُد مداه . وسماه يوم الجمع لأن الله يجمع فيه الناس جميعاً . وسماه يوم التناد لكثرة ما يحصل من نداء في ذلك اليوم ، فكل إنسان يدعى باسمه للحساب والجزاء ، وأصحاب الجنة ينادون أصحاب النار، وأصحاب النار ينادون أصحاب الجنة ، وأهل الأعراف ينادون هؤلاء وهؤلاء . وسماه يوم التلاق لكثرة الملاقاة بين العباد، وأهل الأرض والسماء، والخالق والخلق . وسماه يوم الحسرة لشدة تحسر العباد في ذلك اليوم وتندمهم . وسماه يوم التغابن لكثرة المغبونين فيه، والمغبون هو الذى باع آخرته بدنياه بثمن بخس دراهم معدودة وكان فيها من الزاهدين . وسماه يوم التناد لكثرة المناداة . وسماه الصاخّة لأنها تصخُّ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها . وسماه الواقعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها . وسماه الطامة الكبرى لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع . وسماه الغاشية لأنها تغشى الناس بأفزاعها وتغمهم ، وتغشى الكفار النار . وسماه الحاقة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد . وسماه الساعة لقربها، فإن كل آت قريب، وقيل : إنما سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة، وسماه القارعة والراجفة والفزع الأكبر والوعد الحق . وكلها أسماء تدل على عظم شأنه وشدة هوله وما يلقاه الناس فيه من الشدائد والأهوال فهو يوم تشخص فيه الأبصار وتنخلع القلوب عن أماكنها حتى تبلغ الحناجر . وله أسماء كثيرة . وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن وقت قيام الساعة علمه عند الله سبحانه وتعالى لا يعلمه أحد إلا الله عز وجل .

معنى اليوم الآخر :

يعنى فناء هذه العوالم كلها وانتهاء الحياة الدنيا بكاملها وإقبال الآخرة بأهوالها، فهو آخر يوم فى الدنيا .
وهو اليوم الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء، وسمي بذلك؛ لأنه آخر انقراض الدنيا وآخر أيامها ولا يوم بعده، فهو آخر الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده .

قال الشيخ ابن عثيمين فى شرح الأصول الثلاثة :

هو الذي يُبعث الناس فيه للحساب والجزاء . وهو لا يوم بعده حيث يستقر أهل الجنة في منازهم وأهل النار في منازلهم .

المقصود بالإيمان باليوم الآخر :

هو الإعتقاد الجازم بكل ما أخبر به الله عز وجل فى كتابه وأخبر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون من فناء هذه الدنيا، وما يسبق ذلك من أمارات وما يقع فيه من أهوال، والتصديق بالأخبار الواردة بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ثم البعث ثم الحشر ثم نشر الصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة ثم يكون الأمر إما إلى الجنة وما أعد الله لأهلها وإما إلى النار وما أعد الله لأهلها .

حكم الإيمان باليوم الآخر :

أصل من أصول الدين وركن من أركان الإيمان الستة فمن لم يؤمن به فقد كفر .

قال تعالى : وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ النساء

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن وقت قيام الساعة علمه عند الله سبحانه وتعالى لا يعلمه أحد إلا الله .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ لقمان

وفى حديث جبريل قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا . رواه البُخاري

معنى أشراط الساعة وأهميتها :

الأشراط في اللغة هي علامات الشيء المتقدمة عليه والدالة عليه . وأشراط الساعة هي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها .
قال الحليمي فى المنهاج في شعب الإيمان : إنتهاء الحياة الأولى لها مقدمات تسمى أشراط الساعة وهي أعلامها .
وقال الحافظ ابن حجر فى فتح الباري : المراد بالأشراط العلامات التي يعقبها قيام الساعة .
والإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها جزء لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان .

علامات الساعة الصغرى :

هي العلامات التي تتقدم الساعة بأزمان متفاوتة، وقد يظهر بعضها مصاحباً للأشراط الكبرى، وهى كثيرة جداً منها : بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وختم النبوة والرسالة، وموته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفتح بيت المقدس، واتباع سنن اليهود والنصارى، وخروج الدجالين، وأدعياء النبوة . ووضع الأحاديث المكذوبة، ورفض سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكثرة الكذب، وعدم التثبت في نقل الأخبار، ورفع العلم، والتماس العلم عند الأصاغر، وظهور الجهل، وذهاب الصالحين، ونقض عرى الإسلام عروة عروة، وتداعي الأمم على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغربة الإسلام وأهله. وكثرة القتل، وتمني الموت من شدة البلاء، وغبطة أهل القبور، وكثرة موت الفجأة، والموت في الزلازل والأمراض، وقلة الرجال وكثرة النساء، وظهور الكاسيات العاريات، وتفشي الزنا في الطرقات، وظهور أعوان الظلمة الذين يجلدون الناس . وظهور المعازف والخمر والزنا والربا والحرير واستحلالها، وظهور الخسف والمسخ والقذف. وتضييع الأمانة، وإسناد الأمر إلى غير أهله، وزعامة الأراذل من الناس، وارتفاع أسافلهم على خيارهم، وولادة الأمة ربتها، والتطاول في البنيان، وتباهي الناس في المساجد، وتغير الزمان حتى تعبد الأوثان، وظهور الشرك . والسلام على المعارف فقط، وكثرة التجارة، وتقارب الأسواق، ووفرة المال، وكثرة الشح، وكثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور الفحش، والتخاصم والتباغض والتشاحن، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار. وتقارب الزمان، وقلة البركة في الأوقات، وانتفاخ الأهلة، وحدوث الفتن كقطع الليل المظلم، والتهاون بالسنن، وتشبه الشيوخ بالشباب . وكلام السباع والجمادات للإنس، وحسر ماء الفرات عن جبل من ذهب، وصدق رؤيا المؤمن . وما يقع من مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث تنفي الخبث فلا يبقى فيها إلا الأتقياء الصالحون، وعودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً، وخروج رجل من قحطان يدين له الناس . وكثرة الروم وقتالهم للمسلمين، وقتال المسلمين لليهود، وفتح روما كما فتحت القسطنطينية . و ترك الحكم بما أنزل الله إلى غير ذلك من العلامات الثابتة في الأحاديث الصحيحة .

علامات الساعة الكبرى :

هي التي تدل على قرب قيام الساعة فإذا ظهرت كانت الساعة على إثرها، وعددها عشر علامات . وهذه العلامات يكون خروجها متتابعا، فإذا ظهرت أولاها فإن الأخرى على إثرها وليس هناك نص صحيح صريح في ترتيب هذه العلامات ، وإنما يستفاد ترتيب بعضها من جملة نصوص .

يقول الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان :
ترتيب أشراط الساعة الكبرى فيه تفصيل فوقع فيه خلاف شديد بين أهل العلم، والساعة تأتي بغتة، ولو اتفق العلماء على ترتيب أشراط الساعة لزال أن تأتي بغتة .
يقول علماؤنا : أشراط الساعة الكبرى أشراط سماوية وأشراط أرضية، والذي يظهر أن العلامات الكبرى الأرضية مقدمة على علامات الساعة السماوية .
أول أشراط الساعة الأرضية (المهدي) ثم في أثناء المهدي يخرج (الدجال) ثم ينزل (عيسى) فيتعاون عيسى والمهدي على قتل الدجال، ويقتل الدجال في باب لُد، ويصلي عيسى عليه السلام مع الناس مأمومًا في الأقصى صلاة الفجر، ويخبر الناس بدرجاتهم في الجنة، ومدُ نفسهِ وبصره يسقط منه الكفار ثم يكون (يأجوج ومأجوج) بعد عيسى عليه السلام وعيسى عليه السلام يحرز العباد إلى الطور ولا يستطيع أن يقاوم يأجوج ومأجوج لأنهم أصحاب فتنة، يأكلون ميتتهم ويرمون بسهامهم إلى الناس فيقتلونهم ويقولون : قتلنا من في الأرض وسنقتل من في السماء، فيوجهون سهامهم الى السماء، فمن زيادة البلاء أن السهام تنزل مخضبة بالدماء، هذا في زمن يأجوج ومأجوج، وعيسى عليه السلام لا يقدر عليهم، وهذا درس للمسلمين، في كل فتنة لا يقدرون على مقاومتها أن يتضرعوا إلى الله بالدعاء وأن يلجؤوا إليه سبحانه وتعالى، فيدعو الله تعالى فيبعث الله عليهم (النغف) الدود في آساتهم أي أدبارهم وأنوفهم فيهلكونهم . فهذه أشراط الساعة الأرضية .

أما أشراط الساعة السماوية : (خروج الشمس من المغرب) وحينئذ لا تقبل التوبة، ومعنى هذا أن خروج الشمس من المغرب تتوافق مع خروج (الدابة) وأن خروج الدابة تكون بعد يأجوج ومأجوج . لماذا ؟ لأن الدابة تطبع على الناس هذا مؤمن وهذا كافر، ومعنى هذا مؤمن وهذا كافر أن لا تقبل التوبة . ومتى لا تقبل التوبة ؟ لما تخرج الشمس من مغربها . ولذا في صحيح الإمام مسلم يقول النبي صلى الله عليه وسلم : إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها . أي الآيات السماوية . قال إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها ثم قال عليه الصلاة والسلام في الحديث نفسه قال : وخروج الدابة على الناس ضحى . فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب . قال : وأيهما كان قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها . أيهما كانت قبل صاحبتها أي الشمس أو الدابة كانت الأخرى على إثرها . فهذا الترتيب الذي تكاد الكلمة تتفق عليه .

١- ظهور المهدي :

وهو محمد بن عبد الله من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، يخرج في آخر الزمان من قبل المشرق يملك سبع سنين . ويلي أمر هذه الأمة ويجدد لها دينها . يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجورًا ، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط ، تُخرج الأرض نباتها، وتُمطر السماء قطرها ، ويعطي المال بغير عدد .

عَنْ عبد الله بن مسعود ﷺ أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليومَ حتى يبعثَ الله فيه رجلا مِنِّي - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأُ الأرضَ قِسْطًا وعدلًا، كما مُلئت ظُلمًا وجَوْرًا . رواه أبو داود . صحيح الجامع

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في النهاية في الفتن والملاحم :

في زمانه تكون الثمار كثيرة والزروع غزيرة والمال وافر والسلطان قاهر والدين قائم والعدو راغم والخير في أيامه دائم .

وقال شيخ الإسلام : الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم .

٢- خروج المسيح الدجال :

والمقصود بالمسيح هنا مسيح الضلالة الذي يفتن الناس بما يجري على يديه من الآيات ، كإنزال المطر وإحياء الأرض، وبما يظهر على يديه من عجائب وخوارق للعادات وهي أعظم فتنة . وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر خروج الدجال في آخر الزمان والتحذير منه، حيث وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته وصفًا دقيقًا لا يخفى على ذي بصيرة ، كما حذر منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله أممهم ووصفوه لهم أوصافًا ظاهرة .

عن أَنَس بْنُ مَالِكٍ ﷺ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ . رواه البخاري

وفي رواية مسلم : مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر .

وعن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يخرجُ الدجّالُ فيتوجّه قِبَلَه رجلٌ من المؤمنينَ، فتلقّاهُ المسالحُ مسالحُ الدجّالِ، فيقولونَ له : أين تعمدُ ؟ فيقولُ أعمدُ إلى هذا الّذي خرجَ . قال : فيقولون له : أوَ مَا تُؤمنُ بربِّنَا ؟ فيقولُ : ما بربِّنا خفاءٌ، فيقولون : اقْتلوه، فيقولُ : بعضُهم لبعضٍ : أليس قد نهاكم ربُّكم أن تقتلوا أحدًا دونه ؟ قال : فينطلقون به إلى الدجّالِ، فإذا رآه المؤمنُ قال يا أيُّها الناسُ! هذا الدجّالُ الذي ذَكَر رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال : فيأمرُ الدجّالُ به فيشبحُ فيقولُ : خذوه وشُجُّوه فيُوسعُ ظهرَه وبطنَه ضرباً، قال : فيقولُ أو ما تؤمنُ بي ؟ قال : فيقولُ أنت المسيحُ الكذّابُ، قال : فيُؤمرُ به فيُؤشرُ بالمئشارِ من مفرقِه حتّى يفرقَ بين رجلَيْه قال : ثمّ يمشي الدجّالُ بين القطعتينِ، ثمّ يقولُ له : قُمْ، فيستوي قائمًا، قال : ثمّ يقولُ له : أتؤمنُ بي ؟ فيقولُ ما ازددتُ فيك إلا بصيرةً، قال : ثمّ يقولُ : يا أيُّها الناسُ ! إنه لا يفعل بعدي بأحدٍ من الناسِ قال : فيأخذُه الدجّالُ ليذبحَه، فيجعلُ ما بين رقبتِه إلى ترقوتِه نُحاسًا فلا يستطيعُ إليه سبيلًا . قال : فيأخذُ بيديْه ورجلَيْه فيقذفُ به فيحسبُ الناسُ أنّما قذفه إلى النّارِ وإنّما أُلقيَ في الجنةِ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : هذا أعظمُ الناسِ شهادةً عندَ ربِّ العالمينَ . رواه مسلم

٣- نزول عيسى ابن مريم عليه السلام .

ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام حاكمًا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم عاملاً بها فيقتل الدجال ويكسر الصّليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويحكم بالإسلام وينشر العدل حتّى يفيض المال ويكثُر، ويكون نزوله على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق وتكون مجتمعة لقتال الدجال؛ فينزل وقت إقامة الصلاة يصلي خلف أمير تلك الطائفة .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : والذي نفسي بيده! ليوشكنَّ أن ينزلَ فيكُم ابنُ مريمَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حكَمًا مُقْسِطًا فيكسرَ الصّليبَ ويقتُلَ الخنزيرَ ويضعَ الجزيَةَ ويَفيضَ المالُ حتّى لا يَقبلَه أحدٌ .

ثمّ يقولُ أبو هُرَيرَةَ : اقرؤوا إن شِئتُم : وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ . رواه البخاري ومسلم

وروى أحمد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ . قال : هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة .

٤- خروج يأجوج ومأجوج .

وأصل تسمية يأجوج ومأجوج إلى الأجيج أي أجيج النّار . وقيل : لكثرتهم، وقيل : من الأُجاج وهو الماء شديد المُلوحة ويأجوج ومأجوج من ولد يافِث بن نوح باتّفاق النّسّابين . ويكون ظهور يأجوج ومأجوج بعد ظهور المسيح الدجّال، وبعد نزول عيسى بن مريم وبعد ظهورِ المهديّ، عندها يجوب يأجوج ومأجوج في البلاد مُفسدِين فيها، ويبقى الصّالحون مع عيسى عليه السّلام مُحتَمين في جبل الطّور حتّى يقضي الله أمره، ويُهلكَهم بعذابٍ من عنده، حتّى تنتشر جُثثهم في أرجاء الأرض، بعد ذلك يبعث الله مطرًا يُزيل تلك الجُثث، وينمو بعدها الزّرع وتغلّ الأرض .

قال تعالى : قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ الكهف

وقد بنى العبد الصّالح ذو القرنَين سدًّا عظيمًا بين أهل تلك المنطقة ويأجوج ومأجوج ولا يزال هذا السدّ قائمًا حتّى اليوم وهم يحاولون فتحه بين الفَينة والأخرى، ولكنّ مشيئة الله تحول بينهم وبين فتحه ، فإذا شاء الله وانهار السدّ ظهر يأجوج ومأجوج ، ودلَّ ذلك على اقتراب السّاعة .

قال تعالى : حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ الأنبياء

٥- طلوع الشمس من مغربها .

وإذا ظهرت تلك العلامة فلا ينفع الكافرَ إيمانُه، ولا العاصيَ توبتُه سواء رآها أو لم يرَها .

قال تعالى : يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴿١٥٨﴾ الأنعام

وجماهير المفسرين على أنها طلوع الشمس من مغربها .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ حِينُ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا . رواه البخاري ومسلم

٦- خروج الدابة .

تخرج من الأرض في آخر الزمان تكلم الناس وتسميهم مؤمنًا وكافرًا، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى ويكون خروجها بعد ظهور مُعظم علامات السّاعة الكبرى، وقبل طلوع الشّمس من مغربها وقيل رُبّما يكون بعدها .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق . يُخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك .

قال تعالى : وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ النمل

وعن ابن عباس ﷺ : معنى تكلمهم : تجرحهم بمعنى تكتب على جبين الكافر كافرًا وعلى جبين المؤمن مؤمنًا . وروي عنه أيضًا بمعنى تخاطبهم .

يقول العلامة عبد الرحمن بن سعدي فى تفسيره : وهي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلامًا خارقًا للعادة حين يقع القول على الناس وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانًا للمؤمنين وحجة على المعاندين .

قال الشيخ عبد الله بن سليمان الغفيلي فى أشراط الساعة :

ويتلخص عمل الدابة في الأمور التالية :

أ - أنها دابة تكلم الناس .

ب - أنها تسم المؤمن بعلامة وتجلو وجهه حتى ينير .

ج - أنها تسم الكافر بعلامة قيل : هي خطم الأنف فتجعل له أثرًا مثل أثر الخطام .

٧- الدُّخان الذي يكون في آخر الزمان .

وهو من أهمّ علامات السّاعة الكبرى وآخرها ظهوراً خروج دخان يغمر الأرض ؛ بسبب كثرة المعاصي وترك الحقّ، فيأخذ ذلك الدُّخان بالمؤمنين كالزّكمة بلا خوف ولا عناء، ويأخذ الكافر فينتفخ حتّى يخرج الدُّخان من كلّ مسمَع منه .

قال تعالى : فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ الدخان

٨- الخسوفات الثلاثة : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب

٩- النار التي تحشر الناس نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ﷺ قَالَ : اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ : مَا تَذَاكَرُونَ ؟ قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ : إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ . روى مسلم

الفرق بين أشراط الساعة الصغرى و أشراط الساعة الكبرى :

١- أشراط الساعة الصغرى تحدث قبل الساعة بأزمنة متطاولة، بينما أشراط الساعة الكبرى تحدث قبلها بقليل .

٢- أشراط الساعة الصغرى تتوالى على مدى طويل فتقع واحدة وراء واحدة ، بينما أشراط الساعة الكبرى تتعاقب كحبل خرز انقطع، فترى الخرزات تتوالى .

٣- أشراط الساعة الصغرى من نوع الأمور المعتادة كظهور الجهل وظهور الزنا،يعني ليست من الخوارق، التي يذهل فيها الناس إذا وقعت . بخلاف أشراط الساعة الكبرى أشياء غير معتادة الوقوع، منها يأجوج ومأجوج يخرجون فيمسحون الأرض، ويشربون بحيرة طبرية، والدجال معه جنة ونار، الدجال سرعته كسرعة الريح، ويأتي على الأرض يقول : أخرجي كنوزك، فتخرجها، وتتبعه كنوز الأرض، يأمر السماء أن تمطر، فتمطر، يأمر الأرض أن تخرج النبات، فتنبت بإذن الله، هذا غير معتاد، هذه قضية لا يتخيلها الناس، هذه قضية لو وقعت مذهلة جداً .

أحداث يوم القيامة :

١ - البعث :

وهو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم . وهو من أعظم أصول الإيمان وحقيقته أن الله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى المحشر لفصل القضاء . فسبحان من لا يعجزه شيء .

قال تعالى : وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ يس

وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ : إِذَا أَنَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا وأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي فَامْتَحَشَتْ فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا فَاذْرُوهُ فِي الْيَمِّ . فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ . رواه البخاري ومسلم

٢ - الحشر :

قال تعالى : وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ الكهف

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ صلى الله عليه وسلم : يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ . متفق عليه

وقد دلت النصوص أن هناك حشرًا آخر فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفداً والوفد هم القائمون الركبان

وقَرَأَ عَلِيٌّ رضى الله عنه هَذِهِ الآيَةَ : يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا . فَقَالَ : لاَ وَاللَّهِ مَا عَلَى أَرْجُلِهِمْ يُحْشَرُونَ وَلاَ يُحْشَرُ الْوَفْدُ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، وَلَكِنْ يُؤْتَوْنَ بِنُوقٍ لَمْ تَرَ الْخَلاَئِقُ مِثْلَهَا عَلَيْهَا رَحَائِلُ مِنْ ذَهَبٍ فَيَرْكَبُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَضْرِبُوا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ .

وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا .

٣ـ العرض والحساب :

وله معنيان عام وهو عرض الخلائق على ربهم لا تخفى عليه منهم خافية ويدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب .

قال تعالى : يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ الحاقة

وقال تعالى : وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٤٨﴾ الكهف

والمعنى الثاني عرض معاصي المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم . وأما الحساب فهو المناقشة .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُ فَيَقُولُ أَىْ رَبِّ أَعْرِفُ . قال فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ . فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ . روه البخاري ومسلم

٤ـ صحائف الأعمال :

بعد ما يخرج الناس من الأجداث كأنهم جراد منتشر مسرعين مهطعين إلى الداعي وقد خفتت كل حركة وخيم الصمت الرهيب حيث تنشر صحف الأعمال فيكشف المخبوء ويظهر المستور ويفتضح المكنون في الصدور ويكلم الله عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم ترجمان ويدعى الناس بأسمائهم وأسماء آبائهم .

عَنْ عَدِيٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ ثُمَّ يَنْظُرُ فَلاَ يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . متفق عليه

وتؤخذ صحائف الأعمال بعد الإنتهاء من الحساب والميزان، يأخذ كل أحد كتابه ويقرأ ما فيه، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره فكل يُعطى يوم القيامة كتابه وصحيفة أعماله التي عملها في الدنيا مكتوب فيها كل شيء .

قال تعالى : وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ الإسراء

وقال تعالى : وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ الكهف

٥ـ الميزان :

وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن فيه أعمال العبد فإن رجحت حسناته فاز وإن رجحت سيئاته على حسناته خاب وخسر . ولا يظلم ربك أحدًا . والوزن يكون بعد الحساب لأن المحاسبة هي لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها . واستفاضت النصوص من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان

قال تعالى : وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴿٤٧﴾ الأنبياء

وقال تعالى : فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ القارعة

مسألة : ما الذي يوزن في الميزان ؟

ثلاثة أشياء هي :

١ ـ الأعمال : لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلم :كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى اَلرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اَللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي اَلْمِيزَانِ، سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِه، سُبْحَانَ اَللَّهِ اَلْعَظِيمِ . روه البخاري

٢ ـ صحف الأعمال : لحديث البطاقة وفيه : فَتُوْضَعُ السِجلاتُ في كِفَّةٍ والبطاقَةُ في كِفَّةً فَطاشَتِ السّجِلاتُ وَثَقُلَتِ البِطاقَةُ ولا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ تعالى شَيْءٌ . روه أحمد . صحيح ابن ماجة

٣ ـ العامل نفسه : قال تعالى : فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ الكهف

٦ـ الصراط :

قال الشيخ ابن عثيمين فى شرح رياض الصالحين :

وهو جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف يمر الناس عليه على قدر أعمالهم بعد مفارقة الناس لموقف الحساب ؛ فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كهرولة الراجل ومنهم من يمشي مشيًا ومنهم من يزحف زحفًا ومنهم من يُخطف فيلقى في جهنم . نسأل الله السلامة والعافية . ولا يمر عليه إلا المؤمنون فقط أما الكافرون فإنهم يساقون في عرصات القيامة إلى النار .

٧- القنطرة :

بعد عبور المؤمنين على الصراط وقبل دخولهم الجنة يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا فإذا هذبوا أذن لهم بدخول الجنة . وقيل القنطرة من تتمة الصراط وقيل إنهما صراطان .

قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِن النَّار فيُحبَسُون علي قنطرة بَين الْجنَّة وَالنَّار، فَيُقْتَصُّ لبَعْضهم من بعض مظالم كَانَت بَينهم فِي الدُّنْيَا حَتَّى إذا هُذِّبوا ونقُّوا، أُذنَ لهم في دُخُول الْجنَّة، فوالذي نفسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ لأَحدهم أَهْدَى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا . رواه البخاري

٨- الشفاعة :

وحقيقتها أن الله تعالى بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة لبعض الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهارًا لكرامة الشافعين عنده ورحمة بالمشفوع فيهم . وقد دل على ذلك الكتاب والسنة .

قال تعالى : شَفَعَتِ الْمَلاَئِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . رواه البخاري ومسلم

ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين :

١- إذن الله تعالى للشافع أن يشفع :

قال تعالى : وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴿٢٣﴾ سبأ

٢- رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه :

قال تعالى : وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ الأنبياء

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لأُمَّتِهِ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيامَةِ. رواه مسلم

وقد ثبت لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم من الشفاعة عدة أنواع منها :

١ ـ الشفاعة العظمى في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم وهي المقام المحمود وهى مما اختص بها نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم كما جاء ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان

٢ ـ شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة .

٣ ـ شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم فى رفع درجات أهل الجنة في الجنة .

٤ ـ شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب .

٥ ـ شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم في تخفيف العذاب عمن استحقه .

٦ ـ شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة .

٧ ـ شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها .

٩- الحوض :

وهو مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم في المحشر يرده هو وأمته ويحرم على من ابتدع في الدين . وقد دل على ثبوته أحاديث صحيحة بلغت حد التواتر . وهو أشد بياضًا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحًا من المسك، عرضه وطوله سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعدد نجوم السماء .

قال تعالى : إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ الكوثر

وعن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو ﷺ قَالَ . قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا ، فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا . متفق عليه

وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ حَوْضِي لأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ إِلَى عَدَنَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَلَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ . رواه مسلم

وعن ثوبان ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صفة الحوض : يَصُبُّ فِيهِ مِيزَابانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الجَنَّةِ أَحَدُهُما مِنْ ذَهَبٍ والآخَرُ مِنْ وَرِقٍ . رواه مسلم

١٠ـ الجنة :

وهى دار النعيم والكرامة لأولياء الله المؤمنين المتقين الذين آمنوا بالله وبرسوله وبما جاء به ، وأطاعوا الله ورسوله مخلصين العبادة لله والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم . فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأعظم نعيم الجنة رؤية أهلها لربهم عز وجل . قال تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ القيامة

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن . لا تفنيان أبدًا وقد خلقهما الله تعالى قبل الخلق .

قال تعالى : تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ الرعد

وأعلى الجنة الفردوس وفوقه العرش ومنه تتفجر أنهار الجنة .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : فِى الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلاَهَا دَرَجَةً وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الأَرْبَعَةُ وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ . رواه أحمد والترمذى . وصححه الألبانى

وللجنة ثمانية أبواب وقد أعد الله لأهلها فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . قَالَ : قَالَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ مَالاَ عَيْنٌ رَأتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَت وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر . رواه البخارى ومسلم

١١ـ النـار :

وهي دار العذاب أعدها الله لأعدائه الكافرين الذين كفروا به وعصوا رسله من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين والملحدين والوثنيين . ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم ثم مآلهم إلى الجنة .

قال تعالى : وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ آل عمران

وقال تعالى : إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ النساء

وقال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴿٦﴾ البينة

وقال تعالى : إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴿٢٩﴾ الكهف

وقال تعالى : وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ فاطر

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تُشْرِكَ بِي . رواه البخارى ومسلم

كيفية الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر يكون على مرتبتين :

المرتبة الأولى : وهى الإيمان المجمل بأن هناك يومٌ سيبعث الناس فيه من جديد وهو يوم القيامة ولا يلزم من المسلم أن يعرف التفاصيل والتى تتوقف معرفتها على معرفة الدليل ويكفيه أن يؤمن إيمانًا عامًا بكل قضية تكون بعد الموت فإذا آمن بهذا القدر فقد حقق الإيمان باليوم الآخر وهذا الحد فرض وواجب على كل مكلف .

والقاعدة : كل ما أخبر به الدليل بعد الموت فيجب الإيمان به .

المرتبة الثانية : وهى الإيمان المفصل وهو أن يؤمن المسلم بكل ما علمه وسمعه من الكتاب والسنة من أحوال يوم القيامة وأمور الغيب وهذا يختلف فيه الناس بحسب علمهم .

من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر :

١ـ الإيمان بموت جميع المخلوقات، ولا يبقى إلا الله عز وجل .

٢ـ الإيمان بنعيم القبر عذابه وسؤاله .

٣ـ الإيمان بالبعث والحشر : وهو إحياء الموتى من قبورهم، وإعادة الأرواح إلى أجسادهم، فيقوم الناس لرب العالمين، ثم يحشرون ويجمعون في مكان واحد حفاة عراة كما خلقوا أول مرة .

قال تعالى : ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ المؤمنون

وقال تعالى : أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ المؤمنون

٥- الإيمان بالميزان والحوض والصراط .

قال تعالى : وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ الأنبياء

٦- الإيمان بالجنة وهي دار النعيم المقيم، أعدها الله للمؤمنين فيها جميع أنواع النعيم مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون

قال تعالى : وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل عمران

٦- الإيمان بالنار دار العذاب المقيم، أعدها الله للذين كفروا بالله ورُسله فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخطر على البال

قال تعالى : فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ البقرة

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

كما فى جوابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان فقَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ . رواه مسلم

٢- الزيادة من الأعمال الصالحة والحرص عليها رجاء ثواب ذلك اليوم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ . رواه مسلم

٣- الخوف من الله واجتناب المعاصى والسيئات

قال تعالى : وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴿٢٢٨﴾ البقرة

٤- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها .

قال تعالى : كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ آل عمران

٥-عدم تعلق القلب بالحياة الدنيا لأنها دار متاع، وأنها مرحلة من مراحل الحياة .

قال تعالى : أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ التوبة

٦- الإخلاص لله عز وجل ومتابعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال تعالى : فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ الكهف

٧- الحذر من الدنيا والصبر على شدائدها وطمأنينة القلب وسلامته .

قال تعالى : وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٧٧﴾ القصص

٨- الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله .

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ البقرة

٩- اجتناب الظلم بشتى صوره .

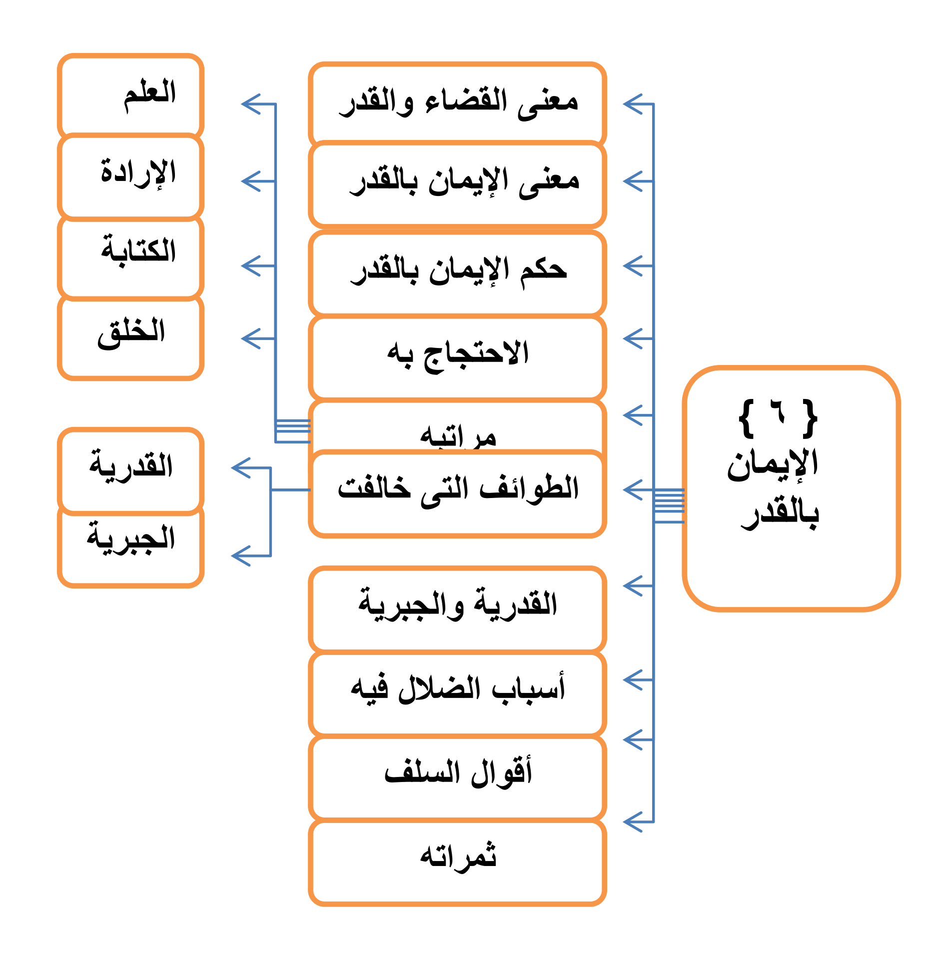
قال تعالى : وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ طه

١٠- حصول التقوى والفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ البقرة

١١- محاسبة النفس لأنه يعلم أنه ملاق جزاء عمله، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا، وأنه سيوقف للمحاسبة،

١٢- التخلق بالأخلاق الحسنة والصفات الحميدة كالصبر والإحتساب، والرضا، والعفو والبذل ، فالمؤمن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وليست دار للجزاء والنعيم، فيعفو عمن ظلمة، وينفق في سبيل الله تعالى، ويسعى إلى الخير ويقاوم الشر ذ


{ ٦ }
الإيمان
بالقدر
معنى القضاء والقدر
معنى الإيمان بالقدر
حكم الإيمان بالقدر
الاحتجاج به
مراتبه
الطوائف التى خالفت
القدرية والجبرية
أسباب الضلال فيه
أقوال السلف
ثمراته
العلم
الإرادة
الكتابة
الخلق
القدرية
الجبرية

الشعبة السادسة : الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر شعبة من شعب الإيمان وهو الركن السادس من أركان الإيمان الستة كما جاء في حديث جبريل المشهور عليه السلام عن الإيمان فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ . رواه مسلم . والقدر سر الله في خلقه لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ضلالة لأن الله تعالى طوى علم القدر عن خلقه .

قال تعالى :لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ الأنبياء

والإيمان بالقدر من أعظم مسائل العقيدة التى هى أشرف العلوم ، وأعظمها وأهمها . والتى جاء بها الكتاب والسنة سهلة جلية تقنع العقول وتسكن النفوس وتغرس الإعتقادات الصحيحة الجازمة في القلوب . موافقة للفطر القويمة والعقول السليمة، وسالمة من التناقض والإضطراب واللبس والغموض، فألفاظها سلسة ومعانيها واضحة يفهمها العالم والعامي والصغير والكبير . شأنها شأن غيرها من سائر أبواب الإعتقاد من حيث الوضوح والبيان، وأهل السنة والجماعة يعتقدون إعتقادًا جازمًا بأن كل خير وشر يكون بقضاء الله وقدره وأن الله تعالى فعال لما يريد، لا يخرج عن مشيئته وتدبيره شئ . علم ما كان وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وقدر المقادير حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته، وعلم أحوال عباده أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وجميع شؤونهم . فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته .

معنى القضاء والقدر :

لغة : يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة :

معنى كلمة قضى : القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، وهذا المعنى واضح الدلالة جدًا في علاقته بالقضاء والقدر . وهو الإحاطة بمقدار الشيء، تقول قدرت الشيء أقدره قدرًا إذا أحطت بمقداره .

إصطلاحا :

يقول الشيخ ابن عثيمين فى رسائل في العقيدة : القدر هو تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته .

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد فى الإيمان بالقضاء والقدر :

من أجمع التعاريف : قول الدكتور عبد الرحمن المحمود فى القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة :

هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه بأنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته له، ثم وقوع هذه الأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته وخلقه لها سبحانه وتعالى .

مسألة : هل هناك فرق بين القضاء والقدر ؟

لا يوجد دليل واضح في الكتاب والسنة يدل على التفريق بينهما، وقد وقع الإتفاق على أن أحدهما يصح أن يطلق على الآخر، ولفظ القدر أكثر ورودًا في نصوص الكتاب والسنة . ولعل الأقرب أنه لا فرق بين القضاء والقدر في المعنى فكلٌ منهما يدل على معنى الآخر؛ فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر ويعبر عن كل واحد منهما كما يعبر عن الآخر؛ فهما مترادفان بهذا الإعتبار، فيقال : هذا قدر الله . ويقال : هذا قضاء الله . ولفظ القضاء والقدر لم ترد مجتمعة في الكتاب والسنة .

قال ابن عثيمين رحمه الله :

القضاء والقدر اسمان مترادفان إن تفرقا فهما بمعنى واحد، وإن اجتمعا، فالقضاء لله أن يحكم به بوقوعه، والقدر ما كتبه الله تعالى في الأزل .

المقصود بالإيمان بالقضاء والقدر :

يقول الدكتور عبد العزيز عبد اللطيف فى الإيمان بالقدر :

هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره، وأنه الفعّال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، ليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا مَحيد لأحد عن القدر المقدور في اللوح المسطور، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد وخالق الطاعات والمعاصي، ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم، وهو خالقهم وخالق قدرتهم يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون . خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلًا، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلًا، فهو سر استأثر به وعِلمٌ حجبه عن خلقه .

وأهل السنة يقولون : الإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور وتسمى : مراتب القدر أو أركانه، وهذه الأمور هي المدخل لفهم مسألة القدر ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيق جميع أركانه؛ لأن بعضها مرتبط ببعض؛ فمن أقر بها جميعا اكتمل إيمانه بالقدر،ومن انتقص واحداً منها، أو أنكره فقد اختل إيمانه بالقدر .

والإيمان بالقضاء والقدر على درجتين :

الإيمان الإجمالي بأن يؤمن العبد بأن كل ما يحدث في الكون بتقدير الله جل جلاله، وأن الله سبحانه يعلم كل شيء . والإيمان المفصل بأن يؤمن العبد بمراتب القدر :

مراتب القدر أربعة وهى :

المرتبة الأولى : مرتبة العلم :

وهي أن تؤمن بأن الله تعالى عالم بكل شئ، علم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون . جملة وتفصيلاً، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل خلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، وعلم الشقي منهم والسعيد وذلك بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا .

قال تعالى :إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ التوبة

وقال تعالى : لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ الطلاق

وقال تعالى :وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ الأنعام

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ . رواه مسلم

المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة :

وهي أن تؤمن بأن الله تبارك وتعالى كتب مقادير كل شيء إلى قيام الساعة، فكل شيء مكتوب عند الله في لوح محفوظ لا يتبدل ولا يتغير . قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .

قال تعالى : مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍ ﴿٣٨﴾ الأنعام

وقال تعالى : وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ يس

وقال تعالى : مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ الحديد

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قال وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ . رواه مسلم

وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً . متفق عليه

المرتبة الثالثة : الإرادة والمشيئة :

أن تؤمن بأن كل ما يجري في هذا الكون فهو بإرادة الله ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . لا يخرج عن إرادته شيء، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد وهو على كل شيء قدير . يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته لا يُسئل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون .

قال تعالى :وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ التكوير

وقال تعالى :إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ يس

وأجمع المسلمون على هذه الكلمة العظيمة : ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن .

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ . رواه مسلم

إرادة الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة نوعان :

الأولى : الإرادة الكونية وهي مرادفة للمشيئة .

قال تعالى :فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿١٢٥﴾ الأنعام

قال تعالى :إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ يس

الثانية : الإرادة الشرعية وهي مختصة بما يحبه الله ويرضاه .

قال تعالى : وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ النساء

قال الشيخ ابن عثيمين فى شرح العقيدة السفارينية :

الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد فما أراده الله كوناً فلا بد أن يقع ، والإرادة الشرعية لا يلزم فيها وقوع المراد أي أن الله قد يريد الشيء شرعاً وقد لا يقع .

فإذا وقعت الطاعة فقد أرادها الله إرادة كونية بمعنى قدرها وشاءها، وأرادها إرادة شرعية بمعنى أحبها ورضيها . وإذا وقعت المعصية فقد أرادها سبحانه إرادة كونية بمعنى قدرها وشاءها، وليس إرادة شرعية فهو يبغضها ولا يرضاها .

مسألة : الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية .

١- الإرادة الكونية تتعلق بما يحبه الله ويرضاه، وبما لا يحبه ولا يرضاه .
أما الإرادة الشرعية تتعلق بما يحبه الله ويرضاه .
٢- الإرادة الكونية لا بد من وقوعها فالله إذا شاء شيئًا وقع ولا بد .
بخلاف الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع كالإيمان والطاعات .
٣- الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس، لتحصل بسببها أمور محبوبة لله كالتوبة والاستغفار
أما الإرادة الشرعية فهى مقصودة لذاتها كالطاعات فالله تعالى أرادها وأحبها ورضيها لذاتها .
٤- الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه .
أما الإرادة الشرعية متعلقة بألوهية الله وشرعه .
٥- الإرادة الكونية شاملة لا يخرج عنها أحد فكل الحوادث الكونية داخلة في مراد الله ومشيئته وتقديره ويشترك فيها أهل طاعته وأهل معصيته .

المرتبة الرابعة : الخلق

وهي أن تؤمن بأن الله خالق كل مخلوق لا خالق غيره ولا رب سواه وأنه خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته فهو سبحانه وتعالى خالق العباد وأفعالهم وأن كل ما يجري من خير وشر وكفر وإيمان وطاعة ومعصية شاءه الله وقدره وخلقه .

قال تعالى : وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ الصافات

قال تعالى :ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴿١٠٢﴾ الأنعام

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي . متفق عليه

فيجب الإيمان بهذه المراتب الأربعة عند أهل السنة والجماعة لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئًا منها لم يحقق الإيمان بالقدر .

حكم الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان العبد إلا بها وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال تعالى :إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ القمر

عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريلُ عليه السلام عَنِ الإيمَانِ، قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . متفق عليه

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ . رواه الترمذي . صحيح الجامع

وعن زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا، دَخَلْتَ النَّارَ . رواه أحمد . صحيح الجامع

مسألة : ما المقصود بالنهيُ عن الخوضِ في القدرِ ؟

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا . رواه الطبراني . السلسلة الصحيحة

قال الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود :

قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، فما معنى وجوب الإمساك عن ذكر الصحابة ؟ هل معنى ذلك أننا لا نتحدث عن الصحابة وأنسابهم وأسمائهم وجهادهم وأحوالهم وأقوالهم .. إلى آخره ؟ الواضح أن المقصود : إذا ذكر الصحابة بباطل، وصار الناس يخوضون فيهم بين مخطئ لهم وقائل فيهم بما لا يجوز، وخاصة ما جرى بينهم رضي الله عنهم فهذا من الخوض الذي لا يجوز، فلا نخوض فيهم بالباطل . كذلك أيضًا القضاء والقدر، فمعرفته ومعرفة الأدلة حوله، وأنه ركن من أركان الإيمان، وما يقوي الإيمان فيه، هذه من المسائل المتعلقة بالقدر التي يجوز الخوض فيها بل مما يزيد الإيمان فيها أن يدرسها الإنسان ويتعمق فيها . لكن إذا جاء خائض ليخوض في باب القدر بالباطل، ويأتي ليقول : لماذا قدر الله ؟ لماذا كذا ؟ ثم يأتي محتجًا ومعترضًا . . إلى آخره، ففي هذه الحالة ينطبق عليه قول النبي : وإذا ذكر القدر فأمسكوا . انتهى
فالكلامُ في القدرِ لبيانِ وجوبِ الإيمانِ به، وذِكْرِ الأدلّةِ على ذلك لا بدَّ منه؛ إذن الخوضُ في القدرِ لبيانِ الحقِّ وما يجبُ من الإعتقادِ، والرد على الفرق المنحرفة فى هذا الباب ليس منهى عنه ، بل هذا مِنَ الكلامِ المشروعِ، ومِنَ العلمِ النافعِ؛ لتحصيلِ الفرقانِ بين الحقِّ والباطلِ . أما الخوضُ على غيرِ بصيرةٍ بلا علم ولا دليل ولا لغاية شرعية فهذا من الخوض في القدر بالباطل .

مسألة : متى يصح الإحتجاج بالقدر ؟

الإحتجاج بالقدر له ثلاث حالات حالتن يشرع فيهما وهما :

١- عند وقوع المصائب التي تحل بالإنسان كالفقر والمرض والموت وخسارة المال وهذا من الإيمان وتمام الرضا بالله ربًا .
٢- إذا أذنب العبد ثم تاب وندم واستقام حينئذ يكون الإحتجاج بالقدر جائز .
٣- أما الحالة الثالثة التى يحرم فيها الإحتجاج بالقدر عند ارتكاب المعاصي، أو ترك الطاعات فهذا احتجاج باطل في الشرع والعقل والواقع . وهو مذهب المشركين الذين احتجوا على شركهم بالقدر فقالوا: لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ . الأنعام . فرد الله عز وجل على احتجاجهم الفاسد فقال : هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ . أى هل عندكم دليل على صحة الإحتجاج بالقدر على الوقوع في الشرك والمعصية ؟ فسمى الله الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية والشرك سماه تكذيبًا فقال تعالى : كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ الأنعام

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى :

وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج بالقدر، ونفس المحتج إذا اعتدي عليه واحتج المعتدي عليه بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض ، وتناقض القول يدل على فساده ؛ فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول .
والإحتجاج بالقدر على المعاصي وترك الطاعات والواجبات يترتب عليه تعطيل الشرائع والحساب والمعاد والثواب والعقاب .

مسألة : هل للعبد إرادةٌ ومشيئةٌ ؟

نعم العبد له إرادةٌ ومشيئةٌ، ولكنها مقيّدةٌ وتابعةٌ لمشيئةِ الله تعالى .

قال تعالى : تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ الأنفال

وقال تعالى : وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ التكوير

فأثبت الله عز وجل للعبد قدرة واختيارًا، وإرادة، ومشيئة، وأثبت لنفسه إرادة ومشيئة، فللعبد مشيئة يمكنه من خلالها أن يختار الطاعة أو المعصية، لكن إرادة العبد ومشيئته لا تخرج عن إرادة الله ومشيئته . ومشيئةُ المخلوقِ قد يحصلُ مُقتضاها وقد لا يحصلُ . أمَّا الخالقُ فما شاءَه فلا بدَّ أن يكون، وما لا يشاءه فلا يكون ألبتة لأنّه سبحانه لا يُعجزُه شيءٌ .

قال تعالى : وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٤٤﴾ فاطر

كيفية تحقيق الإيمان بالقدر :

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد فى الإيمان بالقضاء والقدر :

على العبد أن يؤمن بأن الله كتب مقادير الخلائق فلا يقع شيء إلا بعلمه ومشيئته وخلقه . وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن أفعال الله كلها عدل ورحمة وحكمة . وأن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض ويمشي في مناكبها، فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله، وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره ؛ وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وأن مشيئة الله عز وجل نافذة وقدره سبحانه ليس فيه ظلم لأحد، وأن للعبد مشيئة واختيارًا بها تتحقق أفعاله، وأن مشيئة العبد وقدرته غير خارجة عن قدرة الله ومشيئته، فهو الذي منح العبد ذلك وجعله قادراً على التمييز والإختيار : وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين . وأن العقل لا يمكنه الإستقلال بمعرفة القدر، فالقدر سر الله في خلقه فما كشفه الله لنا في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم علمناه وصدقناه وآمنا به، وما سكت عنه ربنا آمنا به وبعدله التام وحكمته البالغة، وألا ننازع الله في أفعاله وأحكامه بعقولنا القاصرة وأفهامنا الضعيفة . وليعلم العبد من حيث الجملة أن لله فيما خلق وما أمر به حكم عظيمة، وكلما ازداد علمًا وإيمانًا ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه .

الطوائف التى خالفت الحق في القدر :

١ ـ الجبرية :

فرقة من الفرق الضالة التي يجب تحذير الناس منها . وهم أتباع الجهم بن صفوان

معنى الجبر : هو القهر والقسر وإجبار الناس وإرغامهم على فعل الشيء من غير إرادةٍ أو مشيئة لهم

سبب التسمية : لأنهم يقولون إن العبد مُجبَر على أفعاله، ولا اختيار له، وأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وأن الله سبحانه أجبر العباد على الإيمان أو الكفر { الملل والنحل للشهرستاني }

مذهبهم : يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله وحركاته لا اختيار له، وإنما الأفعال لله سبحانه؛ فهو الذي يفعل به ما يفعله، فإذا آمن العبد أو كفر فإن الإيمان أو الكفر الذي وقع منه، والطاعة أو المعصية، ليست فِعلَه إلا على سبيل المجاز، وإنما الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه؛ لأن العبد لا يستطيع أن يغير شيئًا من ذلك ويزعمون أن العبد مسيَّر، فهو كالريشة في مهَبِّ الريح، ويكفيه في مسألة الحساب والجزاء أن يؤمن بالله تعالى بقلبه فقط فلا حساب على العبد إلا بما يتعلق بالمعرفة في القلب، مهما فعل من الكفر والمعاصي حتى الشرك، تعالى الله عما يقولون! فمن أشرك بالله عندهم ما دام عارفًا بالله فهو مؤمن ! فمن عرَف الله سبحانه نجا، ومن أنكر الله هلك، ولا شك أن مذهب الجَبريَّة مِن أخبث المذاهب وأبطلِها على الإطلاق لأنه يجعل الله تعالى ظالمًا لعباده، تعالى الله عما يقول غلاة الجَبريَّة علوًّا كبيرًا .

٢ ـ القدرية :

فرقة من الفرق الضالة التي يجب تحذير الناس منها .

نشأتهم : وهم أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من المعتزلة ومن وافقهم .

يقولون لا قدر والأمر أنف أي مستأنف، أي ينفُون قدر الله تعالى فجعلوا العبد يستقل بأفعاله ويخرجونها من إرادة الله ومشيئته وأن العبد له إرادة مستقلة .

معنى القدرية : هو نفي القدر وإنكاره .

سبب التسمية : سميت القدرية لأنهم نفوا القدر، فنُسبوا إِلَى الشيء الذي نفوه .

مذهبهم : القدريَّة نوعان :

قال ابن عثيمين رحمه الله كما في مجموع الفتاوى : والقدرية فرقتان : غلاة، وغير غلاة .

فالغلاة : ينكرون علم الله تعالى ـ أى أن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه ـ وينكرون إرادته، وخلقه لأفعال العبد .وهؤلاء انقرضوا أو كادوا .

وغير الغلاة : يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله، وقدرته، وخلقه ـ أى يجعلون العبد خالق فعل نفسه ـ وهو الذي استقر عليه مذهبهم .

فقالوا : العبد الذي يخلق فعل نفسه وليس لله فيها تصرف، وأن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقين وأوصافهم، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وكذبوا على الله عز وجل .

قال تعالى :وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ الصافات

وقال تعالى : مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴿٢٢﴾ الحديد

فهذه الآيات واضحة في الرد على هذه العقيدة الفاسدة.

مسألة : لماذا تسمى القدرية مجوس هذه الأمة ؟

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ . صحيح أبي داود للألباني

القدرية سُموا مجوس هذه الأمة، لأن المجوسية ديانة وثنية ثنوية ألهوا إلهين، إله النور وهو الذى يخلق الخير، وإله الظلمة وهو الذى يخلق الشر، أرادوا بذلك تنزيه الإله عن خلق الشر، فأوجدوا للشر إلهاً آخر غير الإله الذي يخلق الخير، فسار على دربهم القدرية فقالوا : إن الله عز وجل أراد الخير وخلقه، وأما الشر فهو من إرادة الإنسان ومن إنشائه وفعله، فهو خالق لفعل نفسه كما يقولون، فجعلوا لأفعال العبد خالقين، فالطاعات والقربات خالقها الله، والشر والمعاصي خالقها الإِنسَان .

أجمع أهل السنة عَلَى أن الله تعالى خالق أفعال العباد خيرها وشرها

قال تعالى : وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ الصافات

قال أبو سليمان الخطابي فى معالم السنن :

إنما جعلهم صلى الله عليه و سلم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة يزعمون إن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية ، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله عز وجل والشر إلى غيره والله سبحانه خالق الخير والشر لا يكون شيء منهما إلاّ بمشيئته . وخلقه الشر شراً في الحكمة كخلقه الخير خيراً ، فالأمران معاً مضافان إليه خلقاً وإيجاداً وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتساباً .

الفرق بين القدرية والجبرية :

القدرية عندهم تشدد وتنطّع فعظموا الأمر والنهي، وأخرجوا أفعال العباد عن كونها خلقاً لله .

الجبرية عندهم إهمال وضياع، فأثبتوا القدر واحتجوا به على إبطال الأمر والنهي .

القدرية جعلوا من العبد ندّاً لله؛ أى أن العبد يفعل ما يريد دون إرادة الله عزّ وجلّ ودون مشيئته والعياذ بالله .

الجبرية زعموا أن العبد مجبور على فعله ولا اختيار له ولا إرادة وأنّ الفاعل لكلّ شيء هو الله عز وجل .

فالجبرى أسوأ من القدرى لأنّه يهدم أوامر الدين وعقائده، ويُخلي نفسه من المسؤولية أمام الله من كلّ جريمة يرتكبها ؛ فلو زنا أو سرق أو قتل يقول : أنا مجبور ؛ أنا معذور .

أسباب الضلال في القدر :

يقول الشيخ عمر سليمان الأشقر فى كتاب القضاء والقدر :

والسبب في ضلال كل من القدرية النفاة والقدرية المجبرة أن كل واحد من الفريقين رأى جزءًا من الحقيقة وعمي عن جزء الآخر ، فكان مثله مثل الأعور الذي يرى أحد جانبي الشيء ولا يرى الجانب الآخر ، فالقدرية نفوا القدر وقالوا : إن الله لا يريد الكفر والذنوب والمعاصي ولا يحبها ولا يرضاها ، فكيف نقول إنه خلق أفعال العباد وفيها الكفر والذنوب والمعاصي .

وأما الجبرية آمنوا بأن الله خالق كل شيء ، وزعموا أن كل شيء خلقه وأوجده فقد أحبّه ورضيه .

مذهب أهل السنة والجماعة فى القضاء والقدر :

يقول الشيخ صالح الفوزان فى التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية :

أهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية فى القضاء والقدر، فقالوا : إن العبد له اختيار ومشيئة، يفعل باختياره ولكنه لا يخرج عن قضاء الله وقدره، فأفعاله خلق الله وهي فعله وكسبه، فهو الذي يفعل المعاصي ويفعل الطاعات، ولكن الله هو المقدر، لذلك العبد يعاقب على معصيته، ويثاب على طاعته، ولو كان يفعل هذا بغير اختياره ما حصل على الثواب ولا العقاب . فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون .

ومعتقد أهل السنة : أن أفعال العباد تنسب إلى الله عز وجل خلقًا وإيجادًا وتقديرًا و تنسب إلى العباد اكتسابًا واقترافًا وتحصيلًا

بعض المناظرات مع القدرية :

١- يروى أن أعرابيًا أضل ناقته فجاء إلى عمرو بن عبيد أحد شيوخ القدرية فقال : إن ناقتي قد سرقت فادع الله أن يردها علي . فرفع عمرو بن عبيد يديه وقال : اللهم إن ناقة هذا سُرِقتْ ولم تُرِدْ أن تسرق فأمسك الأعرابي يديه وقال : الآن ضاعت ناقتي يا شيخ، قال له : ولِمَ ؟ قال : لأنه إذا أراد ألا تسرق فسُرقت فلا آمن أن يريد رَدَّها فلا تُرَدْ ؛ فوجم عمرو بن عبيد ولم يجد جوابًا .

٢ ـ دخل القاضي عبد الجبار الهمذاني أحد شيوخ المعتزلة على الصاحب بن عباد وعنده أبو إسحاق الإسفراييني أحد أئمة السنة فلما رأى الإسفراييني قال : سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الإسفراييني : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال القاضي : أيشاء ربُنا أن يُعصى ؟ قال الإسفراييني : أيُعصى ربُنا قهراً ؟ قال القاضي : أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليَّ بالردى أحسن إليَّ أم أساء ؟ قال الإسفراييني : إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء ، فبُهت القاضي عبد الجبار .

أقوال السلف فى الإيمان بالقدر :

قال ابن حجر : مذهب السلف قاطبة أن الأمور كلَّها بتقدير الله تعالى .
قال الحسن : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختار الله له .
وقال بعض السلف : لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب إلي من أن أقول لشيئ قضاه الله ليته لم يقضه .
وقال عمر بن عبدالعزيز : أصبحت وما لي سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر .
وقال ابن عباس ﷺ : القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده . وقال : كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك .
سئل أحمد رحمه الله عن القدر فقال : القدر قدرة الله . أى من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله جل وعلا .
قال ابن القيم فى شفاء العليل تعليقاً على هذه الكلمة : واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدًا، وقال : هذا يدل على دقة علم أحمد وتَبَحُّره في معرفة أصول الدين . وهو كما قال أبو الوفاء فإنَّ إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد ، وكتابتها، وتقديرها .

من ثمرات الإيمان بالقدر :

١ـ تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
جواب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان فقَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ . رواه مسلم
٢ـ سكون القلب وطمأنينة النفس وراحة البال وترك التحسر على ما فات .
عن ابنِ عباسٍ ﷺ قَالَ : كنت خلف النَّبيّ صلى الله عليه وسلم يوماً فَقَالَ : وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِنِ اجتَمَعُوا عَلَى أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ . رواه أحمد و الترمذي . صححه الألبانى
٣ـ حصول الهداية وزيادة الإيمان .
قال تعالى : وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ محمد
قال تعالى : مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴿١١﴾ التغابن
قال ابن الجوزي فى زاد المسير : قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من قِبلِ الله تعالى فيسلِّم ويرضى .
٤ـ المجاهرة بالدعوة والصدع بالحق أمام الكفرة والظالمين والثبات في ساحات الجهاد لأن المؤمن يوقن أن الآجال مقدرة .
قال تعالى : إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ القمر
٥ـ تحقيق عبودية الصبر على الأقدار المؤلمة لأن العبد إذا علم أنها من عند الله هانت عليه المصيبة .
قال تعالى :مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴿٢٣﴾ الحديد
٦ـ الإنفاق والتصدق والجود لأن المؤمن بالقدر يعلم علم اليقين بأن الله هو الرزاق .
قال تعالى : قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ سبأ

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرُمَ . صحيح ابن ماجة

٧- السلامة من الحسد ومن الإعتراض على أحكام الله وأقداره .

قال تعالى : أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ النساء

٨- بيان حكمة الله عز وجل فيما يقدره من خير أو شر .

قال تعالى : وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ البقرة

٩- الخوف من الله والحذر من سوء الخاتمة ؛ إذ لا يدري ما يُفعل به ، ولا يأمن مكر الله .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ حدثنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ : إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا . رواه البخارى و مسلم

١٠- إحسان الظن بالله فالمؤمن حَسَنُ الظن بالله قويُّ الرجاء به لعلمه بأن الله لا يقضي قضاءً إلا وفيه خيرًا له .

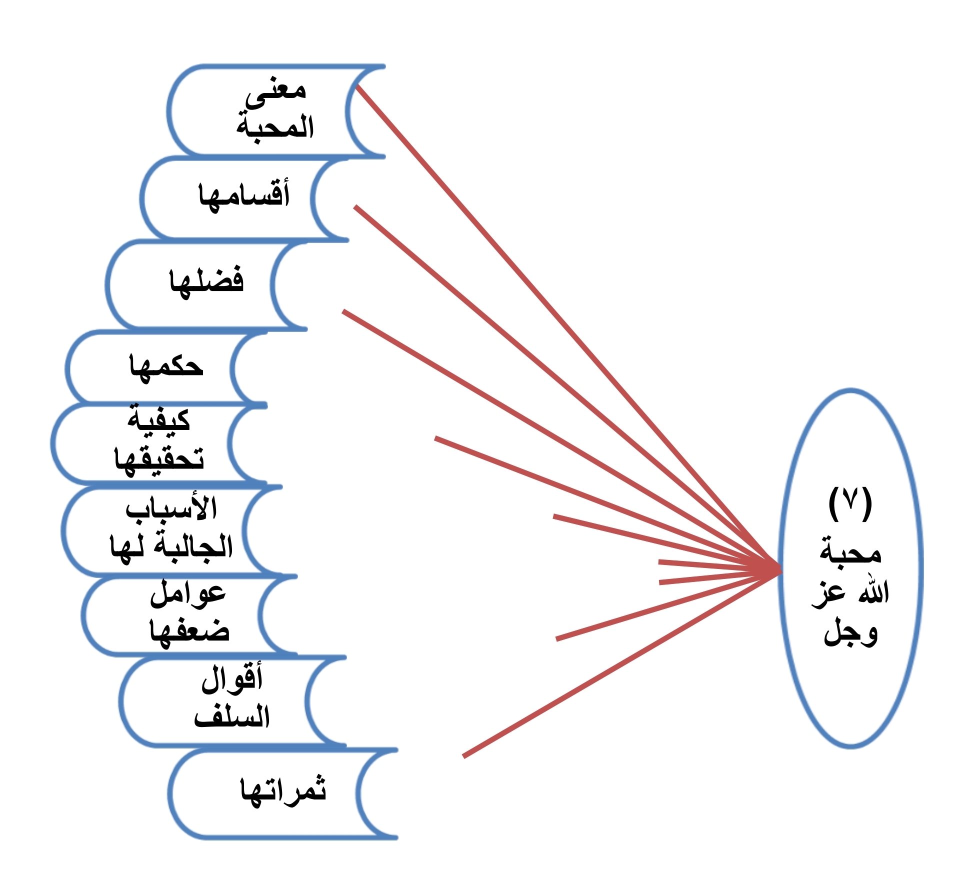
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ إِنَّ اللهَ لَمْ يَقْضِ لَهُ قَضَاءً إِلاَّ كَانَ خَيْرًا لَهُ . رواه أحمد . صحيح الجامع

١١- حصول التوكل واليقين وكلما كان إيمانه بالقدر أتم كان توكله ويقينه أكمل .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ـ قال ـ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ . رواه مسلم

١٢- العمل والسعي بنشاط فى طاعة الله عز وجل .

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَومٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلاَّ وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . قَالَ : فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلِمَ نَعْمَلُ ؟ قَالَ: اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ : أَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى . رواه البخارى و مسلم


معنى المحبة
أقسامها
فضلها
حكمها
كيفية تحقيقها
الأسباب الجالبة لها
عوامل ضعفها
أقوال السلف
ثمراتها
(٧)
محبة الله عز وجل

الشعبة السابعة : محبة الله عز وجل

محبة الله عز وجل شعبةٌ من شُعَب الإيمان، وعبادة قلبية من أجل العبادات، وقربة من أشرف القربات يتقرب بها العبد إلى رب الأرض والسماوات، وطاعةٌ من أفضل الطاعات التى لها آثارها العظيمة فى تزكية النفوس ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات، وهى أصل التوحيد وشرط الإيمان وأصل كل الأعمال، وهي سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة . ومحبة الله عز وجل من أجلّ مقامات العابدين وأعظم منازل السائرين من حُرمها كان من جملة الأموات، وهي النورُ الذي من فقَده غرق في بحار الظلمات، وهي اللذةُ التي من فقدها توالت عليه الهموم والآلام، وهي الجالبة للأعمال المحقِّقةُ للآمال الموصلة إلى أعلى المقامات . فشأنها عظيم وأمرها جليل ومكانتها في دين الله رفيعة، ولذلك كان من دعاء نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وأَسْألُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ . صحيح الترمذي

يقول ابن القيّم رحمه الله فى الجواب الكافي :

المحبّة هي حياة القلوب وغذاء الأرواح وليس للقلب لذّة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلّا بها . وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمّه، واللّسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبّة فاطره وبارئه وإلهه الحقّ أعظم من فساد البدن إذا خلا من الرّوح، وهذا الأمر لا يصدّق به إلّا من فيه حياة .

معنى محبة الله عز وجل :

هي إيثار محبته تبارك وتعالى على ما سواه بالتزام أوامره واجتناب نواهيه واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في كل كبير وصغير وسلوك طريق المحبين والتحزب لأهل محبته ونصرتهم ومودتهم وصرف المحبة الإيمانية لكل محبوب لله والبعد عن كل ما يسخط الله وينافي محبته .

أقسام المحبة :

يقول الشيخ محمد إبراهيم الحمد فى رسالة الإيمان بالله : أقسام المحبة ثلاثة :

١ـ محبة عبادة : وهي محبة التذلل والتعظيم، وأن يقوم بقلب المُحبِّ من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي امتثال أمره، واجتناب نهيه وهى أصل الإيمان والتوحيد، فمَنْ صرفها لله فهو الموحد، ومن صرفها لغيره فقد وقع في المحبة الشركية .

٢ـ محبة لله تعالى : كمحبة ما يحبه الله من الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأعمال ونحوه؛ فهذه المحبة تابعة لمحبة الله تعالى

٣ـ محبة طبيعية : ويدخل تحت هذه المحبة :

أـ محبة إشفاق ورحمة : كمحبة الوالد لولده، وكمحبة المرضى والضعفاء .

ب ـ محبة إجلال وتعظيم دون عبادة : كمحبة الولد لوالده والتلميذ لمعلمه والطالب لشيخه .

جـ ـ محبة الإنسان ما يلائمه : كمحبة الطعام والشراب والنكاح واللباس والأصدقاء، ونحوه. وهذه إن أعانت على طاعته دخلت في باب الطاعة ، وإن صدت عن محبة الله، دخلت في المنهيات وإن لم تُعِن على طاعة ولا معصية كانت في دائرة المباحات .

بعض فضائل محبة الله تعالى من الكتاب والسنة :

قال تعالى :يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ المائدة

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَقَالَ : مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ فَقَالَ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . رواه البُخَارِي ومسلم

قَالَ أَنَسٌ ﷺ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ . رواه البُخَاري

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يَكْرَهَ الْعَبْدُ أَنْ يَرْجِعَ عَنِ الإِسْلاَمِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ، وَأَنْ يُحِبَّ الْعَبْدُ الْعَبْدَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ . رواه مسلم

كيفية تحقيق المحبة :

تحقيق المحبة التامة تستلزم موافقة المحبوب في ما يحب وما يكره وولاية من يواليه وعداوة من يعاديه ثم محبة ما يحبه محبوبه وبغض ما يبغضه، وأن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه، وأن يأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فمن فعل فهو الموافق لمحبوبه . والله تعالى يحب المؤمنين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب التوابين ويحب المتطهرين . ويحب أهل طاعته، والعبد يحب ما يحبه الله عز وجل . ومحبة الله تنشأ تارة من معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله الباهرة والتفكر في مصنوعاته وما فيها من الإتقان والحكم والعجائب، فإن ذلك كله يدل على كماله وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته . وتارة تنشأ من مطالعة النعم .

من علامات محبة الله عز وجل للعبد :

١- تلاوة كتابه عز وجل وتدبر آياته وتفهم معانيه، فله أثر عظيم في زيادة محبة العبد لربه عز و جل .

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ فاطر

وعَنْ عُثْمَانَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ . رواه البخارى

٢- اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته ومحاربة كل بدعة تخالف طريقته .

قال تعالى :قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ آل عمران

قال الحسن البصري رحمه الله : زعم قوم أنهم يحبُّون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية.

٣- الإكثار من ذكره عز وجل، فنصيب العبد من المحبة على قدر نصيبه من الذكر وأفضله التسبيح

قال تعالى :وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ الأحزاب

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم : كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِى الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ . متفق عليه

٤- الحرص على أداء الفرائض والإكثار من النوافل بشتى أنواعها .

عَنْ أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ . رواه البخاري

٥- معرفة أسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته العليا والعناية بها تأملاً وتدبرًا .

عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ . رواه البخارى

٦- الحب في الله من أسباب نيل محبة الله تعالى .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قَالَ : أَزُورُ أَخًا لِي فِي اللهِ فِي قَرْيَةِ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لاَ وَلَكِنَّنِي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ . رواه مسلم

٧- محبة لقاء الله عز وجل وإيثار الآخرة على الدنيا .

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ . متفق عليه

٨- معاملة الناس بالرفق واللين، و خاصة أهل بيته .

عَنْ جابر ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنّ اللّهَ إذا أحَبَّ أهلَ بَيْتٍ أدْخَلَ عليهمُ الرِّفْقَ . رواه ابن أبي الدنيا . صحيح الجامع

٩- التواضع للمؤمنين والعزة على الكافرين والجهاد في سبيل الله .

قال تعالى :يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ المائدة

قال تعالى :إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ الصف

١٠- التعاون على البر والتقوى ونفع الناس وإعانتهم على تفريج كربهم .

عَنْ عبد الله بن عمر ﷺ أن رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله ؟ فقال : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ . رواه ابن أبي الدنيا. صحيح الترغيب والترهيب

١١- التخلق بالأخلاق الحسنة .

عَنْ أُسَامَةَ بن شَرِيكٍ ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ ، مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ إِذْ جَاءَهُ أُنَاسٌ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَمَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا . رواه الطبراني . السلسلة الصحيحة

١٢- إيثار ما يحبه الله على كل شيءٍ سواه .

قال تعالى :وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ النازعات

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيُقْذَفَ فِيهَا . رواه أحمد والبُخَارِي

وبالجملة فإن محبة الله تُنال بتقوى الله والتزام طاعته وذكره والإحسان إلى خلقه والتعلق بالآخرة والزهد بالدنيا والورع عن محارم الله والتوبة في الإساءة. وأن تحب ما يحبه الله وتكره ما يكرهه الله وتؤثر مرضاته على ما سواه، فمن اتصف بهذه الصفات أو بعضها فهذا دليل على محبة الله عز وجل بحسب إخلاص المرء وإحسان عمله وثباته على الحق . ومباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

مراتب الناس فى محبة الله ثلاثة :

الأولى : كامل المحبة وهو من التزم السنن والواجبات واجتنب المكروهات والمحرمات كحال الأنبياء والأصفياء من هذه الأمة

الثانية : مقتصد المحبة وهو من واظب على الواجبات وترك المحرمات ولم يتزود من الصالحات وهذا حال عامة الصالحين .

الثالثة : ناقص المحبة وهو من قصر في الواجبات وارتكب المحرمات وأسرف فى السيئات . وهذا حال أهل الغفلة والهوى .

أقوال السلف فى المحبة :

قال ابن القيم فى إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان :

محبةُ الرب سبحانه فشأنها غير الشأن؛ فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها ووليها ومولاها، وربُّها ومدبرها، ورازقها ومميتها ومحييها؛ فمحبته نعيم النفوس وحياة الأرواح، وسرور النفوس وقوتُ القلوب، ونور العقول وقرة العيون، وعمارة الباطن؛ فليس عند القلوب السليمة، والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى ولا ألذُّ ولا أطيبُ ولا أسرُّ ولا أنعمُ من محبته، والأنس به والشوق إلى لقائه . والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتمُّ من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة .

وقال فتح الموصلي : المحب لا يجد مع حب الله عز وجل للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي فى القول السديد :

أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده وهي أصل التألُّهِ والتعبد، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبةُ العبد لربه، وتسبق جميعَ المحابِّ وتَغْلِبها، ويكون لها الحكم عليها؛ بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه .

المحبة صفة ثابتة لله عز وجل :

دلت النصوص على إثبات صفة المحبة لله تعالى، وهى صفة من صفاته منزهة عن مشابهة صفات المخلوقين، والسلف على إثبات حب الله لعباده كصفة من صفاته كما يليق بجلاله، بلا كيف ولا تأويل ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها كما أنهم يثبتون محبة العباد لربهم محبة حقيقية قلبية . وقد جاء لفظ الحب في القرآن والسنة لبيان حب الله لعباده المؤمنين .

قال تعالى :فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ۝ المائدة

وقال تعالى :إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝ البقرة

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ . رواه البخارى

كما ورد ما يثبت حب المؤمنين لربهم عز وجل .

قال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ ١٦٥ البقرة

وقال تعالى :﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ٥٤ المائدة

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ ؟ قَالَ: لاَ، إلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ: فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . رواه أحمد ومُسْلم

من ثمرات محبة الله تعالى :

١- بلوغ المنازل العالية .

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله فقال : مَتَى السَّاعَةُ قَالَ وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ . رواه البخاري و مسلم

٢- وضع القبول له في الأرض والمحبة والمودة والألفة في قلوب الخلق .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ . رَوَاهُ الشَّيْخَان

قال هرم بن حيان : ما أقبل عبد بقلبه على الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه ودهم .

٣- تحصيل لذة الإيمان وحلاوته وتمام النعيم، وغاية السرور:

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيُقْذَفَ فِيهَا . رواه أحمد والبُخَارِي

فلا يغني القلبَ، ولا يَسُدُّ خَلَّتَه ولا يشبعُ جوعته إلا أن يمتلأ بمحبة ربه سبحانه، وبالإقبال عليه عز وجل، ولو حصل له كل ما يلتذ به لم يأنس ولم يطمئن إلا بمحبة الله عز وجل.

٤- الاستقامة وترك المعاصي وصرف قلبه عن حب الدنيا والإنشغال بها .

عن قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . قال الألباني : صحيح

قال ابن القيم في طريق الهجرتين : فإن المحب لمن يحب مطيع، وكلما قوي سلطانُ المحبةِ في القلب كان اقتضاؤه للطاعة، وترك المخالفة أقوى، وإنما تصدر المعصية والمخالفة مِنْ ضَعْفِ المحبة، وسلطانها .

٥- الصبر وتسلية المحب عند حلول المصائب :

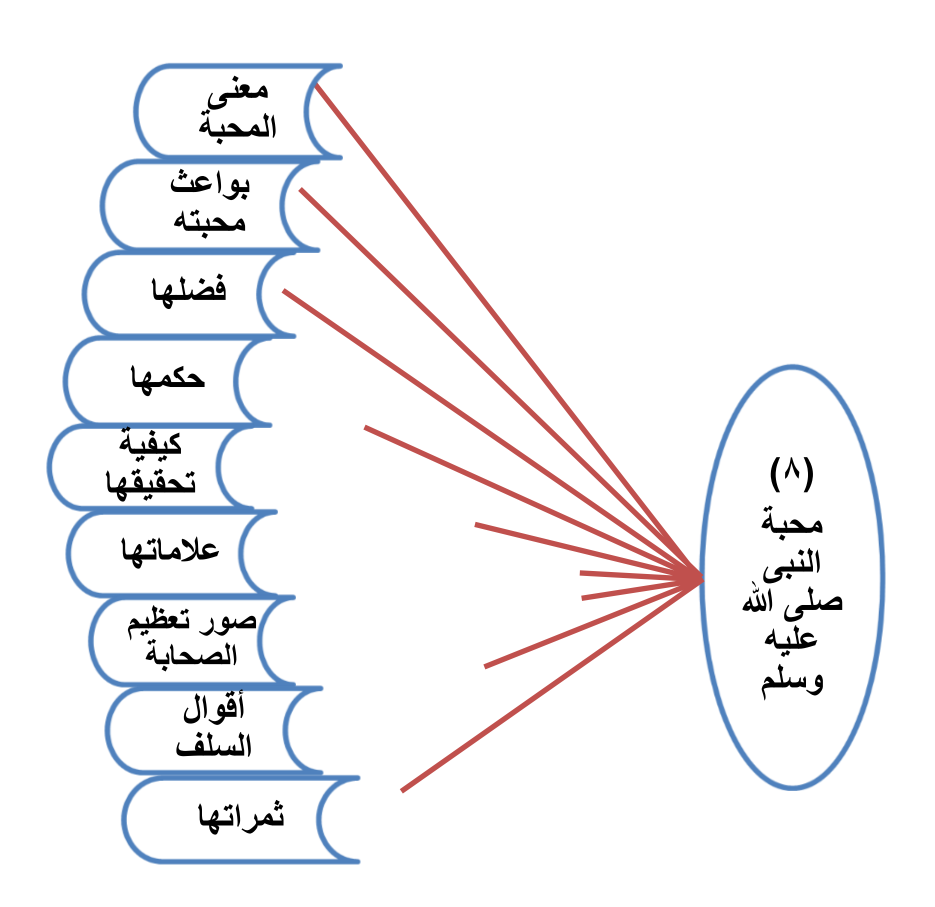
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ . رواه الترمذي ابن ماجه . صحيح الترغيب والترهيب

قال ابن القيم مدارج السالكين : فإن المحب يجد من لذة المحبة ما ينسيه المصائب، ولا يجد مِنْ مسِّها ما يجد غيرُه، حتى كأنه قد اكتسى طبيعةً ثانيةً ليست طبيعةَ الخلق. بل يقْوَى سلطانُ المحبةِ حتى يلتذَّ المحبُّ بكثير من المصائب التي يصيبه بها حبيبه أعظم من التذاذ الخليِّ (أي العاري من المحبة) بحظوظه وشهواته

٦- الشفاعة لصاحبها في الدنيا والآخرة .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إلا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . رواه البخاري

٧- حسن الخاتمة



معنى المحبة
بواعث محبته
فضلها
حكمها
كيفية تحقيقها
علاماتها
صور تعظيم الصحابة
أقوال السلف
ثمراتها
(٨)
محبة النبى صلى الله عليه وسلم

الشعبة الثامنة : محبة النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره

محبة النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره شعبةٌ من أعظم شُعَب الإيمان، وقربة من أشرف القربات التى يتقرب بها العبد إلى رب الأرض والسماوات، ومنزلة عالية من منازل الإيمان بل إن المرء لن يذوق حلاوة الإيمان ولذته حتى يكون للنبي صلى الله عليه وسلم في قلبه من المحبة ما ليس لغيره من البشر، فحبُّه صلى الله عليه وسلم عبادة واجبة، وطاعة مفروضة يتقرب العبد بها إلى الله عز وجل . وحبُّه صلى الله عليه وسلم بلسم للأرواح، وتشنيف للآذان، وتطييب للمجالس، وطيب للأنوف . لذلك أهل السُّنَّة يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا جمًا، حبًا شرعيًا، حبًا حقيقيًا . وهذا الحب جعلهم يفدونه صلى الله عليه وسلم بكل عزيز وغال، ويؤثرونه على الأهل والأوطان والأموال، حتى باعوا أنفسهم وأموالهم نصرة لله ولدينه ودفاعًا عن نبيه، ومحبته أصل عظيم من أصول الإيمان، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين الناجين حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه بل ومن الناس أجمعين .

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . رواه البخاري ومسلم

والمحبة أمر زائد على الإتباع، إذ هي بمنزلة الباعث والدافع إلى هذا الإتباع . وبين المحبة والإتباع علاقة مطردة إذ لا يوجد أحدهما بدون الآخر فمن حقق الإتباع وبذل الوسع في معرفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد صدق في المحبة .

معنى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

قال النووي رحمه الله في كلمة جميلة :

أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعاني كلها موجودة في النبي صلى الله عليه وسلم لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال الجلال وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياه إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم والإبعاد من الجحيم . فإن نظرت إلى وصف هيئته صلى الله عليه وسلم فجمال ما بعده جمال، وإن نظرت إلى أخلاقه وخلاله فكمال ما بعده كمال، وإن نظرت إلى إحسانه وفضله على الناس جميعًا وعلى المسلمين خصوصًا فوفاء ما بعده وفاء . فمن هنا تعظم محبته صلى الله عليه وسلم ويستولي في المحبة على كل صورها وأعظم مراتبها وأعلى درجاتها، فهو صلى الله عليه وسلم الحري بأن تنبعث محبة القلوب والنفوس له في كل لحظة، وفي كل تقلبات حياتنا؛ ولذلك ينبغي أن ندرك عظمة هذه المحبة .

من بواعث محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

أـ محبة لله عز وجل فمحبة الله تعالى هي أساس المحبة الشرعية، لأن الله هو المحبوب لذاته، وكل ما سواه مما يحب شرعًا محبته تابعة لمحبة الله عز وجل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى : الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يُحب لأجل الله ويُطاع لأجل الله ويُتبع لأجل الله . ومحبة الرسول تبع لمحبة من أرسله فلا تنفك إحدى المحبتين عن الأخرى فمن أحب الله أحب رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا الإرتباط بين المحبتين ارتباط شرعي لا ينفك .

ب ـ أن الله تعالى أحبه واختاره من خلقه فحُب ما يحبه الله من لوازم محبته صلى الله عليه وسلم .

ج ـ كمال رأفته ورحمته بأمته وحرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتها وإنقاذها من الهلكة حتى كادت أن تذهب نفسه أسفًا على قومه ألا يكونوا مؤمنين .

د ـ كمال نصحه صلى الله عليه وسلم لأمته وهدايته لها وإحسانه إليها بدلالتها على كل خير يقربها إلى ربها ، وتحذيرها من كل شر يجلب لها الذل والخزي في الدنيا والعذاب والنكال في الآخرة .

و ـ تذكر الأجر العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة بمحبته صلى الله عليه وسلم .

زـ ما خصه الله به من كريم الخصال ورفيع الأخلاق مما ميزه صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق أجمعين ومنها :

١ـ اختياره واصطفاؤه لمقام النبوة والرسالة، إذ لا يختار الله لهذا الأمر إلا من أحبهم وارتضاهم .

قال تعالى : ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ الحج

٢ـ تشريفه صلى الله عليه وسلم بإنزال القرآن الكريم عليه .

قال تعالى : وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ الحجر

٣ـ تكريمه صلى الله عليه وسلم بشرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره وإعلاء قدره .

قال تعالى : أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ الشرح

٤- تكريمه صلى الله عليه وسلم بصلاة الله وملائكته عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

قال تعالى : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦ الأحزاب

٥ - تكميل الله له المحاسن خُلقًا وخلقًا .

قال تعالى :وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ القلم

وقد وعت كتب الشمائل والسير شمائله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم .

٦- تشريفه صلى الله عليه وسلم بمقام الخلة وهي أرفع درجة من المحبة .

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس : إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً، لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً . رواه مسلم

٧- جعله الله رحمة للمؤمنين في الدنيا والنجاة في الآخرة، ورحمة للكافرين بإمهالهم وتأخير العذاب عنهم .

قال تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧ الأنبياء

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ : إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً . رواه مسلم

٨- خصه الله وفضله على سائر الأنبياء بخصائص كحل الغنائم له ، ونصرته بالرعب مسيرة شهر وغيرها .

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغنائم، وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً . رواه البخاري ومسلم

٩- تشريفه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بكونه صاحب المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في أن يقضي الله بين الخلائق وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع ومشفع وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وأول من تفتح له أبواب الجنة .

١٠ – شرفه الله عز وجل بكونه خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى :مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۝٤٠ الأحزاب

إلى غير ذلك من مظاهر اصطفاء الله لنبيه صلى الله عليه وسلم الكثيرة، فهى من أقوى الدوافع إلى محبته صلى الله عليه وسلم ويكفيه شرفًا أنه سيد ولد آدم .

حكم محبته صلى الله عليه وسلم :

فرض وواجب من أعظم الواجبات على كل مسلم والأدلة على وجوبها كثيرة من الكتاب والسنة .

قال تعالى :قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٢٤ التوبة

قال القاضي عياض : فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم؛ إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى : فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ . ثم فسّقهم بتمام الآية فقال : وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله عز وجل فهذه آية عظيمة تبين أهمية ووجوب هذه المحبة .

وقال تعالى : قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ۝٣١ آل عمران

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . رواه البخاري ومسلم

وقصة عمر ﷺ مع النبي صلى الله عليه وسلم وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الآنَ يَا عُمَرُ . رواه البخاري

كيفية تحقيق محبته صلى الله عليه وسلم :

قال ابن رجب فى استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس :

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على درجتين :
أحدهما : فرض وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم وعدم طلب الهدى من غير طريقه ثم حسن الإتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به من الواجبات والإنتهاء عما نهى عنه من المحرمات ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة فهذا القدر لابد منه .
والدرجة الثانية : وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقيق الإقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة والراقية والإعتناء بمعرفة سيرته وأيامه واهتزاز القلب عند ذكره وكثرة الصلاة والسلام عليه لما سكن في القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره، ومحبة استماع كلامه وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الإقتداء به في زهده في الدنيا الفانية والإجتزاء باليسير منها والرغبة في الآخرة الباقية .

كيفية تحقيق تعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم :

تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره لها أصول لا تتم إلا بها، وهى تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهي وزجر، وعبادة الله بما شرع . فمن أخل بها فقد أخل بتعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم .
وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح على النحو التالى :
١- التعظيم بالقلب ويكون باعتقاد كونه عبدًا رسولًا، وتقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين . ومن لوازمها استشعار هيبته وجلالة قدره وعظيم شأنه .
٢- التعظيم باللسان ويكون بالثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه بذكر فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه من غير غلو ولا تقصير، وذكر صفاته وأخلاقه وخلاله وما كان من أمر دعوته وسيرته وغزواته . ومن أعظم ذلك الإكثار من الصلاة والسلام عليه .
قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ الأحزاب
٣- التعظيم بالجوارح ويكون بالعمل بشريعته والتأسي بسنته ظاهرًا وباطنًا والتمسك بها والحرص عليها وتحكيم ما جاء به في الأمور كلها والسعي في إظهار دينه ونصرة سنته والإجتناب عما نهى عنه .
يقول الدكتور علي بن عمر بادحدح فى عظمة قدر النبي صلى الله عليه وسلم :
تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره شعبةٌ عظيمةٌ من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة، ومنزلتها فوق منزلة المحبة ؛ وذلك لأنه ليس كل محبٍ معظماً، فأنت ترى الوالد يحب ولده، ولكنه حب تكريمٍ وليس حب تعظيم، وحب حنوٍ ورحمة وليس حب إجلالٍ وتقديرٍ وتبجيل . فلذلك إذا جمع العبد المؤمن تجاه رسوله صلى الله عليه وسلم المحبة، ثم توجّه وكملها وبناها على قاعدة تعظيم وتوقير المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فإنه يكون قد نال حظًا عظيمًا وشرفًا كبيرًا .
وقد ذكّرنا الله في كتابه إلى أهمية تعظيم وتوقير وتعزير رسوله صلى الله عليه وسلم
قال تعالى :فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ الأعراف
فالمعظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في زمرة المفلحين بإذن الله جل وعلا والتعزير معناها التعظيم والنصر والتوقير كما جاء في معجم مقاييس اللغة أصلٌ يدلّ على ثقلٍ في الشيء فإذا قلت إنك توقّر فلاناً، فمعنى ذلك أنه ذا ثقلٍ وذا مكانةٍ ومنه الوقار وهو الحلم والرزانة التي تدل على رزانة الإنسان، وعدم خفته وطيشه ووقرت الرجل إذا عظمته .
يقول ابن تيمية فى الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول في تقرير وجوب توقيره وإجلاله :
إن الله أمر بتعزيره وتوقيره : لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴿٩﴾ الفتح
والتعزير : اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه .
والتوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار . ومن ذلك :
١- أن الله عز وجل خصّه في المخاطبة بما يليق به .
قال تعالى : لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًا ﴿٦٣﴾ النور
فنهى أن يقولوا : يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا : يا رسول الله، يانبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يَدْعُه باسمه صلى الله عليه وسلم في القرآن قط .
٢- حرّم الله عز وجل التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرم رفع الصوت فوق صوته، وأن يُجهر له بالكلام

قال تعالى :يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ الحجرات

٣- رفع الله عز وجل له ذكره، فلا يُذكر الله سبحانه إلا ذكر معه، وأوجب ذكره في الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين . فالتعظيم المشروع لرسول الله هو تعظيمه بما يحبه المعظَّم ويرضاه ويأمر به ويثني على فاعله، وأما تعظيمه بما يكرهه ويبغضه ويُذم فاعله فهذا ليس بتعظيم، بل هو غلو منافٍ للتعظيم ولا شك أن قدر النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن الإحاطة به، فإن جوانب عظمته ووجوه رفعة قدره وصور علو مكانته أكثر وأعظم وأشهر وأوسع من أن يحيط بها حديثٌ .

علامات صدق محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال الشيخ عبد الرءوف عثمان فى محبة الرسول بين الإتباع والإبتداع :

١- طاعته واتباعه : فالإتباع هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل، وهو شرط صحة هذه المحبة الشرعية .

قال تعالى :قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ آل عمران

وقال تعالى : مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ النساء

وقال تعالى :وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴿٧﴾ الحشر

٢- تعظيمه وتوقيره بما يقتضيه مقام النبوة والرسالة وهو من أعظم مظاهر حبه، ومن آكد حقوقه صلى الله عليه وسلم على أمته

قال تعالى :لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴿٩﴾ الفتح والتعزير بمعنى التعظيم

٣- كثرة تذكره وتمني رؤيته والشوق إلى لقائه وسؤال الله اللحاق به على الإيمان وأن يجمع بينه وبين حبيبه في مستقر رحمته .

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ . رواه مسلم

وكان بلال ﷺ عند وفاته تبكي زوجته بجواره، فيقول : لا تبكي . غدًا نلقى الأحبة . محمدًا وصحبه . فكان يشتاق للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو واحد من المبشرين بالجنة .

٤- حب القرآن الذي أتى به وتخلق به . فمن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب القرآن .

٥- نصرة دينه صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه .

قال تعالى :فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ الأعراف

٦- محبة سنته صلى الله عليه وسلم والداعين إليها والمتمسكين بها .

قال تعالى :وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ الحشر

٧- بغض من أبغض السنة وأهلها .

قال تعالى :لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴿٢٢﴾ المجادلة

٨- كثرة الصلاة والسلام عليه، فالصلاة عليه نور وإيمان وبرهان لك عند الله يوم القيامة .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ الأحزاب

وعن أبي بكر ﷺ قال قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَلَيَّ فإنّ اللهَ وَكَّلَ بِي مَلَكاً عندَ قَبْرِي فإذا صَلَّى عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي قالَ لي ذلك المَلَكُ يا محمَّدُ إنّ فُلانَ بنَ فُلانٍ صَلَّى عليكَ السَّاعَةَ . صحيح الجامع

٩- محبة أصحابه رضى الله عنهم وتوقيرهم ومعرفة فضلهم وقدرهم والثناء عليهم بما هم أهله والإنتصار لهم ممن يؤذيهم وبغير الخير يذكرهم .

قال تعالى : وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ التوبة

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِى، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ . رواه البُخَارِي ومسلم

١٠- محبة قرابته صلى الله عليه وسلم وآل بيته وأزواجه وتوقيرهم ومعرفة فضلهم وحفظ حرمتهم ومكانتهم وبغض من أبغضهم .

قَالَ صلى الله عليه وسلم : أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي . رواه مسلم

محبة الصحابة رضى الله عنهم للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

حقق الصحابة ضى الله عنهم أروع الصور وضربوا المثل الأعلى في تحقيق هذه المحبة، ففدوه صلى الله عليه وسلم بالآباء والأمهات، وعظموه في السلوك والتصرفات، وتأدبوا معه في الكلام والمحادثات، ولم يتقدموا بين يديه في الأقوال والأفعال، فعزّروه ووقروه ونصروه في جميع الأوقات، فكان إذا تحدث إليهم كأنما على رؤوسهم الطير لما هم عليه من سكينة وإخبات، وقد أوردت كتب الحديث والسير صورًا عديدة مشرقة من ذلك التعظيم والتوقير الذي كان عليه هولاء الصحب الكرام مع النبي صلى الله عليه وسلم .

فعن عمرو بن العاص ﷺ قال: وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلاَ أَجَلَّ فِى عَيْنِى مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَىَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّى لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَىَّ مِنْهُ . رواه مسلم

والواجب على من جاء بعدهم أن يترسَّم خطاهم، وأن يسير على نهجهم ويقتفي آثارهم، وأن يبتعد كل البعد عن كل ما أحدثه الناس من مفاهيم خاطئة في التعظيم والمحبة مما لم يكن عليه الصحابة الكرام ، فقد كانوا أبر الناس قلوبا، وأصدقهم ألسنة، وأحسنهم محبة للنبي صلى الله عليه وسلم ولن يأتي بعدهم أصدقَ محبة منهم .

من صور تعظيم الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

كان أبو بكر ﷺ إذا كلم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكلمه إلا كأخي السرار . أي كأنك تسرُّ له نوع من التوقير والتعظيم لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم . البيهقي في شعب الإيمان

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ فِي جِنَازَةٍ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، فَجَلَسَ وَجَلَسْنَا، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ . صحيح ابن ماجة

يعنى من السكون والهيبة والصمت إجلالًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ أَبْوَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَانَتْ تُقْرَعُ بِالأَظَافِيرِ . صحيح الأدب المفرد للبخاري

أقوال السلف فى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

قال سهل بن عبدالله : علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة .

وقال بعضهم : لا يظهر على أحد شئ من نور الإيمان إلا باتباع السنة ومجانبة البدعة .

وكان خالد بن معدان : لا يأوى إلى فراشه إلا وهو يذكر فيه شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار ثم يسميهم ويقول : هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم .

مالك بن أنس : ما ركب دابة في المدينة احترامًا لثرىً دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يقرأ كتابه الموطأ في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فتلدغه العقرب ثلاث عشرة مرة ، فلا يقطع الحديث ، فيقول له الناس : رأينا وجهك تغير مرات كثيرة وأنت في المجلس ، فقال : لدغتني عقرب وأنا أقرأ الحديث ، فاستحييتُ أقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل نفسي .

سعيد بن المسيب : يُسأل عن حديث وهو في سكرات الموت، فيقول : أجلسوني . قالوا : أنت مريض . قال : أجلسوني، كيف أسأل عن كلام الحبيب صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع .

ومن أعجب ما يروى في ذلك ما جاء عن الإمام أحمد رحمه الله لما امتحن في فتنة خلق القرآن، وتعاقب ثلاثة من خلفاء بني العباس : المأمون والمعتصم والواثق على امتحانه، وسجنه في ذلك، وهو ثابت على الحق لم يغير ولم يبدل، وحمل إلى مجلس الواثق مقيدًا في أغلاله، وناظرهم وهو على تلك الحال فقطع حجتهم، وأبطل مكيدتهم، وفتح الله تعالى على قلب الخليفة الواثق ، فعلم صدق الإمام أحمد، وكونه على الحق، فأمر أن يفك قيده، وأخذ الإمام أحمد القيد، فنازعه السجان، فأمر الواثق أن يدفع القيد إليه، فسأله الواثق عن سبب أخذه، فأخبره أنه ينوي به أن يخاصم به من ظلموه عند الله تعالى يوم القيامة، وقال: أقول : يا رب سل عبدك هذا لم قيَّدني، وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق، أوجب ذلك علي، وبكى الإمام أحمد، فبكى الواثق، وبكى من في المجلس، ثم سأله الواثق أن يجعله في حلٍ وسعة مما ناله على يديه، فقال الإمام أحمد : والله يا أمير المؤمنين لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم؛ إكرامًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كنت رجلًا من أهله .

بعض ثمرات محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . رواه البخاري
٢- سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد .
قال تعالى :قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ آل عمران
٣- سبب من أسباب الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار .
٤- سبب من أسباب مرافقته صلى الله عليه وسلم في الجنة والتنعم برؤيته .
عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ : وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا . قَالَ لاَ شَىْءَ إِلاَّ أَنِّى أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . رواه البخارى
٥- مغفرة الذنوب وذهاب الهموم .
عَنْ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ. قَالَ أُبَىٌّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِى فَقَالَ مَا شِئْتَ . قَالَ قُلْتُ الرُّبُعَ . قَالَ : مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قُلْتُ النِّصْفَ . قَالَ مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قَالَ قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ . قَالَ مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِى كُلَّهَا. قَالَ : إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ . رواه الترمذى وحسنه الألبانى
٦- سبب من أسباب إستشعار المؤمن حلاوة الإيمان في القلب .
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ . رواه البخارى ومسلم
٧- سبب من أسباب محبة أصحابه وقرابته وآل بيته والصالحين والعلماء وكل ما يحبه الله ورسوله .
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِى فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ . رواه البُخَارِي ومسلم

لماذا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

يقول الشيخ علي بن عمر بادحدح
هذا السؤال لنهيِّج القلوب والمشاعر لهذه المحبة، ولنؤكدها، ولنحرص على غرسها في سويداء القلوب والنفوس حتى تتحرك بها المشاعر، وتنصبغ بها الحياة، وتكون هي السمت التي يكون عليها المسلم في سائر أحواله بإذن الله تعالى
أولاً : نحبه لأنه حبيب الله ، ومن أحب الله أحب كل ما أحبه الله، وأعظم محبوب من الخلق لله هو رسوله صلى الله عليه وسلم
قال عليه الصلاة والسلام : وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ . رواه مسلم . والخلة هي أعلى درجات المحبة
ثانيًا : لأن الله أظهر لنا كمال رأفته وعظيم رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته : فنحن نحب الإنسان متى وجدناه بنا رحيمًا، وعلينا شفيقًا، ولنفعنا مبادرًا، ولعوننا مجتهدًا.. ورسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب أعظم مَنْ رحمنا، ورأف بنا .
قال تعالى : لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ التوبة
ولو أردنا أمثلةً لذلك لطال بنا المقام، وكان صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يقول : لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي .
وكم من الأحاديث الذي ورد فيها رقته ورحمته بأمته كما في حديث مَالِك بْنِ الْحُوَيْرِث قَالَ : أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ . رواه البخاري ومسلم
وكان إذا سمع بكاء الصبي يخفف من صلاته رأفةً وشفقةً على قلب أمه به، وذلك من كمال رحمته وشفقته عليه الصلاة والسلام
ثالثًا : كمال نصحه لأمته وعنايته بتعليمهم حتى قيل للصحابة : قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ . رواه مسلم .   الخراءة أي : قضاء الحاجة
وكان عليه الصلاة والسلام لا يدع فرصةً إلا ويعلمهم، ويقول : لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ . رواه البخاري ومسلم
حتى جئنا إلى أيامنا هذه وإلى ما بعدها، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا نراه في يقظته ومنامه، بل نحن نعرف عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من سيرته أكثر مما نعرف عن أنفسنا . رُصدت حياته صلى الله عليه وسلم، ورُصد

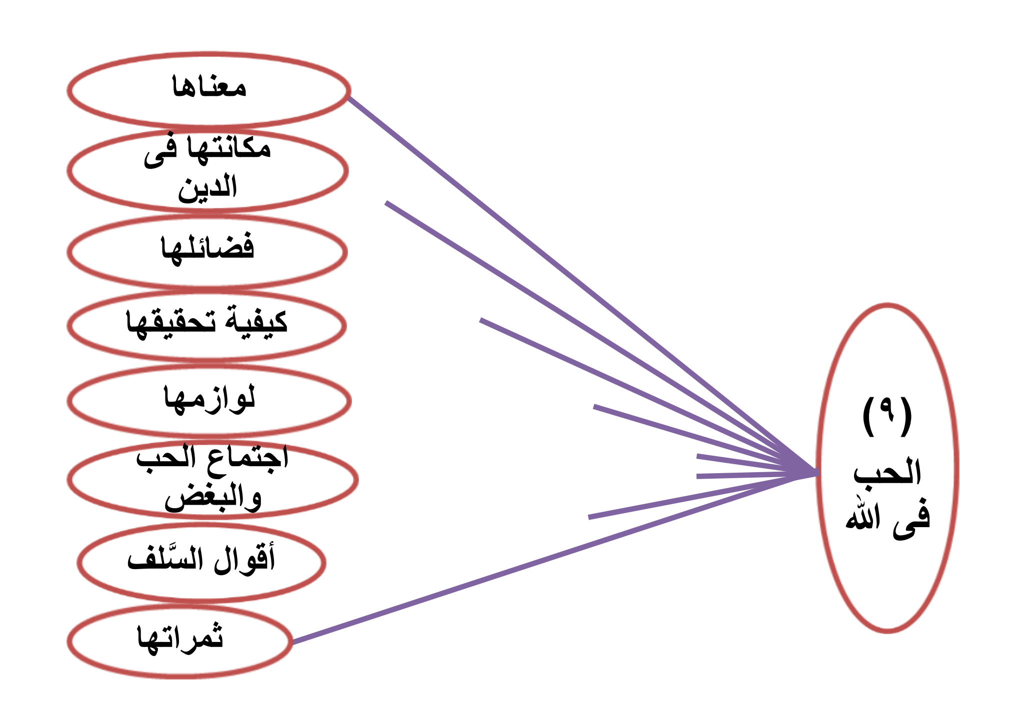
لنا وصفه وشعره؛ كم شعرة بيضاء في لحيته، كل ذلك في وصفٍ دقيقٍ بليغٍ، حتى كأن كل شيءٍ في حياته ورد في وضح النهار .

خصائصه العظيمة وخصاله الجميلة :

ويكفينا في ذلك قول ربه عز وجل : وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ القلم

فاجتمع فيه ما تفرق من وجوه الفضائل والمحاسن في الخلق كلهم، فكان مجمع المحاسن عليه الصلاة والسلام، وحسبنا ذلك في هذه الدواعي، وإلا فالأمر كثير، فإن الذين مالت قلوبهم، وملئت حبًّا لرسول الله عليه الصلاة والسلام من أصحابه، إنما سبى قلوبهم، واستمال أنفسهم بما كان عليه من الخلق وحسن المعاملة، وكمال الرحمة، وعظيم الشفقة، وحسن القول إلى غير ذلك مما هو معلوم من شمائله عليه الصلاة والسلام .

للإستزادة ارجع إلى شعبة الإيمان بالرسل .


(٩)
الحب
فى الله
معناها
مكانتها فى
الدين
فضائلها
كيفية تحقيقها
لوازمها
اجتماع الحب
والبغض
أقوال السَّلف
ثمراتها

الشعبة التاسعة : الحب فى الله والبغض فى الله

الحب فى الله والبغض في الله شعبة من شعب الإيمان، وهى أوثق عرى الإيمان، وأرفع معانى الموالاة، ولا تنال ولاية الله إلا بالحب فى الله والبغض في الله، فلو صلى المرء وصام ووالى أعداء الله فلا ينال ولاية الله لأنها أصل الولاء والبراء . ولا يتم التوحيد إلا بهما، لذلك يجب على العبد أن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله، فيوالي أولياءه ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده . والحب في الله والبغض في الله أصل من أصول هذا الدين لايكمل الإيمان إلا به، كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أن مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ . رواه أبو داود . صحيح الجامع، فالواجب على المؤمن أن يوالي الله ورسوله والمؤمنين ويتبرأ من الشرك والكفر والكافرين .

المقصود بالحب في الله والبغض في الله :

هو أن توالي وتعادي من أجل الله تعالى . فالمحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغضه، ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه . والله تعالى يحب المؤمنين، ويحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين . ويحب أهل طاعته، ونحن ملزمون شرعًا أن نحب ما يحبه الله تعالى كما أننا ملزمون أيضًا بعدم حب ما لا يحبه، والله سبحانه لا يحب الكافرين، ولا المشركين، ولا يحب العاصين، ولا يحب الخائنين ولا يحب المفسدين ولا يحب المستكبرين. وكذلك نحن لا نحب ما لا يحبه الله، موافقة له سبحانه في حب ما يحب وبغض ما يبغض فتحقيق المحبة التامة تستلزم موافقة المحبوب في ما يحب وما يكره، وولاية من يواليه وعداوة من يعاديه .

مكانة الحب في الله والبغض في الله فى الدين :

قال الشيخ سليمان بن عبد الله فى رسالة أوثق عرى الإيمان :

لا يتم الدين أو يقام علمُ الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرقانًا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

والحب في الله والبغض في الله هو الحصن الحصين لعقائد المسلمين . وعقيدة الولاء والبراء هي أكبر ضمان في حفظ الأمة من الذوبان والإنجراف في تيار الأمم الكافرة، وهى أعظم حاجز في درء الفتن والسلامة من فتن التغريب والتنصير وسائر الشبهات والشهوات . وهى من أعظم أسباب إظهار الدين وكف أذى المشركين، بل إن تحقيقه سبب في إسلام الكافرين فقد كان سبب إسلام حوَيِّصَة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الناس فقال : من ظفِرْتُم به من رِجال يهودَ فاقتُلوه . فوثب مُحيِّصَة على شيبة رجل من تجار اليهود فقتله، وكان يلابسهم ويبايعهم، فلما قتله جعل حوَيصَة يضرب مُحيّصَة ويقول : أى عدوَّ الله قتلته، أما والله لربَّ شحم في بطنك من ماله ؟ فقال له مُحيِّصَة : أما والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك، فقال حويصة : إن دينًا بلغ بك هذا لعجب، فأسلم حوَيصَة يومئذ . وشهد أحُدًا والخندق وما بعدهما من المشاهد .

كيفية تحقيق الولاء والبراء :

منزلة العبد من الإيمان بحسب منزلته من ولاية الله والمؤمنين وعداوته للشيطان وللكافرين، ولا يتحقق ذلك إلا إذا أحب العبد المؤمنين من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين محبة خالصة، فالمؤمن تجبُ محبته وإن أساء إليك والكافر يجب بغضه وإن أحسن إليك . فالمسلم وإن قصّر في حقك وظلمك فيبغض على قدر مظلمته؛ لكن يبقى حق الإسلام والنصرة والولاية .

قال الشيخ صالح آل فوزان فى الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد :

والناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام هى :

١ـ قسم يُحَبّ محبّةً خالصة لا معاداة معها : وهم المؤمنون الخلّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدّمتهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنّه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين وصحابته الكرام، ثم التابعون وأصحاب القرون المفضلة وسلف هذه الأمة . ولا يُبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من كان في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالشيعة الروافض والخوارج .

٢ـ قسم يُبغَض ويُعادَى بغضًا ومعاداة خالصين لا محبّة ولا موالاة معهما : وهم الكفار الخلّص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم .

٣- قسم يُحَبّ من وجهٍ ويُبغَض من وجه وهم عصاة المؤمنين يُحَبّون لما فيهم من الإيمان والتوحيد، ويُبغَضون لما فيهم من المعاصي والذنوب، ومحبّتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فيؤمَرون بالمعروف، وينهَون عن المنكر حتى يكفّوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم .

لوازم الحب في الله والبغض في الله :

لازم الحب في الله الولاء، ولازم البغض في الله البراء، فالحب والبغض عبادة قلبية وعمل قلبى، والولاء والبراء أمر ظاهر كالنصح للمسلمين ونصرتهم والذب عنهم ومواساتهم والدعاء لهم، والسلام عليهم، وزيارة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وتفقد أحوالهم .

ومن لوازم البغض : الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وعدم ابتدائهم بالسلام، وعدم التشبه بهم، وعدم مشاركتهم أعيادهم ومخالفتهم، وعدم الركون والثقة بهم، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم .

مسألة مهمة : يجب التفريق بين بغض الكفار ومعاداتهم، وبين البرِ والإقساط، فبعض الناس يخلطُ بين الأمرين، فيجعل البرَ والعدل مع الكفار محبةً لهم، والبعضُ الآخر عكس المسألة، فظن أن بغض الكفار تعنى ظلمَهم والإعتداء عليهم . والحق أن الله أمرنا أن نبغضهم، ولم يأمرنا أن نظلمهم بل نعدل معهم ونحسن إليهم إذا كانوا أهل ذمة أو مستأمنين أو معاهدين . نسأل الله أن يعيذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

مسألة : هل يجتمع الحب والبغض في شخص واحد ؟

يمكن اجتماع الأمرين كحال الأب الذى ربما يضرب ابنه تأديبًا وزجرًا ، ومع ذلك يحبه محبة جبلية .

قال الدكتور عبد العزيز عبد اللطيف فى معالم غائبة في الولاء والبراء :

ومما يبيّن هذا الأمر ما جاء في هدى النبي صلى الله عليه وسلم فقد حقق عليه السلام الأمرين، والدليل ذاك الرجل الذي كان يشرب الخمر في عهده صلى الله عليه وسلم واسمه عبد الله وكان كثيرًا ما يؤتى به فيجلد، فأتي به في أحد المرات فقال البعض : لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا تلعنه، ما علمت إلا أنَّه يحب الله ورسوله . رواه البخارى

فمقتضى العداوة والبغضاء أن أقام عليه الحد، ومقتضى الحب أن دافع عنه صلى الله عليه وسلم فقال : لا تلعنه .

أقوال السلف والعلماء في المحبَّة :

١- قال عبد الله بن عمر ﷺ : والله لو صمتُ النهار لا أفطره وقمتُ الليل لا أنامه وأنفقتُ مالي غلقًا غلقًا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئًا .

٢- قضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه فجاء بهدية فقال : ما هذا قال : لما أسديته علي فقال : خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى .

٣- وقال سفيان بن عيينة : سمعت مساور الورَّاق يحلف بالله عزَّ وجلَّ ما كنت أقول لرجل إني أحبك في الله فأمنعه شيئًا من الدنيا .

٤- وقال ابن السماك عند موته : اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك .

٥- وقال أيوب السيختياني : إنَّه ليبلغني عن الرجل من أهل السنة أنَّه مات، فكأنما فقدتُ بعض أعضائي .

٦- وقال شيخ الاسلام فى الزهد والورع والعبادة :

إنَّك إذا أحببت الشخص لله، كان الله هو المحبوب لذاته، فكلَّما تصورته في قلب تصوَّرت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبُّك لله، كما إذا ذكرت النَّبي صلى الله عليه وسلم، والأنبياء قبله وأصحابهم الصالحين، وتصورتهم في قلبك، فإنَّ ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله، المنعم عليهم، إذا كنت تحبهم لله . فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله والمحبُّ لله إذا أحبَّ شخصًا لله، فإن الله هو محبوبه، فهو يحبُّ أن يجذبه إلى الله تعالى، وكلٌّ من المحبِّ لله والمحبوب لله يجذب إلى الله .

٧- يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في فتاويه :

إنَّ الله عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم ونهى عن موالاة الكافرين كلهم، ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، وكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك فيجب التقرب إلى الله ببغضه . وأصلُ الإيمان أن تحبّ في الله أنبياءه وأتباعهم، وأن تبغض في الله أعداءه وأعداء رسله .

بعض ثمرات الحب فى الله :

١- تحقيق أوثق عرى الإيمان .

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَيُّ عُرَى الإِسْلاَمِ أَوْثَقُ ؟ قَالُوا : الصَّلاَةُ ، قَالَ : حَسَنَةٌ ، وَمَا هِيَ بِهَا ، قَالُوا : الزَّكَاةُ، قَالَ: حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا، قَالُوا : صِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ : حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ ، قَالُوا :

الْحَجُّ، قَالَ : حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ قَالُوا : الْجِهَادُ، قَالَ : حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ، قَالَ : إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ . رواه أحمد . حسن لغيره

٢- استكمال الإيمان .

عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ . رواه أبو داود ـ صحيح الجامع

٣- محبة الله تعالى للعبد .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قَالَ : أَزُورُ أَخًا لِي فِي اللهِ فِي قَرْيَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ : هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ: لاَ وَلَكِنَّنِي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ . رواه مسلم

٤- الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ . رواه مسلم

٥- إظلال الله للعبد في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، منهم : رَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ . متفق عليه

٦- سبب من أسباب تذوق حلاوة الإيمان وطعمه .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيُقْذَفَ فِيهَا . رواه البخاري و مسلم

٧- غبطة النبيين والشهداء لهم يوم القيامة، ونيل ولاية الله، وانتفاء الخوف والحزن عنهم يوم القيامة .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا وحَلِّهِمْ لَنَا . قَالَ : قَوْمٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ مِنْ نِزَاعِ الْقَبَائِلِ تَصَادَقُوا فِي اللهِ وَتَحَابُّوا فِيهِ، يَضَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَخَافُ النَّاسُ وَلاَ يَخَافُونَ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . رواه أحمد والحاكم . صحيح الترغيب والترهيب

٨- سبب من أسباب إكرام الله للعبد .

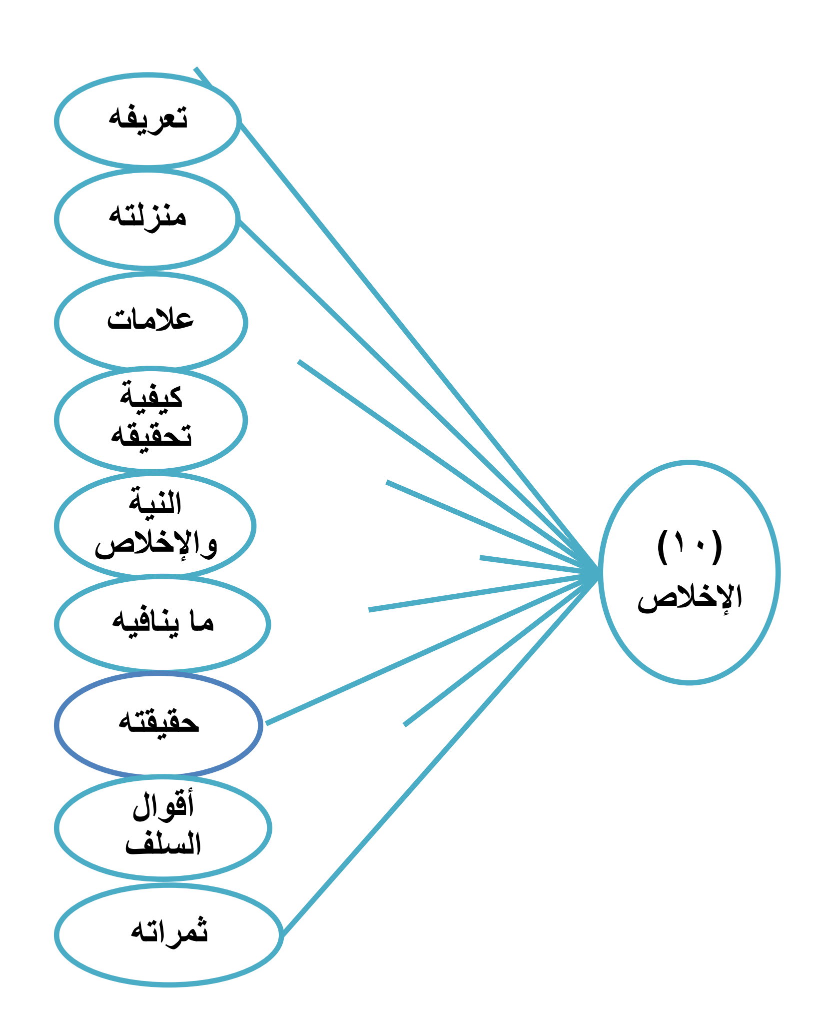
عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَحَبَّ عَبْدٌ عَبْدًا فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَكْرَمَهُ اللهُ . رواه أحمد . السلسلة الصحيحة

٩- أحبهما إلى الله أشدّهما حبًا لصاحبه :

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا تَحَابَّا الرَّجُلاَنِ إِلاَّ كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ . صحيح الأدب المفرد للبخاري

١٠- اللحوق بأهل الخير والصلاح، وإن لم يكن عمله بالغ مبلغهم .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ . قَالَ وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ : لاَ شَيْءَ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ . رواه البخارى


(١٠)
الإخلاص
تعريفه
منزلته
علامات
كيفية تحقيقه
النية والإخلاص
ما ينافيه
حقيقته
أقوال السلف
ثمراته

الشعبة العاشرة : الإخلاص

الإخلاص شعبة من شعب الإيمان، وهو حقيقة الدين وأحد الركنين العظيمين اللذين يُبنى عليهما الإسلام، وهما إخلاص العمل لله وحده، وتجريد المتابعة للرسول الله صلى الله عليه وسلم، والإخلاص صمام أمان للمؤمنين في حياتهم، به تزكو أعمالهم، وتضاعف أجورهم، وهو خلاصة دعوة الأنبياء . ومراد الله من عمل الخلائق . وهو من أهم أعمال القلوب وأعظمها قدرًا وأجلها شأنًا؛ وأعمال القلوب آكدُ من أعمال الجوارح . وعملٌ بلا إخلاص لا أجرَ له، وصلاةٌ بلا إخلاص لا ثواب لها، وصدقةٌ بلا إخلاص لا قيمة لها . والقلب الخالي من الإخلاص قلبٌ مجرد عن محبة الله مهما أظهر صاحبه من العبادات لأن القلب هو محل نظر الله عز وجل . وما وصل أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما وصَلوا إليه إلا بإخلاصهم وصدقهم .

قال ابن القيم فى بدائع الفوائد :

أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وإنّ النيّة بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح ماتت، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح .

تعريف الإخلاص :

قال ابن فارس رحمه الله فى المقاييس في اللغة : الخاء واللام والصاد أصل واحد مضطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه .
قال ابن القيم فى مدارج السالكين : الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد والطاعة .
وقال ابن رجب : الإخلاص هو تخليص القلب عن شائبة الرياء المكدر لصفائه .
وقال سهل بن عبد الله التستري : الإخلاص أن تكون حركاته وسكناته في سرِّه وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء .
وقال العز بن عبد السلام : الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيمًا من الناس ولا توقيرًا، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي .

من علامات الإخلاص :

١ـ أن تكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك .
٢ـ أن لا تخالف سريرتك علانيتك .
٣ـ أن تبتغي الأجر من الله تعالى وحده .
٤ـ أن تجاهد هواك وتجعله تابعًا للحق .
٥ـ أن تعمل وتجتهد ثم تسئ الظن بالنفس، وتتهمها بالتقصير .
٦ـ أن تفرح بالنصيحة من إخوانك ولا ترفض الحق .
٧ـ أن لا تبالي بانتشار الخير وظهور الحق على يدك أم على يد غيرك .
٨ـ أن يكون همك تطهير القلب وإصلاح العمل وتصحيح القصد والإرادة والنية .
٩ـ أن يستوى عندك المدح والذم فلا تبالى أمدحك الناس أم ذموك .
١٠ـ أن تصبر على الأذى وتتحمّل في سبيل الله العناء رجاء أن تنال القبول والرّضا .
١١ـ أن لا تبحث عن شهرة، ولا مكانة اجتماعية، ولا زعامة، ولا ثناء الناس عليك .
١٢ـ أن تحرص على إخفاء الأعمال غير الفرائض . لأن أعمال السر أشد على الشيطان وأبعد عن الرياء .
١٣ـ أن لا تحب الثناء، ولا ترضى بسماع المدح بل تفرّ منه .
قال ابن القيم فى الفوائد : لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس .
{ منقول بتصرف لجمع من أهل العلم }

مسألة : الفرق بين النية والإخلاص :

الإخلاص والنية كلاهما من أعمال القلوب، وهما أساس قبول الأعمال أو ردها، إلا أن هناك فرقًا بينهما .

قال ابن القيم فى مدارج السالكين :

النية في العبادة قدرٌ زائدٌ على الإخلاص، فالإخلاص هو إفراد المعبود عن غيره ونية العبادة لها مرتبتان :
إحداهما : تمييز العبادة عن العادة .
الثانية : تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض .

منزلة الإخلاص فى الإسلام :

١ـ من أعظم أعمال القلوب وهو ركن العمل وأساسه. وبحسب الإخلاص يكون قبول العمل أو رده .

قال تعالى :وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٥﴾ البينة

قال تعالى : قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ الزمر

٢- جعل سبحانه وتعالى الإخلاص لوجهه الكريم في الأعمال الصالحة، شرطًا لا بد منه لرجاء الفلاح .

قال تعالى : فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ الكهف

٣- جعل الرسول الله صلى الله عليه وسلم الإخلاص شرطًا لقبول العمل، فبيّن صلى الله عليه وسلم أن من أشرك في نيته وقصده لله ولغيره، فإن الله سبحانه لا يقبل منه هذا العمل مهما كان عظيمًا .

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ شَيْءَ لَهُ فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ شَيْءَ لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ . رواه أبو داود والنسائي . صحيح الترغيب

٤- الإخلاص هو حقيقة الدين ومفتاح دعوة المرسلين

قال تعالى :وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴿١٢٥﴾ النساء

قال ابن القيم: إسلام الوجه إخلاص القصد والعمل لله والإحسان هو متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى : فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ العنكبوت

٥- لما توعد الشيطان بأنه سيضل أكثر بني آدم، استثنى من ذلك عباد الله المخلصين معترفًا بأنه لا قدرة له على إضلالهم .

قال تعالى :قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ص

٦- سبب من أسباب حفظ الأمة وتحقيق النصر والتمكين على الأعداء .

قال تعالى : وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴿٥٥﴾ النور

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ ، وَصَلاَتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ . رواه النسائي . صحيح الجامع

٧- لن يأتي عبد مسلم يوم القيامة وهو يشهد لله بالتوحيد مع ما يلزمه من الشهادة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل الصالح، يريد بهذه الشهادة ولوازمها وجه الله خالصًا دون إشراك به إلا حرم الله عليه النار، وأدخله الجنة .

عَنْ عُتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ . رواه البخاري ومسلم

٨- لا يسعد بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إلا من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ . رواه البخاري

٩- بالإخلاص والنية الصالحة يبلغ العبد أعلى المنازل وإن لم يعمل .

عَنْ أَبُو كَبْشَةَ الأَنْمَارِيُّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ . رواه أحمد . صحيح الجامع

١٠- بين النبى صلى الله عليه وسلم أن محل نظر الله عز وجل القلوب، لا الصور والأبدان . فمدار الثواب والعقاب علي صلاح القلوب .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلى أَجْسَامِكُمْ ولا إِلى صُوَرِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ . رواه مسلم

١١- لا سبيل إلى الخلاص والإنفكاك من التبعات إلا بالإخلاص .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : قال الله عز وجل أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيه مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُه وشِرْكَه . رواه مسلم

١٢- بين النبى صلى الله عليه وسلم أن الإخلاص فيه سلامة الصدر من آفات القلوب كالحقد والغل والخيانة والحسد :

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ . رواه ابن ماجة . وصححه الألبانى
أى أن هذه الثلاث لو تمسَّك بها العبدُ طهُر قلبُه مِن الحقد والغل .
١٣- الإخلاص يُكسب صاحبه الأمن والسكينة، فيشعر بانشراح الصدر، وهدوء النفس .
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ. صحيح الترمذي
١٤- الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من التوحيد والإخلاص، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض
عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ عُشْرُ صَلاَتِهِ تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا . صحيح أبي داود

كيفية تحقيق الإخلاص :

قال الشيخ محمد المختار الشنقيطي فى نصائح لطلبة العلم :

ومن أعظم الأسباب التي تعين على الإخلاص أن تكثر من دعاء الله عز وجل أن يجعل أقوالك وأعمالك خالصة لوجهه الكريم ، فإننا لا نستطيع بحولنا وقوتنا أن نكون مخلصين، ولكن التوفيق من الله سبحانه وتعالى . فإذا افتقرت إلى الله أغناك، وإذا علم الله أنك تحب الإخلاص وفقك إليه وييسره لك .
أولاً : كثرة الدعاء : ادعو الله أن يجعل قلبك مخلصًا لوجهه الكريم، واعتذر إلى الله من كل رياء وشرك في عملك حتى ينفحك الله برحمته وييسر لك هذا الأمر العظيم .
ثانياً : كثرة قراءة القرآن مع التدبر والتأمل : فالإخلاص من عمل القلوب، ويحتاج الإنسان إلى هاد يهديه وهو القرآن، فإنه قل أن تجد إنسانًا يكثر من تلاوة القرآن إلا عمَّر الله قلبه بالإخلاص؛ لأن القرآن فيه الوعد والوعيد والبشارة والنذارة والتخويف والتهديد فيكسر القلوب لله جل جلاله، فإذا أردت الإخلاص أكثر من تلاوة القرآن .
ثالثاً : زيارة المقابر : اجعل لك ولو في الأسبوع مرة واحدة تزور فيها المقابر، وتنظر إليها حتى تحتقر هذه الدنيا، وتذكر أنك في مثل هذه اللحظة ستمر عليك وأنت رهين الأحداث والبلاء، لا مال ولا بنون، لا يكون للإنسان إلا ما عمل وأراد به وجه الله.
رابعا : قراءة سير العلماء : فقراءة التاريخ وسير السلف الصالح تحيي في النفوس الهمة العالية للخير .
قال الإمام أبو حنيفة : سير العلماء أحب إلينا من كثير من مسائل الفقه .
خامساً : استشعار عاقبة الإخلاص : كان بعض السلف إذا قيل له : حدثنا ، يقول : حتى تأتينا النية .
ولابد من تطهير القلب من بعض الأمور التى تتنافى مع الإخلاص مثل : حب الدنيا والشهرة والشرف والسمعة والعُجْب .
وإظهار العبادة لقصد رؤية الناس وحب التعظيم والمدح والرغبة أو الرهبة فيمن يرائيه .
ثم الإجتهاد فى تحصيل الأمور التى تعين العبد على تحقيق الإخلاص مثل :
١- معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله فهذه المعرفة تجعل النفس تشاهد جلال الله عز وجل وعظمته ، وأنه أهل لأن يعبد ويخلص له العبادة .
٢- معرفة الخلق وأنهم مخلوقون ضعفاء فقراء لا يملكون لأنفسهم شيئاً فضلًا عن غيرهم ، لذلك لا يستحقون أن يبطل الإنسان عمله لأجل ثنائهم .
٣- معرفة النفس بكونها مصدر كل سوء وقبح وأن ما يصدر عنها من خير وهدى فمن الله وحده فيستعين بالله عليها حتى لا تتجاوز حد الإخلاص .
٤- التفكر في فضائل الإخلاص وأجر المخلصين وما أعد الله لهم من الكرامة والمنازل العالية .
٥- التفكر في مضار الرياء وعاقبة المرائين وما عاقبهم الله به في الدنيا والاخرة .
٦- الخوف من سوء الخاتمة من أن يدركه الموت على غير الإخلاص .

بعض الأمور التى تنافى الإخلاص وعلاجها :

الرياء والسمعة والعُجْب الطمع وحب المدح واحتقار الآخرين وازدرائهم :
فالرياء هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس، فيحمدوا صاحبها، فهو يقصد التعظيم والمدح والرغبة أو الرهبة فيمن يرائيه .
وعلى المرائى أن يعلم أنَّ الخلق لا ينفعونه ولا يضرونه حقيقة، فلا يتشاغل بمراعاتهم، فيتعب نفسه، ويضر دينه، ويحبط عمله كله، ويرتكب سخط الله تعالى .
وأما السمعة فهي العمل لأجل سماع الناس .

والعجب : قرين الرياء، وطريقة نفي الإعجاب أن يعلم أنَّ العمل فضل من الله تعالى عليه، وأنه معه عارية، فإنَّ لله ما أخذ ولله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي ألا يعجب بشيء لم يخترعه، وليس ملكاً له ولا هو على يقين من دوامه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتاوى : الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجْبُ من باب الشرك بالنفس .

والطمع : علاجه اليأس مما في أيدي الناس، وتعلق القلب بالله والرغبة فيما عنده .

وحب المدح : علاجه علمك أنَّ الممدوح حقًّا من رضي الله عنه وأحبه، وإنْ ذمَّه الناس .

واحتقار الآخرين واستصغارهم وازدرائهم : وطريقة نفي الاحتقار التأدب بما أدبنا الله تعالى به .

قال تعالى : فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ النجم

قال تعالى : إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴿١٣﴾ الحجرات

فربما كان هذا الذي يراه دونه أتقى لله تعالى، وأطهر قلبًا، وأخلص نية، وأزكى عملًا، ثم إنه لا يعلم ماذا يختم له به النصيحة .

قال ابن القيم : من آفات الإخلاص :

١- رؤية العمل وملاحظته فيرى الرجل عمله ويعظم في نفسه ويعجب بنفسه .

٢- طلب العوض والمقابل على الطاعة .

٣- رضاه بعمله وسكونه إليه .

أقوال السلف في الإخلاص :

قيل لسهل التستري : أي شيء أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص إذ ليس لها - أى النفس - فيه نصيب .

فالنفس تحب الظهور والمدح والرياسة ، وتميل إلى البطالة والكسل .

ولما مات على بن الحسن وجدوه يعول مائة بيت في المدينة .

وقال الشافعي رحمه الله : وددت أن الناس تعلموا هذا العلم يعني كتبه على أن إلا ينسب إلى منه شيء .

وقال أيوب السختياني : تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال .

وكان عبد الله بن المبارك يضع اللثام على وجهه عند قتاله في سبيل الله كي لايعرف .

وروى أن داود ابن أبي هند صام أربعين سنة لا يعلم به أهله . كان له دكَّان يأخذ طعامه في الصباح فيتصدق به فإذا جاء الغداء أخذ غداءه فتصدق به فإذا جاء العشاء تعشى مع أهله . أربعين سنة وهم لا يدرون بصيامه

وقال الحسن البصري : إن كان الرجل ليجلس في المجلس، فتجيئه عبرته فيردّها، فإذا خشي أن تسبقه قام .

وقال يوسف بن الحسين : أعز شيءٍ في الدنيا : الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي،فكأنه ينبُتُ على لونٍ آخر .

وقال ابن القيم فى الفوائد : العمل بغير إخلاصٍ ولا اقتداءٍ كالمسافر يملأ جِرابَه رملًا يُثقله ولا يَنفعه .

بعض ثمرات الإخلاص :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى :وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٥﴾ البينة

٢- قبول الأعمال .

قال تعالى : إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ المائدة

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ شَيْءَ لَهُ فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ شَيْءَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ . رواه النسائي وأبو داود .صحيح الترغيب والترهيب

٣- الوقاية من تسلط الشيطان على العبد :

قال تعالى :قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ص

٤- صرف السوء والفحشاء ودفع الفتن عن العبد .

قال تعالى:وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ يوسف

٥- الوقاية من عذاب الآخرة والفوز بالجنة .

قال تعالى :إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ الإنسان

٣- نيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ . رواه البخاري

٦- إجابة الدعاء وتنفيس الشدائد وتفريج الكربات كما جاء في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار .

فَقَالُوا : إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ ! فتوسل كل واحد منهم إلى الله تعالى بأخلص عمل قام به وكان كل واحد منهم يدعو ويقول : اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ . فتنفرج الصخرة شيئا حتى دعا الثالث فخرجوا وأنجاهم الله بصالح أعمالهم . متفق عليه

٧- تحصيل الأجر وإن عجز عن العمل :

عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ . رواه مسلم

٨- الإظلال في ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلِّهِ: وفيه : وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ . رواه البخارى مسلم

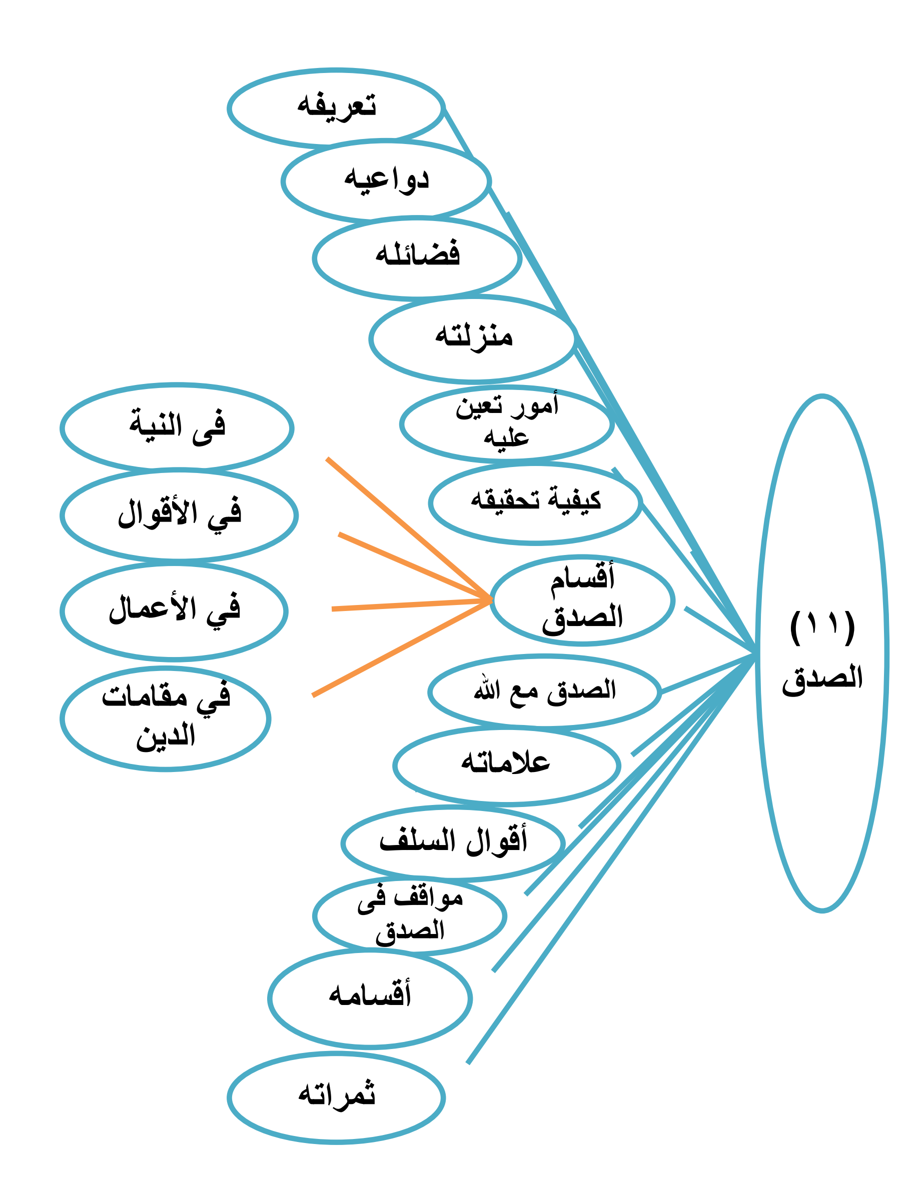
٩- مغفرة الذنوب والكبائر .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ . رواه البخارى

قال شيخ الإسلام : وهذه المرأة سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغُفِرَ لها، وإلا ليس كل بغي سقت كلباً يُغفر لها .

١٠- عظم الجزاء مع قله العمل :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ . متفق عليه


(١١)
الصدق
تعريفه
دواعيه
فضائله
منزلته
أمور تعين عليه
كيفية تحقيقه
أقسام الصدق
الصدق مع الله
علاماته
أقوال السلف
مواقف فى الصدق
أقسامه
ثمراته
فى النية
في الأقوال
في الأعمال
في مقامات الدين

الشعبة الحادية عشرة : الصدق ويدخل فيه : ترك الكذب

أولًا : الصدق

الصّدق شعبة من شعب الإيمان، وهو عنوان الإسلام وميزان الإيمان وأساس الدين ، وله المقام الأعلى في الدين والدنيا ، ومنزلة الصّدق من أعظم المنازل، به تميز أهل الإيمان من أهل النفاق، وبه يصل العبد إلى منازل الأبرار، لذا رغب الإسلام في الصدق وحث عليه واهتم به اهتمامًا كبيرًا وقد تضافرت نصوص القرآن والسنة في الحث عليه والتحلي به ؛ حتى ورد لفظ (الصدق) في القرآن الكريم في أكثر من مائة وخمسين موضعًا ولأهمية الصدق والحث عليه أمر الله المؤمنين أن يكونوا دومًا في زمرة الصادقين .

قال تعالى :يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ التوبة

فالفلاح كل الفلاح في مصاحبة الصادقين، وأخبر أيضًا أنه لا ينفع يوم القيامة إلا الصدق .

قال تعالى :قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ المائدة

ومنزلة الصدق منزلة عظيمة في جميع الشرائع السماوية . فالإيمان أساسه الصّدق، كما أن النّفاق أساسه الكذب . وطريق السعادة الصدق والتصديق، كما أن طريق الشقاوة الكذب والتكذيب . والصدق خلق من الأخلاق الحميدة التي أجمعت الأممُ على مر العصور والأزمان على اعتبار فضله . والصدق صفة من صفات الأنبياء والمرسلين وقد وُصِف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة بالصادق الأمين، وكانت قريش كلّها تعرف عنه ذلك، ولو حفظوا عليه كذبة واحدة لجعلوها دليلًا على تكذيبه في رسالته . وفي مقابل ترغيب الإسلام في الصدق؛ فقد رهب الإسلام من الكذب وشنع على كل من كذب وخلف وعده وخان ؛ بل عده الرسول صلى الله عليه وسلم من خصال المنافقين؛ فقَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ؛ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ؛ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ . متفق عليه . والكذب ينافي الإيمان فلا يجتمعان في قلب رجل واحد . وقد أمر الله بتجنب الكذب وحذر منه لما فيه من المفاسد .

تعريف الصدق :

قال الجرجانيّ : الصّدق هو مطابقة الحكم للواقع، وهو ضدّ الكذب .
وقال الباجي : الصدق هو الوصف للمُخبَر عنه على ما هو به .
وسئل الجنيد عن الصّدق والإخلاص أهما واحد أم بينهما فرق ؟ فقال : الصّدق أصل، والإخلاص فرع والصّدق أصل كلّ شيء، والإخلاص لا يكون إلّا بعد الدّخول في الأعمال، والأعمال لا تكون مقبولة إلّا بهما .

دواعي الصّدق :

لخّص الماورديّ فى أدب الدين والدنيا دواعي الصّدق وهى :

١- العقل : من حيث كونه موجبًا لقبح الكذب .
٢- الشّرع : حيث ورد بوجوب اتّباع الصّدق وحظر الكذب ، واللّه سبحانه لم يشرع إلّا كلّ خير .
٣- المروءة : لأنّها مانعة من الكذب باعثة على الصّدق .
٤- حبّ الإشتهار بالصّدق : فمن يتمتّع بهذا الإشتهار بين النّاس، لا يردّ عليه قوله ، ولا يلحقه ندم .

فضائل الصدق من الكتاب والسنة :

قال تعالى :يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ التوبة

قال تعالى :قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ المائدة

وقال تعالى : إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَـٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ وَٱلۡقَـٰنِتِينَ وَٱلۡقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَـٰشِعِينَ وَٱلۡخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلۡحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّـٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّـٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ الأحزاب

وعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا . رواه البُخاري ومسلم

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا، بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا ، مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا . رواه البُخاري ومسلم

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ ، فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا : صِدْقُ الْحَدِيثِ وحِفْظُ الْأَمَانَةِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَعِفَّةُ مَطْعَمٍ . رواه أحمد . صحيح الجامع

وعَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ . رواه أحمد . صحيح الجامع

وعن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ . رواه مسلم

منزلة الصدق :

قال ابن القيّم فى مدارج السالكين :

منزلة الصدق منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين . وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان ، وسكان الجنان من أهل النيران . وهو سيف الله في أرضه الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه . مَنْ صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته . فهو روح الأعمال ومَحكّ الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع العالمين .

الوسائل المعينة علي اكتساب الصدق :

قال ابن القيّم فى مدارج السالكين :

حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم، فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمله الثقيل، والكذب خفيف كالريشة لا يجد له صاحبه ثقلًا البتة، فهو حامل له في أي موضع اتفق، بلا تعب ولا مشقة ولا كلفة ، فهو لا يتقلب تحت حمله ولا يجد ثقله .

ومن الأمور التى تعين على الصدق :

١ـ مراقبة الله تعالى : فإذا آمن المرء بأن الله عز وجل معه يراه ويسمعه وأن كلماته وخطراته وحركاته وسكناته كلها محصاة ومكتوبة دفعه ذلك إلى الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال .

قال تعالى :أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧ المجادلة

وقال تعالى : مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ق

٢ـ الحياء : لأن الحياء يحجب صاحبه عن كل ما هو مستقبح شرعًا وعرفًا ، والمرء يستحيي أن يُعرف بين الناس أنه كذاب وهذا هو الذي حمل أبا سفيان وهو يومئذ مشرك أن يصدق هرقل وهو يسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم . فقال أبو سفيان : فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ . رواه البخاري

أي : ينقلوا عليَّ الكذب لكذبت عليه .

٣ـ صحبة الصادقين :

قال تعالى :يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩ التوبة

أي : اقتدوا بهم واسلكوا سبيلهم وهم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم، ووفوا بعهودهم وصدقوا في أقوالهم وأعمالهم .

٤ـ إشاعة الصدق في الأسرة : حتى يشبوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : دَعَتْنِى أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاعِدٌ فِى بَيْتِنَا فَقَالَتْ هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ . فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ قَالَتْ أُعْطِيهِ تَمْرًا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ . رواه أحمد وأبو داود . حسنه الألبانى

٥ـ الدعاء : وقد أمر الله نبيه أن يسأله الصدق في المخرج والمدخل .

قال تعالى : وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ الإسراء

٦- معرفة وعيد الله للكذابين وعذابه للمفترين : وجاءت النصوص الكثيرة التي تحذر من الكذب، وتبين سوء عاقبته في الدنيا والآخرة فإنَّ تذكير النفس بها مما يعين المرء على الصدق في أحواله كلها

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ . رواه البُخاري

أقسام الصدق :

١- الصدق فى النية :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ . رواه مسلم

٢- الصدق في الأقوال :

ويكون في الأخبار أو ما يتضمن الإخبار، والخبر إما أن يتعلق بالماضي فلا يخبر عن الأشياء على خلاف ما هي عليه أو بالمستقبل كالوفاء بالوعد والعهد . وهذه المرتبة من الصدق هي التي يحصر كثير من الناس الصدق فيها، ولا شك أنها مرتبة عظيمة وتكميلها من أعز الأمور وأشقها على النفس، ولكنها يسيرة على من يسرها الله عليه وجاهد نفسه في تحقيقها .

من صور الصدق في الأقوال :

أ- الصدق في نقل الأخبار :

فلا ينقل المسلم إلا الأخبار الصادقة وأن يتثبت مما يقال ويجتنب الظنون والأوهام وأن يحذر من التحدث بكل ما يُسْمَعُ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ . رواه البُخاري

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ . رواه مسلم

ب- الصدق في الوعد :

الوفاء بالوعد من الصدق في الأقوال، وإخلافه يعد كذباً إلا إذا كانت النية عند إعطاء الوعد صادقة ثم حال بينه وبين تنفيذ الوعد أمر خارج عن إرادته ، فلا يعد إخلافاً للوعد ولا كذباً .

قال تعالى :وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ مريم

ج - الوفاء بالعقود والعهود :

وإخلاف العهد والغدر فيه من أشد أنواع الكذب .

قال تعالى :وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

٣- الصدق في الأعمال :

بأن يجاهد العبد نفسه في أن تكون سريرته وعلانيته واحدة .

قال يزيد بن الحارث : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك الإنصاف، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور .

٤- الصدق في مقامات الدين :

وهو أعلى الدرجات كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والرضا والتوكل والحب ونحوها .

كيفية تحقيق الصدق :

ربما يعتقد البعض أن الصدق في الأقوال فقط فحقيقة الصدق أوسع من ذلك ، فالصدق يشمل جميع شعب الإيمان .

قال ابن القيّم رحمه الله فى مدارج السالكين : والصّدق ثلاثة : قول وعمل وحال .

فالصّدق في الأقوال : بأن يحفظ العبد لسانه ، ولا يتكلم إلا بالصدق وليعلم أن الله سائله عن ذلك .

والصّدق في الأعمال : بأن تستوي سريرته وعلانيته ، بحيث لا يخالف ظاهره باطنه .

والصّدق في الأحوال : كالصدق في الإخلاص والخوف، والتوبة، والرجاء والزهد والحب والتوكل وغيرها .

ولهذا كان أصل أعمال القلوب الصدق ، فمتى صدق المسلم ارتفعت نفسه وعلت مكانته عند الله عز وجل وبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته .

علامات الصدق :

١- طمأنينة القلب واستقراره .
٢- الزهد في الدنيا والتأهب للقاء الله عز وجل .
٣- حفظ الوقت وتدارك العمر .
٤- الزهد في ثناء الناس ومدحهم بل وكراهة ذلك .
يقول ابن القيم : لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار .
٥- إخفاء الأعمال الصالحة وكراهة الظهور .
٦- الشعور بالتقصير والإنشغال بإصلاح النفس ونقدها أكثر من الآخرين .
٧- الإهتمام بأمر هذا الدين والجهاد في سبيل الله عز وجل .
٨- قبول الحق والتسليم له .

أقوال السلف في الصدق وحقيقته :

قال عمر بن الخطاب ﷺ : لأن يضعني الصدق أحب إليّ من أن يرفعني الكذب . عليك بالصدق وإن قتلك .
وقال الجنيد : حقيقة الصّدق أن تصدق في موطن لا ينجّيك منه إلّا الكذب .
وقال أحمد بن حنبل : لو وضع الصدق على جرح لبرأ .
وكان عبد الملك بن مروان يقول لإسماعيل بن عبيد الله : علِّم بنيَّ الصدق كما تعلمهم القرآن .
وقال إياس بن معاوية : والله ما أود أن أكذب كذبة أعلم أن الله يغفرها وأعطى عليها عشرة آلاف درهم ولا يعلم بها إلا أبي معاوية .
والصدق جماع كل خير وأصل كل فضيلة، كما أن الكذب جماع كل شر وأصل كل ذم .
وقيل : عليك بالصّدق حيث تخاف أنّه يضرّك، فإنّه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنّه ينفعك فإنّه يضرّك .
وقال بعض البلغاء : الصادق مصان جليل، والكاذب مهان ذليل .

حال السلف مع الصدق :

١- حكى الأصمعي : أن رجلاً أتى الحجاج فقال : إن ربعي بن حراش زعموا لا يكذب ، وقد قدم ولديه عاصيين قال : فبعث إليه الحجاج فقال : ما فعل ابناك ؟ فقال : هما في البيت والله المستعان، فقال الحجاج بن يوسف : هما لك وأعجبه صدقه .
٣- خطب الحجاج بن يوسف فأطال في الخطبة ، فقام رجل من المسلمين فقال : الصلاة يا حجاج فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك، فأمر الحجاج بحبسه ، فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون، فقال الحجاج: إن أقر بالجنون خليت سبيله، فقالوا له : قل للحجاج إنك مجنون، فقال: معاذ الله والله لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني، فبلغ ذلك الحجاج فقال: عفوت عنه لصدقه .
وقال ابن القيم في زاد المعاد : ومن فوائد قصة كعب : عظم مقدار الصدق وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، فما أنجى الله من أنجاه إلا بالصدق ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين . وقد قسم سبحانه الخلق إلى قسمين : سعداء وأشقياء فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب .

من ثمرات الصدق :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
قال تعالى :يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ التوبة
٢- سبب من أسباب الفوز بالجنّة ورضا الله تعالى .
قال تعالى :قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ المائدة
٣- تفريج الكربات وإجابة الدعوات والنجاة من المُهلِكات .
كما جاء في قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ . رواه البخارى ومسلم . فلما دعوا جاءهم الفرج .

٤- يحشر صاحبه مع النّبيّين والشّهداء والصّالحين .

قال تعالى :وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ النساء

٥- يورث الطمأنينة والسكون وراحة الضمير : .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ .صحيح الجامع

٦- الثناء الجميل والذكر الحسن .

قال تعالى : وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ مريم

والمراد باللسان الصدق : الثناء الحسن

٧- انتفاء صفة النفاق عن الصادق .

قَالَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّث كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ . رواه البُخاري ومسلم

٨- حصول البركة في الكسب .

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا . رواه البُخاري ومسلم

٩- الفوز بمنزلة الشهداء .

قَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ . رواه مسلم

١٠- الصادق تنزل عليه الملائكة، والكاذب تنزل عليه الشياطين .

قال تعالى : هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ الشعراء

١١- مراقبة الله سبحانه وتعالى .

لقوله صلى الله عليه وسلم : وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ . رواه مسلم

١٢- ظهور الصدق على وجه صاحبه .

عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ وَقِيلَ قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجِئْتُ فِى النَّاسِ لأَنْظُرَ فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ . رواه أحمد . السلسلة الصحيحة

١٣- تيسير أسباب الهداية للحق .

قال تعالى : وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ العنكبوت

١٤- نيل مرتبة الصديقية .

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا . رواه البُخاري ومسلم

ثانيًا : ترك الكذب

الكذب من آفات اللسان الخطيرة، وشروره المستطيرة، وهو داء عضال ومرض خطير، وخصلة من خصال المنافقي وجماع كل شر، وهو من قبائح الذنوبِ، لا يلجأ إليه إلا من ضعف دينه وقلّ عقله لأن الكاذب لا يكذب إلا لينال من خلاله مطمعًا أو ليدفع عنه مزعجًا أو ليَستر به نقصًا ويواري به ضعفاً، ولو كمُل إيمانه وعظمت ثقته بنفسه وتمّ له عقله لأيقن أن الله قد كتب كل شيء وقدَّره، فلن يستجلب العبد بالكذب ما لم يُقدَّر له، ولن يدفع عن نفسه بالكذب ما قُدِّر عليه، ولن ينال به حمدًا، ولن يدفع به ذمًّا ؛ بل هو طريقٌ يستجلِبُ به العبدُ سخطَ الله ومقته عليه . كلما كان الكذب أعظم أثرًا ، كانت عقوبته أكبر وأعظم .

تعريف الكذب :

يقول الإمام النووي رحمه الله في الأذكار :

الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، تعمَّدت ذلك أم جهلته، لكن لا يأثم في الجهل، وإنما يأثم في العمد .

وحقيقة الكذب هي الإخبار عن الشيء بخلاف الواقع ، والإخبار لا يقتصر على القول، بل قد يكون بالفعل كالإشارة باليد أو هز الرأس، وقد يكون بالسكوت .

يقول الشيخ الميداني رحمه الله فى الأخلاق الإسلامية وأسسها :

وكما يكون الكذب في الأقوال، فيكون أيضًا في الأفعال، فقد يفعل الإنسان فعلًا يُوهمُ به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل، مثلما تكون المخادعة بالقول، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطرًا وأقوى تأثيرًا من الكذب في الأقوال، ومن أمثلة ذلك ما حكاه الله لنا من أقوال وأفعال إخوة يوسف عليه السلام إذ جاؤوا أباهم عشاء يبكون، وقالوا كذبًا : يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ يوسف

فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل .

حكم الكذب :

قال الإمام النووي رحمه الله في الأذكار:

وإجماع الأمة منعقد على تحريمه مع النصوص الظاهرة، ويكفي في التنفير منه الحديث المتفق على صحته : آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كَذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان .

وذهب كلٌّ من الحافظ ابن حجر والإمام الذهبي رحمهما الله إلى أن الكذب من الكبائر، وأفحش الكذب ما كان كذبًا على الله أو على رسوله صلى الله عليه وسلم .

الحالات التي يُباح فيها الكذب :

استثنى العلماء رحمهم الله الكذبَ فى ثلاث حالات وهى : الإصلاح بين الناس وفي الحرب وبين الزوجين .

عَنْ أم كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ قالت سَمعتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا . وَقَالَتْ : لَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إلا فِي ثلاثٍ : فِي الْحَرْبِ، وَالإِصْلاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثِ الرَّجُلِ إِمْرَاتَهُ وحَدِيث الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا . رواه البخاري ومسلم

قال الإمام النووي رحمه الله في رياض الصالحين : الكذب إذا كان لدفع الظلم، كما لو اختفَى مسلم مِن ظالم يريد قتْلَه أو أخْذَ ماله، وأخفى ماله وسُئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخْذَها فإنه يكذب لإخفائها، والأحوط أن يوَرِّي والتورية : أن يقصد بعبارته مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذبًا بالنسبة إليه، وإنْ كان كاذبًا في ظاهر اللفظ وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطَب.

مسألة : كذب الزوج على زوجته أو العكس ليس على إطلاقه :

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم : وأما كذبه لزوجته، وكذبها له، فالمراد به في إظهار الود والوعد بما لا يلزم، ونحو ذلك . فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها، فهو حرام بالإجماع .

وقال الخطابي رحمه الله في عون المعبود : كذب الرجل على زوجته أن يعدها ويمنّيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه؛ يستديم بذلك صحبتها، ويصلح به خُلقها .

مسألة : هل يجوز الكذب لإخفاء الذنب والستر على نفسه ؟

من ارتكب إثما فيما بينه وبين الله فليبادر بالتوبة وليستر على نفسه، ولا يتحدث به ، وإذا سأله سائل عنه فلا يذكر له وقوعه فيه ، كما أن عليه أن لا يكذب ، فإن أحيط به وَرّى واستخدم المعاريض، كأن يقول : وهل تُصدق أني أفعل مثل هذا ؟ يوهم أنه لم يفعله . أو يقول : لا يفعل هذا إلا الجهال، يقصد أنه كان جاهلًا وقت فعله ثم تاب منه ، ونحو ذلك . وله أن يتأول في الكلام، كأن يقول : لم أفعله ويقصد لم يفعله اليوم، ونحو ذلك ولا بأس من استعمال المعاريض والتأويل عند الحاجة إليها؛ خشية الوقوع في الكذب .

الحذر من الكذب بالمعاريض :

نُقلَ عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب . وأرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب .
وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار . قال للجارية : قولي له أطلبه في المسجد ولا تقولي له ليس ههنا كيلا يكون كذبًا .
وكان الشعبي إذا طُلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة ، وقال للجارية : ضعي الإصبع فيها وقولي ليس ههنا
وهذا كله في موضع الحاجة . فأمَّا في غير موضع الحاجة فلا .

ما جاء في ذم الكذب :

١ـ توعد الله جل وعلا الذين يكذبون بالعذاب الأليم .

قال تعالى :وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ البقرة

٢ـ أخبر الله عز وجل أن الكذب سبب للحرمان من نعمة الهداية .

قال تعالى :إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ غافر

٣ـ جعل الله عز وجل الكذب فى المباهلة سبب للطرد من رحمته .

قال تعالى :ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ آل عمران

٤ـ الكذب من الكبائر :
عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ . رواه البخاري
٥ـ أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الكذب يهدي إلى الفجور، وصاحبه متوعد بالنار :
عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا . رواه البخاري ومسلم
٦ـ أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الكذب شعبة من النفاق وصفة من صفات المنافقين :
عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ . رواه البخاري ومسلم
٧ـ بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الكذب سبب من أسباب محق البركة :
عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا . متفق عليه
٨ـ أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أسباب ضيق الصدر والشك والإضطراب وعدم راحة البال الكذب
قَالَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ . رواه أحمد والترمذي . صحيح الجامع
٩ـ من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، الذي يحلف كذبًا على سلعته من أجل ترويجها.
عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلاَثَ مِرَارٍ . قَالَ أَبُو ذَرٍّ خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ . رواه مسلم
١٠ـ الكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب .
عن عائشة رضي الله عنها قالت : مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَذِبَةَ ، فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً . رواه أحمد .
قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح

أقسام الكذب :

الكذب ظلمات بعضها فوق بعض ، وأودية لا يقتحمها إلاَّ هالك ، ويمكن تقسيم الكذب إلى ثلاثة أنواع وهى :

١ - الكذب على الله عز وجل

١ - الكذب على رسوله صلى الله عليه وسلم

٣- الكذب على الناس فيما يتعلق بأعراضهم وأموالهم وأنفسهم .

أولًا : الكذب على الله عز وجل :

وهو أقبح وأخطر وأعظم أنواع الكذب على الإطلاق وهو شعبة من شعب الكفر ولا أحد كُذب عليه كما كُذب على الله عز وجل ، وقد وقعت فيه أمم كثيرة منهم من ينسب الى دين سماوى ومنهم من اخترع له دين .

من صوره الكذب على الله عز وجل :

١- ادعاء الولد لله تعالى فلا أعظم ولا أكبر من الكذب على الله أن ينسب له الولد .

قال تعالى :﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ مريم

وما حورب التوحيد وحورب الرسل إلا من أجل هذه الفرية ، وكم قامت من حروب بين الكفر والإسلام بسبب هذه الفرية .

٢- إدعاء أن الله تعالى لا يعذب أحد بذنب كما ادعت اليهود فقالوا : ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ البقرة

وقد قيل فى الإسلام مثل ذلك وهو أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان فقط، وإنما العمل لزيادة الحسنات، فإذا فعلت الطاعات كان لك الأجر، وإذا تركت الواجبات لا يضرك مادمت أنك مؤمن بلسانك وقلبك . وهذا من افتراء الكذب على الله تعالى لأنه يترتب على ذلك شر عظيم فيصبح الوعيد الموجود فى القرآن وفى السنة لا قيمة له، والحق أن الله تعالى توعد على الذنب صغيره وكبيره وأن المعصية معصية وأن الذنوب تتفاضل فى العقوبة، وكل ذنب مربوط به عقوبة .

قال تعالى : ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ الزلزلة

فالقول بأنه لا يضر مع الإيمان الذنب، وأن الطاعات هى لرفع الدرجات، فرية وكذب ومنكر عظيم، فقد فُعلت المنكرات وارتكبت المحرمات وفسدت أحوال الأمة بسبب هذه الفرية .

٣- ادعاء أن الله نص على الخلافة فى أناس بأعينهم ونزل القرآن بهذا كما زعمت الشيعة فهذا كذب على الله تعالى عظيم ، فكم قام بسبب هذا الكذب من الحروب والفتن والقتل .

قال تعالى : ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ الأنعام

٤- تحليل ما حرَّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله وتشريع أمرٍ لم يأذن به الله .

قال تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ١١٦﴾ النحل

٥- القول على الله بلا علم كالفتوى بغير علم أو حمل كلام الله على غير معناه اتباعًا لهواه كوصفه بأوصاف لم يصف الله بها نفسه، ولم يصفها بها رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فهذا من أخطر وأشد أنواع الكذب .

قال تعالى : ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ الأعراف

يقول ابن قيم فى مدارج السالكين :

وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات تحريمًا وأعظمها إثمًا ولهذا ذُكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان . وقد ذكر الله تعالى الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال والإثم والبغي بغير الحق، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه وهو الشرك بالله، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون . فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثما فإنه يتضمن الكذب على الله ونسبته إلى ما لا يليق به وتغيير دينه وتبديله ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه وعداوة من والاه وموالاة من عاداه وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله . وهو أصل الشرك والكفر ووعليه أسست البدع والضلالات فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم .

٦- ادعاء النبوة، وأنَّ الله يوحِي إليه :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ الأنعام

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ . متفق عليه

ومن هؤلاء الكذّابين المختار الثقفي وَالْعَنْسِيُّ ومسيلمة الكذّاب باليمامة وآخر الكذّابين خروجًا هو المسيح الأعور الكذّاب .

ثانيًا : الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم :

وهو من أعظم وأشنع أنواع الكذب بعد الكذب على الله تعالى لأنه يؤدي إلى تبديل دين الله تعالى، وتغيير شريعته، وهو منكر عظيم وإثم كبير وقد ذهب بعض أهل العلم إلى كفر من تعمد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم إذا ترتب عليه تغيير شيئًا من الشريعة .

قال ابن الجوزي في تفسيره : ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ولا ريب أن تعمُّد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض .

وقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ . رواه البخاري ورواه مسلم

وقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَوَى عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ . رواه مسلم

وأكثر الناس كذبًا على الرسول الرافضة الشيعة فلا يوجد في الفرق أحد أكثر منهم كذبًا عليه، وقد نص على ذلك علماء مصطلح الحديث حينما تكلموا على الحديث الموضوع . فقالوا : إن أكثر من يكذب على الرسول هم الرافضة الشيعة .

ثالثًا : الكذب على الناس .

وهو من أعظم الجرائم التي تضرُّ بالمجتمع وتؤجِّج رُوح العداوة والمشاحنة ، وله صور شتى منها :

١- شهادة الزور وهي من أكبر الكبائر :

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاَثًا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ . رواه البخاري

قال القرطبي رحمه الله : شهادة الزور هي الشهادة بالكذب؛ ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مالٍ، أو تحليل حرامٍ، أو تحريم حلال .

٢- الكذب في الخصومات لإقتطاع مال الناس بغير حق، أو ليتهرب من الحق .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهْوَ كَاذِبٌ وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ . رواه البخاري

٣- الكذب في البيع والشراء لإخفاء عيوب سلعته، أو ترويج بضاعته .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ . رواه أحمد. السلسلة الصحيحة

٤- الكذب لإفساد ذات البين .

قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾ محمد

٥- الكذب بقصد المزاح والسخرية فيأتي بالغرائب والعجائب والقصص المكذوبة لإضحاك الناس .

عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ ، فَيَكْذِبُ ، وَيْلٌ لَهُ ، وَيْلٌ لَهُ . رواه أحمد وأبو داود والترمذي . صحيح الجامع

٦- الكذبُ في المنام ، كمن زعم أنه رأى كذا وكذا :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ مِنْ أَفْرَى الفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ . رواه البخاري

وسبب التشديد هنا لأنه زعم أن الله أراه تلك الرؤيا وهو كاذب .

٧- الكذب في إظهار الفضل وادِّعاء ما ليس له :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ ادَّعَى مَا لَيسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ . رواه مسلم

وعَنْ أَسْمَاءَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ . رواه البخاري

٨- الكذبُ في نشر الكلام بين الناس بدون تثبت ، وخاصةً في مواقع التواصل لأنها أسرع في الإنتشار .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ . رواه مسلم

أسباب الكذب ودواعيه كثيرة، ومنها :

الخوف من النقد أو العقاب أو العتاب أو إيثار المصلحة العاجلة . أو ضعف المراقبة والخوفِ من الله تعالى .

قال الماوردى فى أدب الدنيا والدين : وَأما دواعي الْكذب فمنها :

١- اجتلاب النّفع واستدفاع الضّرّ، فيرى أنّ الكذب أسلم وأغنم ، فيرخّص لنفسه فيه اغترارا بالخدع .
٢- أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذبا، وكلامه مستظرفا .
٣- التّشفّي من عدوّه فيسمه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه.
٤- أن يألفه فيصير له عادة، ونفسه إليه منقادة . قَالَ بعض الْحُكَمَاءُ : مَنْ اسْتَحْلَى رَضَاعَ الْكَذِبِ عَسِرَ فِطَامُهُ .
٥- حبّ التّرأّس، وذلك أنّ الكاذب يرى له فضلًا على المخبر بما أعلمه، فهو يتشبّه بالعالم الفاضل في ذلك .

علاج الكذب :

الكذب داء عضال، ومرض يفتك بصاحبه، وما من داء إلا وله دواء، ودواء الكذب يتلخَّص في :

١- الدعاء والإستعانة بالله عز وجل :

قال تعالى :وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ الإسراء

٢- مصاحبة الصادقين :

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ التوبة

٣- هَجْرُ الكذابين فالطباع سرَّاقة، والصاحب ساحب، والمرءُ على دين خليله .

قالت عائشة : كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا اطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كَذَبَ كَذْبَةً لَمْ يَزَلْ مُعْرِضًا عَنْهُ حَتَّى يُحْدِثَ تَوْبَةً . رواه أحمد والحاكم . صحيح الجامع

٤- إستشعار أن الكذب طريق الفجور وأن مآله إلى النار .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ . رواه البخاري ومسلم

٥- استبدال مجالس السوء وفضول الكلام بمجالس الذكر وحِلَق العلماء .

قال تعالى :وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ الكهف

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً . رواه البخاري ومسلم

٦- إستشعار أن الكذب صفة من صفات المنافقين .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ . رواه البخاري

٧- الوقوف على فضل الصدق وحال الصادقين، ومعرفة شؤم الكذب وحال الكاذبين :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا . رواه مسلم

فالفوز بالجنة والنجاة من النار لا يكون إلا بالصدق مع الله، ومع النفس، ومع الخلق، وترك الكذب الذي هو أصل كل شر .

٨- القيام بواجب الأخوَّة، وهذا يقتضي عدم الكذب على الغير :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ . رواه الترمذي . صحيح الجامع

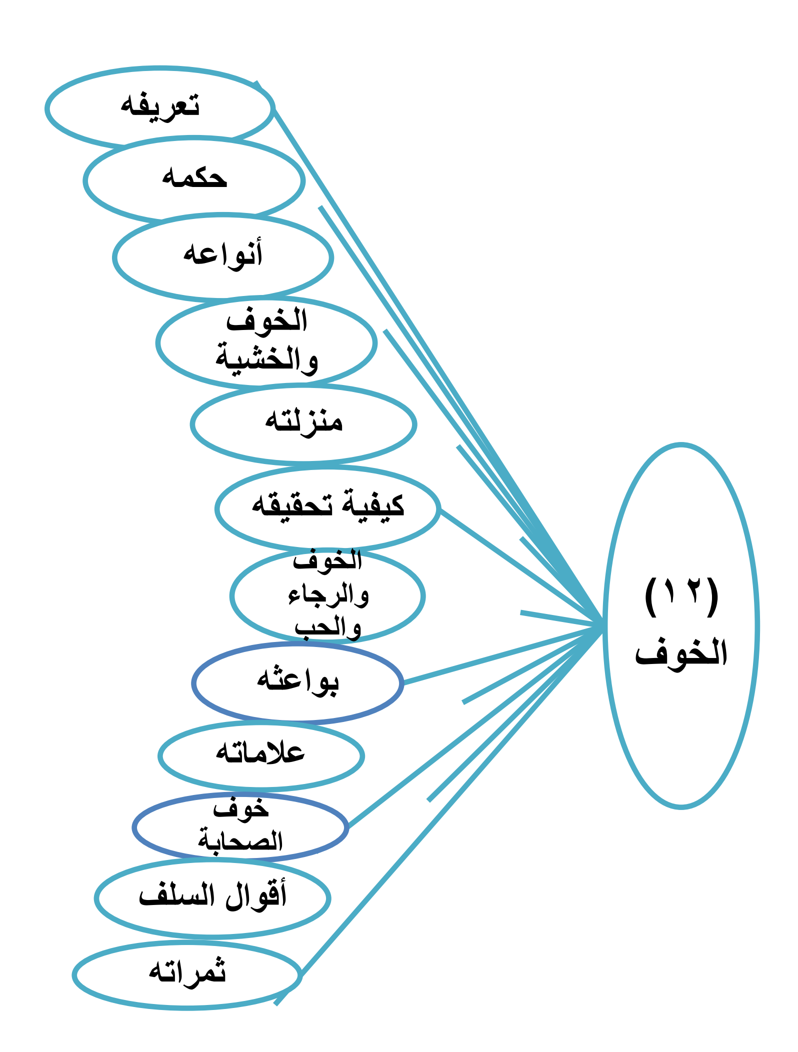
٩- الإكثار من ذكر الله عز وجل فكثير الذكر لله أبعد ما يكون من آفات اللسان، فلا تكثروا الكلام بغير ذكر الله؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي .

والفوز بالجنة والنجاة من النار لا يكون إلا بالصدق مع الله، ومع النفس، ومع الخلق، وترك الكذب .

بعض أقوال السلف في ذمّ الكذب :

قال عمر بن الخطّاب ﷺ : لأن يضعني الصّدق أحبّ إليّ من أن يرفعني الكذب .

وقال علي ﷺ : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة .
وقال البخاريّ وغيره: لا يؤمن العبد الإيمان كلّه حتّى يترك الكذب في المزاح ، ويترك المراء وإن كان صادقا .
وقال الذّهبيّ : يطبع المسلم على الخصال كلّها إلّا الخيانة والكذب .
وسئلَ الإمامُ أحمدَ رحمه الله بِمَ نعرفُ الكذابين ؟ قال : انظروا إلى مواعيدِهم .
وقال الحسن : الكذب جماع النفاق .
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : إياك أن تستعين بكذوب فإنك إن تُطِع الكذوب تهلك .
وقال ابن حبان : رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدي الفضائح ، ويكتم المحاسن .
يقول الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني فى التحذير من الكذب
إياكم والكذب : فالكذب مرض فتَّاك، وداء عضال، وخُلُقٌ ساقطٌ بغيضٌ إلى الله، بغيض إلى رسوله، بغيض إلى الفِطر الصادقة، يأباه الشرفاء، ويمقته العقلاء، وتمجُّه أنفس النبلاء، يُهين أصحابه، ويُذل أربابه، ويزري بمروجيه . لذلك حذَّرَ الرسول صلى الله عليه وسلم منه، حتى لو كان لمجرد الإضحاك أو الممازحة؛ لأن ذلك يغري باستساغته وقبوله والتعوُّد عليه، فيقول صلى الله عليه وسلم : ويلٌ للَّذِي يُحَدِّثُ فيكذب ليُضحكَ به القوم! ويل له! ويل له. رواه أبو داود . صحيح الجامع
ولو بحثت وراء كل مصِيبة، وتحت كل خطيئة، فستجد أنها مُتلطخة بالكَذِب، مغلفَة به، فالكفر والنفاق والرياء والفجور والبهتان والخديعة والمكر والظلم والخُلف والغش والزنا والسرقة والتحايل والغيبة والنميمة كلها أمراض أساسُها وعِمَادُها الكذب، فهل صُدّ الناس عن الدين، وشُكك في الرسالة، وكُذب الأنبياء إلا الكذب ؟
وهل النفاق إلا معتقَدٌ أساسه الكذب، وبني على الكذب ؟
وهل الرياء إلا عمل غُلِّفَ بالكذب، فيتظاهر أنه لله وهو لغير الله ؟
وهل التجني على الوحي، والنيل من الصحابة، والإنحراف في المعتقد، إلا بالكذب ؟
وهل شوه الدين، ونُفِّر من الإسلام إلا بالكذب ؟
وهل الحمَلات الضارية على المسلمين، والتخويف منهم، والاتهامات لهم إلا بالكذب ؟
وهل استبيحت بلدان، وانتهكت أعراض، واحتُلَّت أوطان، وسلبت خيرات إلا بالكذب ؟
وهل كرِهَت الشعوب حكامَها وولاتها إلا بسبب الكذب ؟
وهل تهوَّر أناس وانغمسوا في وُحول الإرهاب إلا بالكذب ؟
وهل فسدت المودة بين المسلمين شعوبًا وأفرادًا إلا بالكذب ؟
وهل تبث مئات الشاشات، وعشرات القنوات ومواقع الإنترنت إلا الكذب ؟
وهل ضاعت الثقة بين المسلمين وأصبح لا يثق بأحد إلا بسبب الكذب ؟
وهل كره الناس التجارة والشراكة والمداينة والتعاون إلا بسبب الكذب ؟
وهل مُحِقَتْ بركة المشاركة والمبايعة إلا بسبب الكذب ؟
وهل شوهت سمعة أناس، ولُطِّخَتْ كرامة فئات، إلا بالكذب ؟
وهل غرَّر بكثير من بنات المسلمين، فذهب شرفهن، ودنست سمعتهن، إلا بالكذب ؟
وهل أثرى كثير من الناس، وتضخمت ثرواتهم إلا بالكذب ؟
وهل استطاع إبليس إغواءَ أبينا آدم وأمِّنا حوَّاء، وإخراجهما من الجنّة وإهباطِهما إلى الأرض، إلا بالكذب ؟
منقول بتصرف يسير { خطبة للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني }


(١٢)
الخوف
تعريفه
حكمه
أنواعه
الخوف والخشية
منزلته
كيفية تحقيقه
الخوف والرجاء والحب
بواعثه
علاماته
خوف الصحابة
أقوال السلف
ثمراته

الشعبة الثانية عشرة : الخوف

الخوفُ من الله شعبةٌ من شُعَب الإيمان وأصلٌ من أصول التوحيد، وهو عبادة قلبية عظيمة من أجل العبادات لا تصدر إلا من مؤمن صادق الإيمان لذا كانت له هذه المنزلة العالية والفضيلة العظيمة، وهو شرط من شروط الإيمان . من صرفه لغير الله فقد أشرك شركًا أكبر؛ إذ جعل لله نِدًا في الخوف كحال المشركين وعُباد القبور . والخوفُ من الله من أعمالِ القلوبِ التي تبعَث عَلَى الأعمالِ الصَّالحةِ وترغِّب في الدارِ الآخرة وتزجُر عن الأعمالِ السيئة وتزهِّد في الدّنيا وتكبَح جماحَ النّفس العاتية . وهو سَائقٌ للقلبِ إلى فعل كلّ خير ، وحاجزٌ له عن كلّ شر . وقد توعد الله تعالى مَنْ أمن مكر السيئات بالخسف أو العذاب دون أن يشعر .

قال تعالى :أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ النحل

ثم بين الله عز وجل أنه لا يأمن مكر الله إلا الخاسرون :

قال تعالى :أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ الأعراف

معنى الخوف :

لغة : تدل مادة (خ و ف) على الذعر والفزع { المقاييس واللسان }

يقول الجرجانيّ فى التعريفات : الخوف توقّع حلول مكروه أو فوات محبوب . وقيل هو فزع القلب من مكروه يناله أو من محبوب يفوته.

قال صاحب كتاب المعتصر شرح كتاب التوحيد : الخوف هو وصف قائم بالقلب يؤدي إلى فعل الأوامر وترك النواهي .

وحقيقة الخوف هو الذي يحول بين العبد وبين معصية الله، ويدفع العبد دفعًا إلى طاعة سيده ومولاه، فالخائف من يترك ما يخاف أن يعاقبه الله عليه . فالخوف مانعٌ للنَّفس عن شهواتها، ودَافِع لها إلى ما فيهِ صَلاحُها وفلاحها . أما إذا زَادَ عن القدرِ المحمود صار يأسًا وقنوطًا من رَحمةِ الله تعالى .

قال أحد السلف : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقَب عليه .

حكم الخوف من الله تعالى :

الخوف من الله من أعظم الواجبات وشرط من شروط الإيمان . لذلك يجب أن يكون فى قلب العبد قدرٍ من الخوف من الله عز وجل يحمله على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك، فهو مستحب بحيث يصير باعثًا للنّفس على فعل المستحبات واجتناب المكروهات وعدم التوسع في فضول المباحات .

قال ابن القيم رحمه الله فى طريق الهجرتين وباب السعادتين :

الخوف أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها وهى : الخوف والرجاءُ والمحبة

قال تعالى :إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ آل عمران

أنواع الخوف :

قال الشيخ صالح الفوزان فى إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد :

الخوف ثلاثة أنواع :

الأول : خوف السر أو خوف العبادة :

وهو أن يخاف الإنسان من غير الله جل وعلا بما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا، كأن يخاف من الأصنام والأوثان وما عُبد من دون الله، أو يخاف أصحاب القبور والأضرحة، أو يخاف الجن والشياطين ، فيتقرّب إليهم بما يحبون من الشرك بالله من أجل أن يسلَم من شرهم، فهذا شركٌ أكبر يُخرج من الملّة . وأما المؤمن فإنه لا يخاف إلاَّ الله تعالى لأنه هو الذي يملك النفع والضر، وهو الذي بيده الأمور، وأنه لا يصيبه إلاَّ ما قدّره الله له .

النوع الثاني : خوف محرم :

وهو أن يترك الإنسان أداء ما أوجب الله عليه من الواجبات خوفًا من النّاس أن يؤذوه أو يضايقوه فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وبيان الحق خوفًا من النّاس، فهذا شركٌ أصغر وهو محرّمٌ .

النوع الثالث : خوف جائز :

وهو الخوف الطبيعي الذي ليس معه عبادة للمخوف ولا ترك لواجب . كأن يخاف الإنسان من الأسباب التي جعل الله فيها ما يخاف ابن آدم منه، كالخوف من النار أن تحرقه، أو من السَّبُع أن يعدو عليه، أو من العقرب أن تلدغه، أو من ذي سلطان غشوم أن يؤذيه ونحوه. فهذا خوف جائز لا يُلام عليه الإنسان، لأنه ليس عبادة وليس تركاً لواجب . وموسى عليه السلام لَمّا تآمر عليه الملأ ليقتلوه .

قال تعالى : فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ القصص

الفرق بين الخوف والخشية :

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

الخشية خوف مبني على العلم بعظمة من يخشى وكمال سلطانه، فإذا خفت من شخص لا تدري هل يقدر عليك أم لا فهذا خوف وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية، فالخشية أخص من الخوف فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء، وعلى حسب قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية . فالخشية أعلى من الخوف وأشد منه .

قال تعالى :إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾ فاطر

الفرق بين الخوف والرهبة :

قال أبو هلال العسكري فى الفروق اللغوية :

الرهبة طول الخوف واستمراره، ومن ثمّ قيل للراهب راهب؛ لأنّه يديم الخوف . فالرهبة خوف مخصوص .

الفرق بين الخوف والفزع :

قال أبو هلال العسكري فى الفروق اللغوية :

الفزع مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هدة وما أشبه ذلك، وهو انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل .
وهكذا فالفزع يختص بالمفاجأة، ويصاحبه توقع مكروه عاجل، وانقباض ونفور من المخوف .

منزلة الخوف من الله فى الإسلام :

١- الخوف من لوازم الإيمان وموجباته به يكمل توحيد العبد، وبنقصه يكون النقص لكمال توحيده، وقد أمر الله بالخوف منه وخشيته في مواضع كثيرة من كتابه الكريم .
قال العلامة ابن القيم رحمه الله : الخوف علامة صحة الإيمان، وترحُّله من القلب علامة ترحُّل الإيمان منه.

قال تعالى :إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ آل عمران

٢- الإنسان إذا خاف الله عز وجل وعمل بطاعته أمَّنه مما يخاف يوم القيامة .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلا قَالَ : وَعِزَّتِي ! لا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وأَمْنَيْنِ ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا ، أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه ابن حبان . حسنه الألباني
٣- لا يجتمع الرجاء والخوف من الله في قلب عبد عند قرب موته، إلا أعطاه الله ما يرجو من عفوه وآمنه مما يخاف .
عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : وَاللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ . صحيح ابن ماجة
٤- كلما قوي إيمان العبد زاد خوفه، وزال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم .

قال تعالى :إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ آل عمران

٥- من خاف الله تعالى، انتفع بالقرآن الكريم نفعاً عظيماً .

قال تعالى :فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ق

٦- من خاف الله تعالى، بادر إلى الطاعات، وسارع إلى الخيرات .

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ المؤمنون

٧- أخشى الناس لله جل جلاله هم العلماء؛ لأنهم أعلم وأعرف الناس بالله فأعرف الناس بالله أخشاهم لله ومن عرف الله جل جلاله اشتد حياؤه منه، وخوفه له، وحبه له، وإجلاله له .

قال تعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۝٢٨﴾ فاطر

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : من كان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلمَ، كان له أخشى وأتقى، وإنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله .

٩ـ الخوف من الله تعالى من صفات أولي الألباب .

قال تعالى :﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١﴾ الرعد

كيفية تحقيق الخوف من الله تعالى :

قال الشيخ محمد بن ابراهيم الحمد :

لا بدّ للعبد من الجمع بين الخوف والرجاء والحب؛ لأن عبادة الله بالخوف وحده هى طريقة الخوارج؛ فهم لا يجمعون إليه الحبَّ والرجاء؛ ولهذا لا يجدون للعبادة لذة ولا رغبة، فيجعلون الخالق بمنزلة سلطان جائر . وهذا يورث اليأس والقنوط من رحمة الله، وغايته إساءةُ الظن بالله والكفر به سبحانه .

وهناك من يعبد الله بالرجاء وحده وهذه طريقة المرجئة الذين وقعوا في الغرور والأماني الباطلة، وترك العملِ الصالحِ، وغايتُه الخروجُ من الملة .

وهناك من يعبد الله بالحب وحده وهذه طريقة غلاة الصوفية الذين يقولون : نعبد الله لا خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته، وإنما حبًّا لذاته . وهذه طريقة فاسدة، ولها آثار وخيمة، منها الأمن من مكر الله، وغايتُه الزندقةُ، والخروج من الدين .

وقال بعض السلف : مَنْ عبدَ الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروريٌ أي خارجي ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف والحب والرجاء فهو مؤمن موحِّد .

أما أهل السنة فقد جمعوا بين الخوف والرجاء والمحبة وهذه أركان العبادة الثلاثة .

قال تعالى :﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۝٥٧﴾ الإسراء

فابتغاء الوسيلة إليه طلب القرب منه بالعبودية والمحبة وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ . وهذا فيه الرجاء . وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ . وهذا فيه الخوف . فَذَكَرَ مقاماتِ الإيمان الثلاثة الحب والخوف والرجاء .

قال ابن القيم رحمه الله فى مدارج السالكين :

القلب في سيره إلى الله عز و جل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران ومتى قطع الرأس مات الطائر ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى الفتاوى :

محركات القلوب إلى الله عزَّ وجل ثلاثة : المحبة، والخوف، والرجاء، وأقواها المحبة، وهي المقصودة لذاتها لأنها تُراد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف؛ فإنه يزول في الآخرة .

قال تعالى :﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ يونس

والخوف المقصود منه : الزجر والمنع من الخروج عن الطريق ، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إلى الله . والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب . والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم يجب على كلِّ عبد أن يتنبهَ له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه وكلُّ أحد يجب أن يكون عبدًا لله لا لغيره .

قال الشيخ صالح الفوزان فى الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد :

الخوف من الله سبحانه يجب أن يكون مقرونًا بالرجاء والمحبة؛ بحيث لا يكون خوفا باعثا على القنوط من رحمة الله؛ فالمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، بحيث لا يذهب مع الخوف فقط حتى يقنط من رحمة الله ولا يذهب مع الرجاء فقط حتى يأمن من مكر الله؛ لأن القنوط من رحمة الله والأمن من مكره ينافيان التوحيد

قال تعالى :﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ الأعراف

قال تعالى : ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ يوسف

قال تعالى :﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ الحجر

أيهما يُغلَّب : الخوف أم الرجاء ؟

قال ابن القيّم رحمه الله فى مدارج السالكين :

السلف استحبوا أن يُقوِّي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء ، وعند الخروج من الدنيا يقوي جناح الرجاء على جناح الخوف . وقال غيره : أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف، وغلبةُ الحب ؛ فالمحبة هي المرْكَبُ ، والرجاء حادٍ ، والخوف سائق ، والله الموصل بمنّه وكرمه .

من الأسباب الباعثة على الخوف من الله :

١- تلاوة القرآن الكريم وتدبر ما جاء في وصف النار وحال أهلها، وما هم فيه من البؤس والشقاء والعذاب المقيم . وهو من أعظم الأسباب الجالبة للخوف .

قال تعالى :قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ الإسراء

٢- التفكر في عظمة الله تعالى بمعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله .

قال ابن الجوزي : والله لو أن مؤمنًا عاقلًا قرأ سورة الحديد وآخر سورة الحشر وآية الكرسي وسورة الإخلاص بتفكر وتدبر لتصدّع قلبه من خشية الله وتحيّر من عظمة الله ربّه .

قال تعالى : وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ الزمر

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا السَّمَاوَاتُ السَّبعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ . السلسلة الصحيحة

٣- التفكر في مباغتة الموت وعدم الإمهال من التوبة .

قال تعالى : قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ الجمعة

٤- التفكر فى اليوم الآخر والقيامة وأهوالها كالبعث والنشور والمرور على الصراط ونحوه .

قال تعالى :يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ لقمان

٥- تدبر أحوال الناس يوم الفزع الأكبر، وما هم فيه من الكرب العظيم .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ الحج

٦- معرفة فضل الخائفين من الله .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قالَ رسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّه حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللَّه ودُخَانُ جَهنَّمَ . رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني

وقالَ رسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ وفيه : ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ . رواه البخاري ومسلم

٧- مطالعة سير الخائفين من الأنبياء والصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وكيف كانوا يخافون الرد وعدم القبول

٨- تدبر أحوال الظالمين والعاصين الذين أخذهم الله بذنوبهم، إلام صاروا ؟ وما هو حالهم اليوم بعد أن باغتهم العذاب

قال تعالى : وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ مريم

٩- استشعار عظم الذنب وهوله :

عن ابن مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا . روى البخاري

قال ابن أبي جمرة : والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه، بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه في العادة، وحاصله أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان، فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا شأن المسلم أنه دائمُ الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح، ويخشى من صغير عمله السيئ . وقوله: وأن الفاجر يرى ذنوبه كذباب أي ذنبه سهل عنده لا يعتقد أنه يحصل له بسببه كبير ضررٍ فضرر الذباب عنده سهل، وكذا دفعه عنه

١٠- تعلم العلم الشرعي وسماع المواعظ المؤثرة والمحاضرات المرققة للقلب
عن الْعِرْبَاضُ ﷺ قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ . رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني

علامات الخوف من الله تعالى :

قال الإمام أبو الليث السمرقندي علامة الخوف تظهر في سبعة أشياء :

الأول : لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان ويجعله مشغولاً بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن .
الثاني : قلبه فيخرج منه العداوة والحسد لأن الحسد يمحو الحسنات .
الثالث : نظره فلا ينظر إلى ما لا يحل له .
الرابع : بطنه فلا يدخل بطنه حرامًا فإنه إثم كبير .
الخامس : يده فلا يمد يده إلى الحرام بل يمدها إلى ما فيه طاعة لله تعالى .
السادس : قدمه فلا يمشي في معصية لله، بل يمشي في طاعته ورضاه .
السابع : طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرياء والنفاق .

صور من خوف الصحابة رضي الله عنهم :

عمر بن الخطاب ﷺ يقول : لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلًا واحدًا لخفت أن أكون أنا هو . وتركت الدموع خطين أسودين في وجهه . وقد قرأ مرة آية ففزع ومرض حتى عاده الصحابةُ شهرًا .
عثمان بن عفان ﷺ يقول : وددت لو أنني لو مت لم أبعث . وهو الذي كان يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً ويتخرق مصحفه من كثر ما قرأ به ، ومات ودمه على المصحف شهيداً .
أبو عبيدة ﷺ يقول : وددت لو كنت كبشًا فذبحني أهلي وأكلوا لحمي وحسوا مرقي .
أبو هريرة ﷺ يغشى عليه ثلاث مرات وهو يحدث بحديث أول ثلاث تسعّر بهم النار
عبد الله بن عمر ﷺ شرب ماء مبردا فبكى، فاشتد بكاؤه، فقيل له : ما يبكيك ؟ ذكرت آية في كتاب الله عز وجل

قال تعالى : وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٤﴾ سبأ

فعرفت إن أهل النار لا يشتهون شيئا، وشهواتهم الماء
وقد قال تعالى : وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ الأعراف

أقوال السلف في الخوف من الله تعالى :

قال ذو النّون : النّاس على الطّريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلّوا عن الطّريق .
وقال وهب بن منبّه : ما عُبد الله بمثل الخوف .
وقال الفضيل بن عياض : إن خفت الله لم يضرّك أحد، وإن خفت غير الله لم ينفعك أحد .
وقال عمر بن مسلمة النيسابوري : وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله عز وجل فإنك إذا خفته هربت إليه .
وقال الحسن البصريّ : إنّ الرّجل يذنب الذّنب فما ينساه، وما يزال متخوّفا منه حتّى يدخل الجنّة .
وقال إبراهيم بن سفيان : إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها .
وقال عمر بن عبد العزيز : من خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كلَّ شيء، ومن لم يخف اللهَ خاف من كل شيء.

ثمرات الخوف من الله عز وجل

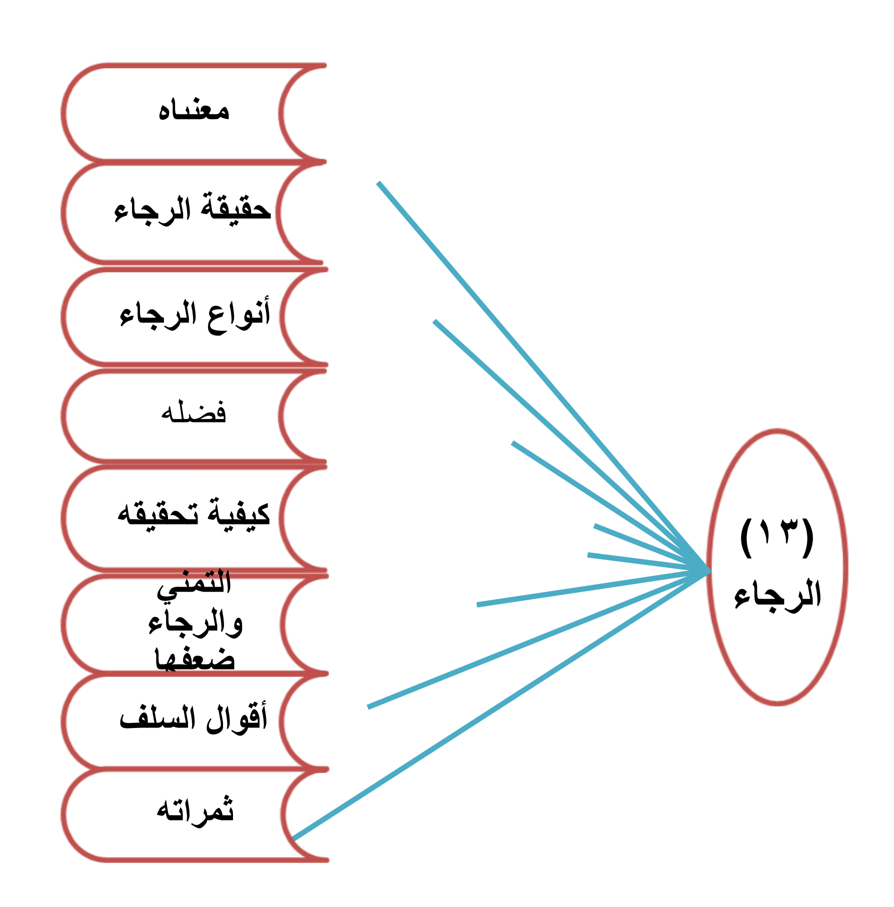
للخوف من الله تعالى ثمرات وفوائد عظيمة منها :
١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى :إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ آل عمران

٢- سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد .
٣- سبب من أسباب الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار .

قال تعالى : وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ النازعات

٤- الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة .
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلا قَالَ : وَعِزَّتِي ! لا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا، أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه ابن حبان . حسنه الألباني
٥- يبعث على العمل الصالح والإخلاص فيه
قال تعالى : إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ الإنسان
٦- وقاية للإنسان عن الوقوع في المعاصي .
قال تعالى : لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ المائدة
فهو الذي منع ابن آدم أن يقتل أخاه عندما هم أن يقتله
٧- وقاية للإنسان من النار
عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : عَيْنَانِ لاَ تَمسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبيلِ اللهِ . رواه الترمذي . صحيح الترغيب والترهيب
٨- سبب من أسباب التمكين في الأرض والإنتصار على الأعداء .
٩- سبب من أسباب المغفرة والأجر كبير :
قال تعالى :إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ الملك


(١٣)
الرجاء
معناه
حقيقة الرجاء
أنواع الرجاء
فضله
كيفية تحقيقه
التمني والرجاء ضعفها
أقوال السلف
ثمراته

الشعبة الثالثة عشرة : الرجاء

الرجاء شعبة من شعب الإيمان وعبادة من أعظم العبادات القلبية، وركن من أركان العبادة الثلاثة : الحب والخوف والرجاء . فالحب بمنزلة الرأس للطائر، والخوف والرجاء جناحاه ؛ فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقِد الجناحان فهو عرضة لكل صائدٍ وكاسر كما قال ابن القيم . وقد أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل . أما ترك العمل والتمادي في الذنوب اعتمادًا على رحمة الله، وحسن الظن به فليس من الرجاء في شيء . بل هو جهل وسفه وغرور، فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المفرطين ولا المُصِرِّين . وأكملُ أحوالِ العبد في عبادتِه لربّه العبادةُ بالمحبّة لله تعالى مع اعتدالِ الخوفِ والرجاء، وهذا حالُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلامُ والمؤمنين الذين هُم عَلَى طريقَتِهم

قال تعالى : فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝ الأنبياء . فإذا عَلِم المسلِمُ شمولَ رَحمةِ الله وعَظيمَ كرَمِه وتجاوزَه عن الذنوب وسعةَ جنّته وجَزيلَ ثوابه انبسطَت نفسُه واسترسَلَت في الرّجاء وطمَع فيما عند الله من الخير العظيم، وإذَا علِم عظيمَ عِقابه وشِدّةَ بطشه وأَخذه وعَسيرَ حسابه وأهوالَ القيامةِ وفظاعةَ النّار، كفَّت نفسُه وانزجرت وخافت كما قال رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ العُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ . رواه مسلم

المقصود بالرجاء :

لغَةً : مأخوذ من مادّة { ر ج و } الّتي تدلّ على الأمل الّذي هو نقيض اليأس .
اصطلاحًا : الطمع في فضل الله ورحمته ، وقيل : هو تأمّل الخير وقرب وقوعه . وقيل : هو الثّقة بجود الرّبّ .
والرجاء ضد اليأس؛ والرجاء محمود لأنه باعث على العمل، واليأس مذموم لأنه صارف عن العمل .
قال الحافظ ابن حجر فى فتح الباري شرح صحيح البخاري :
المقصود من الرّجاء أنّ من وقع منه تقصير فليحسن ظنّه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها ، وأمّا من انهمك على المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور .
قال أبو عثمان الجيزي : من علامةِ السعادةِ أن تطيعَ وتخافَ أن لا تُقبلَ، ومن علامةِ الشقاءِ أن تَعصي وترجو أن تنجو .

منزلة الرجاء :

الرجاء من أجلِّ المنازل وأعلاها وأشرفها، وهو عبادة قلبية عظيمة تتضمن ذلًا وخضوعًا، أصلها المعرفة بجود الله وكرمه وعفوه وحلمه، ولازمها الأخذ بأسباب الوصول إلى مرضاته، فهو حسن ظن مع حسن عمل وتوبة وندم . والرجاء لازم للعبد بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل يرجو قبوله، واستقامة يرجو دوامها، ومنزلة عند الله يرجو وصوله إليها، ولا ينفك أحد عن هذه الأمور أو بعضها . والله سبحانه يحب من عبده أن يرجوه، ولذلك كان عند ظن عبده به . والرجاء هو العلاج الواقي من الوقوع في القنوط واليأس، الذين جعلهما الله من سمات الكافرين والضالين .

الفرق بين التمني والرجاء :

قال ابن القيّم فى مدارج السالكين :
التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والإجتهاد . والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل
فالأول : كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها .
والثاني : كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع .
ولهذا أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل، أما ترك العمل والتمادي في الذنوب اعتمادًا على رحمة الله عز وجل، وحسن الظن به فليس من الرجاء في شيء .
بل هو جهل وسفه وغرور، فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المفرطين المعاندين المُصِرِّين .
يقول الشيخ محمد اسماعيل المقدم : إذا رجى العبد شيئًا فلابد له من تحقيق ثلاثة أمور :
محبة ما يرجوه، وخوفه من فواته، والسعي لتحصيله قدر الإمكان . وأما غير ذلك فهي أماني واغترار .

أقسام الرجاء :

قال أهل العلم : الرجاء ثلاثة أقسام :

الأول : رجاءُ رجل عمل بطاعة الله؛ على نور من الله؛ فهذا رجاءٌ صادق لثواب الله الكريم .
والثاني : رجاءُ رجل أذنب ذنبًا ثم تاب منه، فهذا رجاءٌ صادق في مغفرة الغفور الرحيم .
والثالث : رجاء رجل متمادٍ في التفريط والمعاصي والسيئات يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا غرور وتمني ورجاء كاذب .

بعض ما جاء فى الرجاء في الكتاب والسنة :

قال تعالى : أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴿٥٧﴾ الإسراء

وقال تعالى : وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ الشعراء

وقال تعالى : فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ الكهف

وقال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ البقرة

وقال تعالى : أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ الزمر

وقال تعالى :قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ الزمر

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : سمعت رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول . قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً . صحيح التِّرْمِذِي
دل الحديث على أن أعظم أسباب المغفرة وأجلّها تحقيق جوانب التوحيد، والإتيان به على أكمل وجه، وأن الذنوب كلها تتصاغر أمام عظمة التوحيد .
وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ، فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ . صحيح ابن ماجة
وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ :سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثٍ يَقُولُ : لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ . رواه مسلم
وقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فى الحديث القدسى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ . رواه ابن حبان . قال الألباني : صحيح
وقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فى الحديث القدسى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى إِنْ ظَنَّ بِى خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب

كيفية تحقيق هذه الشعبة :

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فى شرح رياض الصالحين :
تضافرت النصوص على سعة فضل الله ورحمته وكرمه، فينبغي على الإنسان أن يكون طامعًا في فضل الله عز وجل راجيًا ما عنده، وأن يحسن ظنه بالله؛ فإن ظن به خيرًا فله، وإن ظن به سوى ذلك فله، ولكن متى يحسن الظن بالله عز وجل؟ إذا فعل ما يوجب فضل الله ورجاءه، فيعمل الصالحات ويحسن الظن بأن الله تعالى يقبله، أما أن يحسن الظن وهو لا يعمل؛ فهذا من باب التمني، ومن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني فهو عاجز . فحسن الظن بأن يوجد من الإنسان عمل يقتضي حسن الظن بالله عز وجل، فإذا صليت أحسن الظن بالله بأن الله يقبلها منك، إذا صمت فكذلك، إذا تصدقت فكذلك، إذا عملت عملًا صالحًا أحسن الظن بالله تعالى أن يقبل منك ذلك، أما أن تحسن الظن بالله مع مبارزتك له بالعصيان فهذا دأب العاجزين .
وأعلى الرجاء لقاء الخالق الباعث على الإشتياق : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا .
فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . فالرجاء يبعث على الشوق بلقاء الله عز وجل .

الخوف والرجاء أمران متلازمان :

الواجب على المسلم أن يجمع بين الخوف والرجاء فى سيره إلى الله تعالى، فيخاف من غضبه وسخطه، ويرجو عفوه ورحمته، فالخوف بلا رجاء يأس وقنوط، والرجاء بلا خوف أمن من مكر الله فلا يغلِّب جانبَ الرجاء؛ لئلا يفضي به ذلك إلى الأمن من مكر اللـه فيكونَ من الذين قال الله فيهم :أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ الأعراف

ولا يغلِّب جانبَ الخوف لئلا يفضي به إلى اليأس من رحمة الله؛ فيكون من الذين قال الله فيهم : قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ الحجر

وعند الإحتضار يغلب جانب الرجاء ويزيد حسن ظنه بالله، ويرجو رحمته، حتى يكون ذلك مانعًا من القنوط من رحمة الله

قال تعالى :إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ يوسف

قال النووي رحمه الله فى شرح رياض الصالحين : اعلم أنَّ المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفًا راجيًا، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة متضافرة على ذلك لأنَّ العبد في ساعة الإحتضار وما بعدها أحوج ما يكون إلى رحمة الله عزَّ وجل، فلا يُقدِّم ولا يُؤخِّر ولا يستطيع أن يعمل صالحًا، فلزم أن يكون راجيًا مغفرة الله ورضوانه ويظنُّ بالله خيرًا، والله عند ظنِّ عبده به .

وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة مبينة أن الخوف والرجاء رفيقان ينبغي أن لا يخلو قلب العبد منهما

قال تعالى : وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ الأعراف

وقال تعالى : إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ الأنبياء

وقال تعالى : نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ الحجر

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ . رواه مسلم

قال لقمان لابنه : يا بني خف الله تعالى خوفًا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاءً لا تأمن فيه مكره ، ثم فسره مجملًا فقال : المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر .

مسألة : ما هو ضابط حسن الظن ؟

قال ابن القيم فى الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي :

فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما على انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتَّى إحسان الظن . فإن قيل : بل يتأتى ذلك، ويكون مستندُ حسنِ الظنِّ سعةَ مغفرةِ الله ورحمته وعفوه، وأنَّ رحمَتَه سبقت غضبَه، وأنه لا تنفعه العقوبة، ولا يضره العفو . قيل : الأمر هكذا والله فوق ذلك أجلُّ وأكرم وأجود وأرحم، وإنما يضع ذلك في محله اللائق به، فإنه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والإنتقام وشدة البطش وعقوبة من يستحق فلو كان مُعَوَّلُ حسنِ الظن على صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البرُّ والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوُّه؛ فما ينفع المجرمَ أسماؤه وصفاته، وقد باء بسخطه وغضبه، وتعرض للعْنته، ووقع في محارمه، وانتهك حرماته ؟ بل حسن الظن ينفع مَنْ تاب وندم، وأقلع وبدَّل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ، ثم حسَّن الظن بعدها؛ فهذا هو حسن الظن، والأول غرور، والله المستعان .

بعض أقوال السلف في الرجاء :

قال الشّافعيّ في مرض موته :

فلمّا قسا قلبي وضاقت مذاهبي	جعلت الرّجا منّي لعفوك سلّما
تعاظمني ذنبي فلمّا قرنته	بعفوك ربّي كان عفوك أعظما

قال سفيان : من أذنب ذنبًا فعلم أنّ الله تعالى قدّره عليه ورجا غفرانه، غفر الله له ذنبه .

قال شاه الكرمانيّ : علامة صحّة الرّجاء حسن الطّاعة .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئًا خير من حسن الظن بالله، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه الله ظنه، ذلك بأن الخير في يده .

قال بعض السلف : مَنْ عبدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروريٌ أي خارجي ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف والحب والرجاء فهو مؤمن موحِّد .

فعبادة الله بالخوف وحده طريقة الخوارج . وهذا يورث اليأس والقنوط من رحمة الله .

وعبادة الله بالرجاء وحده طريقة المرجئة الذين قالوا : إن الإيمان مجردُ التصديق بالقلب ولا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ فتركوا العملِ وعبادة الله بالحب وحده طريقة غلاة الصوفية الذين يقولون : نعبد الله لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، وإنما حبًّا لذاته .

وعبادة الله بالحب والخوف والرجاء طريقة أهل السنة والجماعة . وهذه أركان العبادة الثلاثة

بعض فوائد الرجاء :

ذكر ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين فوائد في رجاء العبد لربه، فقال :

١- إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه ويستشرفه من إحسانه وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين .

٢- أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله لأنه الملك الحق الجواد أجود من سئل وأوسع من أعطى .

٤- الرجاء يطرحه على عتبة المحبة فكلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ازداد حبًا وشكرًا لله تعالى ورضى به وعنه .

٥- يبعثه على أعلى المقامات وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية فإنه إذا حصل له مرجوه كان أدعى لشكره .

٦- يوجب له معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتعلق بها فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى متعبد بها وداع .

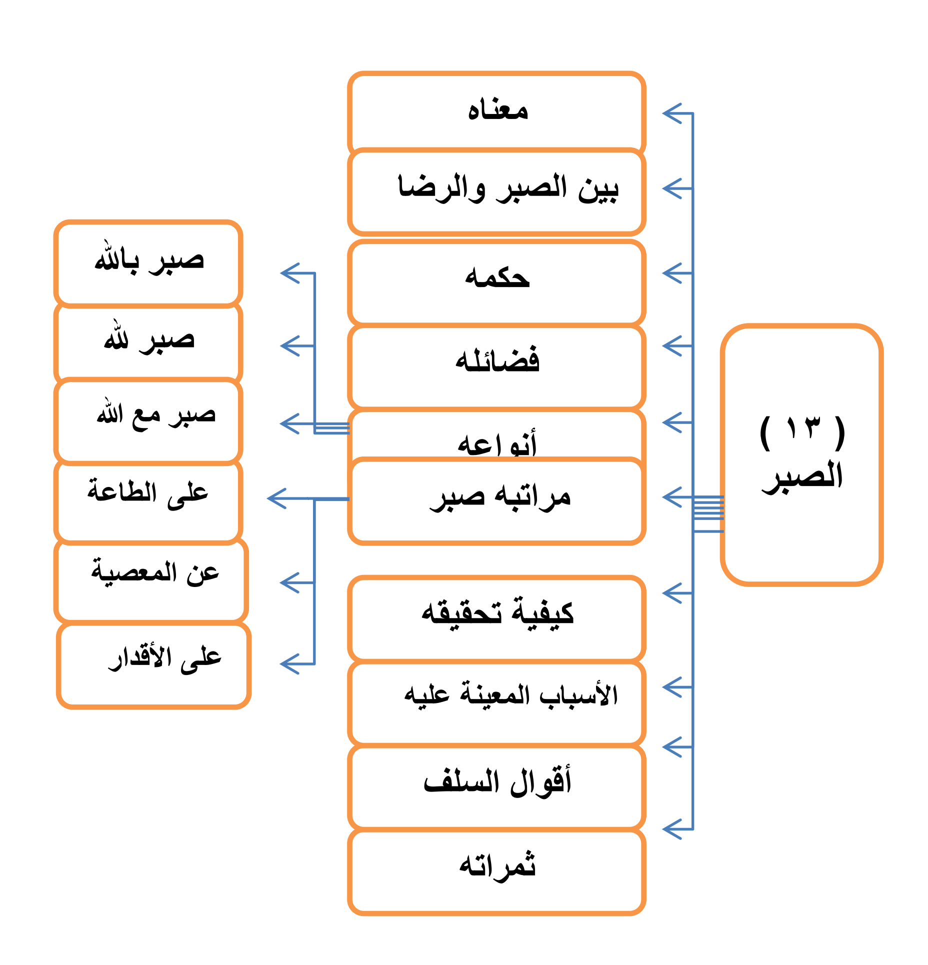
٧- أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربه فأعطاه ما رجاه كان ذلك ألطف موقعًا، وأحلى عند العبد وأبلغ من حصول ما لم يرجه .

٨- أن المحبة لا تنفك عن الرجاء؛ فكل واحد منهما يمد الآخر ويقويه .

٩- أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف؛ فكل راجٍ خائفٌ، وكل خائف راجٍ .

١٠- التخلص من غضب الله؛ فمن لم يسأل الله يغضب الله عليه، والسائل راجٍ، وطالبٌ .

١١- تكميل مراتب العبودية من الذل والإنكسار، والتوكل والإستعانة والخوف والرجاء، والصبر والشكر، والرضا والإنابة .


(١٣)
الصبر
معناه
بين الصبر والرضا
حكمه
فضائله
أنواعه
مراتبه صبر
كيفية تحقيقه
الأسباب المعينة عليه
أقوال السلف
ثمراته
صبر بالله
صبر لله
صبر مع الله
على الطاعة
عن المعصية
على الأقدار

الشعبة الرابعة عشرة : الصبر

الصبر شعبة من شعب الإيمان الجامعة، ذلك لأنَّ كثير من شعَبِ الإيمان مردُّها إلى حقيقةِ الصبرَ، بل إنَّ الصبرَ والشكر يتقاسمَان الشعبَ كلَّها . والصبر له منزلة عالية ورتبة رفيعة فى الإسلام، وهو ساق الدِّين الذي عليه يقوم، كما قال علي ﷺ : الصبر من الإيمان بمنزلة الجسد من الرأس . لذلك اعتنى القرآن الكريم بالصبر عناية كبيرة فذكره في أكثر من تسعين موضعًا إشارة إلى أهميته وعلو منزلته . فنعم المنزلة منزلة الصبر، ونعم الخُلق خُلق الصبر، ونعم الأهل أهل الصبر . فالدين كله صبر وشكر، والإيمان كله صبر وشكر، وحياة المسلم كلها صبر وشكر، وجميع الطاعات والعبادات والقربات مبنية على الصبر والشكر . لذلك كان الصبر عبادة من أعظم العبادات القلبية التى تعين السالك إلى طريق الله عز وجل، وحاجة المسلم إلى الصبر مُلحة في كل شأن من شؤونه وكل عمل من أعماله سواء الدينية أم الدنيوية، فلا تتحقق الآمال ولا تنجح المقاصد ولا يؤتي العمل أُكله إلا بالصبر، فالصبر طريق المجد وسبيل المعالي، ولولا الصبر ما حصد الزارع زرعه وما جنى الغارس ثمره ولا حصَّل الساعي قصده . فكل الناجحين في الدنيا ما حققوا آمالهم ولا بلغوا مرادهم إلا بالصبر . وكل من احتمل المكاره دون ضجر، وانتظر النتائج دون ملل، وواجه العقبات دون كلل بالصبر .
وصدق القائل : لا تحسب المجد تمراً أنت آكله *** لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا .
فالصبر هو الزاد والعتاد الذى يحتاجه المرِيض في شكواه، والمبتَلى في بلواه، والداعيةُ في دعوته، والمرأة في بيتها، والأب في أسرته، والمعلم في مدرسته، والطالب في دراسته، والموظف في شركته، والتاجر في تجارته، والعامل في خدمته . فلا استطاعة للعبد بامتثال الأوامر واجتناب النواهى إلا بالصبر، ولا قدرة للعبد على تحمّل المصائب والآلام إلا بالصبر، ولولا الصبر لغرق المهموم في همومه، ولضاق الحزين ذرعًا بأحزانه وغمومه، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر

تعريف الصبر :

لغَّة : أصل الصبر هو المنع والحبس، وسمي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام، والشراب، والنكاح .
والصبر : نقيض الجزع . والتصبُّر : تكلف الصبر، وتصبَّر واصطبر: جعل له صبرًا .
واصطلاحًا : هو حبس النفس على فعل شيء أمر الله به، أو عن فعل شيء نهى الله عنه، فهو الثبات على الكتاب والسنة، لأن من أخذ بهما فقد صبر على المصائب، وصبر على الطاعات، وصبر على اجتناب المحرمات، وهذه هى أنواع الصبر الثلاثة.

الفرق بين الصبر والرضا :

الصبر واجب ، بحيث يأثم الإنسان إذا لم يصبر على ما أصابه من مكروه، ويعرض نفسه بهذا لعقوبة الله تعالى
والرضا مستحب : فلا يأثم المسلم إذا لم يصل إليه ، غير أنه مطالب بمجاهدة نفسه والشيطان حتى يصل إلى تلك الدرجة
الصبر حبس النفس و كفها عن التسخط مع وجود الألم وتمني زواله .
الرضا يوافق الصبر في حبس النفس وكف الجوارح ، ويزيد عليه عدم تمني زوال الألم . ذلك لأن فرح العبد بالثواب وحبه لله عز وجل وانشراح صدره بقضائه يجعله لا يتمنى زوال الألم .
قال بعض السلف الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها بخلاف الصابر .

مسألة : هل الشكوى تنافى كمال الصبر ؟

قال الشيخ محمد حسان فى شرح كتاب الأصول الثلاثة :

الشكوى نوعان :
١- شكوى محمودة : وهي من كمال العبودية، وقد أثنى الله تعالى على نبيه أيوب بصفة الصبر فقال : إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . مع أنه شكى حاله إلى الله جلّ جلاله فقال : أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ . قال مسني ولم يقل أهلكني مع أنه فقد ماله وأولاده وصحته وعافيته وابتلي بمرض أقعده عن الحركة . فهذه الشكوى لا تنافي الصبر بل هي من كمال العبودية لله جلّ وعلا .
٢- شكوى مذمومة : وهى أن يشكو الخالق إلى المخلوق، يشكو الرازق إلى المرزوق، يشكو الرحمن الرحيم، إلى من لا يرحم، والله جلّ جلاله ليس أحد أرحم بعباده منه . فهذه الشكوى هى التي تنافي الصبر .

منزلة الصبر فى الإسلام :

اعتنى الإسلام بالصبر عناية كبيرة ليدل على أهميته وعلى أنه خلق عظيم له فضائل كثيرة منها :
١- الصبر طريق الفلاح .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ آل عمران

٢- الصبر طريق الجنة :

قال تعالى : أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ البقرة

٣- جمع للصابرين ثلاث فضائل لم يجمعها لغيرهم : صلاة الله عليهم ورحمته لهم وهدايته إياهم .

قال تعالى : وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ البقرة

٤- جعل الله الصبر عونًا وزادًا وسلاحًا للمؤمنين .

قال تعالى : وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ البقرة

٥- جعل الله الصبر طريق النصر :

قال تعالى : إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ آل عمران

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . رواه الخطيب في التاريخ . صحيح الجامع

٦- تسليم الملائكة على الصابرين في الجنة .

قال تعالى : وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ الرعد

٧- إيجاب معيّته لهم المعيّةَ التى تتضمّن حفظهم ونصرهم وتأْييدهم، ليست معيَّة عامّة، أَعنى مَعيَّة العِلْم والإِحاطة .

قال تعالى :وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ الأنفال

٨- ثناء الله عز وجل على الصابرين .

قال تعالى :وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

٩- إطلاق البُشْرَى لأَهل الصّبر .

قال تعالى :وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ البقرة

١٠- أخبر الله عز وجل بأَنَّ الصبر خير لهم .

قال تعالى :وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ النحل

١١- خصال الخير لا تجتمع ولا تعطى إلا للصابرين .

قال تعالى : وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ فصلت

قال رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ . رواه البخاري ومسلم

١٢- حكم الله بالخسران على من لم يكن من أهل الصبر .

قال تعالى :وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ العصر

١٣- أخبر الله عز وجل أَنَّ الذى ينتفع بالآيات والعبر هم أَهل الصّبر .

قال تعالى :وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ إبراهيم

١٤- جعل الله سبحانه الإمامة فى الدين منوطة بالصبر واليقين .

قال تعالى : وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ السجدة

وانظر إلى الصبر كيف أنه يداوي الصفات الذميمة إلى صفات حسنة .
فالصبر إن كان على شهوة الفرج، فإنه يسمى عفة، وضدها الفجور والزنا .
وإن كان على شهوة البطن فإنه يسمى شبع نفس .
وإن كان على إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام، فإنه يسمى أمانة .

وإن كان على فضول الدنيا، فإنه يسمى زهدًا .
وإن كان على قدرٍ يكفي من الدنيا فإنه يسمى قناعة .
وإن كان عن إجابة داعي الغضب في النفس، فإنه يسمى حلمًا .
وإن كان عن إجابة داعي العجلة والتسرع، فإنه يسمى تأني ووقارًا .
وإن كان عن إجابة داعي الفرار والهرب، فإنه يسمى شجاعةً .
وإن كان عن داعي الانتقام، فإنه يسمى عفوًا وصفحًا .
فتأمل كيف أن الصبر يجعل الأخلاق المذمومة في النفس إلى أخلاق ممدوحة .
وصدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال : وما أعطى اللهُ أحداً مِنْ عطاءٍ أوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ . صحيح أبي داود

أنواع الصبر :

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين : الصبر ثلاثة أنواع :

الأول : صبر بالله وهو الإستعانة به ورؤيته أنه هو المصبر، وأنَّ صبر العبد بربه لا بنفسه .

قال تعالى : وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴿١٢٧﴾ النحل . يعني : إن لم يصبرك الله لم تصبر، فهو الذي يرزقك الصبر.

الثاني : الصبر لله وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه والتقرب إليه .
الثالث : الصبر مع الله وهو دوران العبد مع مراد الله تعالى ومع أحكامه الشرعية والقدرية .

مسألة : أيهما أكمل الصبر لله أم الصبر بالله ؟

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين :

الصّبر لله فوق الصّبر بالله، وأعلى درجة وأجلّ شأنًا؛ لأنَّ الصّبر لله متعلق بالإلَهية، والصّبر بالله متعلق بالربوبيّة، وما تعلق بالإلَهية أكمل وأعلى مما تعلق بالربوبيّة، ولأنَّ الصّبر لله عبادة، والصّبر به استعانة، والإستعانة وسيلة، والعبادة غاية، والغاية مرادة لنفسها، والوسيلة مرادة لغيرها؛ والغايات أشرف من الوسائل، والصّبر بالله يشترك فيه المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، وأمّا الصّبر لله فهو منزلة الرُّسُل والأنبياءِ والصّدِّيقين .

أقسام الصبر :

قال الشيخ ابن عثيمين : والصبر ثلاثة أقسام :

صبر على طاعة الله وصبر عن محارم الله وصبر على أقدار الله التي يجريها، إما مما لا كسب للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والإعتداء .
١- فالصبر على طاعة الله : أن يحبس الإنسان نفسه على العبادة ويؤديها كما أمره تعالى وأن لا يتضجر منها أو يتهاون بها أو يدعها فإن ذلك عنوان هلاكه وشقائه ومتى علم العبد ما في القيام بطاعة الله من الثواب هان عليه أداؤها وفعلها فالحسنة إذا أخلص الإنسان فيها لله واتبع رسول الله كانت بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة والله يضاعف لمن يشاء
٢- الصبر عن معصية الله : بأن يحبس نفسه عن الوقوع فيما حرم الله عليه مما يتعلق بحق الله أو حقوق عباده متى علم ما في الوقوع في المحرم من العقاب الدنيوي والأخروي والاجتماعي وأن ذلك مما يضر بدينه
٣- الصبر على أقدار الله : بأن يستسلم الإنسان لما يقع عليه من البلاء وأن لا يقابل ذلك بالتسخط والتضجر، وأن يعلم أن هذا البلاء لنزوله أسباب وحكم لا يعلمها إلا الله، وأن يعلم أن لدفعه ولرفعه أسبابًا من أعظمها لجوؤه وتضرعه إلى مولاه، فهذه الأمراض التي أرسلها الله تعالى على عباده إنما هي رحمة بهم ليرجعوا إليه وليعرفوا أنه هو المتصرف بعباده كما يشاء .

مراتب الصبر :

الصبر على الطاعات أعلى منزلة من الصبر عن المعاصي والصبر عن المعاصي أعلى منزلة من الصبر على الأقدار المؤلمة .

قال تعالى : يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ لقمان

فالصبر على الواجبات أعلى أنواع الصبر لأن جنس فعل الواجبات أعلى درجة عند الله من جنس ترك المحرمات، وأجر ترك المحرمات أكبر من أجر الصبر على المصائب، ولأن الصبر على الواجب والصبر على ترك الحرام اختيارى، أما الصبر على المصائب فهو اضطرارى ليس له إلا كف النفس والصبر .

الصبر على الطاعة أفضل أم الصبر عن المعصية ؟

اختلف العلماء فى هذه المسألة ورجح شيخ الإسلام رحمه الله : بأن الصبر على فعل الطاعة أعلى من الصبر عن فعل المعصية، لأن الأصل المأمور وما جاء النهي عن المحظور إلا تكملة وحفظاً للمأمور، فصار الصبر على فعل المأمور أعلى .
وقالت طائفة : فعل المأمور أحب إلى الله من ترك المحظور لأن فعل المأمور مقصود لذاته كمعرفة الله وتوحيده وعبوديته والإنابة إليه والتوكل عليه وإخلاص العمل له ومحبته والرضا به والقيام في خدمته وهو الغاية التى خلق لها الخلق وثبت بها الأمر، أما المنهيات نهى عنها لأنها صادة عن ذلك أو مفوتة لكماله فهي مقصودة لغيرها والمأمور مقصود لنفسه .
وقال ابن القيم رحمه الله فى طريق الهجرتين : الصبر على الطاعة الكبيرة أفضل من الصبر عن المعصية الصغيرة والصبر عن المعصية الكبيرة أفضل من الصبر على الطاعة الصغيرة، فصبر العبد على الجهاد مثلًا أفضل وأعظم من صبره عن كثير من الصغائر، وصبره عن كبائر الإثم والفواحش أعظم من صبره على صوم يوم تطوعًا ونحوه، والله أعلم .

حكم الصبر :

أصل الصبر من حيث الجملة واجب، وقد أمر الله به فى مواضع كثيرة .
قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ آل عمران
أما من حيث التفصيل فالصبر يجرى عليه الأحكام الخمسة : واجب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح .
فالصبر الواجب : هو الصبر عن المحرمات وعلى أداء الواجبات وعلى الأقدار المؤلمة .
والصبر المندوب : هو الصبر على ترك المكروهات وفعل المستحبات وعلى مقابلة الجانى بمثل فعله .
والصبر المحظور : هو الصبر على كل ما يكون سببًا فى هلاك الإنسان .
والصبر المكروه : هو الصبر عن المباحات حتى يتضرر هو وأهله بذلك .
والصبر المباح : هو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خير بين فعله وتركه والصبر عليه .

آداب الصَّبر :

١ـ التحلى بالصبر عند الصدمة الأولى :
قال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى . رواه البُخَارِي ومسلم
٢ـ الإسترجاع عند المصيبة :
قال تعالى : ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ البقرة
٣ـ الإحتساب عند المصيبة :
قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ . رواه البُخَارِي
٤ـ ذكر الله تعالى واللجوء والتضرع إليه :
٥ـ سكون الجوارح واللسان وألا يظهر أثر المصيبة على المصاب كما فعَلَتْ أمُّ سليم امرأة أبي طلحة لما مات ابنها

بعض الأمور التى تعين على اكتساب الصبر :

١ـ الإيمان بالقضاء والقدر، فيوقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .
قال تعالى :لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الحديد
٢ـ توطين النفس على أن هذه الدنيا دار بلاء، وأن المؤمن لا يسلم فيها من المصائب والرزايا والبلايا .
قال تعالى :وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ البلد
٣ـ التسليم بأن الدنيا فانية وأن المال والأولاد عاريّة عنده ولابد أن ترد متى شاء صاحبها . والعبد وأهله وماله ملك لله .
٤ـ توطين النفس بأن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها، ويشمت الأعداء، ويغضب الرب، ويفرح الشيطان، ويحبط الأجر .
٥ـ معرفة الجزاء والثواب على هذا الصبر .
قال تعالى :نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ العنكبوت
قال تعالى :إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ الزمر
٦ـ اليقين بحصول الفرج، وأن الله تعالى جعل مع كل عسر يسرين ولن يغلب عسرٌ يسرين .

٧- التأسي بأهل الصبر والعزائم الذين صبروا مثل الأنبياء والرسل والصالحين فإن التأسي راحة عظيمة

قال تعالى :فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴿٣٥﴾ الأحقاف

٨- تذكر نعم الله عز وجل عليه .

قال تعالى :وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ابراهيم

٩- الإيمان بأن كل ما يصيب المؤمن في الدنيا فهو خير له .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَقْضِ لَهُ قَضَاءً ، إِلاَّ كَانَ خَيْرًا لَهُ . رواه أحمد . صحيح الجامع

١٠- الإستعانة بالله تعالى واللجوء إلى حماه وطلبة معونته سبحانه .

قال تعالى :قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ الأعراف

من صور الصبر :

١- الصبر على العبادات والطاعات .

قال تعالى :رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ مريم

وقال تعالى حاكياً عن لقمان : يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾

٢- الصبر على الإبتلاء :

قال تعالى :وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ البقرة

٣- الصبر على فقد الأحبة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم بِابْنٍ لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَشْتَكِى وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْهِ قَدْ دَفَنْتُ ثَلاَثَةً. قَالَ لَقَدِ احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ . رواه مسلم

٤- الصبر على المرض :

عن جَابِرٌ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ فَقَالَ: مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ تُزَفْزِفِينَ ؟ ترعدين قَالَتْ : الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا. فَقَالَ: لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ . رواه مسلم

٥- الصبر على شظف العيش :

قال تعالى : وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

البأساء : الفقر   الضراء : المرض   حين البأس : عند مجابهة العدو

٦- الصبر على ظلم الحكام .

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً . الصحيحين

٧- الصبر على جهاد الأعداء :

قال تعالى :يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ آل عمران

٨- الصبر على تربية البنات :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ . رواه البخاري

٩- الصبر على الزوجة :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ . رواه مسلم

١٠- الصبر على السعي فى تحصيل الرزق :

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ . رواه الطبراني

١١- الصبر عن شهوات النفس وعلى جهل الناس وسوء تصورهم وانحراف طبعهم وأثرتهم وغرورهم والتوائهم واستعجالهم .

١٢- الصبر على انتفاشة الباطل ، وطغيان الشر وقلة الناصر وضعف المعين وطول الطريق، ووسواس الشيطان .

نماذج من الصابرين :

ذكر لنا القرآن نماذج رائعة تجسدت فيهم حقيقة الصبر، واستحقوا أن يذكروا بصبرهم فيقتدى بهم الصابرون .

١ـ قصة إبراهيم وإسماعيل التي حكاها الله لنا بقوله عن إبراهيم :

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ الصافات

٢ـ صبر يوسف عليه السلام على مراودة امرأة العزيز :

لقد كان الصبر ظهير يوسف في محنته التي ابتلي بها اضطراراً واختياراً وكشف عن هذا حين عثر إخوته عليه فقال : أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . لقد رفض كل الإغراءات وخرج من الفتنة بإيمانه وصبره، وكان صبره هذا أرقى من صبر أبيه يعقوب على الفراق وأرقى من صبر أيوب على ما بلي به لأن صبرهما كان اضطرارياً لا حيلة لهما في رفعه ولا دفعه بينما كان صبر يوسف اختياراً وحين تملك فلم يتكبر ولم يطغ صبراً اختيارياً،

٣ـ صبر نبي الله أيوب عليه السلام فقد أصابه ضر عظيم في بدنه وأهله وماله فصبر :

قال تعالى :وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ص

ولقد ذكر له من ألوان التكريم وأوسمة الشرف ما هو جدير بمثله لعظيم صبره :

أولًا : تكريمه بتخليد ذكره ومباهاة الله به عند رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

ثانيًا : تكريمه بقوله (عبدنا)، حيث أضافه إليه، والعبودية من أشرف أوصاف الإنسان التي يتحلى بها

ثالثًا : استجاب نداءه وكشف ضره ووهب له أهله ومثلهم معهم

رابعًا : جعل له مخرجاً من يمين حلفه على امرأته فكرمت وكرم بما يخلصه من مأزق الحنث . وكانت خاتمة ذلك هذا الوسام من الشرف العريض : إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب . فوصفه بالصبر حتى قرن الصبر بأيوب فلا يذكر إلا وهو معه ، ثم قال : نعم العبد فكانت شهادة من الله بتمام عبوديته، ثم ختم ذلك بقوله إنه أواب، والأواب : المبالغ في شدة رجوعه إلى الله تعالى . قالت له امرأته : لو دعوت الله أن يشفيك ، قال : ويحك ! كنا في النعماء سبعين عامًا فهلمي نصبر على الضراء مثلها ، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى عوفي .

من أقوال السّلف في الصبر :

قال عبدالله بن مسعود ﷺ : الصَّبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله .

وقال الحسن البصري : الصَّبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبدٍ كريم عنده .

وقال عمر بن عبدالعزيز: ما أنعَم الله على عبدٍ نعمةً فانتزعها منه، فعوَّضه مكانها الصَّبر إلا كان ما عوَّضه خيرًا مما انتزعه .

وقال شقيق البلخي : مَن شكا مصيبة به إلى غير الله، لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبدًا .

وقال يونس بن يزيد : سألت ربيعة بن أبي عبدالرحمن : ما منتهى الصَّبر؟ قال: يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه

بعض ثمـرات الصبـر :

١ـ تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ آل عمران

٢ـ سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد .

قال تعالى :وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ آل عمران

٣- سبب من أسباب معيّة الله للعبد .

قال تعالى :إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ البقرة

٤- الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار .

عن ابن عباس ﷺ قال لعطاء رحمه الله: أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قال: بَلَى. قَالَ : هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ ؟ فَقَالَتْ : أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا . رواه البخاري ومسلم

٥- الفوز برضا الله تعالى ومغفرته .

قال تعالى :إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ المؤمنون

٦- العون والنصر على الأعداء .

قال تعالى :بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ آل عمران

٧- التّمكين في الأرض .

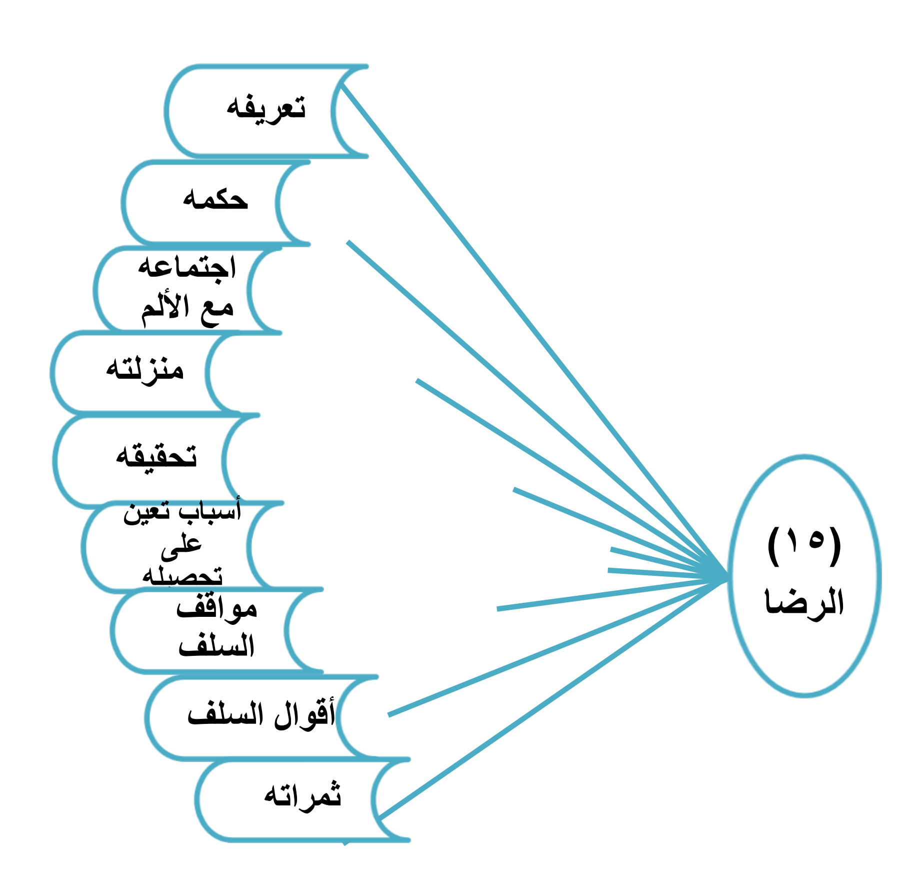
قال تعالى :وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ السجدة

٨- تكفير السيئات .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ . رواه البخاري ومسلم

٩- مضاعفة الأجر بغير حساب .

قال تعالى :إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ الزمر


(١٥)
الرضا
تعريفه
حكمه
اجتماعه مع الألم
منزلته
تحقيقه
أسباب تعين على تحصيله
مواقف السلف
أقوال السلف
ثمراته

الشعبة الخامسة عشرة : الرضا

الرضا شعبة من شعب الإيمان وعبادة عظيمة من العبادات القلبية وهى أساس الدين فلا يُسلم العبد حتى يرضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا، فالرضا من تمام العبودية فمن رضي عن ربه رضي الله عنه .
والرضا له شأنٌ عجيبٌ مع بقية أعمال القلوب الصالحة، فأجره لا ينقطع لأنه لا ينفك عن القلب . لأن الرضا لا يفارق العبد لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة ولا في الجنة، فهو موجودٌ على كل حال ولو انشغل القلب بغيره . فالراضى يظل راضيًا عن الله وعن قضائه على كل حال، حتى ولو عرضت له مسألةٌ وانشغل ذهنه بها . وهذا يوضّح أيضًا لماذا كانت أعمال القلوب أعظم من أعمال الجوارح، فأعمال الجوارح محدودة لكن أعمال القلب غير محدودة مع أنه لابد من أعمال الجوارح، لأنه إذا لم يكن هناك أعمال جوارح فالقلب خرِبٌ . لذلك أعمال القلوب مهمةٌ قد يبلغ المرء بها مراتب عند الله وهو جالس . لأن عمل القلب يرفع العبد في كثيرٍ من الأحيان أكثر من عمل الجوارح ، فأبو بكر ما سبق أهل هذه الأمة لأنه أكثرهم صلاةً وصياماً . لكن سبقهم بشيءٍ وَقَّرَ في نفسه .
قال ابن القيم فى تهذيب مدارج السالكين :
وليس الرِّضا والمحبة كالرجاء والخوف ؛ فإنَّ الرِّضا والمحبَّة حالان من أحوال أهل الجنَّة لا يفارقان المتلبِّس بهما في الدنيا ، ولا في البَرْزخ ولا في الآخرة، بخلاف الخَوف والرجاء؛ فإنَّهما يفارقان أهل الجنَّة بحصول ما كانوا يرجونه وأَمْنهم ممَّا كانوا يخافونه .
ويقول أيضًا : فطريق الرضى والمحبة تسير العبد وهو مستلق على فراشه فيصبح أمام الركب بمراحل .

تعريف الرضا :

لغَةً : ضد السخط ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ . رواه مسلم
والرضى بالشيء الركون إليه وعدم النفرة منه .
والرضوان : هو الرضا الكثير وخص لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى : يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴿٢٩﴾ الفتح
واصطلاحًا : هو طيب النفس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغير .
وقال ذو النون : الرضا هو سرور القلب بمرّ القضاء .
وقال بعضهم : هو استقبال الأحكام بالفرح .
وقيل : الرضا ألاّ يتمنى العبد خلاف حاله .
وقال الراغب الأصفهاني : ورضا العبد عن الله : ألا يكرَهَ ما يجري به قضاؤه ، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرًا لأمره ومنتهيًا عن نهيه .
وكل هذه التعريفات تدور حول معنى واحد وهو التسليم لأمر الله تعالى وطيب النفس بذلك والقناعة بما قسم .

مسألة : كيف يجتمع الرضا مع الألم ؟

ليس بين الرضا والتألم من القضاء تباين . فالمريض يتألم بشرب الدواء الكريه، ومع ذلك هو راض به .
وكذلك الصائم في شدة الحر يحصل له تألم لكنه راض به، فالتألم كما لا ينافي الصبر لا ينافي الرضا به .

حكم الرضا :

لم يأت الأمر بالرضا في القرآن ولا في السنة وإنما جاء فيه مدح أهله، والثناء عليهم لا الأمر به، بخلاف الصبر فإن الله أمر به في مواضع كثيرة . لذلك اختلف أهل العلم فى الرضا بين الوجوب والإستحباب . وقد ذهب شيخ الإسلام رحمه الله إلى الإستحباب وقال إنما الواجب الصبر .

الفرق بين الرضا والصبر :

الصبر هو حبس النفس عن التسخط واللسان عن التشكي والجوارح عن الجزع، كلطم الخدّود وشق الجيوب وغير ذلك، مع وجود الألم وتمني زواله . والصبر واجب بحيث يأثم الإنسان إذا لم يصبر على ما أصابه من مكروه.
وأما الرضا فهو انشراح الصدر وسعته بالقضاء وعدم تمني زوال الألم فهو صبر وزيادة . وهومستحب .
قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فى مجموع فتاويه : ما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب، لكن يجب الصبر عليه . فالراضي تكون المصيبة وعدمها عنده سواء .

منزلة الرضا فى الإسلام :

١- أثنى الله جل وعلا على أهل الرضا في مواطن كثيرة وندبهم إليه، وجعله من صفات أهل الإيمان فهم يسعون لنيل رضا ربهم في كل عملٍ صالح يقْدمون عليه .

قال تعالى : وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ البقرة

٢- رضا الله عز وجل هو أقصى ما يتمناه أهل الإيمان؛ فقد قال سبحانه عن سليمان عليه السلام وقد أُعطي من الملك ما أُعطي

قال تعالى : وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴿١٩﴾ النمل

٣- منزلة الرضا منزلة عظيمة جعلها المولى جل وعلا فوق جنات عدن .

قال تعالى : وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ التوبة

يقول ابن القيّم رحمه الله : والرضا هو باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وفيه جماع الخير كل . فمَن رضي بالله تعالى ربًّا وجد حلاوةً في طاعته، ولذةً في البعد عن معصيته، ومن رضي بالإسلام دينًا وجد حلاوةً في اتباع شريعته، والعمل بها، والتحاكم إليها، ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وجد حلاوة في اتباع سنته، والتزام هديه . لذلك من حصَّل الرضا لا يجد مشقة في أداء العبادات، وفعل الطاعات، والتقرب بالقربات لرب الأرض والسماوات لأن لذته في ذلك . ولن يعسر عليه بغض المعاصي واجتناب المحرمات . ويرجع سبب ذلك كله إلى كمال الرضا بالله تعالى وبدينه وبرسوله صلى الله عليه وسلم، لذلك لما كان صلى الله عليه وسلم أكمل الناس رِضًى عن الله تعالى كان يستروح بالصلاة، قال صلى الله عليه وسلم : أرحنا بالصلاة يا بلال ، وقال : جعلت قرة عيني في الصلاة . وكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه من طول القيام ، ولا يحس بذلك لما يجد من لذة في مناجاة الرب جلَّ جلاله .

كيفية تحقيق الرضا :

قال ابن القيّم في مدارج السالكين بعد أن ساق حديثين :

الأوّل : قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً . رواه مسلم

والثّاني : قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : من قال حين يسمع النّداء : رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ . رواه مسلم

هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدّين وإليهما ينتهي . وقد تضمّنا الرّضا بربوبيّته وألوهيّته . والرّضا برسوله والإنقياد له، والرّضا بدينه والتّسليم له . ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصّدّيق حقًّا . وهي سهلة بالدّعوى واللّسان وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الإمتحان . ولا سيّما إذا جاء ما يخالف هوى النّفس . فالرضى بإلهيته يتضمن : الرضى بمحبته وحده، وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه، فعل الراضي بمحبوبه كل الرضى، وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له،

والرّضى بربوبيّته يتضمّن : الرّضا بتدبيره لعبده ويتضمّن إفراده بالتّوكّل عليه، وبالإستعانة به، والإعتماد عليه، وأن يكون راضيًا بكلّ ما يفعل به .

فالأوّل : يتضمّن رضاه بما يؤمر به .

والثّاني : يتضمّن رضاه بما يقدّره عليه.

وأما الرضى بنبيه رسولاً : فيتضمن كمال الإنقياد له، والتسليم المطلق إليه ؛ بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة ؛ لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله . ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه ، لا يرضى في ذلك بحكم غيره ، ولا يرضى إلا بحكمه .

وأمّا الرّضا بدينه : فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى، رضي كلّ الرّضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلّم له تسليما، ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلّده وشيخه وطائفته .

بعض الأمور التى تعين على تحصيل الرضا :

١- التسليم بأن الله لا يقضي لعبده قضاءً إلا كان خيراً له .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَجِبْتُ لِلْمُؤمِنِ إنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَقْضِ لَهُ قَضَاءً إلاَّ كَانَ خَيْراً لَهُ . أحمد . صحيح الجامع

قال الحسين بن علي : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختار الله له .

٢- الإجتهاد فى رضا الوالدين :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أنْ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : رِضَا اَللَّهِ فِي رِضَا اَلْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اَللَّهِ فِي سَخَطِ اَلْوَالِدَيْنِ . رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ . صحيح الترغيب والترهيب

٣- الإكثار من ذكر الله تعالى خاصة التسبيح .

قال تعالى :فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ طه

٤- المحافظة على الأذكار خاصَة الموظفة التي تحث على الرضا :

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاص ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ : مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ : وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ . رواه مسلم

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ ﷺ أَن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَن رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاَ، وَجَبَتْ لَهُ اَلْجَنَةُ . رواه مسلم

٥- عدم مداهنة الناس فى دين الله تعالى .

عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْونَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ . صحيح الترمذي

٦- الحب فى الله والبغض فى الله .

قال تعالى : لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ المجادلة

٧- تحقيق الإيمان وفعل الصالحات :

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ البينة

٨- مطالعة سير الأنبياء والصالحين الذين حقَّقُوا درجات الرِّضا العُلْيا .

٩- التسليم بأن التَّسخُّط لا يُعيد مفقودًا، ولا يَردّ قضاءً، وإنما يَجلب شقاءً فمَن رَضِي عن الله وأقداره؛ فلَه الرِّضا، ومَن سَخِط فعليه السّخط .

قالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ . صحيح الترمذي . السلسلة الصحيحة

١٠- استشغار فضل ثواب الرضا .

وقَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَن رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاَ، وَجَبَتْ لَهُ اَلْجَنَةُ . رواه مسلم

١١- التفكر فى عظيم رضا الله تعالى عن العبد وأنه أكبر من دخول الجنة :

قال تعالى : وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ التوبة

وقال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ . فَيَقُولُ : أَلا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ! فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا . رواه البخاري ومسلم

١٢- التأمل فيما أصابه فإنه سبب لتكفير ذنوبه، حتى يلقى الله تعالى طاهرًا من الخطايا .

قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ . صحيح الترمذى . السلسلة الصحيحة

١٣- التفكر فى أن ما أصابه مِن مُصيبة إنما هو بسبب بعض ذنوبه، وأن الله يَعفو عن كثير .

قال تعالى : وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ٣٠ الشورى

١٤- التسليم بأن ما صَرَف الله عنه أكبر مما أصابه، وأن الله لو يُؤاخِذ عباده بِما كَسَبَت أيديهم لَهَلَكوا .

قال تعالى : وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ النحل

ولأهمية الرضا واحتياج المسلم إلى تذكره على الدوام ؛ حث الشرع على ذكره خمس مرات في اليوم والليلة حين النداء إلى الصلاة المفروضة فُشرع للمسلم عقب إعلان المؤذن دخول وقت الصلاة أن يقول من جملة ما يقول في الأذكار بعد الأذان :
من قال حين يسمع النّداء : رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ . رواه مسلم

بعض أحوال السلف فى الرضا :

١- اجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثورى ويوسف بن أسباط ، فقال الثورى كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت أنى مت، فقال له يوسف لم ؟ قال لما أتخوف من الفتنة، فقال يوسف لكنى لا أكره طول البقاء، فقال سفيان لم ؟ قال : لعلى أصادف يومًا أتوب فيه وأعمل صالحًا . فقيل لوهيب إيش تقول أنت ؟ فقال : أنا لا أختار شيئًا، أحب ذلك إلى أحبه إلى الله تعالى، فقبله الثورى بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة .
٢- قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة، وكان قد كُفَّ بصره، فجاءه الناس يهرعون إليه، كل واحد يسأله أن يدعو له، وكان مجاب الدعوة . قال عبد الله بن السائب : فأتيته وأنا غلام، فتعرفت عليه فعرفني وقال : أنت قارئ أهل مكة ؟ قلت : نعم . فقلت له : يا عم، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك، فردَّ الله عليك بصرك . فتبسم وقال : يا بُني قضاء الله عندي أحسن من بصري .
٣- قال مطرف : أتيت عمران بن حصين يوما فقلت له والله إنى لأدع إتيانك لما أراك فيه ولما أراك تلقى . قال فلا تفعل فوالله إن أحبه الى أحبه إلى الله، قال جرير وكان سقى بطنه فمكث ثلاثين سنة على سرير منقوب .
٤- ذكر ابن حمدون فى التذكرة الحمدونية : أغارت الروم على أربعمائة جاموس لبشير الطبري فلقيه عبيده الذين كانوا يرعونها معهم، فقالوا : يا مولانا ذهبت الجواميس، قال : فاذهبوا أنتم معها، أنتم أحرار لوجه الله، وكانت قيمتهم ألف دينار، فقال له ابنه : قد أفقرنا !فقال : اسكت يا بني إن الله اختبرني أن أزيده .
فإذا نزل بك البلاء فكن كما يحب الله أن يراك .

أقوال السلف فى الرضا :

قال الحسن البصرى : من رضى من الله بالرزق اليسير رضى الله منه بالعمل القليل .
قال ابن القيم : الرضا من أعمال القلوب نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإن كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان .
وقال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء .
وقال سفيان الثوري : ليس بفقيه مَنْ لم يعدّ البلاء نعمة ، والرخاء مصيبة .
وقال الفُضَيل بن عِياض : الرِّضا أفضل من الزُّهد في الدنيا لأنَّ الرَّاضي لا يتمنى فوق منزلته .
وقال عبد الواحد بن زيد : الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين .
وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال .

بعض ثمرات الرضا :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِىَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً . رواه مسلم
٢- سبب من أسباب الفوز بالجنة والنجاة من النار .
قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَن رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّد نَبِيّاَ، وَجَبَتْ لَهُ اَلْجَنة . مسلم
٣- سبب من أسباب الفوز برضوان الله تعالى .
فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ . فَيَقُولُ : أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ! فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا . رواه البخاري ومسلم
٤- سبب من أسباب تذوق طَعْمَ الإيمان
قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِىَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً . رواه مسلم
٥- سبب من أسباب الفلاحِ

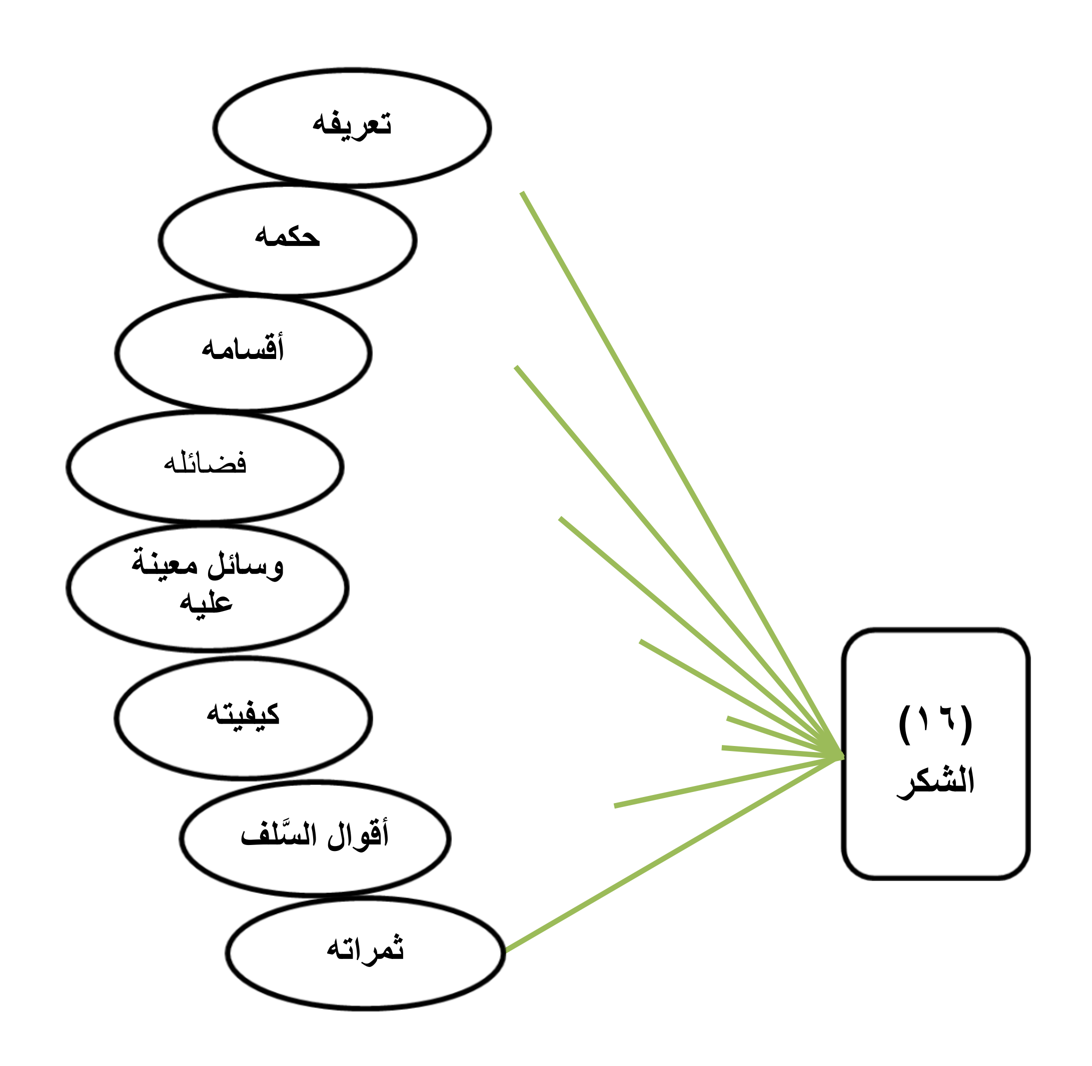
عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ . رواه مسلم

٦- كفاية الله للعبد مؤنة الناس

عَنْ عَائِشَةُ قالت سَمِعْتُ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ . رواه الترمذي . صحيح الجامع

٧- راحة من الهمّ والغمّ والحزن وشتات القلب .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ . رواه الترمذي . صحيح الجامع



(١٦)
الشكر
تعريفه
حكمه
أقسامه
فضائله
وسائل معينة عليه
كيفيته
أقوال السَّلف
ثمراته

الشعبة السادسة عشرة : الشكرُ

الشكرُ شعبة من شعب الإيمان الجامعة، ذلك لأنَّ كثير من شعَبِ الإيمان مردُّها إلى حقيقةِ الشّكر، بل إنَّ الصبرَ والشكر يتقاسمَان الشعبَ كلَّها . فالشكر عبادة من أعظم العبادات. وقد أثنى الله تعالى علَى أهلِه، ووصَفَ به خواصَّ خلقه ، وجعَلَه غايةَ خلقِه وأمرِه، ووعَد أهلَه بأحسن الجزاء، وجعله سببًا للمزيدِ من فضلِه

قال تعالى :وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧ إبراهيم

فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وبالجحود تفنى وتبيد، وقد يخلفها العذاب والنقمة، والندم والحسرة

قال تعالى :وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝١١٢ النحل . فمن شكر فقد حرس النعمة عليه بالبقاء وكسب به المزيد والنماء، ومن كفر وجحد سارع في إذهاب النعمة وتعجيل النقمة . وقد أنعم الله عز وجل على عباده بنعمه التي لا تحصى رحمة بهم ليرى شكرهم، ولو كان أهل هذا الزمان يُحْدثون لكل نعمة شكرًا لكانوا عظيمى الشكر لله لكثرة ما فتح الله عليهم من نعمه . وشُكرُ العبد لربِّه يكون بظهورِ أثَر نعمتِه عليه ، فتظهَر في القلب إيمانًا واعترافًا وإقرارًا، وتظهَر في اللسان حمدًا وثناًء وتمجيدًا وتحدّثًا، وتظهَر في الجوارح عبادةً وطاعةً واستعمالًا في مَرضاة الله تبارك وتعالى .

معنى الشكر :

لغةً : مادة (ش ك ر) تدل في اللغة على الثناء على المحسن، والمجازاة وعرفان الإحسان .

قال ابن منظور فى لسان العرب :

الشّكر عرفان الإحسان ونشره، وهو مأخوذ من قولك : شكرت الإبل تشكر إذا أصابت مرعى فسمنت عليه .

وأصل الشكر ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان ظهورًا بينًا يقال : شكرت الدابة تشكر شكرًا على وزن سمنت تسمن سمنًا : إذا ظهر عليها أثر العلف ودابة شكور : إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل وتُعطى من العلف . والشَّكُور من الدواب ما يكفيه العَلَفُ القليل .

اصطلاحًا : هو الإعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع . وقيل : الثناءُ على المُحسن بذِكرِ إحسانه ، فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة . والله يشكر العبد أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته .

قال ابن القيم رحمه الله فى طريق الهجرتين :

وأصل الشكر هو الإعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة ، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلًا بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضًا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ولم يحبه ولم يرض به وعنه لم يشكره أيضًا، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها، فلا بد في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له .

الفرق بين الشكر والحمد :

قال القرطبي رحمه الله : الحمد هو الثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان

قال ابن منظور في لسان العرب : والشُّكْرُ مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه فإنك تَحْمَدُ الإنسانَ على صفاته الجميلة وعلى معروفه ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته .

وقال ثعلب : الحمد يكون عن يد وعن غير يد، والشكر لا يكون إلا عن يد .

والشكر يكون عند البلاء والحمد يكون على كل حال . فالشكر والحمد بينهما عموم وخصوص فالحمد أعم من الشكر لأنه شكر وثناء والشكر لا يشتمل على الثناء، فكل حمد يقتضي شكرا، وليس كل شكر يقتضي حمدا.

أنواع الشكر :

جاء فى موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم :

والشّكر على ثلاثة أضرب :

١- شكر القلب : وهو تصور النعمة والشعور الدائم للمنعَم عليه بفضل الله وكرمه ومنّه بما أنعم عليه من النعم الظاهرة والباطنة .

قال تعالى :أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾ لقمان
فسخر الله عز وجل للإنسان كل ما حوله من الكائنات وما ينزل من السماء وما يخرج من الأرض تكريمًا له ورفعة لشأنه .
٢- شكر اللسان : وهو الثناء على الله المنعِم، بالثناء وعبارات الشكر المتعددة والتحدث بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى، وشكر اللسان يعد الوسيلة التي ينقل الإنسان من خلالها شكر الله من القلب إلى الجوارح، وشكر النعمة باللسان نوع من الذكر لله تعالى وقد أمر الله به العباد كما في قوله : وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ . فالتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر .
٣- شكر الجوارح : وهو استعمال النعمة فيما خلقت له، وشكر الجوارح من أعظم أنواع الشكر وأصدقها، ذلك أن ما ينبض به القلب من الحمد والشكر وكذلك ما يردده اللسان يترجم إلى واقع عملي ومعظم أمور الدين إذا لم تتحول إلى عمل فلا يعد شيئًا في ميزان الشرع، وقد وردت آيات كثيرة تربط بين الإيمان والعمل الصالح .

قال تعالى :وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ العصر

وقال تعالى :إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ الكهف

لذلك كان الشكر العملي من أعظم أنواع الشكر وأكثرها قبولًا عند الله عزوجل، واستعمال الجوارح في التعبير عن شكر الله تعالى على نعمه وأفضاله تتمثل في فعل كل أنواع الطاعات، وترك كل أنواع المعاصي .

قال تعالى :ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ سبأ

أركان الشكر ثلاثة :

١- الإعتراف بالنعمة أي تقر وتعترف وتوقن وتجزم أن الذي أنعم عليك تلك النعمة هو الله عز وجل .

قال تعالى : وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ النحل

٢- التحدث بالنعمة ظاهرًا والثناء على المنعم بما أولاك من نعم وأسداك من معروف .

قال تعالى : وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ الضحى

٣- تسخير النعمة في طاعة الله ومرضاته واجتناب معاصيه .

قال تعالى : ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ سبأ

أى اعملوا آل داوود شكرًا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتثال أمره .

حكم الشكر :

الشكر على نعم الله المطلقة والمقيَّدة واجبٌ على كلِّ مسلم وقد أمَرَ الله به ونهى عن ضدِّه . وشكر الله تعالى يكون في جميع الأحوال : في الصحة والسَّقَم، والشباب والهرَم، والفقر والغِنى، والفراغ والشُّغل، والسرَّاء والضرَّاء، واليقَظَة والمنام، والسفَر والإقامة، والخَلوة والإختلاط، قيامًا وقعودًا وعلى جنب، وهو السبيل لدوامها، كما أنَّ كفران النعمة وعدم شكرها سببٌ لزوالها .
يقول أبو الدرداء : من لم يعرِف نعمَ الله عز وجل عليه إلا في مطعمه ومشربِه فقد قلَّ علمُه . لأن نعم الله دائمة، وآلاءَه مُتتابِعة .

قال تعالى :يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ البقرة

وقال تعالى :فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ البقرة

قال ابن رجب رحمه الله فى جامع العلوم والحكم :
الشكر على درجتين :
الأولى : واجب وهو أن يأتي بالواجبات ويتجنب المحرمات فهذا لا بد منه .
الثانية : مستحب وهو أن يعمل العبد بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم : بنوافل الطاعات، وهذه درجة السابقين المقربين .

منزلة الشكر في الإسلام :

١- أمر الله عز وجل به ونهى عن ضده .

قال تعالى :فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ البقرة

٢- أخبر سبحانه أن أهل عبادته هم الشاكرين .

قال تعالى :يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ البقرة

٣- أثنى على أهله ووصفهم بخواص خلقه .

قال تعالى :ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ سبأ

٤- جعل الله سبحانه الشكرَ هو الغايةُ من خلقه للخلق .

قال تعالى :وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل

٥- وعد الله عز وجل أهله بأحسن الجزاء .

قال تعالى :وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ آل عمران

٦- أخبر سبحانه أنَّ رضاه في شكره .

قال تعالى :إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴿٧﴾ الزمر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا . رواه أحمد ومسلم

٧- قسّم اللّه سبحانه النّاس إلى شكور وكفور ، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله ، وأحبّ الأشياء إليه الشّكر وأهله .

قال تعالى :إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ الإنسان

٨- علّق سبحانه المزيدَ بالشكر، والمزيدُ منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره .

قال تعالى : وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ إبراهيم

فمتى لم ترَ حالك في مزيدٍ فاستقبل الشكرَ .

٧- أخبر سبحانه أن الشكر صفة من صفاته، واسم من أسمائه الحسنى .

قال تعالى : مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾ النساء

والله عز وجل هو الشّكُور الذى لا يبخس العبادَ أعمالهم، ولا يظلمهم حقهم، بل يجزي بالحسنة أضعافها، ويجزي بالسيئة مثلها وقد يعفو ويغفر . ويوم القيامة يرى الناس من هذه الصفة الإلهية ما لم يروه في الدنيا ، وعند ذلك يقول المؤمنون :

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ فاطر

٩- سمى الله عز وجل نفسه شاكرًا وشكورًا، وسمى الشاكرين بهذا الإسم فأعطاهم من وصفه وسماهم باسمه وحسبك بهذا محبة للشاكرين .

قال تعالى :ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ سبأ

وقال تعالى :إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾ إبراهيم

١٠- أخبر الله سبحانه أن أهل الشكر هم المنتفعون بآياته .

قال تعالى : وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾ لقمان

وقال تعالى : وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾ إبراهيم

١١- أخبر عز وجل أنَّ إبليس غايتَه أنْ يسعى في صد النَّاس عن الشكر لمّا عرف عِظم قَدْرِ مقام الشكر .

قال تعالى :ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ الأعراف

١٢- أخبر الله سبحانه عن قلة الشاكرين في عباده .

قال تعالى : وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ سبأ

١٣- قرن اللّه سبحانه الشّكر بالإيمان ، وأخبر أنّه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به .

قال تعالى : مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾ النساء

١٤- جعل الله سبحانه الشكرُ أولُ وصيةٍ وصّى بها الإنسان :

قال تعالى : وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ لقمان

قال الشيخ صالح بن حميد فى الغفلة عن شكر النعم :
شُكْرُ العبد لربِّه يكون بظهورِ أثَر نعمتِه عليه، فيكون بالقلب خضوعاً ومحبّة للمنعم، وباللسان حمدًا وثناء وتحدّثًا واعترافًا بأنه هو المنعم، وبالجوارح طاعةً وانقيادًا واستعمالًا في مَرضاة الله تعالى . ولشكر النعم لابد من التعرف عليها وهذا له طريقان : هما : الوحي، والعقل، فالكتاب والسنة ذكرا نِعماً كثيرة، وأرشدا إلى وجوه المنافع الكامنة فيها .
والعلوم البشرية اكتشفت نعمًا أخرى، ولا زالت تكشف نعمًا جديدة أو منافع جديدة لنعم معروفة . وهذه العلوم تُوسِّعُ معارف الإنسان، فيعرف منها ما لا يعرفه بالنظر العادي، فالحواس الخمس والماء والهواء والطعام واللباس، والشمس والقمر والليل والنهار . يستطيع كل إنسان أن يعد منافعها ، ولكن العلوم التي درست هذه النعم كشفت عنها أكثر مما يعرفه الإنسان العادي ، فهذه العلوم كشفت من وجوه المنافع في نعمة واحدة نعم لا تحصى : وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ . لأن إحصاء النعم لا يمكن وهي محصورة، فكيف وهي تتجدد وتزيد ويظهر في نعم معروفة ما لم يكن معروفًا من قبل ؟ فكيف يحصي الإنسان شيئًا لا ينحصر؟ ولا يُفهم من الآية عدم إحصاء النعم، بل أشار القرآن إلى الإجتهاد لرصد وإحصاء النعم والتعرف عليها ليعلم الإنسان كثرتها ومدى عجزه عن الإحاطة بها، فيعتبر بما عرف منها ويعتبر بما عجز عن معرفته وإحصائه .
والشكرُ يكونُ بالصلاة ؛ فإن النبي كان يُصلّي من الليل حتى تتفطَّر قدماه، ويقول : أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟
والشكرُ يكونُ بالصيام ؛ فقد صامَ مُوسَى عليه السلام يوم عاشوراء شُكرًا لله إذ نجَّاه وقومَه من فرعون وقومِه، ثم صامَه نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم وأمرَ بصيامِه .
والشكرُ يكونُ بسَجدة شكرٍ يسجُدها المؤمن إذا جاءَه خيرٌ من ربِّه أو حدثَت له نعمةٌ من مولاه، فالصّلاة شكر والصّيام شكر وكلّ خير تعمله لله عزّ وجلّ شكر وأفضل الشّكر الحمد . وكل عمل خير يصدر من العبد مع النية الطيبة لله تعالى فهو شكر .

كيفية التفكر فى نعم الله تعالى :

بعض النعم يمكن ردها إلى أصول وفروع .
فنعمة الهداية نعمة أصلية ويتفرع عنها نعم كثيرة، وأعظمها في الآخرة :
كنعمة رضوان الله تعالى ورؤيته وجواره في جنته، وصحبة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين . ونعمة الأمن، ونعمة السكينة، ونعمة المغفرة والرحمة، ونعمة التيسير، ونعمة الرزق الواسع ، ونعمة البركة في العمر والبركة فى المال والأهل والولد وغيرها كثير من النعم .
وكذلك الصحة نعمة أصلية يتفرع عنها نعم كثيرة :
كنعمة الحركة والمشي، ونعمة العمل، ونعمة الرياضة، ونعمة الأكل والشرب ، ونعمة النوم، ونعمة السفر، بل كل نفس من الأنفاس نعمة إلى غير ذلك مما يندرج تحت هذه النعمة العظيمة .
وكذلك نعمة الوقت ونعمة العلم ونعمة المال فهذه نعم أصلية تندرج تحت كل منها نعم فرعية لا يعلم مداها إلا خالقها عز وجل

بعض الأمور التى تعين المسلم على شكر الله تبارك وتعالى :

١ـ ملازمة تقوى الله والعمل بطاعته .
قال تعالى :وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ آل عمران
٢ـ القناعة والرضا بما قسم الله لك .
قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ . صحيح ابن ماجة
٣ـ الإكثار من الدعاء بأن يجعلك الله من الشاكرين كما وصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا فقال : أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ . صحيح أبي داود
٤ـ استحضار كمال قدرة الله وغناه المطلق .
قال تعالى :وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ لقمان
٥ـ التفكر في كثرة نعم الله عليك التي لا تستطيع أن تحصيها .
قال تعالى :وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ النحل
قال تعالى :أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ ٢٠ لقمان
٦ـ التحدث بنعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى والثناء عليه والإقرار بأنها من الله عز وجل وحده .
قال تعالى :وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١ الضحى
٧ـ التأمل في عظيم جزاء الشكر في الآخرة وثوابه العاجل في الدنيا والتأمل أيضًا في عاقبة كفر النعم في الدنيا والآخرة .
قال تعالى :وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ آل عمران

٨- استحضار وقوفك بين يدي الله يوم القيامة، والتفكر في عِظَمِ سؤال الله عن هذه النعم التي أسداها الله إليك .

قال تعالى :ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ التكاثر

٩- النظر إلى من هو دونك من الفقراء والمبتلين فإنه معين على استذكار النعم التي أنت فيها وعدم احتقارها .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ . رواه مسلم

١٠- أن تشكر من أسدى إليك معروفاً من الناس .

عَنِ الأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ. رواه أحمد . صحيح الجامع

١١- السجود لله عز وجل كلما أتاك ما يسرك .

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ يُسَرُّ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلهِ تَعَالَى . صحيح أبي داود

١٢- استعمال النعم فيما يرضي الله عز وجل .

قال تعالى :وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨ النحل

بعض أقوال السلف فى فضل الشكر :

قال علي ﷺ : النعمة موصولة بالشكر والشكر يتعلق بالمزيد، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد

وقال الحسن البصري : إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء فإذا لم يُشكر عليها قلبها عذاباً ؛ ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ لأنه يحفظ النعم الموجودة . والجالب لأنه يجلب النعم المفقودة .

وقال بكر المزنيّ : قلت لأخ لي أوصني . فقال : ما أدري ما أقول غير أنّه ينبغي للعبد أن لا يفتر من الحمد والإستغفار، فإنّ ابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النّعمة إلّا بالحمد والشّكر، ولا يصلح الذّنب إلّا بالتّوبة والإستغفار .

وقال عمر بن عبد العزيز : تذاكروا النعم فإن ذكرها شكر .

بعض ثمرات الشكر :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى :يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢ البقرة

٢- سبب من أسباب رضا الله عز وجل عن العبد .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا . رواه أحمد ومسلم

٣- سبب من أسباب المغفرة .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ أَكَلَ طَعَامَاً فَقال : الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . صحيح أبي داود

٤- سبب من أسباب محبة النّاس للعبد .

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ . رواه الترمذى . صحيح الجامع

٥- سبب من أسباب حفظ النعم وزيادتها .

قال تعالى :وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ إبراهيم

٦- الشكر يجعل صاحبه من أهل خواص عباد الله وقليل ما هم .

قال تعالى :ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣ سبأ

٧- نيل الأجر الجزيل .

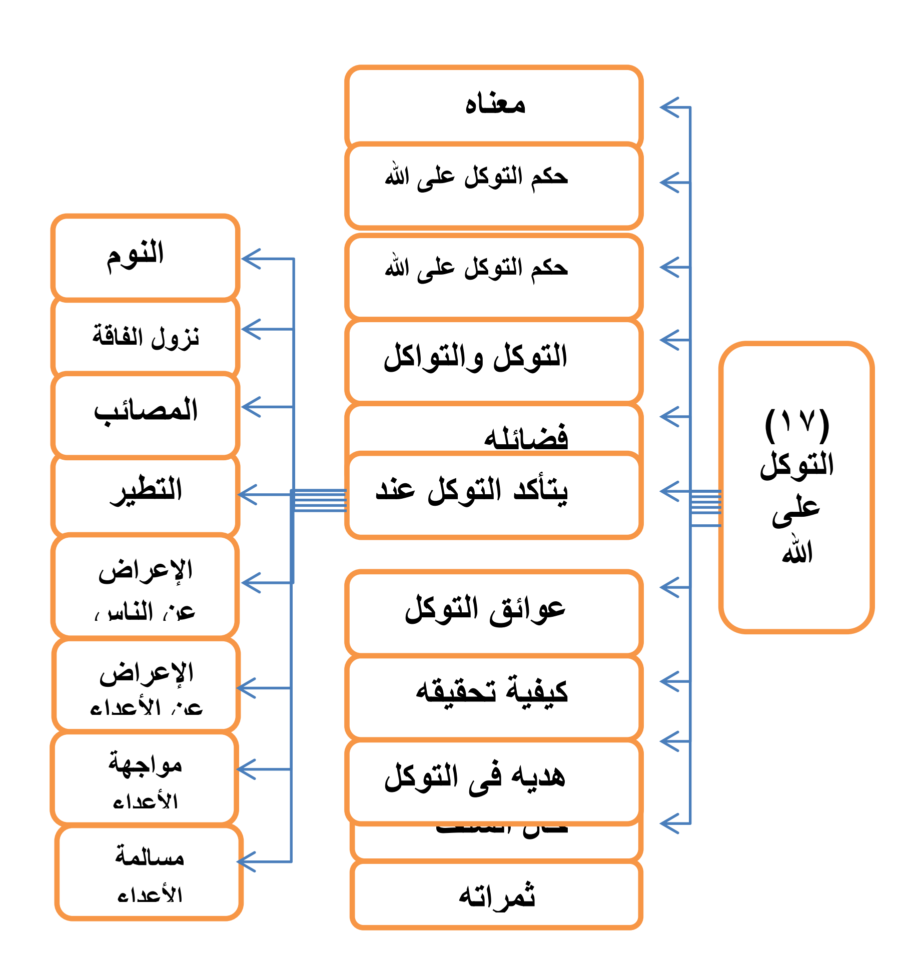
قال تعالى :وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤ آل عمران

٨- الإعتبار بآيات الله والإنتفاع بها .

قال تعالى :وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥ إبراهيم

٩- سبب من أسباب الأمن من عذاب الله عز وجل .

قال تعالى :مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧ النساء


(١٧)
التوكل
على
الله
معناه
حكم التوكل على الله
حكم التوكل على الله
التوكل والتواكل
فضائله
يتأكد التوكل عند
عوائق التوكل
كيفية تحقيقه
هديه فى التوكل
ثمراته
النوم
نزول الفاقة
المصائب
التطير
الإعراض
الإعراض
مواجهة
الأعداء
مسالمة
الأعداء

الشعبة السابعة عشرة : التوكل على الله

التوكل على الله شعبة من شعب الإيمان، وعبادة من أجل العبادات وطاعةٌ من أفضل الطاعات، وقربة من أعظم القربات وهو أعلى مقامات التوحيد وأعظمها وأجلها، فمنزلته أوسع المنازل وأجمعها، وهو شرط من شروط الإيمان ولازم من لوازمه، وكلما قوِي إيمان العبد كان توكله أعظم، وإذا ضعُف الإيمان ضعُف التوكل . وهو من أشرف أعمال القلوب . ولا يتحقق التوكل إلا بالإعتماد على الله اعتمادًا صادقًا، وتفويض الأمر إليه مع صحة الإيمان، ومباشرة الأسباب المأذون فيها دينية كانت أو دنيوية . ومن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله عز وجل . ولا يتم كمال التوحيد إلا بكمال التوكل على الله وقد جمع سبحانه في كتابه بين التوكل والإسلام، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والعبادة، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والهداية؛ فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان والإسلام .

معنى التوكل :

قال ابن عثيمين رحمه الله : التوكل هو صدق الإعتماد على الله عزوجل في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر الله بها .

مسألة : هل الأخذ بالأسباب ينافي التوكل ؟

قال ابن القيم فى الفوائد : حقيقة التوكل هو اعتماد القلب على الله وحده ، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الإعتماد عليها والركون إليها ، كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به ، ويجب فعل الأسباب مع التوكل ولكن مع عدم الركون إليها والإعتماد عليها .

وقال فى مدارج السالكين : من أنكر الأسباب لم يستقم معه التّوكّل . فالأسباب محلّ حكمة اللّه وأمره ونهيه .

الأدلة على وجوب الأخذ بالأسباب :

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى :

واعلم أن تحقيق التوكل لا يُنافي السعي في الأسباب التي قدَّر الله سبحانه المقدورات بها وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكُّل، فالسَّعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له ، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴿٧١﴾ النساء

وقال تعالى : وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴿٦٠﴾ الأنفال

وقال تعالى : وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ مريم

وكان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو سيد المتوكلين يحمل الزاد والمزاد إذا سافر في جهاد أو حجٍّ أو عُمرة، هو وجميع أصحابه .

واتخذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راحلتين وزادًا واستأجر دليلًا مُشركًا ليدله على الطريق في الهجرة للمدينة . ولبس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد دِرعين . ودخل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة والبيضة على رأسه .

مسألة : الفرق بين التوكل والتواكل :

التوكل هو الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر للّه تعالى والثّقة بأنّه عزّ وجلّ لا يضيع أجر من أحسن عملًا .

أمّا التواكل فهو ترك الأسباب وعدم السّعي ، فكلّ ما يؤدّي إلى ترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب ليس من التّوكّل في شيء .

حكم التوكل على الله تعالى :

قال ابن القيم فى طريق الهجرتين :

التوكل على الله فريضة من الفرائض وواجب من الواجبات وشرطًا في الإيمان، وانتفاءه دليل على انتفاء الإيمان وصرفه لغير الله شرك .

قال موسى عليه السلام لقومه : يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ يونس

فجعل دليل صحة الإسلام التوكل فمن لا توكل له لا إيمان له . وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ المائدة

حكم التوكل على غير الله تعالى :

قال الشيخ صالح الفوزان في الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد :

١- التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كالتوكل على الأموات والغائبين والطواغيت في تحقيق المطالب من النصر والحفظ والرزق أو الشفاعة فهذا شرك أكبر .

٢- التوكل في الأسباب الظاهرة كمن يتوكل على شخص قادر فيما أقدره الله فهذا شرك أصغر لأنه اعتماد على الشخص .

٣- التوكل الذي هو إنابة الإنسان من يقوم بعمل عنه مما يقدر عليه كبيع وشراء فهذا جائز، ولكن لا يعتمد عليه في حصول ما وكل إليه فيه بل يتوكل على الله في تيسير أموره التي يطلبها بنفسه أو نائبه لأن توكيل الشخص في تحصيل الأمور الجائزة من جملة الأسباب والأسباب لا يعتمد عليها، وإنما يعتمد على الله سبحانه الذي هو مسبب الأسباب وموجد السبب والمسبب .

منزلة التوكل في الإسلام :

١- أخبر الله تبارك وتعالى أنه نِعْمَ الوكيل .

قال تعالى : وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ آل عمران

قال تعالى : رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ المزمل

٢- أخبر الله جل وعلا أن التوكل عليه من صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

قال تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام : فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴿٧١﴾ يونس

وقال تعالى :وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ يونس

وقد بلغ النبى صلى الله عليه وسلم القمة في توكله على ربه كما رواه البخاري من حديث أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا .

٣- التوكل على الله من صفات المؤمنين الذين وعدهم الله تعالى بالمغفرة لذنوبهم .

قال تعالى : إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الأنفال

٤- أخبر الله تبارك وتعالى أنه يحب المتوكلين .

قال تعالى : فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ آل عمران

٥- جعل الله تبارك وتعالى التوكل من أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار .

قال تعالى : وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴿٣﴾ الطلاق

وعن عُمَرَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا. صحيح ابن ماجه للألباني

٦- جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه كفايته لعبده .

قال تعالى : وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴿٣﴾ الطلاق

٧- أخبر الله تبارك وتعالى أن الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين الذين يتوكلون على ربهم عز وجل .

قال تعالى :إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ النحل

٨- قرن الله تعالى التوكل بربوبيته وألوهيته معًا .

قال تعالى :رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ المزمل

وقال تعالى :قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ الرعد

٩- جعل الله التوكل من أكثر مقامات الإيمان صلةً بأسماءه وصفاته ولذلك عرف بعضهم التوكل بأنه : المعرفة بالله وصفاته .

وقال تعالى :وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الفرقان

وقال تعالى :وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ الأنفال

١٠- قرن الله عز جل الصبر بالتوكل لأنهما من أقوى الأسلحة في مواجهة الشدائد والصعاب في طريق الدعوة وتحمل أعبائها

قال تعالى : ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ النحل

وقال تعالى : وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ إبراهيم

١١- جعل الله عز وجل التوكل عليه شرطًا في الإسلام والإيمان .
قال ابن القيم رحمه الله : فجعل دليل صحة الإسلام التوكل .
قال تعالى : وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ يونس
وقال تعالى : وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ المائدة
١٢- التوكل على الله عبادة يجب إخلاصه لله فصرفه لغيره شرك ينافي التوحيد .
قال تعالى : وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ التوبة
١٣- قرن الله عز جل بين التوكل والقدر، فتحقيق التوكل مترتب على تحقيق الإيمان بالقدر .
قال تعالى : وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ الطلاق
وقال تعالى : قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ التوبة

بعض المواطن التي يتأكد فيها التوكل على الله عز وجل :

يجب على المؤمن أن يُحسِنَ التوكل على الله في حِلِّه وترحاله، في خوفه وأمنه، في فقرهِ وغناه، في صحتهِ وسقمه، في طاعتهِ وعبادته، وأن يكون ثقته بالله أعظم مما في يده من الأسباب مُوقِناً أن ما كُتِبَ له من أَجَلٍ ورزقٍ، وسعادةٍ وشقاوةٍ، وسرورٍ وغمٍ، ويُسرٍ وعسرٍ؛ واقعٌ عليه لا محالة . ويتأكد التوكل على الله في مواطن منها :

١- عند القيام بالعبادات والطاعات .
قال تعالى : وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴿١٢٣﴾ هود
٢- عند إعمال الشورى وأخذ الآراء في مقام المشورة .
قال تعالى : فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ عمران
٣- عند الحُكم والفصل بين الناس .
قال تعالى : وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ الشورى
٤- عند نزول المصائب وحلول الكرب .
قال تعالى : قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ التوبة
٥- عند تولي الناس عنك .
قال تعالى : فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ التوبة
٦- عند الإعراض عن الأعداء .
قال تعالى : فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ النساء
٧- عند مسالمة الأعداء .
قال تعالى : وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ الأنفال
٨- عند كيد الكافرين .
قال تعالى : ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ آل عمران
٩- عند لقاء العدو .
قال تعالى : إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ آل عمران
١٠- عند إبرام العهود وأخذ المواثيق .
قال تعالى : قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ يوسف
١١- عند تسرب شيء من التطير إلى النفس .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطيرة شرك . قال ابن مسعود : وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ . رواه أبو داود - صحيح الترغيب والترهيب

١٠- عند طلب الرزق .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا. صحيح ابن ماجه

١١- عند الخروج من المنزل .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، يُقَالُ حِينَئِذٍ : هُدِيتَ ، وَكُفِيتَ ، وَوُقِيتَ ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ . رواه أبو داود والترمذي والنسائي - صحيح الجامع

١٢- عند النوم .

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ . رواه البُخَارِي ومسلم

١٣- عند نزول الفاقة .

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ . رواه الترمذي . صحيح الجامع

كيفية تحقيق التوكل :

لا يستقيم توكل العبد حتى يصح توحيده، وكلما قوي توحيد العبد قوي توكله، وكلما كان العبد بالله وصفاته أعلم كان توكله أكمل ولا يتحقق التوكل حتى يؤمن العبد بكمال ربوبيته تعالى وما تتضمنه من كمال الملك والتدبير والقدرة والتصرف والمشيئة والإحاطة وملك الضر والنفع والتوكل من أكثر مقامات الإيمان صلةً بأسماء الله تعالى وصفاته ولذلك عرفه بعضهم بأنه : المعرفة بالله وصفاته .

قال الشيخ عبد المحسن القاسم فى تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول :

الواجب على العبد أن يعلق قلبه بالله عز وجل في جلب المنافع ودفع المضار، وفى دخول الجنة والنجاة من النار مع الأخذ بالأسباب المشروعة وإياك والتعلق بالمخلوق، فإنه عاجز عن كشف الضر وإن كان له نوع قدرة فلا يعتمد عليه ولو فيما أقدره الله عليه، بل اعتمد على الله وحده، فمن اعتمد على حسبه ذلَّ ومن اعتمد على عقله ضلَّ ومن اعتمد على ماله قلَّ ومن اعتمد على الناس ملَّ . فأحسن الظن بربك وتوكل عليه في جميع شئونك، تحقق عبادة من أجلّ العبادات .

وقال الشيخ ابن عثيمين فى شرح كتاب التوحيد :

عندنا ضعف التوكل فالغالب حين نقوم بالعبادة أو العادة لا نشعر بالتوكل على الله والإعتماد عليه، بل نعتمد على الأسباب الظاهرة، وننسى هذه العبادة العظيمة فيفوتنا ثواب عظيم وهو ثواب التوكل .

مسألة : المراد بحق توكله :

شبه الرسول صلى الله عليه وسلم من توكل على الله حق توكله بالطير ذلك أن الطير يبيت لا يحمل هم رزقه ، فلا يقول : أين التجارة والربح والمال ؟ بل يبيت مطمئنًا مرتاحًا، هذا هو حال الطير لا يحمل همًا فى قلبه، فمن توكل على الله سبحانه حق توكله جعل الله له الإطمئنان وييسر له الأسباب دون أن يحزن، فيصير مثل الطير، يفعل السبب ويأتيه رزقه من حيث لا يحتسب

بعض أقوال السلف في التوكل :

قال ابن عباس ﷺ : التوكل جماع الإيمان .

وقال ابن القيم : التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الإستعانة والإنابة هي العبادة . وهو سبب من أسباب جلب الرزق ودخول الجنة بغير حساب ولا عذاب .

وقال الجنيد : التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب .

وقال بعض السلف : من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله .

بعض ثمرات التوكل :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى : وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ المائدة

٢- سبب من أسباب محبّة الله تعالى ومعونته ونصره وتأييده لعبده .

قال تعالى : فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ آل عمران

٣- كفاية الله للمتوكل في جميع شؤونه .

قال تعالى : وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾ الأحزاب . والوكيل هو الذي يقوم بأمر موكله .

قال ابن القيم : حسبه : أي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا بأذى لا بد منه : كالحر والبرد والجوع والعطش وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبدًا .

٤- سبب من أعظم أسباب دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ . قَالُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . متفق عليه

٥- سبب من أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار .

قال ابن عباس رضي الله عنه : حسبنا الله ونعم الوكيل . قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس : إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ آل عمران

٦- سبب من أسباب سعة الرّزق .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا. صحيح ابن ماجه

٧- سبب من أهم أسباب النصر والتمكين .

قال تعالى : إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ آل عمران

٨- سبب من أعظم أسباب الوقاية من تسلُّط الشيطان .

قال تعالى : إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ النحل

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، يُقَالُ حِينَئِذٍ : هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ . رواه أبو داود والترمذي والنسائي - صحيح الجامع

٩- سبب من أسباب الوقاية من السحر والحسد والعين .

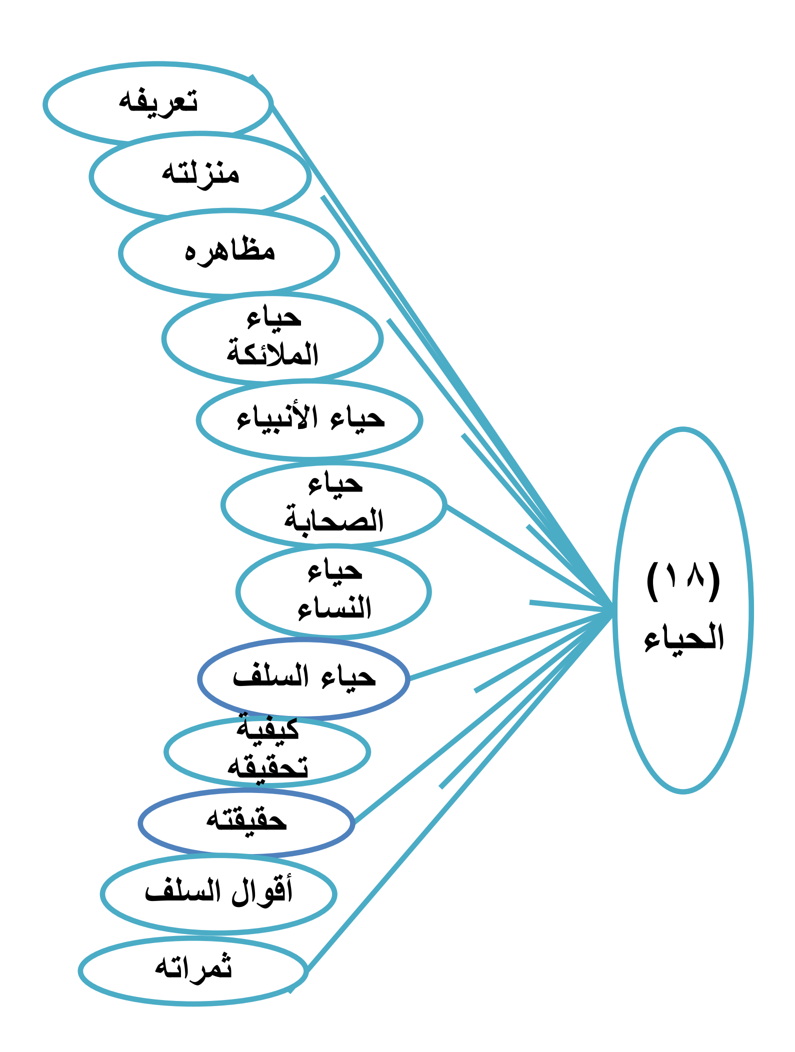
قال تعالى : وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ يوسف

١٠- طمأنينة النفس وراحة القلب وسكونه .

قال تعالى : قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ التوبة

١١- سبب من أهم أسباب حصول التوفيق .

قال تعالى : وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ هود


(١٨)
الحياء
تعريفه
منزلته
مظاهره
حياء الملائكة
حياء الأنبياء
حياء الصحابة
حياء النساء
حياء السلف
كيفية تحقيقه
حقيقته
أقوال السلف
ثمراته

الشعبة الثامنة عشرة : الحياء

الحياء شعبة من شعب الإيمان، وخلق من أفضل الأخلاق وأجلّها وأعظمها قدرًا، وهو سياج منيع عن كل ما يشين المؤمن، فالحياء كله خير ولا يأتي إلا بخير، وهو علامة حياة القلب . ومن قوي حياؤه صان عرضه ودفن مساوئه، ونشر محاسنه وكان ذكره عند الناس محمودًا وعند الله مرفوعًا . ومن ذهب حياؤه ذهب قدره وظهرت مساوئه ودفنت محاسنه وكان عند الناس مهانًا وعند الله ممقوتًا . ومن استحيا من اللّه عند معصيته استحيا اللّه من عقوبته يوم يلقاه . وبين الذّنوب وانعدام الحياء تلازم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ . فالحياء يحمل على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق الله تعالى . والحياء والإيمان قرينان إذا رفع أحدهما رفع الآخر . والحياء مُشتَق من الحياة، وبحسَب حياة القلب يكون الحياء قوّة وضعفًا .

قال ابن القيِّم فى مفتاح دار السَّعادة :
خُلُق الحَيَاء مِن أفضل الأخلاق وأجلِّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا ، بل هو خاصَّة الإنسانيَّة، فمَن لا حياء فيه، فليس معه مِن الإنسانيَّة إلَّا اللَّحم والدَّم وصورتهما الظَّاهرة، كما أنَّه ليس معه مِن الخير شيء.

تعريف الحياء :

قال ابن مفلح الحنبليّ فى الآداب الشرعية : الحياء خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح .
وقال ابن علّان فى دليل الفالحين : الحياء خلق يبعث على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق يمتنع صاحبه من التّقصير في حقّ ذي الحقّ .

والحياء نوعان :
الأول : الحياء الفطري الطبيعى الجبلي أى غير المكتسب : وهو ما يولد الإنسان به وهو مركوز في فطرة الإنسان السوي كالحياء من كشف العورة، وغير ذلك مما تشمئز منه النفوس السوية والعقول السليمة .
الثاني : الحياء المكتسب أى الحياء الشرعي : وهو الذى يكتسبه الإنسان بالتزكية والترقي في مراتب الإيمان والإحسان عن طريق معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته والتعبد بأسمائه الحسنى : كالعليم والسميع والبصير والرقيب والشهيد والمحيط ، وفهم معاني هذه الأسماء فيستحي من الله تبارك وتعالى ويستشعر قرب الله تعالى منه، وإحاطته بعباده، وإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فيمنعه هذا الحياء من ارتكاب المعاصي خوفًا من الله تعالى ويدفعه ذلك إلى أن يحقق فى نفسه أعلى خصال الإيمان .

منزلة الحياء فى الإسلام :

١ـ الحياء صفة من صفات الرب جل وعلا .
عن يعلى بن أمية ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ . رواه أبو داود . صحيح الجامع
وعَنْ سَلْمَانَ ﷺ أن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ . رواه أحمد وأبو داود والترمذي . صحيح الجامع
٢ـ الحياء خلق من الأخلاق التي يحبها الله تبارك وتعالى .
عَنْ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ ﷺ قَالَ : قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، قُلْتُ : وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ، قُلْتُ : قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَدِيثًا ؟ قَالَ : قَدِيمًا، قُلْتُ : الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ أَحَبَّهُمَا اللهُ . صحيح الأدب المفرد للبخاري
٣ـ الحياء خلق من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم .
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ . رواه البخارى
٤ـ الحياء خلق جميع الأنبياء عليهم السلام :
عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ . رواه البخاري
٥ـ الحياء خلق الإسلام وهو أصل الأخلاق وأجلّها شأنًا، وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا .
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ . رواه ابن ماجه . صحيح الجامع

٦- الحياء مفتاح لكل خير كما أن التبذل والتهتك مفتاح لكل شر .
عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ . متفق عليه
٧- الحياء لا يمنع صاحبه عن أن يتفقه في دينه، فهو يبعث على الخير ولا يصدّ عنه .
عَنْ عَائِشَةَ قالت : نِعْمَ النِّسَاء نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِينِ . رواه مسلم
٨- الحياء لا يكون في شيء من الأقوال والأفعال إلا زيَّنه وجمَّله وحسَّنه؛ ولا يُنزع من شيء، إلا شانه وعابه
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ ، وَلاَ كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ . رواه أحمد وابن ماجه والترمذي . صحيح الجامع

صور من الحياء :

١- حياء الملائكة عليهم السلام .

لحديث عَائِشَةَ وفيه : أن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إنّ جِبْرِيلَ أتاني حِينَ رَأَيْتِ فَنادَانِي فَأَخْفاهُ منك فأَجَبتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ ولمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيابَكِ وظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ وخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشي فَقالَ إنَّ رَبَّكَ يأْمُرُكَ أَنْ تأْتِيَ أَهْلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ . رواه مسلم

٢- حياء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومنهم :

حياء موسى عليه السلام :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلاَّ مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلاَثًا ، أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ الأحزاب . رواه البخاري

حياء النبي صلى الله عليه وسلم :
وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا فعَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرُ بِهَا. قَالَتْ كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا قَالَ تَطَهَّرِى بِهَا سُبْحَانَ اللَّهِ . وَاسْتَتَرَ قَالَتْ عَائِشَةُ وَاجْتَذَبْتُهَا إِلَيَّ وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ تَتَبَّعِى بِهَا أَثَرَ الدَّمِ . رواه مسلم

٣- حياء الصحابة رضى الله عنهم :

حياء الصديق رضي الله عنه :
قال أبو بكر ﷺ يا معشر المسلمين : استحيوا من الله ؟ فو الّذي نفسي بيده ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد الغائط ، إلا وأنا مُقنِّع رأسي حياءً من الله عز وجل . مكارم الأخلاق لابن أبى الدنيا
حياء عثمان رضي الله عنه :
ذكر الحسن البصري عثمان ﷺ وحياءه فقال : إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه .
حياء أبي موسى الأشعري رضي الله عنه :
عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : إِنِّي لأَغْتَسِلُ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ فَأَحْنِي ظَهْرِي إِذَا أَخَذْتُ ثَوْبِي حَيَاءً مِنْ رَبِّي . مصنف ابن أبي شيبة
حياء عَمْرِو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه :
قَالَ مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلاَ أَجَلَّ في عيني مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عينيَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّى لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عينيَّ مِنْهُ . رواه مسلم

٤- حياء النساء :

ما أعظم حياء المرأة التى تحافظ على كرامتها وحشمتها وتراقب ربها وتحفظ حق بعلها وتبعد عن مسالك الرِّيبة ومواطن الرذيلة .
حياء فاطمة رضي الله عنها بنتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها :

روى الدارقطنى فى سننه أن فَاطمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت لأسماء بنت عميس : يَا أَسْمَاءُ إِنِّي أَسْتَقْبِحُ مَا يُفْعَلُ بِالنِّسَاءِ، إِنَّهُ يُطْرَحُ عَلَى الْمَرْأَةِ الثَّوْبُ فَيَصِفُهَا، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أُرِيك شَيْئًا رَأَيْتُهُ بِالْحَبَشَةِ ؟ فَدَعَتْ بِجَرَائِدَ رَطْبَةٍ فَلَوَتْهَا، ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثَوْبًا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ، يُعْرَفُ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ الرَّجُلِ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَاغْسِلِينِي أَنْتِ . جلباب المرأة المسلمة . الألباني

حياء الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي، وَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلاَّ وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ . رواه أحمد . صححه الألبانى فى المشكاة

حياء فاطمة بنت عتبة رضي الله عنها :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ تُبَايِعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ عَلَيْهَا : أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ .الآيَةَ قَالَتْ : فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا حَيَاءً فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى مِنْهَا فَقَالَتْ عَائِشَةُ : أَقِرِّي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ فَوَاللَّهِ مَا بَايَعَنَا إِلاَّ عَلَى هَذَا قَالَتْ : فَنَعَمْ إِذًا، فَبَايَعَهَا بِالآيَةِ . رواه أحمد . صححه شعيب الأرنؤوط وقال رجاله رجال الصحيح

حياء المرأة السوداء التى كانت تُصرع رضي الله عنها :

عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَلَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي. قَالَ : إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ. وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيكِ، فَقَالَتْ : أَصْبِرُ. فَقَالَتْ : إِنِّي أَتَكَشَّفُ: فَادْعُ اللهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ . فَدَعَا لَهَا . رواه البخارى ومسلم

حياء المرأة التى أثنى الله تعالى عليها وكفاها ذلك شرفًا ابنة الرجل الصالح الذي استضاف موسى عليه السلام

قال تعالى : فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا ﴿٢٥﴾ القصص

قال عمر رضى الله عنه : جاءت مستترة قد وضعت كمّ درعها على وجهها استحياءً .

٥ـ حياء السلف الصالح :

قال أبو مسلم الخولاني : من نعم الله عليَّ أنني منذ ثلاثين سنة ما فعلت شيئا يُسْتحيا منه إلا قربي من أهلي .
وقال أبو عقبة الجراح رحمه الله : تركت الذنوب حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الورع .
والأسود بن يزيد رحمه الله : لما احتضر بكى، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه مما قد صنعت ؛ إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفوا عنه ، ولا يزال مستحييًا منه .
ويحكي ابن عباس عن عكرمة فيقول : إنه لم يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوب صفيق وكان يقول إني أستحي الله أن يراني في الحمام متجردًا .

مظاهر الحياء وأقسامه :

قسم ابن القيِّم الحياء فى مدارج السالكين إلى عشرة أوجه

١ـ حياء الجناية : وهو أن يفعل العبد ذنبًا فيستحى أن يلقى الله بهذا الذنب وإن غفر الله له : كحياء آدم عليه السلام لما فر هارباَ في الجنة قال الله تعالى : أفرارا َمنى يا آدم ؟! قال : لا يا رب بل حياء منك .
٢ـ حياء التّقصير : كحياء الملائكة الّذين يسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا : سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك .
٣ـ حياء الإجلال : وهو حياء المعرفة وعلى حسب معرفة العبد بربّه يكون حياؤه منه .
كحياء عمرو بن العاص ﷺ يقول : مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلاَ أَجَلَّ في عيني مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عينيَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّى لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عينيَّ مِنْهُ . رواه مسلم
٤ـ حياء الكرم : كحياء النّبيّ صلى الله عليه وسلم من القوم الّذين دعاهم إلى وليمة زينب وأطالوا الجلوس عنده، فقام واستحيى أن يقول لهم : انصرفوا .

قال تعالى : فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴿٥٣﴾ الأحزاب

٥ـ حياء الحشمة : كحياء عليّ بن أبي طالب ﷺ أن يسأل رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المذي لمكان ابنته منه .
٦ـ حياء الإستحقار واستصغار النّفس : كحياء العبد من ربّه عزّ وجلّ حين يسأله حوائجه احتقاراً لنفسه، واستصغارًا لها .
٧ـ حياء المحبّة : كحياء المحبّ من محبوبه فإذا خطر على قلبه هاج الحياء من قلبه وأحسّ به في وجهه ولا يدري ما سببه .

٨- حياء العبوديّة : وهو حياء ممتزج من محبّة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديّته لمعبوده ، وأنّ قدره أعلى وأجلّ منها .
٩- حياء الشّرف والعزّة : كحياء النّفس الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء . فيستحيي مع بذله .
١٠- حياء المرء من نفسه : كحياء النّفوس الشّريفة من رضاها لنفسها بالنّقص وقناعتها بالدّون . فيجد نفسه مستحييا من حتّى كأنّ له نفسين، يستحيي بإحداهما من الأخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء . فالعبد إذا استحيى من نفسه فمن غيره أجدر .

كيفية تحقيق الحياء :

لا يصل المؤمن إلى كمال الحياء إلا إذا استحيى من الله، واستحيى من الملائكة ، واستحيى من الناس ، واستحيى من نفسه .
والإستحياء من الله عز وجل : يكون بحفظ الرأس وما وعى ويدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات وأن يحفظ البطن وما حوى ويتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم اللّه، وأن يحفظ البطن من الحرام ومن أعظم ما يجب حفظه اللسان والفرج . فالحياء من الله عز وجل يكون بمقابلة نِعَمِه بالشُّكْر، وأوامره بالإمتِثال، ونواهيه بالإجتناب . وألا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك . وأن يتأدب العبد مع الله تعالى ويستحيي منه؛ فيشكر نعمه، ولا ينكر إحسانه وفضله عليه .
وأما الإستحياء من الملائكة : بأن يتذكر العبد بأن هناك ملائكة لا يفارقوه وهم الحفظة والكتبة .
قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافى : استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجِلُّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه مَنْ هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوآدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بإيذاء الملائكة الكرام الكاتبين ؟ وكان أحدهم إذا خلا يقول : أهلًا بملائكة ربي، لا أعدمكم اليوم خيرًا، خذوا على بركة الله، ثم يبدأ في ذكره، سبحان الله ، والحمد لله .
والإستحياء من الناس : يكون بالبعد عمّا يُذَمُّ من قبيح الخصال وسيئ الأعمال وفحش الأقوال وكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح فلا خير فيمن لا يستحي من الناس . فحياء العبد من الله يمنعه من فساد الباطن وحياؤه من الناس يمنعه من فساد الظاهر .
والإستحياء من النفس : يكون بالعفة وصيانة الخلوات . فالإنسان إذا كبرت عنده نفسه استحيا منها أكبر من استحيائه من غيره .
قال بعض السلف : من عمل في السر عملًا يستحيي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدر .

حقيقة الحياء :

بيّن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة الحياء فقال : اسْتَحْيُوا مِنَ الله تَعالى حَقَّ الحَياءِ ، مَنَ اسْتَحْيا مِنَ الله حَقَّ الحَياءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأسَ وما وَعَى ولْيَحْفَظِ البَطْنَ وما حَوَى ولْيَذْكُرِ المَوْتَ والبِلاَ وَمَنْ أرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنْيا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيا مِنَ الله حَقَّ الحَياءِ . رواه أحمد والترمذى - صحيح الجامع
فهل استحيا من الله حق الحياء من أنعم الله عليه بالصحة والمال ثم لا يشكر نعمته بإقامة الصلاة وإخراج الزكاة وغيرها ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من إذا خالط الناس أظهر لهم الحسن وإذا خلى بربه انتهك محارمه فأظهر القبيح ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من يجاهر بالمعاصى ليل نهار في الطرقات وفى غيرها ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من يعامل الناس بمكارم الأخلاق ثم هو هو يعامل والديه وأهله بالفظاظة والغلظة ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من يقع في أعراضِ النَّاس بالغِيبةً والنميمةً والسبّ والشتم والطعن واللعن وغيره ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من يأكل أموالَ النَّاس بالباطل ويَملأ بطنَه سحتًا ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من يصافح النساء بزعم عدم إحراجهن ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من يخدع الناس ويغشهم في بيوعهم وشرائهم ويكذب في معاملاتهم ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من ينفق على شهواته ثم إذا دعى للإنفاق في سبيل الله بخل وأعرض ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من أعرض عن تعلم أمر دينه وما ينفعه فى دنياه وأخراه ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من أذن لزوجته فى الخروج إلى الشَّوارع متبرجة متعطِّرة مائلة مُميلة ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من إذا سمع الأغاني طار قلبه طربًا وإذا سمع كلام الله تعالى ضاق صدره ؟
وهل استحيا من الله حق الحياء من يحرص على تعليم أولاده اللغات الأجنبية ولا يعلمهم كتاب ربهم عز وجل ؟

بعض أقوال السلف في الحياء :

وقال عمر ﷺ : من قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه .
وقال ابن مسعود ﷺ : من لا يستحيي من النّاس لا يستحيي من اللّه .
وقال ابن حبان رحمه الله : الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل وبذر الخير وتركه أصل الجهل وبذر الشر .

وقال إياس بن قرّة رحمه الله : كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحياء، فقالوا : الحياء من الدّين . فقال عمر : بل هو الدّين كلّه .
وقال مالك بن دينار رحمه الله : ما عاقب الله تعالى قلبًا بأشد من أن يسلب منه الحياء .
وقال الأصمعيّ رحمه الله : سمعت أعرابيّا يقول : من كساه الحياء ثوبه لم ير النّاس عيبه .
وقال محمد بن سيرين رحمه الله : ما غشيت امرأة قط، لا في يقظة ولا في نوم غير أمّ عبد الله، وإني لأرى المرأة في المنام فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري . حتى كان بعضهم يقول : ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في المنام .

بعض ثمرات الحياء :

١ـ تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ . رواه مسلم
قال الخطّابي فى معالم السنن : قوله : الحَيَاءُ شعبة مِن الإيمان . أنَّ الحَيَاء يقطع صاحبه عن المعاصي ويحجزه عنها .
٢ـ سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ. رواه أبو داود . صحيح الجامع
٣ ـ سبب من أسباب دخول الجنة .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ . رواه الترمذي . صحيح الجامع
٤ـ مفتاح لكل خير، مغلاق لكل شر .
عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ . متفق عليه
٥ـ زينة ووقار للمسلم فلا يفعل ما يخلّ بالمروءة والتّوقير .
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ ، وَلاَ كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ . رواه ابن ماجه والترمذي- صحيح الجامع
٦ـ التشبه بالأنبياء والصّحابة والتّابعين .
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ . رواه البخاري.
٧ـ الحياء يمنع من الكذب
لما ذهب أبو سفيان بن حرب ومعه بعض القرشيين إلى الشام للتجارة، فأرسل إليهم هرقل ملك الروم يطلب حضورهم، فلما جاءوا إليه قال لهم : أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا أقربهم نسبًا، فقال هرقل : أدنوه مني واجعلوا أصحابه خلفه، ثم قال لهم : إني سائل هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، فقال أبو سفيان : لولا الحياء أن يروا عليَّ كذبًا لكذبت . فأخذ هرقل يسأله عن صفات النبي ونسبه وأصحابه وأبو سفيان لا يقول إلا صدقًا حياء .

من مظاهر انعدام الحياء وضعفه :

١ـ خُرُوجُ النِّسَاءِ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم : صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا. رواه مسلم
٢ـ كَثرَةُ خُرُوجِ المَرأَةِ مِنَ البَيتِ :
عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا . رواه الترمذي وابن خزيمة . صحيح الترغيب والترهيب
اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ أَيْ : زَيَّنَهَا فِي نَظَرِ الرِّجَالِ، وَقِيلَ : أَي: نَظَرَ إِلَيْهَا، لِيُغْوِيَهَا وَيُغْوِيَ بِهَا .
٣ـ خُرُوجُ المَرأَةِ مُتَعَطِّرَةً :
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ . رواه أحمد. صحيح الجامع
٤ـ مشي المرأة في وسط الطريق :
عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِلنِّسَاءِ : اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ . فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ. رواه أبو داود. صحيح الجامع تحقق الطريق : تتوسطه
٥ـ وَضعُ المَرأَةِ ثِيَابَهَا فِي غَيرِ بَيتِ زَوجِهَا :

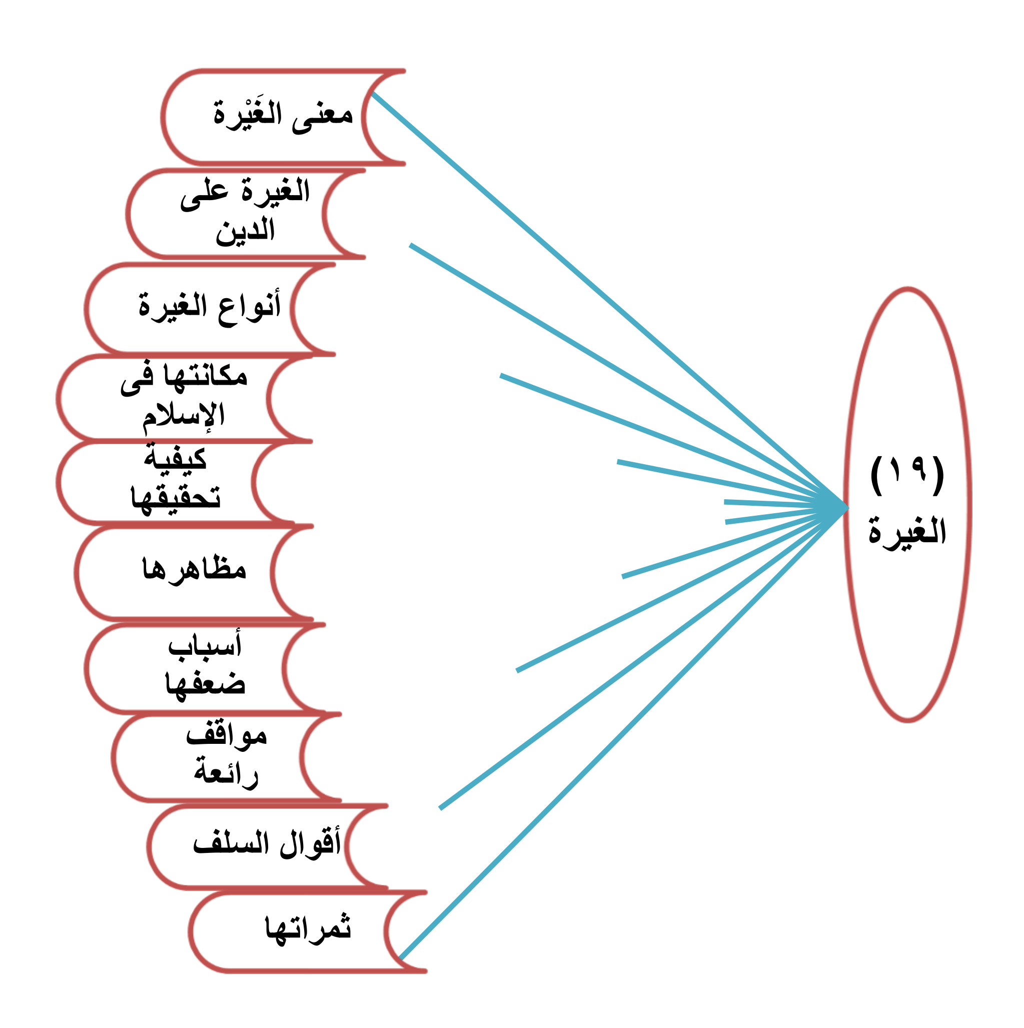
عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: خَرَجْتُ مِنَ الحَمَّامِ، فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ يَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ ؟ قَالَتْ : مِنَ الحَمَّامِ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنَ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا، فِي غَيْرِ بَيْتِ أَحَدٍ مِنْ أُمَّهَاتِهَا، إِلَّا وَهِيَ هَاتِكَةٌ كُلَّ سِتْرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّحْمَنِ . رواه الترمذي. صحيح الترغيب والترهيب
فيحرم على المَرأة أن تخلع ثيابها فِي غيرِ بَيت زوجِهَا : كَالشواطئ ، وَصالونات التَّجميل ، والأندِية ونحوها .

صور من الحياء المذموم :

١ـ تَركُ الأَمرِ بِالمَعرُوف وَالنَّهي عَنِ المُنكَرِ حَيَاءً مِنَ النَّاسِ :
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ : لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ : أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ، أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ . رواه أحمد . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم

٢ـ مُقَارَفَةُ الإِثْمِ اسْتِحيَاءً مِنَ النَّاسِ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم : لَأَنْ يُطْعَنَ فِيْ رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيْدٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ . رواه الطبراني والبيهقي . صحيح الجامع

٣ـ تَركُ طَلَبِ العِلمِ :
قَالَت عَائِشَةُ: نِعمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنصَارِ، لَم يَكُن يَمنَعُهُنَّ الحَيَاءُ أَن يَتَفَقَّهنَ فِي الدِّينِ . متفق عليه


(١٩)
الغيرة
معنى الغَيْرة
الغيرة على الدين
أنواع الغيرة
مكانتها فى الإسلام
كيفية تحقيقها
مظاهرها
أسباب ضعفها
مواقف رائعة
أقوال السلف
ثمراتها

الشعبة التاسعة عشرة : الغَيْرة

الغَيْرة شعبة من شعب الإيمان، وخصلة من أفضل خصال المؤمنين، أعلى الإسلام من قدرها وأشاد بذكرها ورفع شأنها حتى عدَّ الدفاع عن العِرض جهادًا يُبذل من أجله الدم . ويُضحى في سبيله بالنفس، وينال فاعله الشهادة . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب . وقد جعل الله عز وجل الغيرة سببًا لحفظ الأنساب، لذلك من لا يغار على أهله ولا محارمه سماه الشرع ديوثًا وهو الذي يقر الخبث في أهله . وقد ورد فيه وعيد شديد، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ وَالدَّيُّوثُ . رواه أحمد . السلسلة الصحيحة . وأشرف الناس أشدهم غيرة فالمؤمن الذي يغار في محل الغَيْرة قد وافق ربه في صفة من صفاته، ومن وافق ربه في صفة من صفاته قادته تلك الصفة بزمامه، وأدخلته عليه وأدنته منه وقربته من رحمته . والله يغار إذا انتهكت محارمه، ويغار على قلب المؤمن من أن يحصل له نوع عُجب وركون إلى عمله ولهذا يسوق له من الإبتلاءات والمحن من أجل أن ينكسر وينطرح بين يديه وأن يتذلل فيتقرب إلى الله عز وجل بهذه العبودية كما أن الله جل جلاله يغار على عبده المؤمن أن يواقع شيئًا من الفواحش والموبقات .

معنى الغَيْرة لغةً واصطلاحًا :

قال الراغب الأصفهاني : الغَيْرة ثوران الغضب حماية على أكرم الحرم، وأكثر ما تراعى في النساء .
قال ابن حجر فى فتح الباري شرح صحيح البخاري :
والغيرة مشتقةٌ من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب الإحساس بمشاركة الغير فيما هو حق الإنسان .
والغيرة شرعت لحفظ الأنساب . وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين، وهذه الغريزة يشترك فيها الرجال والنساء ، وتكون في النساء أكثر وأشد . وتتأجج أكثر إذا أحست المرأة بخيانة زوجها أو بتطلعه للنساء، وقد تثور تلك الغيرة عند الرجال إذا شك في سلوك زوجته أو أحس بتطلعها إلى الرجال .

المقصود بالغيرة على الدين :

جاء فى موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة جمع : علي بن نايف الشحود .
الغيرةُ على الدين هي التألم والغضب على حق يُهان ويُقهر، أو باطل يُحمى ويُنصر، فينتج إحساس بالمسؤولية لنصرة الحق ومقاومةَ الباطل، والغيرة على الدين دليل على محبة الله وعلى الإيمان في القلب ومن لا يغار على محارم الله ضعيف الإيمان .
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ . رواه مسلم

أنواع الغيرة :

أولًا : الغيرة المحمودة :

وهى التي يحبُّها الله ورسوله وتجعل صاحبها يحمي المحارِم والشرَف والعفاف من كلِّ مُجرم وغادرٍ ومنها :
١ـ الغيرة على حدود الله ودينه ومحارمه : وهي غيرة المحبين حقًّا، كغيرة الرسل وأتباعهم لله ممن أشركوا بالله عزوجل واستحلّوا محارمه وعصوا أمره . وهذه الغَيْرة هي التي تحمل على بذل نفس المحب وماله وعرضه لمحبوبه حتى يزول ما يكرهه . والدين كله في هذه الغَيْرة ، وما جاهد مؤمن نفسه وعدوه، ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلا بهذه الغَيْرة ، فيجب على المسلم إذا رأى المنكر أن تتحرك نفسه لتغييره ولو بأقل درجاته وهو التغيير بالقلب . وانظر إلى هذا الهدهد الطائر الضعيف غضب أيما غضب يوم أن رأى قوم سبأ يسجدون للشمس من دون الله فجاء معلنًا غضبه أمام نبي الله سليمان عليه السلام وخلد الله له ذلك في الكتاب ليكون عبرة وقدوة لمن ماتت في قلوبهم الغيرة على محارم الله .
قال تعالى : وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

النمل

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغار إذا انتهكت محارم الله، فكانت تظهر غيرته على وجهه الشريف من حزن وغضب، وكان يوجه إنذارات شديدة اللهجة لمن يتعدى حدود الله . لذلك يجب على المرء أن يغضب ويثور إذا انتُهكت المحارم، واقتُرفت الآثام، وتعديت الحدود؛ ولكن صار هذا الأمر عزيز جدًا .

٢- الغيرة على الحريم والأعراض : بأن يصون عرضهن ويحفظ كرامتهن ويربيهن على الطهر والعفاف والحياء ولا يعرضهن لمواطن الريبة . والغيرة على الأعراض خلق محمود، وجهاد مشروع وقد عد الدفاع عن العرض جهادًا يُبذل من أجله الدم، ويُضحى في سبيله بالنفس، ويُجازى فاعله بدرجة الشهيد في الجنة كما قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ . رواه أحمد . صححه الألباني

وكان عمر والزبير رضي الله عنهما غاية في الغيرة على الأعراض والحريم، حتى كانا يغاران من خروج نسائهما إلى المسجد، ومن هنا كانت غيرة الرجل على زوجه ومحارمه محمودة، وعلامة على كمال رجولته وشهامته، وتركها دياثة مذمومة شرعًا وطبعًا .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ وَالدَّيُّوثُ . رواه أحمد . السلسلة الصحيحة

ولا يُصاب بهذا الداء العضال إلا ضعيف الغيرة رقيق الدين، فتراه لا يبالي بدخول الأجانب على محارمه ولا يبالي باختلاطهنَّ بالرجال أو تكشفهنَّ . فالواجب على المسلم أن يغار على زوجته وعرضه؛ وأن يكون عنده اعتدال في الغَيْرة، فلا يبالغ فيها حتى يسيء الظن بزوجته، ولا يسرف في تقصي حركاتها وسكناتها لئلا ينقلب البيت نارًا، فهذه الغيرة تفسد المحبة وتوقع العداوة وربما كانت سببًا في الفرقة .

٣- الغيرة الطبعية : كالغيرة بين النساء خاصة الضرائر وهى غريزة طبيعية، ولو برئت منها ضرة لبرئت منها أمهات المؤمنين ، فقد كانت عائشة تغار من خديجة وهي لم ترها وسبب الغيرة بين الضرائر هو الحب للزوج

٤- الغيرة والتنافس في أعمال الخير والبر :

قال تعالى : خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ المطففين

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا. رواه البخاري

ومن ذلك تنافس الفقراء عندما جاءوا إلى رسول الله وقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ . رواه البخاري ومسلم

ومن ذلك أيضاً تنافس الصحابة على الجهاد والإنفاق ومحاولة مسابقة عمر لأبي بكر.

ثانيًا : الغيرة المذمومة وهي التى يبغضها الله وتكون فى غير ريبة :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ : مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ فَأَمَّا الَّتِى يُحِبُّهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِى الرِّيبَةِ وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِى يُبْغِضُهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِى غَيْرِ رِيبَةٍ . رواه أحمد . مختصر إرواء الغليل الألباني

والغيرة المذمومة أنواع منها :

١- التنافس والحسد على أغراض شخصية وأمور دنيوية، كالغيرة بين أصحاب المهن، فما من أصحاب مهنة واحدة إلا وتجد بينهم تنافسًا وحسدًا إلا من رحم الله .

٢- الغيرة من أصحاب النعم، ولذا قالوا : كل ذي نعمة محسود .

٣- الغيرة بين الأقران ، فالمعاصرة سبب للمنافرة والغيرة بين العلماء وطلبة العلم .

أسباب الغَيْرة المذمومة :

ضعف الإيمان، ووسوسة الشيطان، وما يعتري القلب من أمراض إلى غير ذلك .

آثار الغيرة المذمومة :

الوقوع في الغيبة والتلبس بالسخرية، وترك بذل الخير للآخرين، والسعي في الإضرار بالغير، ومعاداة أقارب الزوج وهضم حقوقهم، والحسد والحقد والسحر والتجسس، والآلام النفسية والأمراض البدنية، والإحتيال والكيد والقتل، وقد تصل الغيرة المذمومة بصاحبها إلى الكفر والعياذ بالله .

علاج الغيرة المذمومة :

تقوى الله تعالى، ومطالعة الأجر العظيم للصابرين، وإحسان الظن، والقناعة، والبعد عن مجالس السوء، وذكر الموت وتقوية الإيمان باليوم الآخر ، والدعاء، كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأمِّ سلمة لما ذكرت من غيرتها : أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ . رواه مسلم

ضرورة انضباط الغَيرة بضابط الشرع :

الغيرة عبادة قلبية لا بد أن تنضبط بالضوابط الشرعية حتى لا تخرج بصاحبها عن حد الإعتدال إلى الغلو المنهي عنه فيهلك . فإذا انتهكت النساء ما حرم الله وجبت الغيرة وكانت محمودة، وترك تلك الغيرة مذموم بل يمنع صاحبه من دخول الجنة .
وبعض الأزواج مريض بمرض الشك الذي يحيل الحياة الزوجية إلى نكد لا يطاق، فلا يصح أن يسيء الرجل الظن بزوجه، وليس له أن يسرف في تقصي كل حركاتها وسكناتها ؛ فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية ويقطع ما أمر الله به أن يوصل . أما إذا زادت الغيرة عن حدها كانت نقمة على الشخص وعلى من حوله، فكثير ما ترتكب جرائم العرض والشرف بسبب الشائعات وسوء الظن، وتزهق الأرواح دون تثبت بسبب الغيرة القاتلة ، فينبغي أن تضبط العاطفة بضابط العقل، والعقل يجب أن يضبط بضابط الشرع وإلا وقعت كوارث . والله سبحانه وتعالى أنزل حكم الملاعنة بين الزوجين ، ولم ينزل إذنًا للزوج بالقتل بدعوى الغيرة . هذا هو حكم الله، لكن بعض الناس يستحسن القتل أو الضرب وما أشبه ذلك .

قال تعالى : أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠ المائدة

مكانة الغيرة في الإسلام :

شرع الإسلام تشريعات تتجلى فيها مظاهر الغيرة واضحة صيانةً للأعراض، وحفظًا للحرمات، وتعظيمًا لشعائر الله و حدوده . ولحماية المجتمع من التردي في مهاوي الرذيلة والفاحشة ومن هذه التشريعات :

١- فرض الله على النساء ستر مفاتنهن وعدم إبداء زينتهن .

قال تعالى : وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۝٣١ النور

٢- فرض الإسلام الحجاب على النساء، لأن الحجاب حصنٌ حصينٌ للمرأة يحميها من الأعين الجائعة، والقلوب المريضة . ودليل على الفضيلة وقائد إلى الحشمة وحماية للمجتمع من الفاحشة والرذيلة .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ ۝٥٩ الأحزاب

٣- أمر الإسلام الرجال والنساء بغض البصر .

قال تعالى : قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ۝٣١ النور

٤- أمر الإسلام المرأة بعدم الخضوع بالقول وهو النهي عن لين الكلام لئلا يطمع أهل الخنى فيهن .

قال تعالى : فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٣٢ الأحزاب

٥- حرم الإسلام الدخول على النساء لغير محارمهن .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ . فقال رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ الله أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قال : الْحَمْوُ الْمَوْتُ . رواه البخاري

٦- حرم الإسلام خلوة المرأة بالرجل الأجنبي عنها كالسائق أو البائع أو الطبيب ونحو ذلك .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ . رواه البخاري

٧- حرم الإسلام سفر المرأة بلا محرم لأن المحرم أمين للمرأة، فلا خلوة ولا ريبة .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : وَلَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ . رواه البخاري

٨- حض الإسلام على حماية الأعراض حتى جعل من قتل فداء للعرض شهيدًا .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب

٩- أوصى الإسلام بالتخلق بخلق الحياء .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ الْإِيمَانِ . رواه البخاري

نماذج من الغيرة فى الإسلام :

غيرة النبي صلى الله عليه وسلم :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى يُنْتَهَكَ مِنْ حُرُمَاتِ اللهِ فَيَنْتَقِمَ لِلهِ . رواه البخاري

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ مُخَنَّثًا كَانَ عِنْدَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِى الْبَيْتِ فَقَالَ لأَخِى أُمِّ سَلَمَةَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِى أُمَيَّةَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا فَإِنِّى أَدُلُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلاَنَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ . قَالَ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : لاَ يَدْخُلْ هَؤُلاَءِ عَلَيْكُمْ . رواه مسلم

غيرة الصحابة رضي الله عنهم :

فقد ضربوا أروع الأمثلة في الغيرة للنبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك :

١ـ غيرة عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ وَفِى ثَوْبِ بِلاَلٍ فِضَّةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِى النَّاسَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ . قَالَ : وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ . فَقَالَ عُمَرُ ﷺ دَعْنِى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ . فَقَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّى أَقْتُلُ أَصْحَابِى إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ . رواه مسلم

٢ـ غيرة عبدالله ابن أم مكتوم رضي الله عنه الذى قتل جاريته :

عن عِكْرِمَةَ قَالَ حَدَّثَنِى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ أَعْمَى كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ وَكَانَ لَهُ مِنْهَا ابْنَانِ وَكَانَتْ تُكْثِرُ الْوَقِيعَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَسُبُّهُ فَيَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ وَيَنْهَاهَا فَلاَ تَنْتَهِى فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ذَكَرْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَوَقَعَتْ فِيهِ فَلَمْ أَصْبِرْ أَنْ قُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِى بَطْنِهَا فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهِ فَقَتَلْتُهَا فَأَصْبَحَتْ قَتِيلاً فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَجَمَعَ النَّاسَ وَقَالَ أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلاً لِى عَلَيْهِ حَقٌّ فَعَلَ مَا فَعَلَ إِلاَّ قَامَ فَأَقْبَلَ الأَعْمَى يَتَدَلْدَلُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا صَاحِبُهَا كَانَتْ أُمَّ وَلَدِى وَكَانَتْ بِى لَطِيفَةً رَفِيقَةً وَلِى مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تُكْثِرُ الْوَقِيعَةَ فِيكَ وَتَشْتُمُكَ فَأَنْهَاهَا فَلاَ تَنْتَهِى وَأَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ فَلَمَّا كَانَتِ الْبَارِحَةَ ذَكَرْتُكَ فَوَقَعَتْ فِيكَ فَقُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِى بَطْنِهَا فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَلاَ اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ . رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني .   المغول : يشبه السيف القصير

٣ـ غيرة عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم :

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَهْلاً يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ وَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ . رواه البخاري ومسلم

نماذج من غيرة الصحابة على نسائهم :

غيرة الرجل على زوجته ومحارمه ونساء الأمة محمودة شرعًا وطبعًا وعلامة على كمال الإيمان والرجولة والشهامة، وعدم الغيرة دياثة وخباثة وحقارة وذلة ومهانة، وهى مذمومة شرعًا وطبعًا، وهذا ما جعل الدفاع عن العرض مشروعًا، لذلك من مات مدافعًا عن عرضه عُد شهيدًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ . رواه أحمد. صحيح الترغيب والترهيب

١ـ غيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان من أعظم الصحابة غيرة على النساء .

عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} وَآيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ . رواه البخاري

٢ـ غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه :

عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ ، وَلاَ مَمْلُوكٍ ، وَلاَ شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي وَهْيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ : إِخْ إِخْ لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ ، وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ صلى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ لَقِيَنِي رَسُولُ الله صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَنَاخَ لأَرْكَبَ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ . البخاري

٣- غيرة سعد بن عبادة رضي الله عنه :

ويذكر عن سعد بن عبادة أنه كان شديد الغيرة فلم يتزوج إلا بكرا وما طلق امرأة وتزوجها أحد بعده .

٤- ذكر الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية في حوادث سنة ٢٨٦ هـ :

ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة : أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري فادَّعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره، فجاءت ببينة تشهد لها به، فقالوا : نريد أن تسفر عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا ؟ فلما صمَّموا، قال الزوج :لا تفعلوا، هي صادقة فيما تدَّعيه . فأقر بما ادَّعتْ ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها، فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه، وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر : هو في حِلٍّ من صداقي عليه في الدنيا والآخرة، فقال القاضي وقد أُعجِب بغيرتهما : يُكتب هذا في مكارم الأخلاق .

كيفية تحقيق الغَيرة :

الغَيرة صفة من صفاتِ المؤمنين وهى فريضة شرعية وضرورة بشرية بها تُصان الأعراض، وتُحفظ الحدود والحرمات وهي دليل على الإيمان تقوى بقوته وتضعفُ بضعفه فأقوى الناس دينًا أعظمهم غيرَةً على حُرمات الله وحدوده، وكلما ضعف الإيمان كلما انفرط حبل الغيرة . فالواجب على المؤمن :

أن يغار لصيانة الأعراض وحفظ الحرمات وتعظيم شعائر الله وحفظ حدوده .

ويغار على إخلاصه فلا يجعل لغيرِ الله في عمله نصيب .

ويغار لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيدافع عنه ويذبُّ عن عرضه بما يستطيع .

ويغار على عمله فيجتنب الرياء والعجب .

ويغار على وقته فلا يضيعه سدى .

ويغار على أهله عند قيام ريبة .

ويغار على محارم الله إذا انتهكت فيأمر بالمعروف وينهي عن المنكر .

والغيرة قد تعمى صاحبها فيرى الأمور على غير حقيقتها :

عن عائشة لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة حزنت حزنًا شديدًا لما ذكروا من جمالها فتلطفت فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن ، فذكرت ذلك لحفصة فقالت : لا والله إن هذه إلا الغيرة ما هي كما تقولين وإنها لجميلة . فرأيتها بعد فكانت كما قالت حفصة ولكني كنت غيرى . سير أعلام النبلاء

مظاهر الغيرةِ على دين الله :

يقول علي بن نايف الشحود فى موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة منها :

١- الإعتزازُ بالدين والإفتخارُ بالإنتساب إليه والتمسكُ بشعائرهِ الظاهرة والباطنة .

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقمع راية النفاق، ووأد خطوات التغريب .

٣- اتباع الدليلِ والصدع بالحقِّ ولو كره المنافقون .

٤- نشر الدين والدعوة إليه، والجهاد في سبيلهِ بالنفسِ أو بالمال .

٥- الوقوفُ مع الحقِّ ومناصرة المظلومين، ومقاومةُ الباطل ودحض المبطلين .

٧- الذبُ عن أعراضِ المسلمين وسُمعتهم، والرد على أهل الباطل الذين يُريدون خدش كرامة المسلمين .

٨- الدعاءَ للمسلمين بالغيب وتتبع أخبارهم ، والوقوفُ على أحوالهم .

من مظاهر ضعف الغيرة :

١- ضعف الإيمان وكثرة الذنوب والمعاصي .

قال ابن القيم : ومن عقوبات الذنوب أنها تطفئ من القلب نار الغَيْرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة البدن

٢ - إدخال كثير من الناس آلات الفساد كالتلفاز وأجهزة البث الفضائي والتى تبث الرذيلة، وتهيج الشهوة ، وتدعو إلى الفاحشة .

٣- السفر بدون محرم .

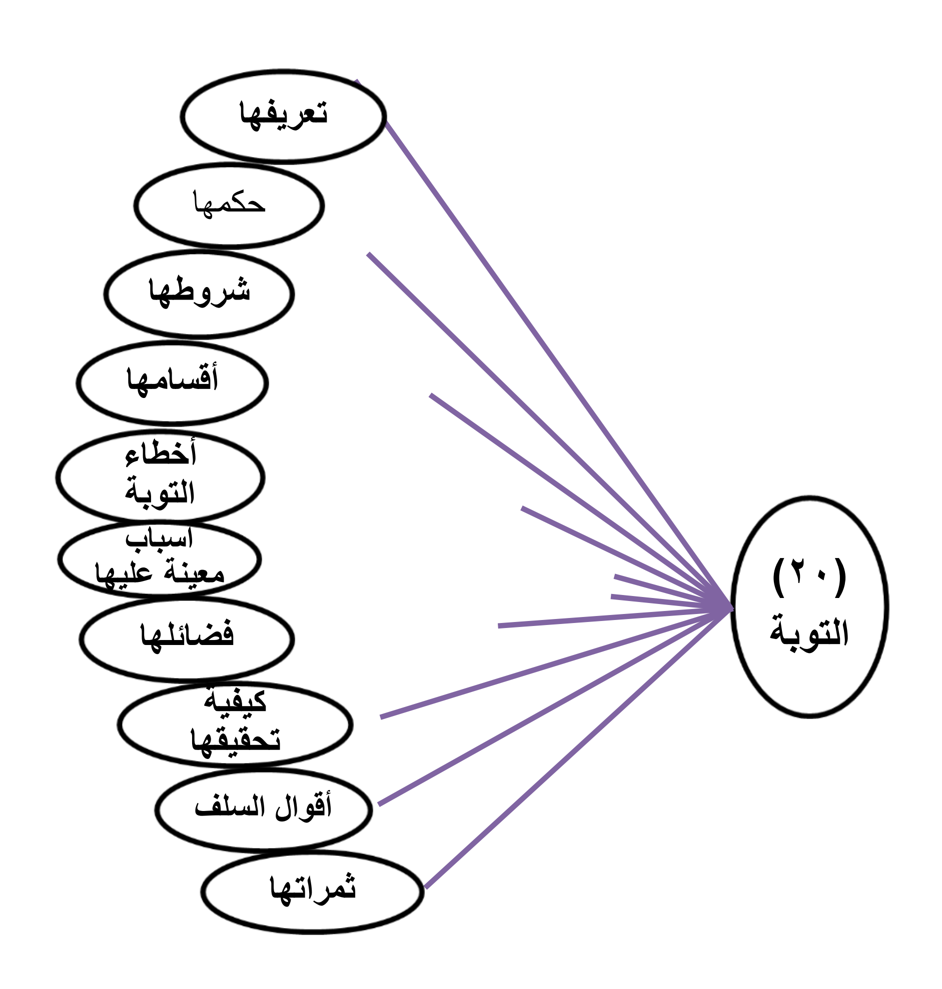
٤ – الخلوة أو الثقة بالسائق والخادم وصديق العائلة وابن الجيران، وعامل الصيانة، أو عامل توصيل الطلبات ، أو البائع والمدرس فى البيت . فهذا باب عظيم للفتنة .
٥ ـ تساهل البعض في ذهاب نسائه إلى الطبيب ليكشف على عوراتهن بدعوى الحاجة .
٦ ـ انتشار الألبسة المخلة بالحياء في أوساط النساء، كالألبسة العارية والبنطلونات التي تصف جسد المرأة .
٧ ـ اختلاط الأقارب وعدم احتجاب المرأة عن أقارب زوجها .
٨ـ التعارف أو المراسلات عبر وسائل الإتصالات بين الجنسين .
٩ ـ قيام بعض الأسر بإرسال أبنائها وبناتها بمفردهم إلى بلاد الكفر والفساد بدعوى الدراسة .
١٠ـ التقليد الأعمى للكفار والمفسدين الذين انعدمت لديهم الغيرة فمن تشبه بقوم فهو منهم .
١١ـ عمل المرأة بجانب الرجال إلى درجة أن الواحدةَ ربما تجلس مع زميلها أو رئيسها فى غرفة واحدة .

بعض أقوال السلف فى الغَيْرة :

قال ابن القيم فى الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي :
أصل الدين الغَيْرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغَيْرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش ، وعدم الغَيْرة تميت القلب فتموت له الجوارح؛ ومثل الغَيْرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه .
وقال علي ﷺ : بلغني أن نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق، أما تغارون ؟ إنه لا خير فيمن لا يغار .
قال أبو حامد الغزالي : إنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها .

بعض ثمرات الغَيْرة :

١ـ تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
عن سعيد بن زيد ﷺ قال : سمعت رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب .
٢ـ سبب من أسباب محبة الله سبحانه للعبد .
٣ـ صيانة الماء وحفظ الأنساب .
٤ـ دفع التبرج والسفور والإختلاط ، وصيانة الأعراض .
٥ـ إحياء القلب وحماية والجوارح .
٦ـ طهارة المجتمع من الرذائل والفواحش .
٧ـ قيام شعيرة إنكار المنكر .
٨ـ ذهاب الغَيْرة ذهاب للدين .
عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ . رواه مسلم


(٢٠)
التوبة
تعريفها
حكمها
شروطها
أقسامها
أخطاء التوبة
اسباب معينة عليها
فضائلها
كيفية تحقيقها
أقوال السلف
ثمراتها

الشعبة العشرون : التوبة

التوبة شعبة من شعب الإيمان، وهى وظيفة العمر وبداية العبد ونهايته وأول منازل العبودية وأوسطها وآخرها . وحاجتنا إلى التوبة ماسة بل إن ضرورتنا إليها مُلِحَّة فنحن نذنب كثيرًا إلا من رحم ربى عز وجل ونفرط في جنب الله ليلاً ونهاراً ولقد وسع الله عز وجل فى أمر التوبة ففتح للعبد باب التوبة في أي مكان وفي أي زمان . فهو سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده في النهار ليتوب مسئ الليل . وباب التوبة مفتوح للكفار والمشركين والمرتدين والمنافقين والظالمين والعصاة والمقصرين .

معنى التوبة :

هى ترك الذنب علمًا بقبحه وندمًا على فعله وعزمًا على ألا يعود إليه ، وتداركًا لما فاته من الأعمال ، وأداءً لما ضيع من الفرائض إخلاصًا لله ورجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه، وأن يكون ذلك قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها .
فالتّوبة هي الرّجوع عمّا يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبّه ظاهرًا وباطنًا . وهى غاية كلّ مؤمن .

حكم التوبة :

واجبة من كل الذنوب صغيرها وكبيرها ما علم منها وما لا يعلم عمداً أو سهواً ، جداً أو هزلاً .

قال تعالى : وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ النور

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ . رواه مسلم

قال النووي فى شرح صحيح مسلم :
واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة أو كبيرة .

شروط التوبة :

قال النووي فى شرح صحيح مسلم : إن كانت المعصية بين العبد لا تتعلّق بحقّ آدميّ فلها شروط ثلاثة :
١- أن يقلع عن المعصية .
٢- أن يندم على فعلها .
٣- أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدًا .
ويزاد شرط رابع وهو التحلل من حقوق الآدميين إذا كان الذّنب يتعلّق بحقّ آدميّ .

قال الشيخ محمد إبراهيم الحمد فى التوبة وظيفة العمر :
والتوبة الواجبة تكون من فعل المحرمات وترك الواجبات، ومن اقتصر عليها كان من الأبرار المقتصدين .
والتوبة المستحبة تكون من فعل المكروهات وترك المستحبات . ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين
والتوبة النصوح هي التوبة الخالصة الصادقة الخالية من الشوائب والعلل . وهي التي تكون من جميع الذنوب

من أخطاء التوبة التى يقع فيها كثير من الناس :

قال الشيخ محمد إبراهيم الحمد فى التوبة وظيفة العمر :
ومن أخطاء التوبة :
١- تأجيل التوبة لأن التوبة واجبة على الفور وتأخيرها ذنب يجب الإستغفار منه .
٢- الغفلة عن التوبة مما لا يعلمه العبد من ذنوبه .
٣- ترك التوبة مخافة الرجوع للذنوب .
٤- ترك التوبة خوفًا من لمز الناس فكيف يُقَدِّم خوف الناس على خوف رب الناس ؟
٥- ترك التوبة مخافة سقوط المنزلة وذهاب الجاه والشهرة .
٦- التمادي في الذنوب إعتمادًا على سعة رحمة الله .
٧- الإغترار بإمهال الله للمسيئين .
٨- اليأس من رحمة الله وهذا ذنب عظيم قد يكون أعظم من مجرد الذنب .
١٠- هجرة الذنوب هجرًا مؤقتًا .
٩- الإحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وترك الطاعات .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى :

وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر . ونفس المحتج بالقدر إذا اعتُدي عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده؛ فالإحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول . ولو سلمنا للمحتج بالقدر على الذنوب لعطلنا الشرائع .

فضائل التوبة من الكتاب والسنة :

قال تعالى : وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ النور

وقال تعالى : إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴿٧٠﴾ الفرقان

وقال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ البقرة

وعَنْ أَبِي طَوِيلٍ شَطَبِ الْمَمْدُودِ ﷺ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ رَجُلا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلا دَاجَةً إِلا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟ قَالَ : أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ : نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ، قَالَ : وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى . رواه الطبراني . صححه الألباني

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ . قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ، مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ . رواه مُسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ ثُمَّ تُبْتُمْ لَتَابَ عَلَيْكُمْ . صحيح ابن ماجة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ . أخرجه أحمد ومسلم

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ : سَبْعَةٌ مُغْلَقَةٌ، وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ . رواه أبو يعلى والطبراني بإسناد جيد

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ . رواه أحمد . صحيح الجامع

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ ، ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ : سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ . رواه النسائى - صحيح الترغيب والترهيب

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ . رواه أبو داود والترمذي - صحيح الترغيب والترهيب

وعَنِ ابْنِ مَعْقِلٍ قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدِ اللهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : النَّدَمُ تَوْبَةٌ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي : أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ : النَّدَمُ تَوْبَةٌ ، قَالَ : نَعَمْ . صحيح الجامع

وعَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِىءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِىءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا . رواه مسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً . رواه البخاري

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَحْكِى عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقال : اللهمَّ اغْفِرْ لِى ذَنْبِى . فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِى ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فقال : أَىْ رَبِّ اغْفِرْ لِى ذَنْبِى . فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : عَبْدِى أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فقال : أَىْ رَبِّ اغْفِرْ لِى ذَنْبِى. فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِى ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ . متفق عليه

وهذا الحديث ليس إذنًا في الذنب بل المعنى أن العبد لا يضره الذنب مادام إذا وقع في الذنب تاب وندم وأقلع .

كيفية تحقيق التوبة :

قال الشيخ محمد إبراهيم الحمد فى التوبة وظيفة العمر :

بأن يتوب لله عز وجل توبة نصوحا خالصة خالية من الشوائب والعلل . من جميع الذنوب؛ فهناك ذنوب خفية، وهناك ذنوب يجهل العبد أنها ذنوب . ولا ينجي من هذا وذاك إلا توبة عامة مما يعلم ومما لا يعلم؛ خوفًا ورهبَّة من الله تعالى ورغبَّة فيما عنده . وبالتحلل من المظالم، والتخلص من الحقوق سواء حق الله تعالى أو حق العباد ، وحق الله تعالى منه ما يكون بالترك، ومنه ما يكون بالقضاء والكفارة . أما حق العباد فيحتاج إلى التحلل من المظالم فيه وأداء الحقوق إلى مستحقيها . ومن لم يقْدر على إيصال الحق إلى أهله بعد بذله الوسعَ في ذلك فعفو الله مأمول فإنه سبحانه يضمن التبعات ويبدل السيئات حسنات .

ومما يدخل في الحقوق والمظالم التي يجب التحلل منها :

١- الحقوق المالية : فإما أن يذهب لصاحب الحق، وإما أن يتصل عبر الهاتف، وإما أن يوسط أحدا من الناس ويرد ما أخذ منه، ويتحلل من صاحبه . فإن تعذر الوصول إليه فَلْيُقَدّرْ ما أخذ منه ويتصدق به عنه .

٢- الحقوق البدنية : فإن كانت المظلمة من نوع الجراحات في الأبدان فالتوبة منها أن يُمَكِّن صاحبَ الحقّ من استيفاء حقه، إما بالمال وإما بالقصاص . فإن لم يعرفه أو لم يتمكن من لقائه فليتصدق عنه، وليدْعُ له .

٣- المظالم في الأعراض : كغيبة أو قذف أو نميمة أو نحو ذلك . فيجتهد الإنسان أن يتحلل منها .

٤- المظالم العامة : فإذا كانت المظلمة عامة، كحال من ينشر الشر على عامة الناس لإفساده‌م كحال الممثلين والمطربين والصحفيين وغيرهم ممن يسخر مواهبه وإمكاناته لمحاربة الخير والفضيلة ، فالواجب على هؤلاء أن يتوبوا إلى الله بإظهار الندم على ما فات وإعلان الخطأ، والقيام بنشر الخير قدر المستطاع، والحرص على هداية من تسببوا في إغوائهم، وتسخير الموهبة لخدمة الدين . وأن يحرصوا على إصلاح ما أفسدوه، وأن يقبلوا على الله بالإكثار من الإستغفار وسائر الطاعات .

وكل مظلمة يستطيع الإنسان أن يتحلل منها فليفعل ، وما لم يستطع فعفو الله مأمول ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

الأسباب المعينة على التوبة :

قال الشيخ محمد إبراهيم الحمد فى التوبة وظيفة العمر :

١- الإخلاص لله تعالى والإقبال عليه فهو من أنفع الأدوية

قال تعالى :كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ يوسف

٢- الدعاء فهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه، يعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل .

٣- امتلاء القلب من محبة الله عز وجل فالمحبة أعظم محركات القلوب وهي الباعث الأول للأفعال والتروك .

٤- المجاهدة : وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴿٦٩﴾ العنكبوت

٥- قِصَر الأمل وتَذَكُّر الآخرة : قال ابن عقيل : ما تصفو الأعمال والأحوال إلا بتقصير الآمال

٦- العلم : فالعلم نور يستضاء به وهو يَشْغَل صاحبه بكل خير وعن كل شر .

٧- الإشتغال بما ينفع وتجنب الوحدة والفراغ . والبعد عن المثيرات وما يذكر بالمعصية .

٨- غض البصر : قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ ﴿٣٠﴾ النور

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فجعل سبحانه غض البصر وحفظ الفرج أقوى تزكية للنفوس .

٩- مصاحبة الأخيار لأنها تحيي القلب ، وتشرح الصدر ، وتنير الفكر ، وتعين على الطاعة ومجانبة الأشرار .

١٠- الحياء : فهو خلق يبعث على ترك القبيح و فعل الجميل .

مسألة : هل يرجع العبد إلى حاله قبل المعصية إذا تاب ؟

قال ابن القيم فى طريق الهجرتين وباب السعادتين :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : من التائبين من يعود إلى مثل حاله، ومنهم من يعود إلى أكمل منها ، ومنهم من يعود إلى أنقص مما كان ؛ فإن كان بعد التوبة خيراً مما كان قبل الخطيئة وأشد حذراً، وأعظم تشميراً، وأعظم ذلاً وخشية وإنابة عاد إلى أرفع مما كان . وإن كان قبل الخطيئة أكمل عاد إلى أنقص مما كان عليه . وإن كان بعد التوبة مثل ما كان قبلها رجع إلى منزلته .

مسألة : هل ترجع الحسنات إلى التائب بعد التوبة ؟

قال تعالى : إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ ﴿٧٠﴾ الفرقان

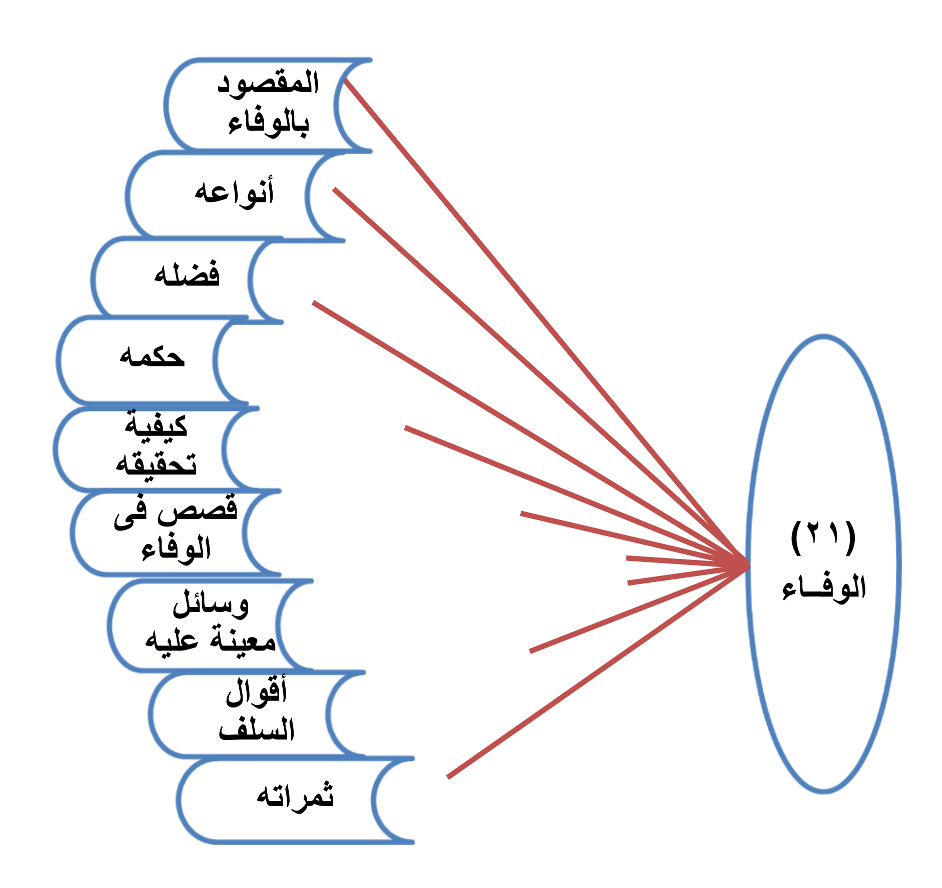
قال ابن القيم فى مدارج السالكين مبيناً العلة في ذلك : وذلك لأن الإساءة المتخللة بين الطاعتين قد ارتفعت بالتوبة ، وصارت كأنها لم تكن ؛ فتلاقت الطاعتان ، واجتمعتا والله أعلم .

أقوال السلف في التوبة :

قال أبو بكر الواسطي : التأني في كل شيء حسن إلا في ثلاث : عند وقت الصلاة وعند دفن الميت والتوبة عند المعصية .
وقال مجاهد : من لم يتب إذا أمسى وإذا أصبح فهو من الظالمين .
وقال الفضيل : الإستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين .
قال أحمد بن عاصم الأنطاكي : غنيمة باردة ، أصلح فيما بقي، يغفر لك فيما مضى .
قال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد، فأصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين .
قال لقمان لابنه : يا بني، لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة .
قال ابراهيم بن أدهم : من أراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة الناس أي في الشر .

من ثمرات التوبة :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
قال تعالى : وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ النور
٢- سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد .
قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ البقرة
٣- سبب من أسباب تكفير السيئات والفوز بالجنّات .
قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴿٨﴾ التحريم
٤- سبب من أسباب الفلاح .
قال تعالى : وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ النور
٥- تبديل السيئات حسنات .
قال تعالى : إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴿٧٠﴾ الفرقان
٦- إقبال الله عز وجل وفرحه بعبده التّائب .
وعَنْ أَنَس ﷺ قَالَ . قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِه، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْه، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِه بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِه، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ . رواه مُسْلم
٧- سبب للمتاع الحسن .
قال تعالى : وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣﴾ هود
٨- سبب لنزول الأمطار وزيادة القوة، والإمداد بالأموال والبنين .
قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ نوح
٩- سبب لحصول الذل والإنكسار لله عز وجل .
١٠- سبب من أسباب انشراح الصدر وإزالة الهمّ .
١١- سبب من أسباب قبول العمل وإخلاص العبد .


المقصود بالوفاء
أنواعه
فضله
حكمه
كيفية تحقيقه
قصص فى الوفاء
وسائل معينة عليه
أقوال السلف
ثمراته
(٢١)
الوفــاء

الشعبة الحادية والعشرون : الوفــــاء

الوفاء شعبة من شعب الإيمان، و صفة من صفات الله تعالى و صفات أنبياءه ورسله، وهو أدب رباني حميد ، وخلق نبوي كريم، وسلوك إسلامي نبيل، وهو واجب من واجبات الدين وخصال المتقين، وهو من أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، فمن أبرم عقدًا وجب عليه أن يحترمه ومن أعطى عهدًا وجب عليه أن يلتزمه، وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له وهذا فرض لازم وحق واجب . والوفاء إذا ضاع ضاعت الثقة بين الناس وتقطعت الأواصر، لذلك كان الصدق في الوعد والعهد من أفضل الأخلاق التي يتخلق بها المؤمنين كما أن الكذب في الوعد والعهد من ألصق الأخلاق التي يتخلق بها المنافقين . والوفاء بالعقود والعهود يشمل عهود الإيمان والعقود التي يتعاقدها الناس فيما بينهم كعقد الشركة وعقد البيع وعقد النكاح وعقد اليمين وعقد الإجازة ، وغير ذلك من سائر عقود المعاملات .

المقصود بالوفاء :

قال ابن فارس : (وفي) الواو والفاء والحرف المعتل : كلمةٌ تدل على إكمالٍ وإتمام .
وقال الرّاغب فى المفردات : الوفاء بالعهد : إتمامه وعدم نقض حفظه .
وقال ابن منظور : الوفاء في اللغة الخلق الشريف العالي الرفيع .
وقيل : الوفاء أخو الصّدق والعدل، والغدر أخو الكذب والجور، لأنّ الوفاء صدق اللّسان والفعل معا، والغدر كذب بهما .
فالوفاء أن يلتزم الإنسان بما عليه من عهود ووعود وواجبات .
واصطلاحًا : حفظ للعهود والوعود، وأداء للأمانات، واعتراف بالجميل، وصيانة للمودة والمحبة
فالوفاء يدور حول الالتزام والإكمال والتمام والمحافظة على ما ألزم الإنسان به نفسه من عهود أو مواثيق أو وعود أو أمانات أو غير ذلك مما يضاف إلى كلمة الوفاء.
والوفي صادق مع ربه صادق مع نفسه صادق مع إخوانه لا يعرف الغدر والخيانة ولا نقض العهود .

بعض صور الوفاء :

١ـ الوفاء بالعهود والمواثيق مع الله سبحانه، أو مع الناس .

قال تعالى : وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ الإسراء

وعن ابن عبّاس : العهود ما أحلّ اللّه وما حرّم وما فرض وما حدّ في القرآن كلّه .
ومدح الله عز وجل الذين يفون بعهودهم ومواثيقهم، وأنهم من الذين صدقوا ومن المتقين .
قال تعالى : وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

٢ ـ الوفاء بالوعود :

وهو أن يصبر الإنسان على أداء ما يعد به غيره ويبذله من تلقاء نفسه ، حتّى وإن أضرّ به ذلك . وهو دليل على صدق المسلم، وتمام إيمانه، وكمال إسلامه . وقد جعل الله تعالى الوفاء بالوعود من صفات الأنبياء، فقال سبحانه عن نبي الله إسماعيل

قال تعالى : وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ مريم

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم عدم الوفاء بالوعود من صفات المنافق
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ . متفق عليه

٣ ـ الوفاء بالعقود :

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴿١﴾ المائدة

قال الحسن : وهي ما عقده المرء على نفسه؛ من بيع وشراء وإجارة وكراء ومناكحة وطلاق ومزارعة ومصالحة وتمليك وتخيير وعتق وتدبير، ونحوه .

٤- الوفاء بالنذور :

وهي ما أوجبها المسلم على نفسه فيما بينه وبين الله .
عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَّ فَلا يَعْصِهِ .
رواه البخاري
وقد مدح الله عباده الأبرار، وبين أن من أعمالهم الجليلة في الدنيا أنهم كانوا يوفون بنذرهم
قال تعالى: يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا ٧ الإنسان
قال قتادة، ومجاهد : والنذر في الشرع ما أوجبه المكلف على نفسه، فالمعنى : يوفون بما أوجبوه على أنفسهم

٥- الوفاء في الكيل والميزان :

قال تعالى : وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥ الإسراء
وجاء التحذير الشديد من عدم الوفاء في الكيل والميزان، والوعيد على ذلك بالويل
قال تعالى : وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ المطففين
قال الراغب في المفردات : والتطفيف هو الاستيفاء من الناس عند الكيل أو الوزن، والإنقاص والإخسار عند الكيل أو الوزن لهم . ويلحق بالوزن والكيل ما أشبههما من المقاييس والمعايير التي يتعامل بها الناس .
٧- الوفاء بالبيعة وهو من أبرز مجالات الوفاء
والبيعة عقد يقوم به أهل الحل والعقد وهم الذين تنعقد البيعة بمبايعتهم وهم أولي الأمر المطاع من الأمراء والعلماء
قال تعالى : فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ التوبة
قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٠ الفتح

مسألة : الفرق بين الوعد والعهد :

قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية :
العهد ما كان من الوعد مقرونا بشرط، نحو قولك : إن فعلت كذا فعلت كذا وما دمت على ذلك فأنا عليه
والعهد يقتضي الوفاء والوعد يقتضي الإيجاز ويقال نقض العهد وأخلف الوعد .
قال الرازي في مختار الصحاح : العهد، يراد به الأمان واليمين والموثق والذمة والحِفاظ والوصية .
وقيل : العهد ما يكون من الجانبين، وأما ما يكون من جانب فوعد، ونقضه خلف وعد .

منزلة الوفاء في الإسلام :

١- الوفاء بالعهد صفة من صفات الله عز وجل .
قال تعالى : وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ١١١ التوبة
وقال تعالى : وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ الروم
قال ابن القيم في الجواب الكافي : ومن وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامه، وأدخلته على ربه، وأدنته منه، وقربته من رحمته، وصيرته محبوبًا، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حتى يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال، وتر يحب أهل الوتر
٢- الوفاء بالعهد خلق من أخلاق الأنبياء و المرسلين .
قال تعالى : أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨ النجم
وقال تعالى : وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ مريم
٣- أمر الله تعالى المؤمنين بالوفاء بالعهود والعقود وهو يشمل عهود الإيمان، والعقود التي يتعاقدها الناس بينهم كعقد الحِلف وعقد الشركة وعقد البيع والإجارة وعقد النكاح وعقد اليمين وغيرها من سائر المعاملات .
قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ١ المائدة

وقال تعالى : وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ الإسراء

٤ـ وعد الله عز وجل وبشّر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم .

قال تعالى : وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التوبة

٥ـ بين الله عز وجل أن نقض العهود ونكْثها وعدم الوفاء بها من صفات الكافرين .

قال تعالى : وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴿٢٧﴾ البقرة

٦ـ توعد الله الذين ينقضون العهد بوعيد شديد وهو اللعنة وسوء الدار .

قال تعالى :وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ الرعد

٧ـ بين الله عز وجل من صفات اليهود نقض العهود الذين كلما عاهدوا عهدًا نقضوه .

قال تعالى :إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ الأنفال

٨ـ الوفاء بالعهود سمة من سمات المؤمنين الصادقين المتقين :

قال تعالى : وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

٩ـ أحق ما يوفى به من الشروط ما تعلق بالنكاح .

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : إِنَّ أَحَقَّ الشَّرْطِ ، أَنْ يُوفَى بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ . رواه البخاري

١٠ـ الوفاء بالعهود والوعود من الإيمان .

عن عائشة قالت قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إنّ حُسْنَ العَهْدِ مِنَ الإيمانِ . رواه الحاكم . صحيح الجامع

كيفية تحقيق الوفاء بالعهود :

العهود التي يرتبط المسلم بها على درجات ، فأعلاها مكانة وأرفعها قدرًا العهد الذي بينك وبين ربك عز وجل ، ويكون بالتزام المسلم شرع الله عز وجل وطاعته وعبادته وتوحيده . وقد أَخَذَ الله علينا العهود والمواثيق وأمرنا بالوفاء بها ونهانا عن نقضها وأول هذه العهود الإيمان به وإفراده بالعبودية وأن لا نشرك به شيئًا .

قال تعالى :وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ ﴿٩١﴾ النحل

ثم الوفاء لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بين لنا الطريق، وأنار لنا السبيل، وتركنا على المحجة البيضاء فما من خير إلا ودلنا عليه، وما من شر إلا وحذرنا منه، ويكون باتباع سنته والتخلق بأخلاقه والإقتداء به والدفاع عن دينه ، وطاعته فيما أمر ونهى : مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ النساء

ثم تليها العهود التي تقع بين الناس . وتكون باحترام العهود والعقود وإتمام الشروط التي تضمنتها، كعقود البيع والشراء والإيجارة والمضاربة والدين وسائر المعاملات . فالمسلمون عند شروطهم .

وكذلك الوفاء بعقود النكاح والطلاق والنفقة وسائر المعاملات . وليعلم العبد أن الوفاء بالعهود من شيم المؤمنين كما أن نقض العهود من شيم المنافقين . قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ . رواه البخاري ومسلم

واعلم أن الله سائلك يوم القيامة عن وعودك وعهودك وعقودك التي أمرك بالوفاء بها وأدائها .

قال تعالى : وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ الإسراء . يعني أنَّ الوفاء بالعهد مسوول عنه الإنسانُ يوم القيامة، يُسأل هل وفَّى به أم لا ؟ فاحذر من خُلف الوعد ونقض العهد وعدم الوفاء بالعقد

قال تعالى :وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ ﴿٩١﴾ النحل

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴿١﴾ المائدة

الأسباب المعينة على الوفاء :

١- تذكر هذا الخلق بين الحين والآخر لتأكيد أهميته .
٢- معرفة أن الوفاء صفة من صفات الله تعالى، ومن صفات الأنبياء والمرسلين ، وأهل الصلاح والدين .
٣- إدراك أن الوفاء شرفٌ يحمله المسلم على عاتقه وهو قيمة إنسانية وأخلاقية عظمى .
٤- التأمل فى حال السلف وكيف كان وفائهم .
٥- تذكر العاقبة السيئة للغدر، والمنزلة الدنيئة للغادر بين الناس .

قصص فى الوفاء :

قصة الطّائيّ وشريك نديمي النّعمان بن المنذر :

ذكر صاحب المستطرف في كل فن مستظرف قضيّة الطّائيّ وشريك نديمي النّعمان بن المنذر :
وملخص هذه القصة أنّ النّعمان كان قد جعل له يومين : يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ، ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن إليه وأغناه وكان هذا الطّائيّ قد أصابه الفقر ، فأخرجته الفاقة من محلّ استقراره ليرتاد شيئا لصبيته وصغاره ، فبينما هو كذلك إذ صادفه النّعمان في يوم بؤسه ، فلمّا رآه الطّائيّ علم أنّه مقتول . فقال : حيّا الله الملك إنّ لي صبية صغارًا وأهلًا جياعًا ، وقد أرقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم ، وقد أقدمني سوء الحظّ على الملك في هذا اليوم العبوس ، وقد قربت من مقرّ الصّبية والأهل وهم على شفا تلف من الطّوى ، ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أوّل النّهار وآخره ، فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصّل إليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحيّ لئلّا يهلكوا ضياعًا ثمّ أعود إلى الملك وأسلّم نفسي لنفاذ أمره . فلمّا سمع النّعمان مقاله وفهم حقيقة حاله ، ورأى تلهّفه على ضياع أطفاله ، رقّ له ورثى لحاله ، غير أنّه قال له : لا آذن لك حتّى يضمنك رجل معنا ، فإن لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عديّ نديم النّعمان معه . فقال شريك : أصلح الله الملك عليّ ضمانه فمرّ الطّائيّ مسرعا وصار النّعمان يقول لشريك : إنّ صدر النّهار قد ولّى ولم يرجع ، وشريك يقول : ليس للملك عليّ سبيل حتّى يأتي المساء ، فلمّا قرب المساء ، قال النّعمان لشريك : قد جاء وقتك قم فتأهّب للقتل ، فقال شريك : هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطّائيّ فإن لم يكن فأمر الملك ممتثل ، قال : فبينما هم كذلك وإذ بالطّائيّ قد اشتدّ في عدوه وسيره مسرعا حتّى وصل فقال : خشيت أن ينقضي النّهار قبل وصولي ، ثمّ وقف قائما وقال : أيّها الملك ، مر بأمرك فأطرق النّعمان ثمّ رفع رأسه وقال : والله ما رأيت أعجب منكما ، أمّا أنت يا طائيّ فما تركت لأحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ، ولا ذكرًا يفتخر به ، وأمّا أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء ، فلا أكون أنا ألأم الثّلاثة ، ألا وإنّي قد رفعت يوم بؤسي عن النّاس ونقضت عادتي ،كرامة لوفاء الطّائيّ وكرم شريك .
فقال الطّائيّ :

ولقد دعتني للخـــــلاف عشيرتي فعددت قولهم من الإضلال
إنّي امروٌ منّي الوفـــــــاء سجيّة وفعال كلّ مهذّب مفضال

فقال له النّعمان : ما حملك على الوفاء وفيه إتلاف نفسك ، فقال : ديني ، فمن لا وفاء فيه لا دين له ، فأحسن إليه النّعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرّمًا إلى أهله وأناله ما تمنّاه .

قصة إسلام مدينة حمص :

لما فتح المسلمون بلاد الشام ، ودعوا أهل حمص إلى الإسلام وكانوا نصارى ، فأبوا وقبلوا الجزية ، وفي مقابل حمايتهم والدفاع عنهم ، ولكن الرومان أعادوا ترتيب صفوفهم لحرب المسلمين فطُلب من الجيش الإسلامي الذي كان في حمص أن يخرج منها للإنضمام إلى بقية الجيش في غيرها من بلاد الشام ، فقام المسلمون برد الأموال إلى نصارى حمص ، فتعجب أهل حمص وسألوا المسلمين : لماذا رددتم لنا أموال الجزية ؟ فأجابهم المسلمون بأنهم غير قادرين على حمايتكم ، وطالما لا نستطيع الوفاء بالشرط فيجب أن نرد الأموال . هنا استشعر أهل حمص عظمة هذا الدين ، وكمال وسمو أخلاق أهله ، فدخلوا في دين الله ، وبقيت قوات المسلمين معهم تدفع عن أهل حمص أذى الرومان .

هدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوفاء :

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له المقام الأسمى، والمكان الأشرف فى الوفاء ، فهو سيد الأوفياء وهو مضرب المثل فى الوفاء . ويتجلى لنا وفاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صور كثيرة منها :

وفاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعهد لعدوه :

عَنْ أَبِي رَافِعٍ ﷺ قَالَ : بَعَثَتْنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُلْقِيَ فِي قَلْبِيَ الإِسْلاَمُ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي وَاللهِ لاَ أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لاَ أَخِيسُ بِالْعَهْدِ،

وَلاَ أَحْبِسُ الْبُرُدَ، وَلَكِنِ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الآنَ فَارْجِعْ قَالَ : فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْتُ . رواه أبو داود . صحيح الجامع

وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قَالَ : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ؟ فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ . فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ : انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ . رواه مسلم

وفاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزوجاته :

ضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المثل الأعلى في وفاء الزوج لزوجته ، فقد تزوج خديجة رضي الله عنها فأقام معها خمساً وعشرين سنة لم يتزوج عليها حتى ماتت، وكان بعد موتها يذكرها بالجميل ويثنى عليها ويبر أهلها وصدائقها وفاء لها، حتى قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ . رواه البخاري ومسلم

ودخلت عليه امرأة فهش لها، وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال : إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان . يعنى الوفاء من الإيمان .

أقوال السلف والعلماء في الوفاء بالعهد :

قال ابن عباس ﷺ : كل ما أحل الله وما حرم وما فرض في القرآن فهو عهد .

وقال ابن حزم : من حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق الوفاء وإنَّه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات، وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له وهذا فرض لازم وحق واجب .

قال عوف الكلبي : آفة المروءة خلف الموعد .

من ثمرات الوفاء :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۝١ المائدة

عن عائشة قالت قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إنّ حُسْنَ العَهْدِ مِنَ الإيمانِ . رواه الحاكم . صحيح الجامع

٢- سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد .

قال تعالى : بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦ آل عمران

٣- من أوفى بعهد الله من توحيده وإخلاص العبادة له، أوفى الله بعهده من توفيقه إلى الطّاعات والصالحات .

قال تعالى : وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠ البقرة

قال ابن جرير : وعهده إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة .

٤- حصول الأجر العظيم والثواب الجزيل .

قال تعالى : وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠ الفتح

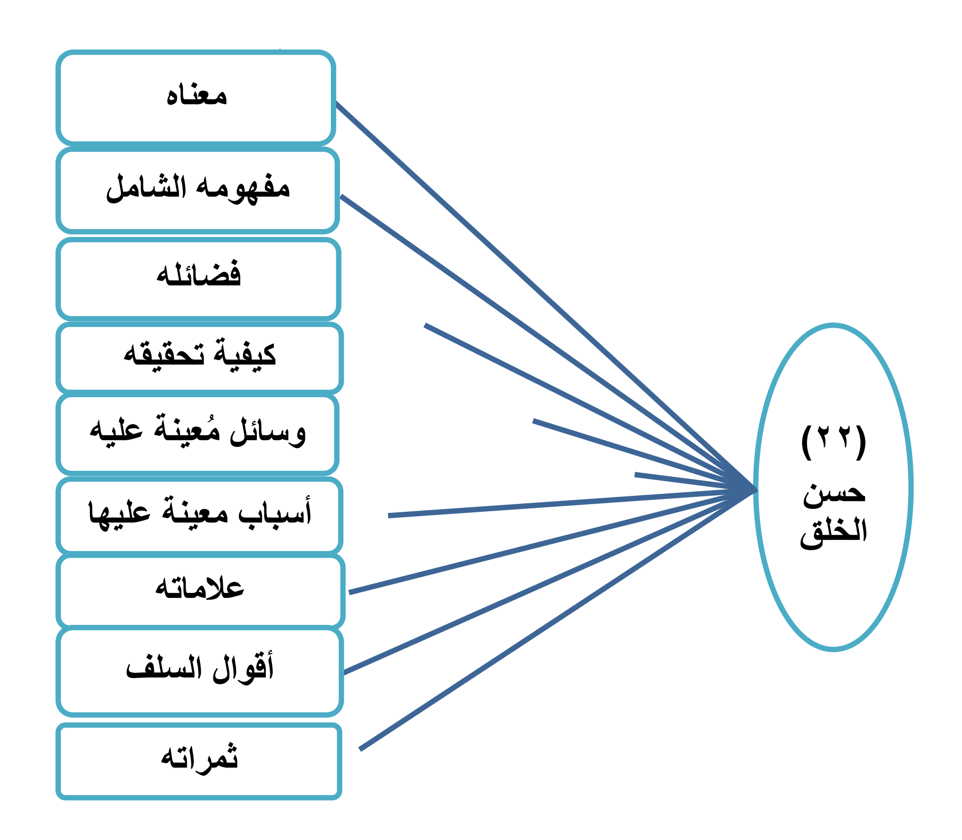
٥- الفوز بالنعيم المقيم في الجنة .

قال تعالى : يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ الإنسان

٦- خيار الناس من عرف بالوفاء .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إنّ خيارَ عِبادِ الله المُوَفُّونَ المُطَيَّبُونَ . رواه أحمد . السلسلة الصحيحة

٧- شيوع الثقة فى المجتمع وصلاح المعاملات والعلاقات الإجتماعيّة والوعود والعهود .


(٢٢)
حسن
الخلق
معناه
مفهومه الشامل
فضائله
كيفية تحقيقه
وسائل مُعينة عليه
أسباب معينة عليها
علاماته
أقوال السلف
ثمراته

الشعبة الثانية والعشرون : حسن الخلق

حسن الخلق شعبة من شعب الإيمان ، وصفة من صفات الأنبياء والصالحين وعبادة عظيمة من أجل العبادات وطاعةٌ من أفضل الطاعات وقربة من أشرف القربات التى لها آثارها العظيمة فى تزكية النفوس ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات والفوز بالجنان ، بها تُنال الدرجات وتُرفع المقامات . وهى من أسباب الألفة والمحبة ، وقد تكاثرت النصوص في فضلها والحث على التحلي بها، وذو الخلق الحسن من أحب الناس إلى الله عز وجل ، ومن أقربهم مجلسًا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
قال الماوردي فى أدب الدنيا والدين : وإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر محبوه وقلّ معادوه، فسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب، ونبتت على جوارحه المحاب، وسال لسانه بكل ما لذ وطاب . وصاحب الخلق الحسن من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، وسيء الخلق الناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء . وخيار الناس أحاسنهم أخلاقًا .
وأحسن الناس أخلاقًا على الإطلاق سيد الأولين والآخرين وسيد ولد آدم وسيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال عنه ربه : وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ القلم

معنى حسن الخلق :

قال ابن منظور فى لسان العرب : الخلق بضم اللام وسكونها هو الدِّين والطبْع والسجية وحقيقته أَنه لِصورة الإِنسان الباطنة ونفْسه وأَوصافها المختصةُ بِها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأَوصافها ومعانيها .
قال الماورديّ فى تسهيل النظر وتعجيل الظفر : الأخلاق هى غرائز كامنة تظهر بالإختيار وتقهر بالإضطرار .
وقال ابن المبارك : حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من النّاس . بكف الأذى ؛ وبذل الندى ؛ وطلاقة الوجه .
وكف الأذى يعني أن يكف الانسان أذاه عن غيره سواء كان فى المال أو النفس أو العرض .
وبذل الندى والندى هو الكرم : يعني أن تبذل الكرم والجود بالنفس والجاه والمال .
وطلاقة الوجه : يعنى الهشاشة والبشاشة وحسن اللقاء ، وضده عبوس الوجه .
ويدرك العبد كف الأذى ؛ وبذل الندى ؛ وطلاقة الوجه بثلاثة أشياء : بالعلم والجود والصبر .
فالعلم يرشد الإنسان إلى مواقع بذل المعروف . ووضع الشيء في موضعه، فيعرف مواقع الخير والشر .
والجود يحمل الإنسان على المسامحة بحقوق نفسه، ودفع المزيد عند أداء حقوق غيره، فالجود قائد جيوش الخير كلها .
والصبر يعينه على الإحتمال وكظم الغيظ، والحلم والأناة، وعدم الطيش والعجلة . وعدم مقابلة الإساءة بمثلها.
فبهذه الثلاثة تحصل تزكية النفوس وتهذيبها .

المفهوم الشامل لحسن الخلق :

قد يتصور البعض أن حسن الخلق محصور في الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة . والحقيقة أن حسن الخلق أوسع من ذلك فهى عبادة من أجل العبادات والمرء لا يكمل إيمانه إلا بحسن الخلق . فهو علاوة على الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، يشمل جميع محاسن الأخلاق كالصِّدق والإخلاص، والحلم والأناة، والجود والكرم، والعفو والصفح، والرفق واللين، والصبر وكظم الغيظ، والعدل والإنصاف، والبرّ والوفاء بالعهد، والإيثار والرحمة، والعفة، والتواضع، والسماحة، والمروءة، والشجاعة، والأمانة، وغير ذلك من الأخلاق الحسنة والأفعال الحميدة التي حث عليها الإسلام ورغب فيها بل هو يشمل جميع شعب الإيمان .

منزلة حسن الخلق فى الإسلام :

قال تعالى : وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ الإسراء
وقال تعالى : وَلَا تَسۡتَوِى ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ فصلت
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ . رواه أحمد . صحيح الجامع
١ـ صاحب الخلق الحسن أقرب النَّاس مجلساً من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .
عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا . رواه التِّرمِذِي .صحيح الجامع
٢ـ حسن الخلق من أعظم القربات التى يُدرك به صاحبه درجة القائم بالليل الصائم بالنهار .
عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ . رواه أحمد . صححه الألبانى

٣- ميزان الكمال عند المؤمنين بكمال أخلاقهم .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا . رواه أحمد والتِّرمِذي وأبو داود . السلسلة الصحيحة
٤- الخلق الحسن يجعل المسلم من أحسن الناس، ومن خيارهم مطلقًا .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا . رواه البخاري ومسلم
٥- بلَغ من تعظيم الشارع لحُسن الخُلق أنْ جعَله من أكثر ما يدخل النَّاس الجنَّة .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ اَلْجَنَّةَ تَقْوى اللَّهِ وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ . رواهُ اَلتِّرْمِذِيُّ . صحيح الترغيب والترهيب
٦- أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة الخلق الحسن .
وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . رواه أحمد . صحيح الجامع
٧- تكفل النبي صلى الله عليه وسلم ببيت في أعْلى الجنة لمن حسَّن خلقه .
عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِى أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ . رواه أبو داود . صحيح الترغيب والترهيب
٨- من أعظم نعم الله على العبد حسن الخلق .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا شَيْئًا خَيْرًا مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ . رواه الطبراني وصححه الألباني
٩- من أسباب تجاوز الله عن العبد يوم القيامة حسن الخلق .
عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ وَأَبُو مَسْعُودٍ فَقَالَ حُذَيْفَةُ : رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ فَقَالَ مَا عَمِلْتَ قَالَ مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ أَنِّى كُنْتُ رَجُلاً ذَا مَالٍ فَكُنْتُ أُطَالِبُ بِهِ النَّاسَ فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ . فَقَالَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِى . قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ . رواه مسلم
وسئلت عَائِشَةَ عَن خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَت : كَانَ خلقه الْقُرْآن . رواه مُسلم
قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم :
معناه العمل به والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والإعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره، وحسن تلاوته .
١٠- أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أعظم خصال البر حسن الخلق . وكلما تحلى المسلم بالخلق الحسن كلما ارتقى في درجات البر .
عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ ؟ فَقَالَ : الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ . رواه مسلم
قال ابن دقيق العيد : البر حسن الخلق . يعني : أن حسن الخلق أعظم خصال البر كمال قال : الحج عرفة .
١١- الخلق الحسن هو وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع المسلمين، وخاصة الدعاة .
عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ :اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، قَالَ : زِدْنِي، قَالَ : أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ . رواه الترمذى . صحيح الترغيب والترهيب

كيفية التخلق بالأخلاق الحسنة :

الإسلام أولى الأخلاق أهمية عظيمة ويكفي أنَّ الله تعالى قال لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ القلم
قال ابن كثير في تفسيره : قال ابن عباس ومجاهد :
لعلى دينٍ عظيمٍ وهو دين الإسلام . فالخُلُق أُطلق على الدِّين كُلِّه، وهو ما كان يأمر به صلى الله عليه وسلم من أمر الله، وينهى عنه من نهي الله، والمعنى : إنَّك لعلى الخلق الذي آثرك الله به في القرآن . فالأخلاق عليها مدار نجاح الإنسان في هذه الحياة حتى قال بعض العلماء : إن الدِّين كُلَّه هو الخُلق .
قال الفيروز آبادي رحمه الله : اعلم أن الدين كلّه خلُق، فمن زاد عليك في الخلُق زاد عليك في الدِّين .
وأفضل الطرق وأسهلها وأيسرها للتحلي بالأخلاق الحسنة هو الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان خُلقه القرآن، فكان أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا، يُعطي مَنْ حَرَمَه ويعفو عمَّن ظلمه ويصل مَنْ قطعه ويحسن إلى من أساء إليه، وهذه أصول الأخلاق، فعلينا الإقتداء به في سائر أحواله إلا ما خصه الله به .

بعض الوسائل المُعينة على التخلق بالأخلاق الحسنة :

قال الدكتور محمد إبراهيم الحمد فى رسالة الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة :

هناك أسبابًا ووسائل يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حسن الخلق منها :

١- سلامة العقيدة : فالسلوك ثمرة لما يحمله الإنسان من فكر ومعتقد وما يدين به من دين .

٢- الدعاء : فيلجأ إلى ربه ليرزقه حسن الخلق ويصرف عنه سيئه .

٣- الصبر: فهو يحمل على الإحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وترك الطيش والعجلة .

٤- المحاسبة : وذلك بنقد النفس إذا ارتكبت أخلاقًا ذميمة، وحملها على ألا تعود إليها مرة أخرى .

٥- التفكر في الآثار المترتبة على حسن الخلق : فإن معرفة ثمرات الأشياء من أكبر الدواعي إلى فعلها .

٦- النظر في عواقب سوء الخلق من الأسف الدائم والحسرة والندامة ، والبغضة في قلوب الخلق .

٧- الإعراض عن الجاهلين والتغاضي والتغافل : وهو من أخلاق الأكابر .

٨- مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة: فالمرء مولع بمحاكاة من حوله، شديدُ التأثر بمن يصاحبه .

٩- المحافظة على الصلاة فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر . والصيام يحرك النفوس للخير .

١٠- قراءة القرآن بتدبر وتعقل: فهو الهدى والنور، وهو كتاب الأخلاق الأول، الذي يهدي للتي هي أقوم .

١١- إدامة النظر في السيرة النبوية فهى تضع بين يدي قارئها أعظم صورة عرفتها البشرية

١٢- النظر في سير الصحابة الكرام والسلف فإن قراءتها تحرك العزيمة على اكتساب مكارم الأخلاق .

علامات حسن الخلق :

قال الغزالي فى إحياء علوم الدين فى معرض كلامه عن بيان علامات حسن الخلق :

جمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو أن يكون : كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل قليل الزلل، قليل الفضول، براً، وصولاً، وقوراً، صبوراً، شكوراً، رضياً، حكيماً، رفيقاً، عفيفاً، شفيقاً، لا لعاناً، ولا سباباً، ولا نماماً، ولا مغتاباً، ولا عجولاً، ولا حقوداً، ولا بخيلاً، ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله . فهذه هى علامات حسن الخلق .

أقوال السلف في حسن الخلق :

قال سفيان الثوري : كان يقال : حسن الأدب يطفئ غضب الرب .

وقال عكرمة : لكل شيء أساس وأساس الإسلام : الخلق الحسن .

وقال الجنيد : لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق .

قال ابن الأثير متحدثًا عن صلاح الدين الأيوبي :

بلغني أنه كان جالسًا وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضًا بنعل فأخطأته، ووصلت إلى صلاح الدين فوقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها .

وقال ابن القيم فى الفوائد :

جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته .

وعن ابن حميد قال : عطس رجل عند ابن المبارك ، فلم يحمد الله؛ فقال ابن المبارك : إيش يقول العاطس إذا عطس ؟ قال : يقول : الحمد لله ، فقال : يرحمك الله .

وقال يحيى بن معاذ : سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحُسن الخلق حسنةٌ لا تضر معها كثرة السيئات .

وقال ابن حبان: الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل .

ثمرات حسن الخلق :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا . رواه أحمد . السلسلة الصحيحة

٢- سبب من أسباب محبة الله عز وجل للعبد .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ . رواه مسلم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحبُّ عبادِ اللَّهِ إلى اللَّهِ أحسنُهُم خلقًا . رواه الطبراني. السلسلة الصحيحة

٣- سبب من أسباب قرب العبد من النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا . رواه التِّرْمِذِي . صحيح الجامع

٤- سبب من أسباب الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار .

قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ اَلْجَنَّةَ تَقْوى اَللَّهِ وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ . رواَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ . صحيح الترغيب والترهيب

٥- سبب من أسباب الألفة والمحبة والمودة والتّآخي بين أفراد المجتمع .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، الموطَّؤون أكنافًا، الذين يألفون و يُؤلَفون، ولا خيرَ فيمن لا يألَفُ و لا يُؤلَفُ . رواه الطبراني . السلسلة الصحيحة

٦- سبب من أسباب حب الناس للدين .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ . رواه أحمد . صحيح الجامع

وقال ابن القيِّم رحمه الله تعالى : الدِّين كله خلُق، فمَن زاد عليك في الخلُق زاد عليك في الدِّين .

٧- سبب من أسباب زيادة الأعمار وتعمِّير الديار .

قَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْن الْجِوَارِ، يَعْمُرَان الدِّيَار وَيَزِيدانَ فِي الأَعْمَارِ . رواه أحمد . السلسلة الصحيحة

٨- احتمال الجنايات، والعفو عــن الزلات، ومقابلة السيئات بالحسنات .

قال تعالى :وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ فصلت

٩- سبب من أسباب ثقل ميزان العبد يوم القيامة .

قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . رواه أحمد . صحيح الجامع

١٠- بلوغ درجات الصائم القائم .

قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ . رواه أحمد . صححه الألباني

١١- تجنب منزلة السوء يوم القيامة .

قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن شرَّ الناسِ عند اللهِ منزلةً يومَ القيامةِ من تركَه الناسُ اتقاءَ شرِّه . رواه البخاري

١٢- الفوز ببيت في أعلى الجنة .

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـصلى الله عليه وسلم : أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِى أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ . رواه أبو داود . صحيح الترغيب والترهيب

١٣- سبب ثناء الناس عليه بالخير .

عن أنس ﷺ قال : مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا ، فَقَالَ : وَجَبَتْ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ : هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ . رواه البخارى

الشعبة الثالثة والعشرون : التواضع

التواضع شعبة من شعب الإيمان، وسبب من أسباب الرفعة والعزة، وهو خلقٌ حميدٌ من مكارم الأخلاق، وخصلةٌ كريمةٌ من أخص خصال المؤمنين المتقين، ومن كريم سجايا العاملين الصادقين، ومن شيم الصالحين المخبتين . به خشوع القلب لله عز وجل، ورحمة الضعفاء والمساكين، وهو صفة لمن أظهر الذّل لله ولرسوله وللمؤمنين وإن كان المرء عزيزاً في نفسه . كما قال تعالى : أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ . المائدة . فالتواضع شرفٌ وعلوٌ ورفعةٌ لصاحبه في دنياه وأخراه ولئن كان المتواضع يرى نفسه صغيرًا فإنه عند الله وعند الناس كبير، بخلاف المتكبر فإنه يرى نفسه كبيرًا وهو في غاية الحقارة وتمام الضعةِ والصِّغر . فما أجمل التواضع وما أرفعه وما أعلى مقامات أهله في الدنيا والآخرة، فهم الأعلون شأناً وقدرًا وهم الأعظم ثواباً وأجرًا . والتواضع بشاشة وجه، ولطافة خلق، وحسن معاملة، والمتواضع كريم الطبع، جميل العشرة، طلق الوجه، رقيق القلب، يذعن للحقِّ، ويقبلُ عليه ويسلِّم إليه، ويرفق بالخلقِ ويلين لهم، فيخفض جناحَه ويدنو بجانبِه فالمتواضع يحبه الناس ويألفونه . لذلك كان من أنبل الصفات وأحسن الأخلاق التي دعا إليها الإسلامُ ورغب فيها .

معنى التواضع :

لغة : يقول ابن فارس فى مقاييس اللغة : الواو والضّاد والعين : أصلٌ واحدٌ يدلّ على الخفض للشّيء وحطّه .
يقال : وضعته بالأرض وضعا ، ووضعت المرأة ولدها
يقول الأزهري فى تهذيب اللغة : والتواضع : التذلل
واصطلاحًا : هو الذل لله والإستجابة لأوامره وقبول الحق الذى جاء به تبارك وتعالى على ألسنة رسله ودعاته وعدم رد الحق لشأن حامله، فهو قبول الحق ممن جاء به صغيرا كان أو كبيرا وسواء كان يحبه أم يبغضه والاستسلام له وترك الاعتراض عليه .
وقيل هو : ترك الترؤس، وإظهار الخمول، وكراهية التعظيم، والزيادة في الإكرام، وأن يتجنب الإنسان المباهاة بما فيه من الفضائل، والمفاخرة بالجاه والمال، وأن يتحرز من الإعجاب والكبر . (العين للفراهيدي - تهذيب اللغة للأزهري)

منزلة التواضع فى الإسلام :

١- أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم والأمر له أمر لأمته من بعده إذ هو القدوة أن يلين جانبه للمؤمنين، وأن يتواضع لهم .
قال تعالى : وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ الحجر
قال القرطبي رحمه الله فى تفسيره : ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم، وأصله أن الطائر إذا ضمَّ فرخه إلى نفسه بسط جناحه، ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفًا لتقريب الإنسان أتباعه .
٢- بلغَ من شرف التَّواضع وعظيمِ أثره أنْ جعلَهُ اللهُ أوّلَ الأوصافِ التي وصف بها عبادَه .
قال تعالى : وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ الفرقان
وقال ابن كثير : هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليِّه، متعزِّزًا على خصمه وعدوِّه
٣- جعل الله سبحانه وتعالى من أخص أوصاف تلك الأمة إنها متواضعة فيما بينها شديدة على أعدائها
قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ المائدة
٤- أخبر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أن العز والرفعة في التواضع .
عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ . رواه مسلم
٥- حث الشرع المؤمنين على التحلي بالتواضع .
عن عِيَاضِ بنِ حمار قَالَ : قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . رواه مسلم
٦- بشرالنبي صلى الله عليه وسلم الذى يترك لبس الرفيع من الثياب تواضعاً لله وتركاً لزينة الحياة الدنيا، ولم يمنعه من ذلك عجزه عنه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق تشريفاً له، حتى يخيره من أي زينة أهل الجنة يريد أن يلبسها .
قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا . رواه التِّرمذي . صحيح الجامع

٧- أخبر النَّبيِّ الله صلى الله عليه وسلم أن القرب من الناس بمجالستهم وعدم التعالى عليهم والتواضع لهم بلين الجانب، وحسن المعاملة من أسباب تحريم النار على العبد .
وعن ابن مسعود ﷺ قالَ : قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ألا أخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار ؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن

صور من تواضع النبى صلى الله عليه وسلم :

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إمامَ الناس في التواضع مع كونه سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه، وقد نال أعلى المنازل فعُرِج به إلى السماء السابعة، وحظيَ عند ربه بأكبر المقامات حتى بلغ سدرة المنتهى وكلَّمه ربه تعالى مباشرةً .
وما حُفظ عنه صلى الله عليه وسلم أنه تكبر على أحد، أو فاخر بنفسه أو مكانته . وهذه إشارات سريعة من تواضعه صلى الله عليه وسلم، وإلا فأخبار تواضعه كثيرة :
١- تواضعه صلى الله عليه وسلم في نفسه :
عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ . رواه ابن ماجه . صحيح الجامع
٢ - رعيه الغنم وتحدثه بذلك صلى الله عليه وسلم :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَاعِيَ غَنَمٍ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَأَنَا كُنْتُ أَرْعَاهَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْقَرَارِيطِ قَالَ سُوَيْدٌ يَعْنِي كُلَّ شَاةٍ بِقِيرَاطٍ . صحيح ابن ماجه
٣- أخذه صلى الله عليه وسلم بمشورة أصحابه :
في غزوة الخندق أخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي سلمان وحفر الخندق وفي بدر أخذ برأي الحباب بن المنذر في أن يجعل مياه بدر خلفه لئلا يستفيد منها المشركون. وكان يقول صلى الله عليه وسلم غالباً وفي مواقف كثيرة لأصحابه : أشيروا علي .
٤ - نقله صلى الله عليه وسلم للتراب يوم الخندق :
عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ رواه البخاري
٥ - تواضعه صلى الله عليه وسلم مع الضعفاء والأرامل والمساكين والصبيان :
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : كَانَت الْأمة من إمَاء أهل الْمَدِينَة لتأْخذ بيد رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتنطلق بِهِ حَيْثُ شَاءَت . البخاري
٦ - تسليمه صلى الله عليه وسلم على الصبيان :
عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى عَلَى صِبْيَانٍ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ . رواه مسلم
٧ - خصفه صلى الله عليه وسلم لنعله وخيطه لثوبه :
عَنْ عَائِشَةَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ . رواه البُخَارِي
٨ - تواضعه صلى الله عليه وسلم مع أهله :
سئلت عائشة رضي الله عنها : مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ فَقَالَتْ : كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ . رواه أحمد، وصححه الألباني
٩- كان صلى الله عليه وسلم يكره أن يقوم الناس له كما هو شأن أهل الدنيا
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ رُؤْيَةً مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا إِلَيْهِ ، لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ. رواه أحمد . صحيح الأدب المفرد للبخاري
١٠- كان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوةَ مَن دعاه ولو كان فقيرًا ويقبل من الطعام ما كان يسيرًا .
قال صلى الله عليه وسلم: لو دُعيتُ إلى ذراع أو كِراع لأجبتُ، ولو أُهديَ إليَّ ذراعٌ أو كراعٌ لقبلتُ .
قال الإمام ابن حجر رحمه الله في فتح الباري : الحديث دليل على حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وتواضعه وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله، ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل .

صور من تواضع الصَّحابة رضوان الله عليهم :

تواضع الصِّدِّيق رضي الله عنه :
لما استُخلف أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ أصبح غاديًا إلى السُّوق، وكان يحلب للحي أغنامهم قبل الخلافة، فلمَّا بُويِع قالت جارية مِن الحي : الآن لا يحلب لنا، فقال : بلى لأحلبنَّها لكم، وإنِّي لأرجو ألَّا يغيِّرني ما دخلت فيه . التبصرة لابن الجوزى
وكان يقول : وددت أنِّي شعرة في جنب عبد مؤمن . رواه أحمد فى الزهد
قال هذا وهو مِن المبشَّرين بالجنَّة، وهو الصِّدِّيق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته مِن بعده .
٢- تواضع الفاروق عمر رضي الله عنه :
عن طارق بن شهاب، قال : خرج عمر بن الخطَّاب إلى الشَّام ومعنا أبو عبيدة بن الجرَّاح، فأَتوا على مخاضة وعمر على ناقة

له، فنزل عنها وخلع خفَّيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ! أنت تفعل هذا، تخلع خفَّيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة ؟! ما يسرُّني أنَّ أهل البلد استشرفوك، فقال عمر : أوَّه، لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم إنَّا كنَّا أذلَّ قوم، فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّة بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله . صحيح الترغيب

٣- تواضع عثمان رضي الله عنه :

قال الحسن : رأيت عثمان بن عفان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة، ويقوم وأثر الحصى بجنبه، فنقول : هذا أمير المؤمنين، هذا أمير المؤمنين . التبصرة لابن الجوزى

عن ميمون بن مهران قال : أخبرني الهمدانيُّ أنَّه رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه على بغلة، وخلفه عليها غلامه نائل وهو خليفة . الزهد لأحمد

٤- تواضع علي رضي الله عنه :

عن عمرو بن قيس الملائي عن رجل منهم قال : رُئِي على علي بن أبي طالب إزارٌ مرقوعٌ، فقيل له : تلبس المرقوع ؟! فقال : يقتدي به المؤمن ويخشع به القلب . الزهد لهناد بن السرى

٥- تواضع أبو هريرة رضي الله عنه :

كان يحمل الحزمة من الحطب على ظهره، وهو أمير الناس في المدينة، ويقول: طرقوا للأمير، طرقوا للأمير . تنبيه الغافلين للسمرقندي

وقال رجاء بن حيوة: "قام عمر بن عبد العزيز ليلة فأصلح السراج، فقلت: يا أمير المؤمنين: لمَ لمْ تأمرني بذلك؟ أو دعوت مَن يصلحه؟ فقال: قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر" (الطبقات الكبرى

كيف يتخلق المسلم بالتَّواضع :

أعظم باعث على التخلق بالتواضع أن تعرف عظمة الله تعالى وعجزك وقصورك، وأن تنظر دائماً في سير الصالحين . وإنك لن تفلح أبداً حتى تقتدي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتتأسى به في حياتك، وهذا يقتضي أن تقرأ سيرته وتتعلم من سنته، عند ذلك ستعرف كيف تحقق التواضع لما تجد أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان رقيق القلب رحيماً خافض الجناح للمؤمنين لين الجانب لهم، يحمل الكل ويكسب المعدوم، ويعين على نوائب الدهر، يركب الحمار ويردف عليه، ويسلم على الصبيان، ويبدأ من لقيه بالسلام، يجيب دعوة من دعاه ولو إلى ذراعٍ أو كراع، ويكون في مهنة أهله، ينطلق مع الأمة حيث شاءت فيقضي لها حاجتها، يتواضع للغريب ويحلم على الجاهل، يزور الضعفاء والأرامل ويحنو على الفقراء والمساكين، ويمسح على رأس اليتيم. يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويحتلب الشاة .

من علامات التواضع :

١- قبول الحق، والانقياد له، ظاهرًا وباطنًا، والتسليم له من غير مدافعة ولا منازعة، وإن خالف الرأي والهوى .

قال تعالى : إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴿٥١﴾ النور

٢- رحمة الخلق، والرفق بهم، والشفقة عليهم، وترك الترفع عليهم، وخفض الجناح لهم .

قال تعالى : فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴿١٥٩﴾ آل عمران

٣- خفض الجناح للوالدين وللمؤمنين .

قال تعالى : وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ الإسراء

٤- بذل السلام لكل أحد، صغيرًا كان أو كبيرًا، غنيًا أو فقيرًا، عرفه أو لم يعرفه .

فإفشاء السلام من صفات المؤمنين المتواضعين، ومن أسباب المحبة والألفة، وكان من هدي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه يبدأ من لقيه بالسلام، ويسلّم على الصبيان إذا مر بهم .

٥- التوسط في اللباس، وعدم المبالغة فيه .

عن معاذ بن أنس الجهني ﵁ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ترك اللِّباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيِّره من أيِّ حُلَل الإيمان شاء يلبسها . رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني

٦- التَّنحِّي عن صدور المجالس .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : اتَّقُوا هَذِهِ الْمَذَابِحَ . يَعْنِى الْمَحَارِيبَ . رواه البيهقي . الجامع الصغير

المذابح يعني : أن تذبح الإخلاص والتَّواضع . والمحاريب : صدور المجالس؛ لأنَّه مكان مرموق ومرغوب، وكُلُّ واحدٍ يريد أن يكون فيه، فالمتواضع يرغب عنه ويجلس في طرف المجلس، والسُّنَّة أن يجلس حيث انتهى به المجلس .

٧- إطعامُ الخدم والاهتمام بهم .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـصلى الله عليه وسلم : إِذَا صَنَعَ لأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ طَعَامَهُ ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ وَقَدْ وَلِىَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ فَلْيَأْكُلْ فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا قَلِيلاً فَلْيَضَعْ فِى يَدِهِ مِنْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ . قَالَ دَاوُدُ يَعْنِى لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ . رواه مسلم . المشفوه : القليل لأن الشفاه تكاثرت عليه

لماذا يتكبر الإنسان ؟

قال الشيخ الشنقيطى فى شرح زاد المستقنع :

إن كان المال فالله هو الذي أغناه وإن كان القوة والعافية فالله هو الذى عافاه، فمن شُكر نعمة الله تعالى أن يتواضع لعباد الله . وأن يكون تواضعه لله، لا من أجل مدح الناس، وأن يستوي عنده مدح الناس وذمهم ولا ينتظر إلا أن يرضى الله عنه وأن يرى الله منه أنه اغتنى وما تكبر في غناه، وأنه تعلم وما تكبر بعلمه . فانظر إلى الناس بدينهم، فإذا رأيت أخاك المسلم في المسجد، محافظاً على الصلوات الخمس، ثيابه مرقعة رث الهيئة فأحبه لله وفي الله، وسلمِّ عليه ولو كنت من أغنى عباد الله، فإن الله يحب أن يسمع منك هذه الكلمة، التي تشعره فيها بأخوة الإسلام، وإذا صلى بجنبك فالله الله أن تشيح بوجهك أو تصعر بخدك أو تشعره بالأنفة أو السآمة أن يجلس بجنبك، وإذا جلس بجوارك الفقير أو صلى بجوارك من هو أضعف منك حالاً فتعامل وكأنك بجوار أغنى الناس، فمن فعل ذلك أحبه الله، وأظهر من شمائله وآدابه وأخلاقه .

بعض الأمور التي تعين على التواضع :

١- التفكر فى عظمة الله وكمال أسماءه وصفاته وكمال علمه وعظمته وكبرياءه .

قال تعالى : وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ الزمر

٢- التفكر فى ضعفك وعجزك ومدى فقرك إلى الله وكمال غنى الله عنك

قَالَ تَعَالَى : وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ النساء

وقَالَ تَعَالَى : أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ القيامة

قال ابن حبَّان فى روضة العقلاء : وكيف لا يتواضع مَن خُلِق مِن نطفة مَذِرَة، وآخره يعود إلى جيفة قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة .

٣- التفكر في رحيلك من الدنيا مهما طال عمرك فلا بد من مفارقتها .

قال تعالى : كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ ﴿١٨٥﴾ آل عمران

٤- معرفة ثواب التواضع وما أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى للمتواضعين .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ . رواه مسلم

٥- تذكر عاقبة الكبر وعدم التواضع :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ . رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع

٤- الدعاء بأن يرزُقك الله التواضع في جميع أمورك .

قال تعالى : وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ البقرة

٦- الإذعان للحق وقبوله مما جاء به :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ . رواه مسلم

وسئل الفضيل عن التواضع؟ فقال: يخضع للحق وينقاد له، ويقبله ممن قاله .

وقال ابن القيم فى مدارج السالكين : لَا تَصِحُّ لَكَ دَرَجَةُ التَّوَاضُعِ حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ تُحِبُّ وَمِمَّنْ تُبْغِضُ .

٧- مجالسة الفقراء والمساكين وزيارتهم .

قال تعالى : وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴿٢٨﴾ الكهف

٨- ترك نفيس الطعام والثياب :
قال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا . رواه الترمذي، وحسنه الألباني

من أقوال السلف في التّواضع :

قالت عائشة رضي الله عنها : تغفلون أفضل العبادة : التّواضع .
وقال الحسن رحمه الله : التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً .
وقال عروة بن الورد : التّواضع أحد مصايد الشّرف، وكلّ نعمة محسود عليها صاحبها إلّا التّواضع .
وقال الشافعي : أرفعُ الناس قدرًا من لا يرى قدرَه ، وأكبر النّاس فضلاً من لا يرى فضلَه .
وقال يحيى ابن أبي كثير : رأس التَّواضُع ثلاث : أن ترضى بالدُّون مِن شرف المجلس، وأن تبدأ مَن لقيته بالسَّلام، وأن تكره مِن المدحة والسُّمعة والرِّياء بالبر .
وقال لقمان الحكيم رحمه الله لابنه : يا بني، تواضع للحق تكن أعقل الناس .
وقال الفضيل : التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه .
وقال ابن حبان فى روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة لكان الواجب عليه أن لا يتزيا بغيره .
وقال الشيخ الشنقيطى فى شرح زاد المستقنع :
اعلم أن من تواضع لله طاب معدنه، وطهر قلبه، وزكت نفسه؛ لأنه يريد الله والدار الآخرة، ولا يتواضع إلا من عرف الله وعرف مقدار نعمة الله جل جلاله عليه، ولا يكون التواضع بالتشهي ولا بالتمني ولا بالتكلف ولا بالرياء، ولا محبة للثناء ولكنه شعور صادق نابع من نفس مؤمنة صادقة ، تريد ما عند الله تعالى . وأحق من يتواضع العلماء وطلاب العلم وأهل الفضل والصالحون ، خاصة كبار السن، لقربهم من الآخرة، ودنوهم من الأجل، فهم أحق الناس بانكسار القلب لله، والعلماء يتواضعون لأن خشية الله سكنت قلوبهم ومحبة الله والذلة له سبحانه وتعالى استقرت في نفوسهم، فأصبحوا لا يريدون في الأرض علواً ولا فساداً.

الشعبة الرابعة والعشرون : العفو

العفو شعبة من شعب الإيمان وخلق من أخلاق الأنبياء الكرام، وخصلة من خير خصال الإِسلام، وصِفَةً مِنْ صِفَاتِ الأبرار، ومن محاسن هذه الشريعة، وهو طريق الجنة والمغفرة والعزة والرفعة . والجزاء من جنس العمل . فمن أراد أن يعفو الله عنه فليعف عن غيره . وقد ذكر الله تعالى صفة العفو في أوصاف المتقين الذين وعدهم بالمغفرة لذنوبهم وأعد لهم الجنة جزاء لهم على أعمالهم الصالحة . والله عز وجل هو العفوّ الغفور الذي وسع عفوه الورى فلم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، فهو الذي يعفو عن زلات العباد وذنوبهم لا سيما إذا أتوا بما يقتضى العفو عنهم من الإستغفار والتوبة والأعمال الصالحة . فهو سبحانه عفوّ كريم يحب العفو ويحب من عباده أن يسعوا في نيل عفوه ورضاه .

المقصود بالعفو :

قال ابن الأثير فى النهاية في غريب الحديث والأثر : أصل العفو هو المحو والطّمس .
وقال الكفوي فى الكليات : هو كف الضرر مع القدرة عليه .

الفرق بين العفو والصفح :

العفو والصفح متقاربان في المعنى إلّا أنّ الصّفح أبلغ من العفو فقد يعفو الإنسان ولا يصفح .
فالعفو : التجاوز وترك الإنتقام . والصفح : ترك التأنيب والعتاب .
قال الراغب فى المفردات : الصفح ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الإنسان ولا يصفح
وقال البيضاوي فى أنوار التنزيل : العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح : ترك لومه .
ويدل عليه قوله تعالى : فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا . ترقيًا في مكارم الأخلاق من الحسن إلى الأحسن .
ومكانة العفو والصفح في الإسلام عظيمة لا يصل إليها إلا من جرّد نفسه لله وجاهد نفسه وكظم غيظه .

ضابط العفو :

ضابط العفوِ هو الإصلاح فإن لم يتحقَّقِ الإصلاحُ مع تَكرارِ العفوِ يجب الأخذ بالحق، والمطالبة بعقوبة المسيء
قال الشيخُ ابن عثيمين رحمه الله في كتاب العلم :
قال شيخُ الإسلامِ : الإصلاحُ واجب والعفوُ مندوبٌ، فإذا كان في العفو فواتُ الإصلاحِ، فمعنى ذلك أننا قدَّمْنَا مندوبًا على واجبٍ ، وهذا لا تأتي به الشريعةُ .

منزلة العفو فى الشريعة :

١- أمر الله عز وجل به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
قال تعالى : خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ الأعراف
وقال تعالى : فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ آل عمران
٢- أمر الله عز وجل به المؤمنين .
قال تعالى : فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ البقرة
٣- دلت الآيات على أن كظم الغيظ والعفو عن الناس من صفات أهل الجنة، وكفى بذلك حثا على ذلك .
وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ آل عمران
٤- حث الله عز وجل عباده المؤمنين على العفو والصفح عن المسيء وأن ذلك من موجبات غفران الذنوب، والجزاء من جنس العمل .
قال تعالى : وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ النور
ولذا لما نزلت قال أبو بكر : بلى والله نحب أن يغفر لنا ربنا . ورجع للإنفاق في مسطح،
٥- مدح الله سبحانه من كظم غيظه وعفا عمن اجترم إليه .
قال تعالى : وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ آل عمران

٦- أخبر الله تبارك وتعالى أن العفو سبب من أسباب حصول التقوى ودليل عليها، وكفى بذلك حثا عليه
قال تعالى : وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ البقرة
قال الشنقيطي : فانظر ما في هذه الآية من الحض على مكارم الأخلاق من الأمر بالعفو والنهي عن نسيان الفضل .
٧- من عفا عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه، أي : أن الله سبحانه يأجره على ذلك، وأبهم الأجر تعظيما لشأنه وتنبيها على جلالته .
قال تعالى : وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ الشورى
قال السعدي رحمه الله فى تفسيره :
ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب : عدل، وفضل، وظلم .
فمرتبة العدل : جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله .
ومرتبة الفضل : العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال : فمن عفا وأصلح فأجره على الله يجزيه أجرًا عظيمًا، وثوابًا كثيرًا، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه؛ ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به .
وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم؛ فإن الجزاء من جنس العمل .
وأما مرتبة الظلم : فقد ذكرها بقوله : إنه لا يحب الظالمين الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم .
وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إلا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا . رواه مسلم
وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﷺ قال جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ ؟ فَصَمَتَ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلاَمَ فَصَمَتَ فَلَمَّا كَانَ فِى الثَّالِثَةِ قَالَ : اعْفُوا عَنْهُ فِى كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً . رواه أبو داود والترمذي . السلسلة الصحيحة

كيفية تحقيق العفو :

قال الشيخ الشنقيطي فى نصائح غالية لطلبة العلم :
العفو عن الناس من أجلّ ضروب الخير . وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث حكمة عظيمة ، فقال : ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزًا . وهذا من أبلغ ما يكون من الكلام ؛ لأنك إذا أتيت تعفو يأتيك الشيطان ويقول لك : إذا عفوت أهانتك الناس وركبت على رأسك وفعلت بك، فأصبح العفو عن الناس سلطان الشيطان على القلوب، فهو يصور أنه ذلة، فكذب النبي صلى الله عليه وسلم هذا الظن، فقال : ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا . وقد يقول البعض إن هذا لا يستحق العفو، فأنت تتعامل مع الله ولا تنسى أنك تقدم أولاً الخير لنفسك قبل أن يكون للناس، واعلم أن العفو عن الناس ليس تفضلاً منك وإنما هو تذلل وخضوع منك لله عسى بعفوك عن أخيك أن يعفو الله عنك . والعفو عمل خفي بينك وبين ربك تعمله مخلصاً لا يعرفه أحد من الناس، فقابل ربك يوم القيامة بعفو حتى يعفو ويتجاوز عنك، فرب العالمين أولى بالعفو منك ولن تكون أكثر عفوًا منه و لا أكرم .
والله ما ترى عينك إنساناً يرحم الناس إلا وجدته مرحوماً .

من هديه صلى الله عليه وسلم فى العفو :

بلغ النبي صلى الله عليه وسلم القمة والدرجة العالية ليس فى العفو فحسب بل في كلّ خلُق من أخلاقه العظيمة ، فكان عفوه يشمل الأعداء فضلاً عن الأصحاب. وسيرته صلى الله عليه وسلم حافلة بنماذج رائعة فقد ضرب صلى الله عليه وسلم النموذج الأعلى والمثل الأسمى في العفو، ويتضح ذلك جليًا في موقفه مع أهل مكة الذين آذوْه وكذبوه وحاصروه وأخرجوه من بلده مكة ولما أظهره الله عليهم وتمكن من رقابهم يوم الفتح، لم يقابِل الشدّة بمثلها بل عفا وأصفح وقال مقولته الشهيرة : من دخلَ دارَ أبي سُفيان فهو آمِن ومن أغلقَ عليه بابَه فهو آمِن ومن ألقى السلاحَ فهو آمِن . رواه مسلم
١- عفوه صلى الله عليه وسلم عن أهل ثقيف :
عن عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِك، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جبريلُ عليه السلام

فَنَادَاني، فَقَالَ : إنَّ الله تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بمَا شِئْتَ فِيهِمْ . فَنَادَاني مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِع قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأنا مَلَكُ الجِبال وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ إنْ شِئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأخْشَبَيْنِ. فقَالَ: بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً . متفق عليه

٢ـ عفوه صلى الله عليه وسلم عن الأعرابي الذى أراد قتله صلى الله عليه وسلم .

عن جابر ﷺ قال . كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بذَاتِ الرِّقَاعِ ، فَإذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكينَ وَسَيفُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم معلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطهُ فَقَالَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ : لاَ فَقَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : الله .

وفي رواية : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : اللهُ . قَالَ : فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِه ، فَأَخَذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السَّيْفَ ، فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ فَقَالَ : كُنْ خَيرَ آخِذٍ . فَقَالَ : تَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وَأنِّي رَسُول الله ؟ قَالَ : لاَ ، وَلَكنِّي أُعَاهِدُكَ أنْ لا أُقَاتِلَكَ وَلاَ أكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبيلَهُ فَأَتَى أصْحَابَهُ فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عنْدِ خَيْرِ النَّاسِ . رواه البخاري ومسلم

٣ـ موقفه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن أبي رأس المنافقين :

يقول الدكتور خالد السبت فى أخلاق الكبار وقصة صلاته صلى الله عليه وسلم على رأس المنافقين :

وموقفه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن أبي رأس المنافقين الذي قال في حقه صلى الله عليه وسلم : ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قال الأول : سمِّنْ كلبك يَأكُلك، فلما مات ذهب إلى قبره، وأعطى ابنه قميصه ليكفن به، وقام على قبره يستغفر له حتى نهاه الله عز وجل عن ذلك : إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ . فقال صلى الله عليه وسلم : لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر لهم لفعلت . هذا في رجل لطالما آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآذى المؤمنين ، فهو الذي أفَك الإفك وسعى به، وتولى كبره، واتهم عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبشع تهمة وقال أقبح القول، ومع ذلك يعفو عنه صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه، ويدفع قميصه لابنه ليكفن به، ثم يقوم على قبره يستغفر له، والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم حاله، وهذا لا يفعله إلا أصحاب القلوب الرحيمة الكبيرة .

٤ـ عفوه صلى الله عليه وسلم عن المرأة اليهودية :

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ : أَلاَ نَقْتُلُهَا ؟ قَالَ : لاَ، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ . رواه البخاري

صور من عفو الصحابة :

١ـ عفو أبي بكر رضي الله عنه :

كان مسطح بن أثاثة ﷺ ممن تكلم في الإفك، فلما أنزل الله براءة عائشة، قال أبو بكر الصديق ﷺ : وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله : وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدًا .

٢ـ عفو عمر رضي الله عنه :

عن ابن عباس ﷺ قال : قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا، أو شبانًا، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه . قال : سأستأذن لك عليه. فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر، حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحرُّ : يا أمير المؤمنين، إنَّ الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ الأعراف . وإنَّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله .

٣ـ عفو معاوية بن أبي سفيان :

ذكر الأبشيهي فى المستطرف في كل فن مستظرف :

كان لعبد الله بن الزبير ﷺ أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها ، وإلى جانبها أرض لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ وفيها أيضًا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير ، فكتب عبد الله كتابًا إلى معاوية يقول له فيه : أما بعد يا

معاوية، إن عبيدك قد دخلوا في أرضي فانههم عن ذلك وإلا كان لي ولك شأن والسلام . فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه ، دفعه إلى وَلَدِه يزيد ، فلما قرأه قال له معاوية : يا بني ما ترى ؟ قال : أرى أن تبعث إليه جيشًا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه، فقال : بل غير ذلك خير منه يا بي، ثم أخذ ورقة وكتب فيها : أما بعد ، فقد وقفت على كتاب وَلَدِ حَوَاري رسول الله وساءني ما ساءه والدنيا بأسرها هَيِّنةَ عندي في جنب رضاه ، نزلت عن أرضي لك ، فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال ، والسلام . فلما وقف عبد الله بن الزبير ﷺ على كتاب معاوية ﷺ كتب إليه : قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ولا أعدمه الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام . فلما وقف معاوية على كتاب ابن الزبير، وقرأه رمى به إلى ابنه يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه ، فقال معاوية عندئذ : يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال إليه القلوب، فإذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء، فداوه بمثل هذا الدواء .

نماذج من عفو الملوك

١ـ عفو الخليفة سليمان بن عبد الملك:

غضب سليمان بن عبد الملك على خالد القسري، فلما أدخل عليه قال : يا أمير المؤمنين، إنَّ القدرة تذهب الحفيظة ، وإنك تجلُّ عن العقوبة، فإن تعفُ فأهلٌ لذلك أنت، وإن تعاقب فأهل لذلك أنا، فعفا عنه .

واحتال يزيد بن راشد في الدخول على سليمان متنكرًا بعد أن ولي الخلافة، فقعد في السماط وكان سليمان قد نذر أنه إن أفضت إليه الخلافة قطع لسانه؛ لأنَّه كان ممن دعا إلى خلع سليمان، والبيعة لعبد العزيز، فقال : يا أمير المؤمنين، كن كنبي الله أيوب عليه السلام، ابتُلي فصبر، وأُعطي فشكر، وقدر فغفر. قال : ومن أنت ؟ قال : يزيد بن راشد، فعفا عنه .

٢ـ عفو الخليفة أبي جعفر المنصور:

عن مبارك بن فضالة قال: كنا عند المنصور فدعا برجل ودعا بالسيف، فقال المبارك : يا أمير المؤمنين، سمعت الحسين يقول : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا كان يوم القيامة، قام مناد من عند الله ينادي : ليقم الذين أجرهم على الله، فلا يقوم إلا من عفا . فقال المنصور : خلوا سبيله.

وعن الأصمعي قال : أُتي المنصور برجل يعاقبه فقال: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين. فعفا عنه .

٣ـ عفو الخليفة المأمون :

أُتي المأمون برجل يريد أن يقتله، وعلي بن موسى الرضا جالس فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال : أقول: إنَّ الله تعالى لا يزيدك بحسن العفو إلا عزًّا فعفا عنه . وكان المأمون مؤثرًا للعفو كأنه غريزة له؛ وهو الذي يقول : لقد حُبِّب إليَّ العفو حتى إني أظنُّ أني لا أثاب عليه .

٤ـ عفو الخليفة عبد الملك بن مروان :

طلب الخليفة عبد الملك بن مروان رجلاً أمر بالقبض عليه، فأعجزه، ثم ظفر به، فقال رجاء بن حَيْوَة : يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببتَ من ظفرك به، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه ، فعفا عنه .

بعض أقوال السلف في العفو :

سُئل أبو الدرداء ﷺ عن أعز الناس ؟ قال : الذي يعفو إذا قدر ، فاعفوا يعزكم الله .

وقال الحسن البصرى : أفضلُ أخلاق المؤمن العفو .

وقال الحسن بن علي : لو أنَّ رجلًا شتَمني في أذني هذه ، واعتذر في أذني الأخرَى ، لقبِلتُ عذرَه .

وقال معاوية ﷺ : من عفا ساد ، ومن حلم عظم ، ومن تجاوز استمال قلوب العباد .

وقال ابن القيم : يا ابن آدم . إن بينك وبين الله خطايا وذنوب لا يعلمها إلا هو ، وإنك تحب أن يغفرها الله لك , فإذا أحببت أن يغفرها الله لك فاغفر أنت لعباده ، وأن أحببت أن يعفو الله عنك فاعف أنت عن عباده ، فإنما الجزاء من جنس العمل . تعفو هنا يعفو هناك ، تنتقم هنا ينتقم هناك ، تطالب بالحق هنا يطالب بالحق هناك .

وأُتي عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث، فقال لرجاء بن حيوة: ماذا ترى ؟ قال : إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو، فعفا عنهم .

وقال عمر بن عبد العزيز: أحبُّ الأمور إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة .

من ثمرات العفو :

١ـ تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى : ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣ ﴾ المائدة .

٢- سبب من أسباب محبة الله عز وجل للعبد، ومن أحبه الله أحبته الملائكة وأحبه الناس .

قال تعالى : ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣ ﴾ المائدة .

٣- سبب من أسباب مغفرة الله عز وجل للعبد .

قال تعالى : ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٢٢ ﴾ النور

٤- العفو طريق الجنة :

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾ آل عمران

٤- سبب من أسباب الرفعة والعزة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَلاَ عَفَا رَجُلٌ عَنْ مُظْلَمَةٍ إِلاَّ زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا ، وَلاَ تَوَاضَعَ عَبْدَ اللهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ . رواه مسلم

٥- سبب من أسباب الألفة والمودة والتّآخي بين أفراد المجتمع وجعلهم متحابّين .

قال تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ ﴾ فصلت

قال ابن كثير : أي إذا أحسنتَ إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك ومحبتك حتى يصير كأنه وليّ لك .

٦- حصول العفوُ من الله سبحانه .

قال تعالى : ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ۝١٤٩ ﴾ النساء

وقال تعالى : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠ ﴾ الرحمن

٧- سبب من أسباب تحصيل التقوى .

قال تعالى : ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ ۝٢٣٧ ﴾ البقرة

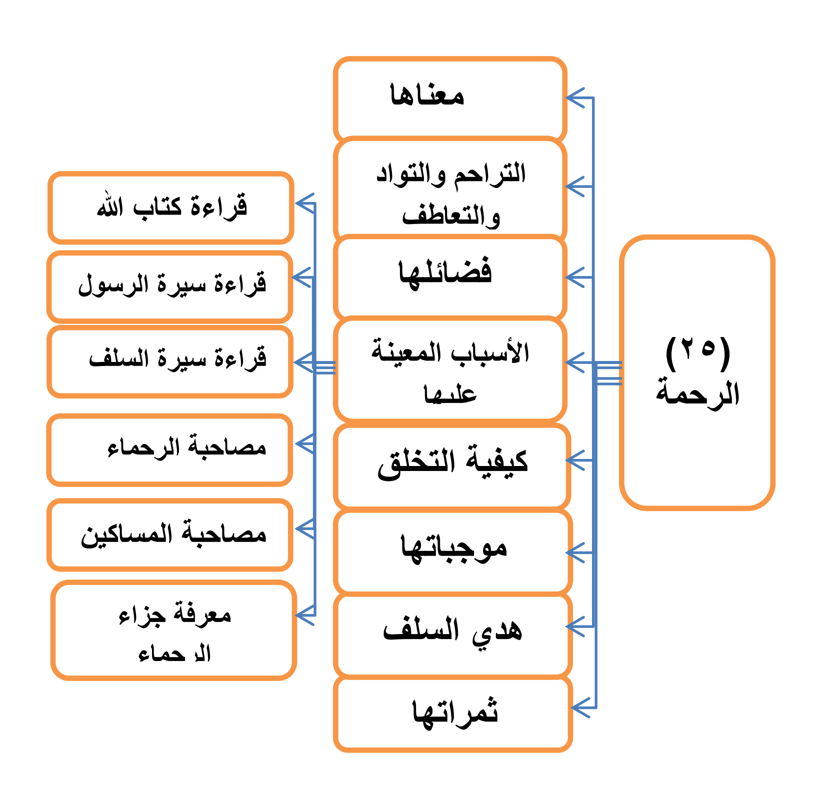
٨- الإتصاف بصفة من صفات الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ۝١٤٩ ﴾ النساء

٩- التأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم .

عن أنس ﷺ قَالَ : كنت أَمْشِي مَعَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم وَعَلِيهِ رِدَاء نجراني غليظ الْحَاشِيَة فأدركه أَعْرَابِي فجبذه بردائه جبذة شَدِيدَة فنظرت إِلَى صفحة عنق رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم وَقد أثرت بِهِ حَاشِيَة الرِّدَاء من شدَّة جبذته ثمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّد ، مُرْ لي من مَال الله الَّذِي عنْدك . فَالْتَفت إِلَيْهِ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم فَضَحِك ثمَّ أمر لَهُ بعطاء . رواه مسلم

١٠- سبب من أسباب ترغيب غير المسلمين فى الإسلام كما فى قصة إسلام ثمامة بن أثال .


(٢٥)
الرحمة
معناها
التراحم والتواد والتعاطف
فضائلها
الأسباب المعينة عليها
كيفية التخلق
موجباتها
هدي السلف
ثمراتها
قراءة كتاب الله
قراءة سيرة الرسول
قراءة سيرة السلف
مصاحبة الرحماء
مصاحبة المساكين
معرفة جزاء الرحماء

الشعبة الخامسة والعشرون : الرحمة

الرحمة والتراحم شعبة من شعب الإيمان وقربة من أجلِّ القُربات التي يتقرّب بها العبدُ إلى رب الأرض والسماوات، وخلق كريم من أفضل الأخلاق وأجلّها قدرًا وأعظمها أجرًا وأكثرها نفعًا فشأنُه عظيمٌ وثوابُه جزيلٌ، وقد حض الإسلام على التراحم لما فيه من فوائد كثيرة ونعم عظيمة من الخالق عز وجل على عباده، فلو لم يكن في الدنيا تراحم وتواد لأكلِ القوي الضعيف، ولنهب الغني الفقير، ولقتل الناس بعضهم بعضًا، ولكن الله تعالى مَنّ على عباده بهذا الخُلُق الذي جعله رابطًا يربط به الأرحام والأنساب ويربط الناس بعضهم ببعض . ومن عجائب الرحمة أن المؤمن لا يدخل الجنة بعمله ولو كان نبيًا مرسلًا إلا أن يتغمده الله برحمته تفضلًا كما جاء فى الصحيحين من حديث عَائِشَةَ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَيسِّرُوا . فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أحَدًا عَمَلُهُ . قَالُوا : وَلا أنْتَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلا أنَا . إلاَّ أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ .

معنى الرحمة :

قال ابن فارس : الرّاء والحاء والميم أصل واحد يدلّ على الرّقّة والعطف والرّأفة . يقال من ذلك رحمه يرحمه إذا رقّ له وتعطّف عليه .

وقال الجرجانيّ : هي إرادة إيصال الخير . والرّحمة لا تخلو عن رقة مؤلمة تعتري الرّحيم، فتحرّكه إلى قضاء حاجة المرحوم ومقتضى الرحمة هو إيصال الخير إلى الغير حتى وإن كان هذا الخير مكروهًا إليه مبغضًا من قبله، كرحمة الوالد بولده حين يحمله على التأدب بالعلم والعمل ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ويمنعه شهواته التي تعود عليه بالضرر، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه فهذه رحمة مقرونة بجهل .

والتراحم بين الخلق يعني نشر الرحمة بينهم، يعني التآزر والتعاطف والتعاون، يعني بذل الخير والمعروف والإحسان لمن هو في حاجة إليه.

مسألة : هل التراحم والتواد والتعاطف بمعنى واحد ؟

قال ابن حجر فى فتح الباري شرح صحيح البخاري :

قال ابن أبي جمرة : الذي يظهر أن التراحم والتواد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف .

فأما التراحم : فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان لا بسبب شي ء آخر .

وأما التواد : فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي .

وأما التعاطف : فالمراد به إعانة بعضهم بعضًا ، كما يعطف الثوب عليه ليقويه .

فضائل الرحمة من الكتاب والسنة :

قال تعالى : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾ آل عمران

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ : ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّماءِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُد . صحيح الجامع

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ . رواه البخاري ومسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا فَقَالَ الأَقْرَعُ : إنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ . رواه البخاري و مسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلاَّ مِنْ شَقِيٍّ . رواه أحمد . صحيح الجامع

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . البخاري في الأدب . صحيح الجامع

من مظاهر رحمة الله تبارك وتعالى :

١- إرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم ليتبين لهم طريق الرشد من الغي، والهدى من الضلالة وليسعدوا ويفلحوا في دنياهم وفي أخراهم .

قال تعالى :وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ الأعراف

وقال تعالى: وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾ الإسراء

وقال تعالى: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ العنكبوت

٢- أَنَّ رحمته سبحانه سبقت غضبه وأنها وسعت كل شئ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي . رواه البخاري

قال تعالى : وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الأعراف

٣- أن أخر لهم تسعًا وتسعين رحمة يرحمهم بها يوم القيامة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ للهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه مسلم

٤- أن شرع لهم من الأحكام والأخلاق ما ينفعهم في دنياهم وفي أخراهم .

قال تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴿١٧٨﴾ البقرة

قال تعالى : وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ النور

٥- أنه يثيب المؤمنين، ويجزي الصابرين .

قال تعالى: وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ البقرة

٦- مضاعفة الحسنات أضعافا كثيرة، وتقليل السيئات .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً . متفق عليه

٧- غفران الذنوب جميعًا باستثناء الكفر والشرك وقبول توبتهم وعدم تعجيل العذاب وهذا من أعظم النعم على الخلق

قال تعالى : قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ الزمر

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ . صحيح الترمذي

وقال تعالى : وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴿٥٨﴾ الكهف

٨- فْرحه سبحانه بتوبة عبده أكثر من فْرح مَنْ فقد راحلته في الصحراء وعليها متاعه، فأيس من الحياة ثم وجدها .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ : للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ : أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ . رواه مسلم

٩- عدم فضح عباده يوم القيامة أمام الخلق، بل يسترهم كما سترهم فى الدنيا، ويبدل سيئاتهم حسنات إذا تابوا

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ : نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ

كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا . فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ . رواه مسلم

وقال تعالى : إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴿٧٠﴾ الفرقان

١٠- قبض النبي صلى الله عليه وسلم قبل أمته :

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا . رواه مسلم

١١- التجاوز عما حدثت به الأمة نفسها، وعن الخطأ والنِسيان وما استكرهت عليه، ورفع القلم عن النائم والصبي والمجنون .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ . رواه البخاري

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ . رواه ابن ماجه

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ . رواه الترمذي

١٢- التيسير ورفع الحرج، وعدم تكليفها بما لا تطيق .

قال تعالى : وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾ الحج

قال تعالى : لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ البقرة

من مظاهر رحمة النبى صلى الله عليه وسلم :

١- رحمته صلى الله عليه وسلم بالأطفال :

عن أبي قَتَادَةَ ﷺ قال : خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم وَأُمَامَةُ بِنْتُ أبي الْعَاصِ على عَاتِقِهِ فَصَلَّى، فإذا رَكَعَ وَضَعَهَا، وإذا رَفَعَ رَفَعَهَا . رواه البخاري ومسلم

٢- رحمته صلى الله عليه وسلم بالنساء :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وهو فِي خطبَته بعرفات : أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ . رواه ابن ماجه والترمذي . صحيح الترغيب والترهيب

٣- رحمته صلى الله عليه وسلم بزوجاته :

مساعدتهن فيما لا يقدرن عليه، وإكرامهن بالمركب اللين :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُحَوِّي لَهَا - صفية - وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ . رواه البخارى

وصيته الحادي أن يخفف السير رفقًا بهن في السفر :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ غُلَامٌ يَحْدُو بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم : رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ، سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ . رواه البخارى

إعانة أهله مساعدتهن في أمورهن :

عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ . رواه البخارى

٤- رحمته صلى الله عليه وسلم بالأم في الصلاة :

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنِّي لأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ . رواه البخاري

٥- رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان :

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيّ إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : تقبّلون الصّبيان فما نقبّلهم، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرّحمة . رواه البخاري ومسلم

٦- رحمته صلى الله عليه وسلم بضعفاء المسلمين :
وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ . رواه البخاري
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ ، فَمَاتَتْ ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا مَاتَتْ قَالَ : فَهَلاَّ آذَنْتُمُونِي ، فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا . رواه البخاري ومسلم
٧- رحمته صلى الله عليه وسلم بمن أخطأ :
عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لاَ تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ. فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ . رواه مسلم
٨- رحمته صلى الله عليه وسلم بالخدم :
عَنِ الْمَعْرُورِ قَالَ لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَقَالَ : لِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ . رواه البخاري
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ . رواه الترمذي، والحديث في الصحيحين بلفظ قريب من هذا.
٩- رحمته صلى الله عليه وسلم بالكافرين :
وعن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ . ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . رواه البخاري ومسلم
١٠- رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان :
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ : أَرْدَفَنِى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لاَ أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ. قَالَ : فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ : مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ. فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : لِى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ : أَفَلاَ تَتَّقِى اللَّهَ فِى هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِى مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ . صحيح أبوداود
١١- رحمته صلى الله عليه وسلم بالجمادات
عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا قَالَ إِنْ شِئْتِ قَالَ فَعَمِلَتْ لَهُ الْمِنْبَرَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ قَالَ بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ . رواه البخاري
١٢- رحمته صلى الله عليه وسلم بعموم أمته :
ادِّخار دعوته المستجابة شفاعةً لها يوم القيامة :
عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : لِكُلِّ نَبِىٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِىٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِىَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِى لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا . رواه البخاري
قيامه بالليل يبكي ويدعو لأمته :
عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَلاَ قَوْلَ اللَّهِ تعالى في إبراهيم عليه السلام :رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (إبراهيم) وقال عِيسَى عليه السلام : إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (المائدة) فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وقال : اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى، فقال اللهُ عز وجل: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا قال وهو أَعْلَمُ، فقال اللَّهُ : يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلاَ نَسُوءُكَ . رواه مسلم

عدم مشقَّته على أمته :
عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ رواه البخاري
وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : إذا صَلَّى أحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فإنَّ منهم الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ، وَالْكَبِيرَ، وإذا صَلَّى أحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ ما شَاءَ . رواه البخاري ومسلم
وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلَانٌ فِيهَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ . رواه البخاري
وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ : مَا هَذَا الحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ . رواه البخاري ومسلم
وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي المَسْجِدِ، فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ القَابِلَةِ، فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ. وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ . رواه البخاري ومسلم
لقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم كلها رحمة، فهو رحمة، وشريعته رحمة، وسيرته رحمة، وسنته رحمة، وصدق الله إذ يقول : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . الأنبياء

كيفية التخلق بخلق الرَّحْمَة :
إنَّ من أجلِّ نعم الله عليك أن يجعلك من المرحومين الذين امتلأت قلوبهم بالرحمة لعباده فأهل الرحمة مخصوصون برحمة الله تبارك وتعالى دون سواهم معنيون بها دون غيرهم فقد قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ .
ومن أكبر الأسباب التي تنال بها رحمة الله تعالى أن ترحم الخلق، وأولى الناس أن ترحمهم هم الوالدين . قال تعالى : وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ الإسراء . ثم أهل بيتك : خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي صحيح ابن ماجة . ثم الأولاد والأطفال، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا . الأدب المفرد . ثم الفقراء والمساكين والمنكسرة قلوبهم، ثم الجاهل والكافر، حتى البهائم إن رحمتها رحمك الله : وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ . وهذه البغي من بغايا بني إسرائيل حينما رأت كلبًا يأكل الثرى من العطش فسقته غفر الله لها بسبب تلك الرحمة . ثم رحمتك بكافة الخلق : لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ . رواه أحمد . صحيح الجامع ، وكلّما كان نصيب العبد من الهدى أتمّ كان حظّه من الرّحمة أوفر ، لذلك كان الصّحابة أرحم الأمّة كما وصفهم الحق جل وعلا فقال : مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ الفتح

قال الشيخ الشنقيطى فى آثار الرحمة :
إن الله عز وجل كتب على نفسه الرحمة لعلمه سبحانه أن عباده أفقر ما يكونون إلى رحمته ، فإذا أراد الله أن يسعد عبدًا ملأ قلبه بالرحمة، حتى يعظم خيره ويضاعف أجره وتكفر خطيئته وترفع درجته . فمن سكنت في قلبه الرحمة رحمه الله في الدنيا والآخرة . رحمه في الدنيا فلطف به في النكبات وأحاطه بلطفه ورحمته، ورحمه عند موته فلطف به في السكرات وأحسن له الخاتمة . فَهَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ . قال بعض أهل العلم : أشهد أني ما علمت إنسانًا رحيمًا فساءت خاتمته . فكم من رحماء توطنوا القبور وهم بشرى ما قدموه من القول والعمل، ماتوا وما ماتت مكارمهم، ماتوا وقد أتبعهم الله بصالح الدعوات، فكم من أرملة ترفع كفها إلى الله داعيةً بالخير له، وكم من يتيمٍ ومحروم يسأل الله أن يجعل مضاجعهم مضاجع الرَوح والريحان والنعيم والجنان . إنها الرحمة التي ينبغي للمسلم أن يتخلق بها ، وأن يكون من أهلها .

الأسباب المعينة على التخلق بخلق الرَّحْمَة :
قال الشيخ الشنقيطى فى بيان نصائح لطلبة العلم :
١ـ قراءة كتاب الله عز وجل فإن القلوب لا تلين إلا بكلام الله ولا تنكسر إلا بوعد الله ووعيده وتخويفه وتهديده فمن أكثر تلاوة القرآن، وأكثر من تدبر القرآن كسر الله قلبه ودخلت فيه الرحمة .
٢ـ قراءة سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتدبر في معالمها والتأسِّي به في مواقف رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
٣ـ قراءة سير السلف من الصحابة والتابعين والوقوف على ما كانوا عليه فسير الصالحين والأخيار تحرك القلوب إلى الخير .

٤ـ مصاحبة الرحماء، فمن وجدت فيه الرحمة ورقة القلب وسرعة الإستجابة لله ، فاجعله أقرب الناس منك ، فإن الأخلاق تعدي فإذا عاشرت الصالحين أحسست أنك في شوق للرحمة والإحسان إلى الناس .
٥ـ معرفة جزاء الرحماء وثوابهم، وأنهم هم الجديرون برحمة الله دون غيرهم ، ومعرفة عقوبة الله لأصحاب القلوب القاسية
٦ـ الإختلاط بالضعفاء والمساكين وذوي الحاجة فإنَّه ممَّا يرقِّق القلب ويدعو إلى الرَّحْمَة والشفقة بهؤلاء وغيرهم .

بعض أسباب نيل رحمة الله تعالى :

١ـ طاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال تعالى : وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ آل عمران

٢ـ إتباع الكتاب والسنة :

قال تعالى : وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ الأنعام

٣ـ التقوى :

قال تعالى : إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ الحجرات

٤ـ الإستماع إلى القرآن الكريم والإنصات له :

قال تعالى : وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ الأعراف

٥ـ ذكر الله وتلاوة كتابه تبارك وتعالى :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ . رواه مسلم

٦ـ الإستغفار والتوبة :

قال تعالى : لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ النمل

٧ـ الصبر على الإبتلاءات والمصائب :

قال تعالى : وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٍ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ البقرة

٨ـ الهجرة والجهاد فى سبيل الله عز وجل :

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ البقرة

٩ـ الإحسان :

قال تعالى : وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾
الأعراف

١٠ـ مخافة الله تعالى وخشيته :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللهُ الْأَرْضَ فَقَالَ اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ رواه البخاري

١١ـ اللجوء إلى الله تعالى والتضرع إليه :

قال تعالى : وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ الأنبياء

١٢ـ موالاة أولياء الله والبراءة من أعداء الله عز وجل :

قال تعالى : وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقًا ﴿١٦﴾
الكهف

١٣ـ إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال تعالى : وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴿٧١﴾ التوبة

١٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال تعالى : يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴿٧١﴾ التوبة

١٥- رحمة الناس خاصة الضعفاء من ذوي الحاجة كالأرامل والمساكين :

قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّماءِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُد . صحيح الجامع

١٦- تعليم الناس الخير :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِى جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ . رواه الترمذي - صحيح الجامع

١٧- حفظ السنة وتبليغها :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ سَمِعَ مِنِّي حَدِيثًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى لَهُ مِنْ سَامِعٍ . رواه ابن حبان . صححه الألباني

١٨- أكلة السحر :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ . رواه الطبراني . صحيح الجامع

١٩- الصلاة في الصف المقدم :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن الله وَمَلَائِكَته يصلونَ عَلَى الصَّفّ الْمُقدم . رواه أحمد . صحيح الجامع

٢٠- عيادة المرضى :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ . رواه الترمذي - صحيح الجامع

٢١- رحمة البهائم والإحسان إليها :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ . رواه أحمد. صحيح الجامع

٢٢- تربية البنات والإحسان إليهن :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَنَا وَهُوَ. وَضَمَّ أَصَابِعَهُ . رواه مُسْلِمٌ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلاَثُ أَخَوَاتٍ أَوِ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى الله فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ . رواه أحمد وأبو داود . صححه الأباني

٢٣- رحمة الأولاد :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنْ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ . فَقَالُوا: لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ ؟ رواه البخاري ومسلم

٢٤- العطف على الأيتام :

أتى النبيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلٌ يشكو قسوة قلبه ، فقال : أتُحِبُّ أنْ يَلِينَ قَلْبُكَ وتُدرِكَ حاجَتَكَ ارْحَمِ اليَتِيمَ وامْسَحْ رَأْسَهُ وأطْعِمْهُ مِنْ طَعامِكَ يَلِنْ قَلْبُكَ وتُدْرِكْ حاجَتَكَ . رواه الطبراني . صحيح الجامع

٢٥- قيام الليل :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ،وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ،وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ . رواه أبو داود . صحيح الجامع

٢٦- صلاة أربع ركعات قبل العصر :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رحم الله امْرَءًا صَلَّى قبل الْعَصْر أَربعًا . صحيح أبو داود

٢٧- الحلق من التحلل فى الحج أو العمرة :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَحِمَ اللَّهُ المحلقين قَالُوا يارسول اللَّهِ وَالْمُقَصِّرِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْمُقَصِّرِينَ رواه مسلم

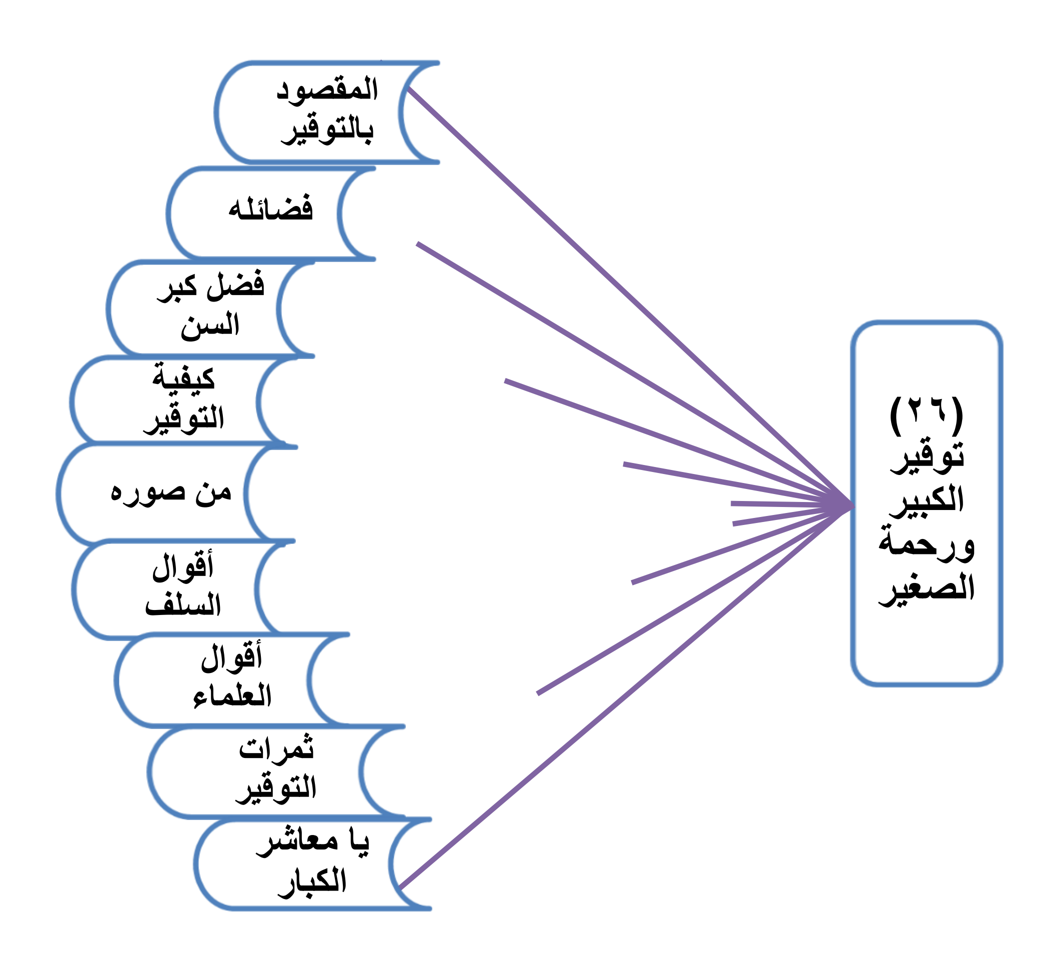
٢٨- الجلوس فى مصلاه الذى صلى فيه :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، أَوْ يَقُم : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ . رواه البخاري

٢٩- حسن معاملة الناس والتجاوز عنهم :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى . رواه البخاري
٣٠- الرباط فى أرض خوف :
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ لَعَلَّهُ لاَ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ . رواه النسائي . صحيح الترغيب والترهيب
وهناك أعمال كثيرة أخبر الشرع أنها من أسباب نيل رحمة الله عز وجل كبر الوالدَين والجهاد في سبيل الله عز وجل، وصِلَةُ الرحِم، والصدقة، والإحسان للمكرُوبين وغير ذلك .

بعض ثمرات الرحمة :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
عن أبي موسى ﷺ أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول: لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرَاحَمُوا، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّنَا رَحِيمٌ! قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبَهُ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ . رَحْمَةُ الْعَامَّةِ . رواه الطبراني . صحيح الترغيب والترهيب
٢- سبب من أسباب دخول الجنة .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ . رواه البخاري و مسلم
٣- سبب من أسباب رحمة الله تعالى للعبد فالجزاء من جنس العمل .
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ . رواه أبو داود . صحيح الجامع
٤- سبب من أسباب محبّة الله تعالى ومحبّة النّاس للعبد .
قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ . رواه البخاري
٥- سبب من أسباب رقّة القلب وسموّ النّفس .
أتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلٌ يشكو قسوة قلبه ، فقال : أتُحِبُّ أنْ يَلِينَ قَلْبُكَ وتُدْرِكَ حاجَتَكَ ارْحَمِ اليَتِيمَ وامْسَحْ رَأْسَهُ وأَطْعِمْهُ مِنْ طَعامِكَ يَلِنْ قَلْبُكَ وتُدْرِكْ حاجَتَكَ . رواه الطبراني . صحيح الجامع
٦- سبب من أسباب إشاعة التواد والتعاطف والألفة والمودة فى المجتمع .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى . رواه مسلم
والله أسأل أن يرحمني وإياكم برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يجعل في قلوبنا رحمة نحنوا بها على جميع الخلق، وأن يجعلها موصلة لنا إلى رحمته وكرامته، إنه جواد كريم .


(٢٦)
توقير
الكبير
ورحمة
الصغير
المقصود
بالتوقير
فضائله
فضل كبر
السن
كيفية
التوقير
من صوره
أقوال
السلف
أقوال
العلماء
ثمرات
التوقير
يا معاشر
الكبار

الشعبة السادسة والعشرون : توقير الكبير ورحمة الصغير

توقير الكبير ورحمة الصغير شعبة من شعب الإيمان، وقربة من القربات وخلق من أخلاق الإسلام وأجلّها قدرًا وأعظمها وأكثرها نفعًا، وهو من محاسن هذه الشريعةُ التى جاءت بكلِّ خير وهدًى للبشرية جمعاء . وربط من الرَّوابطَ التى تربط بين أفراد المجتمَع صغيرِه وكبيره، غنيِّه وفقيره، عالِمِه وجاهِله حتَّى يكون المجتمع المسلِم مثاليًّا في فضائلِه وقِيَمه لذا جاءت شريعةُ الإسلام تدعو الصّغار إلى إجلالِ الكِبارِ وتوقيرهم، والرِّفقِ بهم وعَدمِ التّطاوُل عليهم، وتدعو الكِبارِ إلى رحمة الصّغار والعطف عليهم . فجاءت لتدعو المسلمَ أن يوقر أخاه المسلمَ الذي تقدَّمَه سِنًّا، وسبقه في هذه الحياةِ، وأن يحترمَه ويكرِمَه . وتوقير الكبير ورحمة الصغير خصال راقية وأخلاق عالية يؤديها المسلم عن طيب خاطر، ورضا نفس، والتماس أجر، وابتغاء ثواب . فحق الكبير التقدير والإحترام وتقديمه في الطعام والشراب والسلام والكلام وفي المجالس والإنصراف وسائر المواطن . وحق الصغير الرحمة والعطف والحنان .

المقصود بالتوقير :

التوقير في اللغة : وقر (و ق ر) أصل يدل على ثقل في الشيء . ومنه الوقار : الحلم والرزانة .
قال صاحب معجم مقاييس اللغة : وقر الواو . والقاف . والراء : أصل يدل على ثقل في الشيء .
ومنه الوقار : الحلم والرزانه .
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : التوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار .

مكانة كبار السن في الإسلام :

١ـ تضافرت الأحاديثُ الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الخير مع الأكابر والبركة مع كبار السن .
عن ابن عباس ﷺ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: البركةُ مع أكَابِركُم . رواه ابن حبان . صحيح الجامع
٢ـ أخبر الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم أن المؤمن لا يزاد في عمره إلا كان خيرًا له لأن مَن طال عمره ازداد عمله وإنابته إلى الله عز وجل .
عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : وَإنَّهُ لاَ يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إلاَّ خَيْرًا . رواه مسلم
٣ـ أخبر الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم أن إكرام المسنين وتوقيرهم من إجلال الله عز وجل .
عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيَّ ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ، إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ . صحيح الأدب المفرد
٤ـ حذر الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم من عدم توقير الكبير وأن من فعل فقد خالف سنته وهديه وطريقته :
عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا. رواه التِّرْمِذِي – السلسة الصحيحة
٥ـ بشر النبى صلى الله عليه وسلم من طال عمره وحسن عمله بأنه خير الناس .
عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ قَالَ : فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ قَالَ : مَنْ طَالَ عُمُرُهُ ، وَسَاءَ عَمَلُهُ . رواه الترمذي ـ صحيح الترغيب والترهيب
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ، قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا . رواه أحمد ـ صحيح الجامع
لأنه كلما طَال عمره وَحسن عمله يغتنم من الطَّاعَة الْمُوجبَة للسعادة الأبدية.
٦ـ أخبر صلى الله عليه وسلم أن الشيبة فى الإسلام من أسباب رفع الدرجات وحط الخطيئات .
عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمِ إِلاَّ كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةٌ أَوْ حُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ . رواه أحمد . صحيح الجامع

من صور إجلال كبار السن في الإسلام :

١ـ بَدْؤه بالسلام عند ملاقاته احترامًا وتقديرًا له، ولا ننتظر منه المبادرة .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ . رواه البخاري
٢ـ حسن خطابه بالرفق واللين والتودد إليه بطيب الكلام .
عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ . رواه أبو داود وحسنه الألباني

٣- تقديم المسن في وجوه التشريف والإكرام وهذه قاعدة عامة دلت عليها نصوص كثيرة منها .
عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْتَنُّ وَعِنْدَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ فَأُوحِىَ إِلَيْهِ فِى فَضْلِ السِّوَاكِ أَنْ كَبِّرْ . أَعْطِ السِّوَاكَ أَكْبَرَهُمَا . صحيح أبي داود
و كان صلى الله عليه وسلم: إِذَا اسْتَنَّ أَعْطَى السِّوَاكَ الأَكْبَرَ وَإِذَا شَرِبَ أَعْطَى الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ . صحيح الجامع
قال ابن بطال : فيه تقديم ذي السن في السواك ويلتحق به الطعام والشراب والمشي والكلام وكل وجوه الإكرام ٤- أمره صلى الله عليه وسلم بتقديم الأكبر في الإمامة :
عَنْ مالك بْنِ الْحُوَيْرِثِﷺ أن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال : فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ . رواه البخارى . وهو لا يتعارض مع تصريح النبي صلى الله عليه وسلم بتقديم الأحفظ لكتاب الله .
٥- تقديم الأكبر في الكلام والمجالس .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تحدث عنده اثنان بأمرٍ ما بدأ بأكبرهما سنّا، وقال كبر كبر .
فالواجب على المسلم إكرام من تقدَّمه سِنًّا وسبقه في هذه الحياةِ فيكرِمه ويرحَم كِبَره ويخاطبه بلين ، ويقضي له حاجتَه، ويعينه على نوائبِ الدهر، ويقدر له كِبَره وضعفَ قوّته وعجزه عن التصرُّف، فإذا تخلَّق بهذا الخُلُق ، قادَه لكلِّ فضيلة، ونأى به عن كلِّ رذيلة . وقيَّض الله له عند كِبَر سنِّه ورقَّةِ عَظمه في حياته من يجازيه بمثلِ ما عمِل، فيكرمه ويحسِن إليه. وكذلك على الدولة إكرام كبار السن وتقديم كافة أنواع الرعاية لهم كالرعاية الصحية، والرعاية النفسية، والرعاية الإجتماعية والرعاية الإقتصادية ونحوها .
يقول الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر :
توقير الكبير يعظم ويكبر من جهة ما احتف به ؛ فإذا كان قريبًا فله حق القرابة مع حق كبر السن وإذا كان جارًا فإضافة إلى حقه في كبر سنه فله حق الجوار، وإذا كان مسلمًا فله مع حق كبر السن حق الإسلام، وإذا كان الكبير أبًا أو جدًّا فالحق أعظم ، بل إذا كان المسن غير مسلم فله حق كبر السن إذ إن الشريعة جاءت بحفظ حق الكبير حتى مع غير المسلمين فلربما تكون رعايتك له سببًا لدخوله في هذا الدِّين في حياته الأخيرة .
قال الشيخ الشنقيطي فى شرح زاد المستقنع :
لما أتى أبو قحافة ﷺ والد أبي بكر يوم الفتح وقد أصبح أبيض شعر الرأس نظر إليه النبى عليه الصلاة والسلام وقال : أثقلتم على الشيخ هلا تركتموه حتى نأتيه في منزله صلوات ربي وسلامه عليه وكأنه يشعر الأمة ويشعر الناس أنه إن جاءني أبو قحافة أمام الناس فله حق لكبره وله حق لسنه . فالكبير يُكرم ولا يُهان ويُعز ولا يُذل ويُرفع ولا يوضع، إذا جاء في المجالس فليكن له أطيب المجالس وأكرمها وأرفعها لأن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة الكبير، وإذا تكلم ننصت إليه، وإذا أشار برأي أخذنا برأيه فهم أهل التجربة والمعرفة، فكبار السن أعقل الناس لأنهم مرت عليهم التجارب، فإذا اصطدمت مع الوالد أو العم أو كبير السن في قضية فوجدته يتشدد أو يضيق فيها فاعلم أن ذلك ليس من فراغ وإنما من طول تجربة . ومن أعظم أسباب التيسير والبركة ، وانصراف الفتن والمحن والبلايا والرزايا عن العبد ، وسبب للخيرات والبركات المتتاليات عليه في دنياه وعقباه الإحسان إلى الضعفاء ورعاية حقوقهم والقيام بواجباتهم والسعي في إزالة همومهم وأحزانهم .
عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : ابْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ . صحيح أبي داود
قال ابن بطّال : تأويل الْحديث أَن الضعفاء أَشد إخلاصًا في الدعاء وأَكثر خشوعًا في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا .
قال الشيخ الشنقيطي فى حقوق الكبار :
يا معاشر الشباب : إجلال الكبير وتوقيره وقضاء حوائجه سنة من سنن الأنبياء وشيم الصالحين الأوفياء .
يا معاشر الشباب : إذا رأيتم الكبير فارحم ضعفه ، وأكبر شيبَهُ ، وقدِّر منزلته ، وارفع درجته .
يا معاشر الشباب : إذا رأيتم الكبير ففرج كربته يعظم لك الثواب ، ويجزل الله لك العطاء في المرجع والمآب .
يا معاشر الشباب : أحسنوا لكبار السن لاسيما من الوالدين من الآباء والأمهات .
يا معاشر الشباب : ما كان للكبار من حسنات فانشروها ، وما كان من سيئات فاغفروها واستروها فإن الله يُعظم لكم أجركم .
يا معاشر الكبار : أمّا الآلام والأسقام التي تجدونها فالملائكة كتبت حسناتها ، والله عظم أجورها ، وستجدونها بين يدي الله ، فالله أعلم كم كان لهذه الأسقام والآلام من حسنات ودرجات ، اليوم تُزعجكم وتقلقكم وتُبكيكم وتقض مضاجعكم ، ولكنها غدًا بين يدي الله تفرحكم وتضحككم ، فاصبروا على البلاء واحتسبوا عند الله جزيل الأجر والثناء .
يا معاشر الكبار : أنتم كبار بعظيم حسناتكم وفضلكم بعد الله علينا وأنتم الذين علمتم وربيتم وقدمتم وضحيتم .
يا معاشر الكبار : لئن نسي الكثير فضلكم فإن الله لا ينسى . ولئن جحد الكثير معروفكم فإن المعروف لا يَبْلَى .
ولئن طال العهد على ما قدمتموه من خيرات وتضحيات فإن الخير يدوم ويبقى ثم إلى ربك المنتهى وعنده الجزاء الأوفى .

الشعبة السابعة والعشرون : سلامة الصدر
من العجب والكبر والحقد والحسد

سلامة الصدر شعبة من شعب الإيمان، وقد حرص الإسلام حرصًا شديدًا على تأليف القلوب بين المسلمين وإشاعة المحبة والمودة وإزالة العداوة والشحناء لذلك جاءت الشريعة بكل الأمور التي تكفل سلامة صدر المسلم لأخيه المسلم فأمرت بإصلاح ذات البين، لأجل حفظ سلامة الصدور، وسدت كل ذريعة تؤدى إلى إيغار الصدور كبيع المسلم على بيع أخيه وشراء المسلم على شراء أخيه . وسوم المسلم على سوم أخيه وخطبة المسلم على خطبة أخيه . والجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها. لأن من مقاصد الشريعة سلامة القلوب . وليس أروح للمرء، ولا أطرد لهمومه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرَّأً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد .

معنى سلامة الصَّدر :

قال الشَّوكاني في السلوك الإسلامي القويم : سَلَامة الصَّدر عدم الحقد والغل والبغضاء .

وسلامة الصدر تعنى سلامة القلب من كل الضغائن والأحقاد لأهل الإسلام كالغل والحسد والحقد والكراهية .

المراد بالقلب السليم .

يقول الدكتور نايف بن أحمد الحمد فى البدر في فضل سلامة الصدر :

القلب السليم هو القلب السالم من محبطات الأعمال وسيء الأخلاق كالغل والحسد والبغضاء والحقد . فسليم القلب والصَّدر هو من سَلِم وعُوفِي فؤاده من جميع أمراض القلوب وأَدْوَائها، ومن كلِّ آفة تبعده عن الله تعالى

فالقلب السليم : هو الذي لا غشَّ فيه ولا غلَّ، ولا حقد فيه ولا حسد، ولا ضغينة فيه ولا كراهية، ولا بغضاء فيه لأحد من المسلمين، وهو يحب الخير للآخرين، وهو من نفسه في راحة والناس منه في سلامة، أما صاحب القلب الخبيث، فالناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء .

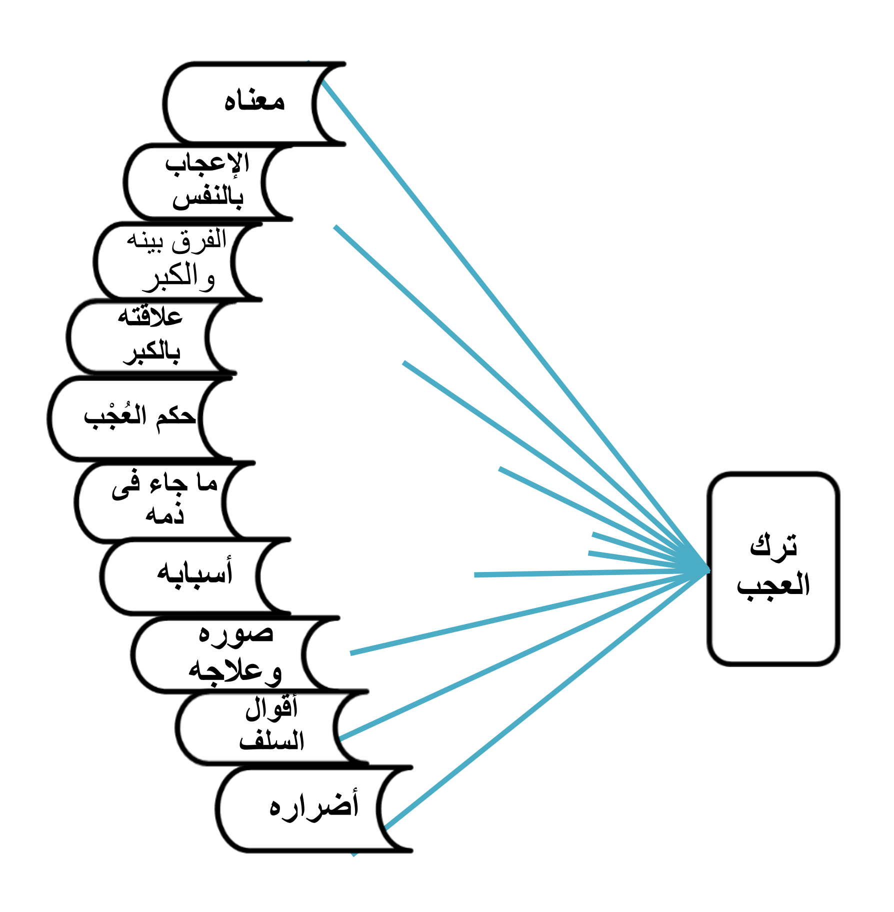
وأمراض القلوب كثيرة منها : الغل والحقد والحسد والكبر والرياء والعجب والسمعة والجبن والبطر والطمع والفخر والخيلاء، والتنافس في الدنيا، والتزين للناس وحب المدح، والعمى عن عيوب النفس، والإشتغال عنها بعيوب الخلق، والغضب لغير الله تعالى، والحمية والعصبية لغير الله، والرغبة والرهبة لغيره، واحتقار الناس ولو كانوا دونه، فالحذر الحذر، من هذه الصفات الخبيثة، والأخلاق الرذيلة، فإنها باب كل شر .

وسلامة القلب من هذه الآفات مسألة تحتاج إلى مجاهدة ولا شك، فإن الإنسان قد يحسن مكابدة الليل وقيام ساعاته، ولكنه قد لا يستطيع أن يزيل من قلبه كل شيء فيه تجاه إخوانه ، لذلك يجب معاهدة القلب في كل وقت بين الفينة والأخرى . فالقلوب إذا صلَحت صلَحت كل الأعمال ، وإذا فسدت فسدت كل الأعمال .

قال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ . متفق عليه

وسوف أذكر فى هذه الشعبة أهم وأشهر أمراض القلوب والتى حذر منها الكتاب والسنة وهى :

١ ـ العجب
٢ ـ الكبر
٣ ـ الحقد
٤ ـ الحسد



ترك العجب
معناه
الإعجاب بالنفس
الفرق بينه والكبر
علاقته بالكبر
حكم العُجْب
ما جاء فى ذمه
أسبابه
صوره وعلاجه
أقوال السلف
أضراره

أولًا : ترك العُجب

العُجب من الآفات الخطيرة التي تصيب كثيرًا من الناس، فتصرفهم عن شكر الخالق إلى شكر أنفسهم، وعن الثناء على الله بما يستحق إلى الثناء على أنفسهم بما لا يستحقون، وعن التواضع للخالق والإنكسار بين يديه إلى التكبر والغرور والإدلال بالأعمال، وعن احترام الناس ومعرفة منازلهم إلى احتقارهم وجحد حقوقهم . لذلك كان العُجب سوء أدب مع الله وسوء ظن بالخلق وسوء معاملة مع النفس التى تحتاج الى مزيد من الذل والإنكسار والإفتقار الى الله . وهو يفضي فى الغالب الى الكِبر والغرور والتعالي وازدراء الآخرين ورفض الحق . وهو آفة إذا دخلت القلب قل أن تخرج منه لذلك يتوجب معالجته حتى لا يبطل الأعمال الصالحة ويمحو أثرها ويذهب أجرها ، وقد حذر منه صلى الله عليه وسلم ووصفه بأنه من المهلكات فقَالَ : إِنَّمَا الْمُهْلِكَاتُ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . رواه الطبراني . السلسلة الصحيحة

معنى الإعجاب بالنفس :

لغة : يأتى بمعنى : السرور والإستحسان تقول : أعجبه الأمر : سره . وأعجب به : سر به

قال تعالى : وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴿٢٢١﴾ البقرة

ويأتى بمعنى : الزهو أو الإعظام تقول : أعجبه الأمر أي زها به وعظم عنده .

ومنه قوله تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴿٢٥﴾ التوبة

واصطلاحًا : هو السرور أو الفرح بالنفس وبما يصدر عنها من أعمال من غير تعد أو تجاوز إلى الآخرين .
فإن كان هناك تعد أو تجاوز إلى الآخرين باحتقار ما يصدر عنهم فهو الغرور أو شدة الإعجاب .
وإن كان هناك تعد أو تجاوز إلى الآخرين باحتقارهم في أشخاصهم وذواتهم والترفع عليهم فهو التكبر .

معنى العُجْب لغةً واصطلاحا :

قال أبو هلال العسكرى فى الفروق اللغوية :

العجب بالشيء شدة السرور به حتى لا يعادله شيء عند صاحبه يقال : هو معجب بنفسه إذا كان مسرورًا بخصالها
اصطلاحًا : هو استعظام الأعمال والركون إليها وإضافتها إلى النفس مع نسيان إضافتها إلى المُنعم سبحانه.
فالعجب هو رؤية النفس فى العمل سواء من به على الله عز وجل أم لم يمن به .

قال ابن حجر فى فتح الباري شرح صحيح البخاري :

قال القرطبي : وإعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر .

الفرق بين العُجْب والكبر :

قال أبو هلال فى الفروق اللغوية :
العُجب بالشّيء شدّة السّرور به حتّى لا يعادله شيء عند صاحبه يقال : هو مُعجب بنفسه إذا كان مسرورًا بخصالها ، ولهذا يقال أعجبه كما يقال : سُرّ به ، وليس ذلك من الكبر في شيء .
وقال بعضهم : العُجب عقد النّفس على فضيلة لها ينبغي أن يتعجّب منها وليست هي لها .
فالعجب يتصوّر ولو لم يكن أحد غير المُعجب .
أما الكبر فهو رؤية النّفس فوق المتكبّر عليه، لذلك لا يقع إلا بوجود المُتكبر عليه .
والكبر يكون فى النفس وهو رؤية النّفس فوق المتكبّر عليه وهو احتقار الناس ورفض الحق .
والعجب يكون فى العمل سواء من به على الله عز وجل أم لم يمن به .

علاقة العجب بالكبر :

قال ابن قدامة : اعلم أن العجب يدعو إلى الكبر، لأنه أحد أسبابه ، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة وهذا مع الخلق . فأما مع الخالق فإن العجب بالطاعات نتيجة استعظامها فكأنه يمنّ بها على الله تعالى .
وقال الغزالي : الكبر يستدعي متكبرًا عليه ومتكبرًا به . أما العُجْب لا يستدعي غير المُعجب بل لو لم يُخلق الإنسان إلا وحده ممكن أن يكون معجبًا ، ولا يتصور أن يكون متكبرًا إلا أن يكون مع غيره.

حكم العُجْب :

العُجْب محرم وكبيرة من الكبائر التي تستحق غضب الله ومقته وعذابه في الدنيا والآخرة لأنه نوع من الشرك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى :
وكثيرًا ما يقرن الرياء بالعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق . والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ . والمعجب لا يحقق قوله : وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . فمن حقق قوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ خرج عن الرياء، ومن حقق قوله : وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . خرج عن الإعجاب .

بعض ما جاء في الكتاب والسنة في ذم العجب :

قال تعالى : وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ الإسراء
يقول العزُّ بن عبد السلام : كما أنك لا تخرق الأرض ولا تبلغ الجبال طولًا، فلذلك لا تبلغ ما تريده بكبرك وعجبك .
وقال تعالى : وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ لقمان
تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ : أيْ تُميلُهُ وتُعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّراً عَلَيْهِمْ . المَرَحُ : التَّبَخْتُرُ .
إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ . أي : معجب في نفسه، فَخُورٍ على غيره .
وقال تعالى : قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴿٧٨﴾ القصص
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأسَهُ ، يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ . متفق عليه
يتجلجل : يغوص ويسيخ في الأرض .
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لو لم تُذْنِبوا لَخَشيتُ عليكم ما هُوَ أَشدّ منه ، وهو العُجْبُ . رواه البزار صحيح الترغيب والترهيب
قال المناوي : لأن العاصي يعترف بنقصه ، فترجى له التوبة ، والمعجب مغرور بعمله فتوبته بعيدة .

من صور العُجْب :

١- الإعجاب بالعقل الراجح والذكاء والرأي السديد .
٢- الإعجاب بالعلم وغزارته والتفوق على الأقران فيه .
٣- الإعجاب بالشَّجَاعَة والإقدام والقوة والبأس .
٤- الإعجاب بجمال الصورة وحسن المظهر .
٥- الإعجاب بالجاه والمنصب والرئاسة والتصدر .
٦- الإعجاب بالعبادة والطاعة وأعمال الخير للناس .
٧- الإعجاب بالنسب والشرف أو العشيرة والقبيلة .
٨- الإعجاب بالمال، والغنى، والتجارة، وسعة الرزق .
٩- الإعجاب بكثرة الأتباع والأنصار والمريدين .
١٠- الإعجاب بكثرة الأبناء ، وغير ذلك من الخصال .

علاج الإعجاب بالنفس :

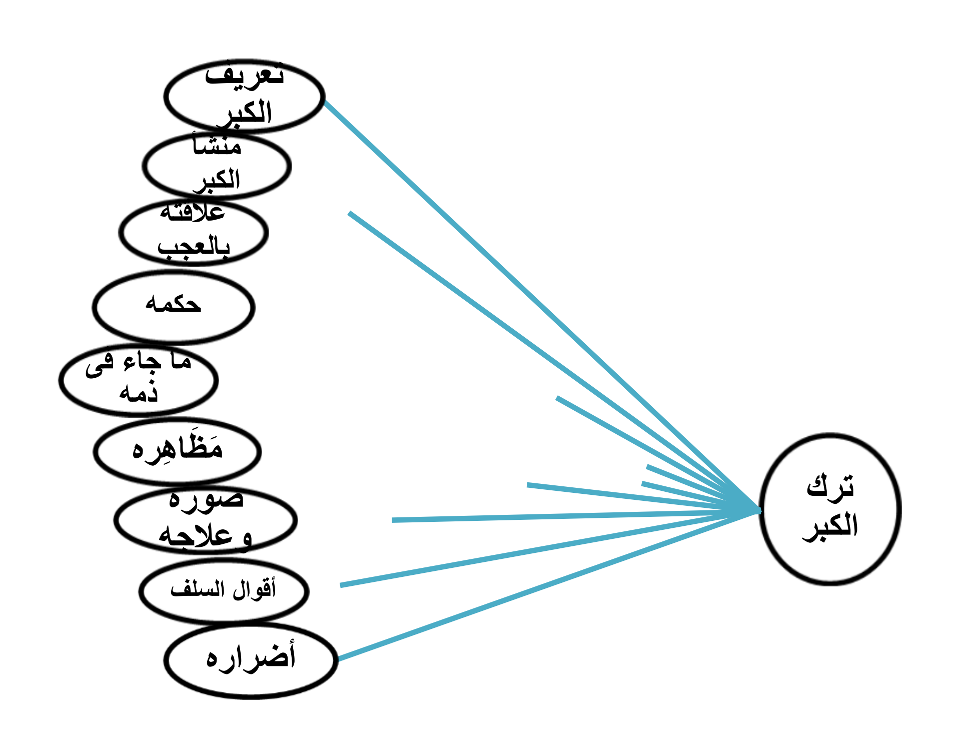
١- التذكير دائماً بحقيقة النفس الإنسانية .
٢- التذكير دائما بحقيقة الدنيا والآخرة ، مهما طال عمرها فإنها إلى زوال ، وأن الآخرة إنما هي دار القرار
٣- التذكير بنعم الله التي تغمر الإنسان ، وتحيط به من أعلى إلى أدنى كما قال سبحانه : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة .
٤- دوام النظر في كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فإن فيهما البيان الشافي
٥- دوام حضور المواعظ ومجالس العلم ، لاسيما تلك التي تدور حول علل النفس وطريق الخلاص منها .
٦- الإطلاع على أحوال المرضى والموتى وقت غسلهم وتكفينهم ودفنهم ثم زيارة القبور بين والتفكر في أحوال أهلها .
٧- الإنقطاع عن صحبة المعجبين بأنفسهم ومصاحبة المتواضعين العارفين أقدارهم .
٨- التأخير عن المواقع الأمامية بعض الوقت إلى أن تستقيم النفس وتستعصي على الشيطان فإن ذلك يسهل طريق العلاج .
٩- دوام النظر في سير السلف ، وكيف كانوا يتعاملون مع أنفسهم ، فإن ذلك يحمل على الإقتداء و التأسي .
١٠- الإستعانة بالله عز وجل وذلك بدعائه و اللجوء إليه ، أن يأخذ الله بيده ، وأن يطهره من هذه الآفة .

من أقوال السلف في ذم العجب :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : الهلاك في اثنين : القنوط والعجب .
وقال مسروق رحمه الله : كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلًا أن يُعجب بعلمه .
وسئل ابن المبارك عن العُجْب ؟ فقال : أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك ، ولا أعلم في المصلين شيئًا شرًّا من العُجْب .
وقال مطرف : لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً .
وقال بشر بن الحارث رحمه الله : العجب أن تستكثر عملك وتستقل عمل الناس أو عمل غيرك .
وسُئِلَ الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله : لِمَ لا تقرأ من غير كتاب ؟ قال : أخاف العجب .
وقال الماوردي في أدب الدنيا والدين : الإعجاب يخفي المحاسن ويظهر المساوئ ويكسب المذام ويصد عن الفضائل . ويسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة، وبمذمة تهدم كل فضيلة .

من أضرار العجب :

١ـ سبب من أسباب غضب الله عز وجل وعقابه .
قال تعالى : وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ الحشر
قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره : فأعجبوا بها وغرتهم، وحسبوا أنهم لا ينالون بها، ولا يقدر عليها أحد، وقَدَرُ الله تعالى وراء ذلك كله، لا تغني عنه الحصون والقلاع، ولا تجدي فيهم القوة والدفاع .
٢ـ العجب سبب من أسباب الهلاك .
عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . مسند البزار . السلسلة الصحيحة
٣ـ سبب من أسباب الخذلان وعدم التوفيق وتخلُّف النصر .
قال تعالى : وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ التوبة
قال العلامة ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل : فأخبر أن الهزيمة بذنوبهم وإعجابهم، وأن النصر بما أنزله على رسوله وأيده به، إذ لم يكن منه من سبب الهزيمة ما كان منه .
٤ـ سبب من الأسباب المحبطة للأعمال الصالحة .
قال تعالى : قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ الكهف
قال العلامة الألوسي رحمه الله في تفسيره : يعتقدون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق؛ لإعجابهم بأعمالهم التي سعَوا في إقامتها، وكابدوا في تحصيلها .
٥ـ سبب من أسباب الخسف والعذاب إلى يوم القيامة .
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . رواه البخاري
٦ـ سبب من أسباب سلب النعم ووقوع العقوبة .
قال تعالى : وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ الكهف
قال العلامة القاسمي رحمه الله في تفسيره : وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ أي بما يوجب سلب النعمة، وهو الكفر والعجب .
فتأمل كيف أن عجبه انتهى به إلى ذلك كله، فجمع له بين عمل السوء وتمني الباطل، وسلبه ما هو فيه من النعم، واستحق به العقوبة في الأولى والأخرى، فنسأل الله السلامة والعافية.
٧ـ مدح النفس والإغترار بها وازدراء الآخرين .
قال تعالى : فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢ النجم



تعريف الكبر
منشأ الكبر
علاقته بالعجب
حكمه
ما جاء فى ذمه
مَظَاهِره
صوره وعلاجه
أقوال السلف
أضراره
ترك الكبر

ثانيًا : ترك الكبر

الكِبْر آفة عظيمة ومرض فتاك وداء عضال يفتك بصاحبه حتى يورده المهالك ؛ كما أورد إبليس لما تكبر فحمله ذلك على أن امتنع عن امتثال أمر ربه له بالسجود لآدم، وهو الذي حمل الكفار على مخالفة الرسل لما جاءوهم بالآيات البينات . وهو أول معصية عُصي الله بها : إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ البقرة

وهو سبب تعذيب الأمم السابقة : وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ نوح

وهو أصل الأخلاقِ المذمومة، فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ عزه . وما من خلق حميد إلا وصاحب الكبر يتنازل عنه ليحفظ كبره . والكبر أسوأ ما يصيب الإنسان من أمراض القلب فالمتكبر لا يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ولا يقدر على التواضع ولا يتخلّص من الحقد ولا يتغلّب على الغضب والغيظ ، ولا يستطيع دفع الحسد عن نفسه، ولا يقبل نصيحة ناصح ولا تعليم عالِم، ولا يعامل الناس إلا بالإزدراء والإحتقار، وإذا مشى اختال وإذا تكلّم افتخر، وإذا نصح سخر من الناس، وإذا لم يكن له صدر المجلس وأول الكلام وغاية التعظيم غضِب، لذلك لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من كبر، فيجب على المسلم أن يدفع الكبر عن نفسه بأن يعرف أصله ونشأته وفقره وحاجته، ويتذكر نعم الله عليه، ويتفكر فى مقامه بين يديه، وفى عاقبة المتكبرين، وأنه لا صبر له على ذلك العذاب الذي يعذب به المتكبرون .

تعريف الكبر :

لغة : اسم بمعنى العظمة ، وهو مأخوذ من مادة (ك ب ر) التي تدل على خلاف الصغر .
وقال ابن منظور فى لسان العرب : الكبر بالكسر: الكبرياء ، والكبر العظمة والتّجبّر ، وقيل الرّفعة في الشّرف
اصطلاحًا : عرفه النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعريفًا موجزًا مختصرًا جامعًا مانعًا ، فكفى به مفسرًا ومبينًا فقَال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ . رواه مسلم
بطر الحق أى رفضه والإمتناع من قبوله تكبرًا إذا خالف هواه، فمن أبى قبول الحق تعاظمًا عليه فهو متكبر، وغمط الناس أى إحتقارهم وازدراؤهم وسوء الظن بهم فينظر إلى نفسه بعين الكمال وإلى غيره بعين النقص . { انظر جامع العلوم والحكم }

منشأ الكبر :

١ ـ المال فغالبًا ما ينشأ من الترف وأكثر ما يجري بين التجار والأغنياء و الملوك ونحوهم .
٢ ـ العلم وشر الكبر من تكبر على العباد بعلمه وتعاظم في نفسه بفضيلته فإن هذا لم ينفعه علمه .
٣ ـ النسب فيتكبر الإنسان بوجاهته وحسبه ونسبه .
٤ ـ المنصب وقد ينشأ الكبر من منصب يتولاه الإنسان ، فيرى نفسه أعلى من الناس طبقة .
٥ـ الجمال وأكثر ما يجري بين النساء ، ولذلك تراهن يغتبن غيرهن ويتنقصن من جمال غيرهن .
٦ـ القوة ، وأكثر ما يكون بين الرؤوساء ومن لهم أتباع وأنصار .

الناس فى الكبر على ثلاث درجات :

قال ابن قدامة رحمه الله : اعلم أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات :
الأولى : أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان ، فيرى نفسه خيرًا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة إلا أنه قد قطع أغصانها . فلا يتحول هذا الشيء الذي في قلبه إلى فعل أو قول ، وإنما يكتمه ويظهر التواضع للمؤمنين، فهذا وإن كانت شجرة الكبِر في قلبه إلا أن أغصان هذه الشجرة لا تنمو .
الثّانية: أن يظهر لك بأفعاله من التّرفّع في المجالس، والتّقدّم على الأقران، والإنكار على من يقصّر في حقّه، فترى العالم يصعّر خدّه للنّاس كأنّه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنّه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدّب اللّه به نبيّه صلّى اللّه عليه وسلّم حين قال : وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ الشعراء
الثّالثة : أن يظهر الكبر بلسانه المفاخرة وتزكية النّفس والتّكبّر بالنّسب والمال والجمال والقوّة وكثرة الأتباع ، ونحوه .

حكم الكبر :

اتفق أهل العلم على أنه من الكبائر . لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ يَدْخُل الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَال ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ . رواه مسلم

فالكبر محرم كثيره وقليله ومنه ما يكون كفرًا أكبر إذا كان يتضمن رد كلام الله وكلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم إستكبارًا وعلوًا عنه . ومنه ما لا يكون كفرًا لكنه محرم إذا نظر إلى الناس نظر إستصغار واحتكار ورأى أنه خير منهم بماله أو بجاهه أو بمنصبه .

أنواع الكبر :

ذكر ابن حجر أن الكبر ثلاثة أنواع وهي:

الأول : التكبر على الله : وهو أفحش أنواع الكبر ، وهو يصدر من كل من ادعى الربوبية كفرعون والنمرود حيث استنكفا أن يكونا عبدين له . وقد توعد الله هؤلاء بقوله :

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ غافر

الثّاني : التكبر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأن يمتنع المتكبّر من الإنقياد له تكبّرًا وعنادًا كما فعل كفّار مكّة .
الثّالث : التكبر على الخلق بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدريه فيتأبّى عن الإنقياد لهم ويترفّع عليهم .

بعض ما جاء في الكتاب والسنة في ذم الكبر :

قال تعالى : سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴿١٤٦﴾ الأعراف

قال تعالى : وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٧﴾ لقمان

وقال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ﴿٥٦﴾ غافر

وقال تعالى: وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ النساء

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ . رواه مسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ . رواه مسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ . صحيح ابن ماجة

بعض مَظَاهِرُ الكبر :

جاء في موسوعة فقه القلوب محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري

١ـ تَصعير الوجه : وهو ميل العنق والإشاحة بالوجه عَن النظر كبرًا .

قال تعالى : وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ لقمان

٢ ـ الإخْتِيَال فِي الْمَشْي .

قال تعالى : وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ الإسراء

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ ، مُرَجِّلٌ شَعْرَهُ ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . متفقٌ عليه .

وَكَمَا يَكُونُ الإخْتِيَال بِاللِّبَاسِ الْفَاخِرِ يَكُونُ أَيْضًا بِفُرُشِ الْبُيُوتِ وَبِرُكُوبِ السَّيَّارَاتِ الْفَاخِرَةِ ونحوه .

٣ـ منازعة لصفة من صفات الله عز وجل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ الله عز وجل : العِزُّ إزَاري والكبرياءُ ردائي ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي في وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبْتُهُ . رواه مسلم

٤ـ إزدراء سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والإستهزاء بها :

عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ فَقَالَ : كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ قَالَ لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ . رواه مسلم

٥ـ عدم الإنتفاع بالآيات والمواعظ و العبر .

قال تعالى : سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴿١٤٦﴾ الأعراف

٦ـ إطالة الثوب إلى أسفل من الكعبين خيلاء :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه البخارى
٧- حُبُّهُ الْقِيَامَ لَهُ وهى عَادَةُ الْأَعَاجِمِ وَالْمُتَكَبِّرِينَ .
قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ . صحيح الأدب المفرد
٨- احتقار الناس وانتقاصهم وعدم قبول الحق .
عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ : الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ . رواه مسلم

علاج الكبر ودفعه :

يتمثل في عدّة أمور منها :
١- تذكر عظمة الله تعالى وأن يعرف الإنسان ربه ويعرف نعم الله عليه ويتذكر مقامه بين يديه وعاقبة الكبر يوم القيامة ، فإذا عرف كل ذلك حقّ المعرفة علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا لله عز وجل .
قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِزَّةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ . صحيح ابن ماجه
٢- تذكر الإنسان حقيقة نفسه وأصله وأنه أخرج من مجرى البول مرتين ، من نطفة قذرة ، وهو يحمل في بطنه العذرة ، ونهايته جيفة قذرة . فإذا علم الإنسان ضعفه وفقره وحاجته وذله أيقن أنه لا يليق به إلا الخضوع والذلّة لله والتواضع لخلقه
قال تعالى : قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ عبس
٣- تذكر عاقبة الكبر والمتكبرين .
قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ . رواه أحمد ومسلم
٤- تذكر أن التكبر سبب في الهزيمة والفشل كما حدث لقريش في غزوة بدر .
قال تعالى : وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ الأنفال
٥- تذكر أن التواضع سبب في العزة والرفعة .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ . رواه أحمد ومسلم
٦- المواظبة على أخلاق المتواضعين كعيادة المرضى، ومشاهدة المحتضرين، وتشييع الجنائز، وزيارة القبور ، ومجالسة ضعاف الناس وفقرائهم وذوى العاهات، ومؤاكلتهم ومشاربتهم . والإنسلاخ من صحبة المتكبرين .
٧- حضور مجالس العلم لاسيما مجالس التذكير وتزكية القلوب حتى ترقَّ وتلين .
٨- حمل النفس على بعض الأعمال التي يتأفف منها البعض كشراء طعامه وشرابه ، والمشي به بين الناس
٩- المواظبة على الطاعات : فإن كانت لا يراد بها إلا وجه الله طهرت النفس من كل الرذائل و زكتها .
١٠- النظر في أخبار المتكبرين، كيف كانوا ؟ وإلى أي شيء صاروا ؟ كالنمرود وفرعون وهامان وقارون وأبي جهل وأبي بن خلف وسائر الجبارين والمجرمين في كلِّ العصور. {آفات على الطريق: للدكتور السيد محمد نوح علاج الكبر }

بعض أقوال السلف في ذم الكبر :

قال محمد بن الحسين : ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك أو أكثر
وقال الحسن رحمه الله : من خصف نعليه ورقع ثوبه وعفّر وجهه لله عزّ وجلّ، فقد برىء من الكبر .
وقال الأحنف بن قيس : عجبًا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين .
قال سفيان ابن عيينة : من كانت معصيته في الشهوة فارجُ له، ومن كانت معصيته في الكبر فاخش عليه، فإن آدم عصى مشتهيًا فغفر له وإبليس عصى متكبرًا فلعنه الله .
قال الشيخ ابن عثيمين : التكبر كمال للخالق ونقص للمخلوق .

من أضرار الكبر :

١- الكبر سبب في صرف الإنسان عن الإنتفاع بالآيات والإتعاظ بالمواعظ والإعتبار بالعبر .
قال تعالى : سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴿١٤٦﴾ الأعراف
٢- الكبر سبب من أسباب تعجيل العقوبة في الدنيا قبل الآخرة .
عن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ لَهُ ، مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . رواه البُخاري
٣- الكبر سبب فى الإستهزاء بالسنة وعدم اتباعها .

فعن سَلمة بنِ عمرو بنِ الأكوع أنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ ، فَقَالَ : كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ : لا أَسْتَطِيعُ . قَالَ : لا استَطَعْتَ . مَا مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ فمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ . رواه مسلم .

٤- الكبر سبب فى الطبع على قلب صاحبه فيرى الحق باطلًا ، ويرى الباطل حقًا .

قال تعالى : كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ غافر

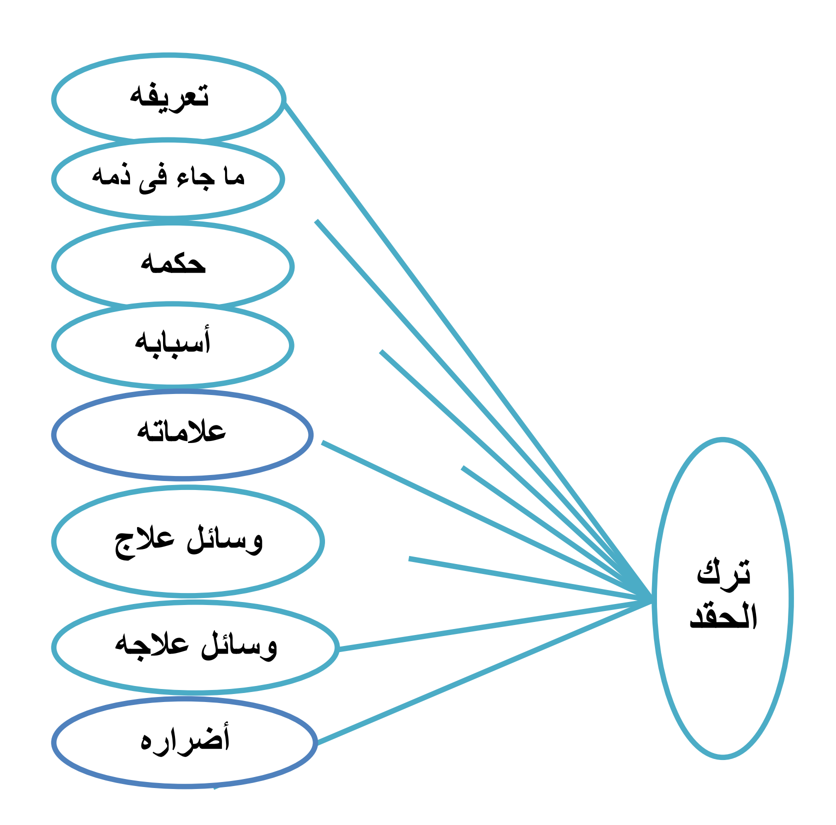
٥- الكبر سبب من أسباب عدم دخول الجنة .

عَن عَبْدِاللهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ . رواه مسلم

٧- المتكبر يحشر ذليلًا ويسجن في سجن بولس في النار ويسقى من عصارة أهل النار .

عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ .

رواه أحمد و الترمذي . صحيح الجامع


تعريفه
ما جاء فى ذمه
حكمه
أسبابه
علاماته
وسائل علاج
وسائل علاجه
أضراره
ترك
الحقد

ثالثًا : ترك الحقد

الحقد خلق ذميم وحمل ثقيل يُتعب حامله، يحمله الجاهل في صدره فيُشقي به نفسه ويُفسد به فكره ويُشغل به باله، ويُقض به مضجعه، ويُكثر به همه وغمه كأنه حمل من أحمال الشوك الملتهب الحار، ويظل الحاقد يحمل هذا الحمل الخبيث مهما حل أو ارتحل ، حتى يُشفي حقده بالإنتقام ممن يحقد عليه . والحاقدون ينظرون إلى الدنيا نظرة سوداء يتمنون فيها الخير لأنفسهم والشر للناس، ويغيظهم أشد الغيظ أن يروا خيرًا قد ذهب إلى غيرهم وهم قد حرموا منه فتغلي نفوسهم من نار الحقد لأنهم ينظرون حولهم فيجدون ما يتمنونه قد فاتهم وهذه عليهم طامة كبرى ، وداهية عظمى، وليس أطهر لقلب المرء إذا رأى نعمة تنساق لأحد رضي بها ، وتذكر قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر . وإذا رأى أذىً يلحق أحدًا من خلق الله دعا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه . وبذلك يحيا راضيًا عن الله وعن نفسه، مستريح من نزعات الحقد الأعمى فإنَّ فساد القلب بالضغائن داء عظيم، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش، كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم .

تعريف الحقد :

لغة هو الإحتباس والمنع ، يقال : حقد المطر حقدًا ، وأحقد : احتبس ومنع .

اصطلاحًا : هو إمساك العداوة والبغضاء في الصدر للعجز عن التشفي حالًا مع التربص أو التحين للتعبير عنها بصورة من الصور أو شكل من الأشكال مآلًا وهو من الضغن والوغر والغل .

يقول الشيخ محمد صالح المنجد : والحقد من مرادفاته الضغينة والغل والشحناء والبغضاء، وغيرها.

ويقول الشيخ عبد الرحمن الميداني : والحقد هو عداوة دفينة في القلب وكراهية يصاحبها رغبة بالإنتقام من الشخص المكروه إلى حد إفنائه وإلغائه من الوجود .

بعض ما جاء فى الكتاب والسنة في الحقد :

قال تعالى : وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ الحجر

قال القرطبي : ذكر الله عز وجل فيما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم .

قال تعالى : وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ الشعراء

وكان من دعاءه صلى الله عليه وسلم: واهد قلبي ، وَسَدِّدْ لِسَانِي وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صدري . صحيح الترمذي

السخيمة : الغل والحقد والحسد ونحوها .

وعنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا . رواه أحمد . صحيح الترمذي

حكم الحقد :

قال ابن حجر الهيتمي فى الزواجر عن اقتراف الكبائر :

من الكبائر الغضب بالباطل والحقد والحسد . ولما كانت هذه الثلاثة بينها تلازم وترتب إذ الحسد من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب كانت بمنزلة خصلة واحدة، وذم كل يستلزم ذم الآخر لأن ذم الفرع وفرعه يستلزم ذم الأصل وأصله وبالعكس .

من وسائل علاج الحقد :

١ـ القضاء على سببه الأصليّ وهو الغضب لأن الغضب يتحول إلى حقد وإرادة الإنتقام .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ تَغْضَبْ وَلَكَ الجَنَّةُ . رواه الطبراني ـ صحيح الترغيب والترهيب

٢ـ الدعاء بأن يدعو الله أن يجعل قلبه طاهرًا نقيًّا من الحقد والغل .

قال تعالى : وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ الحشر

٣ـ إحسان الظن بالناس وحمل المواقف والكلام على أحسن المحامل .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴿١٢﴾ الحجرات

فالأصل في المؤمن ألا يظن في أخيه سوءًا، وَ لا تتجسسوا على الذي ظننتم به السوء من أجل التثبت من ظنكم.

٤ـ التهادى والمصافحة فالهدية لها تأثير عظيم في تأليف القلوب وتطييب الخواطر وانتزاع سخائم الصدور .

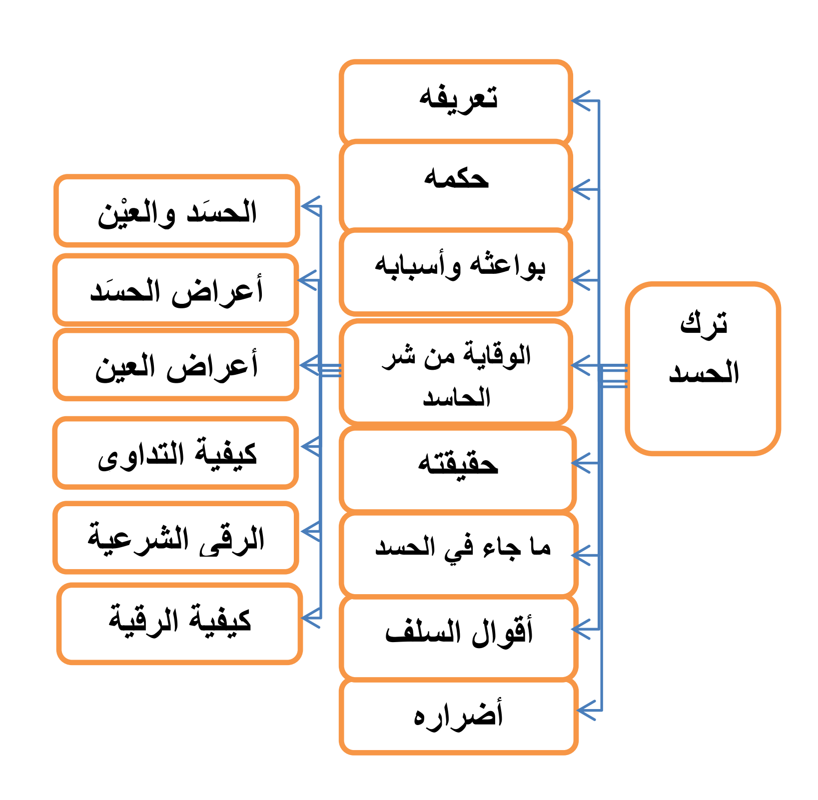
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : تَهَادُوا تَحَابُّوا . صحيح الأدب المفرد للبخاري
٥- صيام ثلاثة أيام من كل شهر .
قَالَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ . أحمد . صحيح الجامع
الوحر : الحقد والغيظ
٦ – العلم بأن الحقد على الآخرين يعني الإعتراض على الله وعدم الرضا بقضائه وقدره .
٧- تذكر فضل سلامة الصدر عند الله عز وجل .
٨- تقوية روابط الأخوة الإيمانية فعاطفة المؤمن نحو إخوانه تتدفق بالمحبة .
عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . رواه البخارى
ومقتضي هذا الحديث أن يحب المسلم للناس ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه من الشر
٩- التواضع .
عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ . رواه مسلم
١٠ - دوام التدبر فى كتاب الله وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف جاء الذم للحقد والغل والبغضاء والضغينة .

بعض أقوال السلف في ذمّ الحقد :

قال شيخ الإسلام : القلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر ، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشر .
وقال الغزاليّ : الحسد من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فالحسد فرع فرعه والغضب أصل أصله أي أصل الحقد
وقال أبو حاتم : الحقد أصل الشرّ ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتًا مرًّا مذاقه، نماؤه الغيظ، وثمرته الندم .

من أضرار الحقد :

١- التنازع والتقاتل واستغراق العمر في غم وحزن
٢- سبب من أسباب استحقاق غضب الله عز وجل .
٣- يسقط الهمة ، ويضعف النفس ، ويوهن العزم ، ويكل اليد .
٤- سبب من أسباب القلق والإضطراب النفسي وكفى بذلك عقابا وقد ينتهي بصاحبه إلى الموت
قال تعالى : وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ آل عمران
٥- التشبه بالمنافقين وذلك بالسرور والفرح حين تلم بالمحقود عليه مصيبة أو تنزل به كارثة
قال تعالى : إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ ﴿١٢٠﴾ آل عمران
٦- سبب من أسباب تسلط الأعداء على الأمة .
٧- الوقوع فى الأخلاق السيئة كالكذب والغيبة والقطيعة والإحتقار والإستهزاء وسوء الظن وتتبع العورات .


ترك الحسد
تعريفه
حكمه
بواعثه وأسبابه
الوقاية من شر الحاسد
حقيقته
ما جاء في الحسد
أقوال السلف
أضراره
الحسَد والعيْن
أعراض الحسَد
أعراض العين
كيفية التداوى
الرقى الشرعية
كيفية الرقية

رابعًا : ترك الحسد

الحسد خلق ذميم ومرض من أمراض القلوب الخطيرة التي تفتك بالأمة أفرادًا ومجتمعات . وهو مفسد للودَّ، وقاطع للرَحِم، ومفرِّق للجماعة، ومُلقح للشر . وسبب البغضاء والتقاطع والتقاتل والهجران وفساد العلاقات، يبدأ بالقريب قبل البعيد، والصديق قبل العدو، وهو جند من جنود إبليس، فالحاسد يفعل ما يحبه الشيطان من إفساد الناس وزوال نعم الله عنهم . والحسد أخو الكذب، فهما أليفان لا يفترقان وضجيعان لا يتباينان . والحسد ينشأ لتفاوت الناس وتفاضلهم في الأرزاق والأعمال والمناصب والجمال وغيرها وأكثر ما يكون بين الأقارب والأقران .

تعريف الحسد :

قال الجرجانيّ : الحسد تمنّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد .

وقال المناويّ في التوقيف على مهمات التعاريف : الحسد هو ظلم ذي النعمة بتمنّي زوالها عنه وصيرورتها إلى الحاسد .

حقيقة الحسد :

هو نوع من معاداة الله، فإن الحاسد يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله ، ويحب زوالها والله يكره ذلك ، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته .

مراتب الحسد :

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية أن مراتب الحسد أربعة وهي :

الاولى : تمنى زوال النعمة وإن كانت لا تنتقل إليه، وهذا في غاية الخبث .

الثانية : تمني زوال النعمة عن الغير لرغبته في تلك النعمة .

الثالثة : تمنى الشخص لنفسه مثلها فإن حصل له مثلها استراح، وإن لم يحصل تمنى زوال النعمة عن المحسود .

الرابع : تمني حصوله على النعمة من غير أن تزول عن صاحبها وهو حسد الغبطة ويسمى حسدًا مجازًا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ وَرَجلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ فَقَالَ رَجُلٌ لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمل . رواه البخاري

الفرق بين الحسَد والعيْن :

١ـ الحسد أعم وأشمل من العين فكل عائنٍ حاسد، وليس كل حاسد عائنًا .

٢ـ العائن أضر من الحاسد لأن الحسد لا يقع في الأهل والمال بعكس العين التي قد تصيب الأهل والمال .

٣ـ الحاسد قد يحسد ما لم يره ويحسد في الأمر المتوقع قبل وقوعه ، والعائن لا يَعين إلا ما يراه بالفعل .

٤ـ الحسد لا يقع من صاحبه على ما يكره أن يصاب بأذى كمالِه وولده .

٥ـ العين تقع على ما يكره العائن أن يصاب بأذى كولده وماله .

وقال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان :

الحاسد : قد يحسد ما لم يره، ويحسد في الأمر المتوقع قبل وقوعه .

أما العائن : لا يعين إلا ما يراه والموجود بالفعل .

الحسد مصدره تحرق القلب واستكثار النعمة على المحسود ، وتمني زوالها عنه أو عدم حصولها له .

الحسد يأتي مع الكراهية والحقد ، أما العين قد يكون سببها الإعجاب وعلاجها أيسر من الحسد .

قال ابن القيم في بدائع الفوائد :

العائن حاسد خاص ولهذا إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم فكل عائن حاسد ولا بد، وليس كل حاسد عائنا، فإذا استعاذ من شر الحسد دخل فيه العين، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته .

حكم الحسد :

الحسد محرم بكل حال وقد نهى الله ورسوله عنه لما فيه إفساد للدين وتعدي على المسلمين .

قال تعالى : وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ الأحزاب

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَتَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا . رواه مسلم

بعض ما جاء فى الكتاب والسنة في الحسد :

قال تعالى : وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴿١٠٩﴾ البقرة

وقال تعالى : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ الفلق

وعَن الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ . حسنه الألباني فى الإرواء

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ، وَلاَ يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفَيْحُ جَهَنَّمَ، وَلاَ يَجْتَمِعَانِ فِي عَبْدٍ : الإِيمَانُ وَالْحَسَدُ . رواه أحمد و مُسلم

وعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ : مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلاَمِ وَالتَّأْمِينِ . صحيح ابن ماجة

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا . رواه مُسلم

وعَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسِ فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ . صحيح ابن ماجة

بواعث الحسد وأسبابه :

منشأ الحسد التنافر والتباغض وحب الدنيا لأن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين . ومن أسباب الحسد :

١ ـ ضعف الإيمان بالقضاء والقدر وقلة الفهم لمعاني الأسماء والصفات

٢ـ خبث النفس وحبها للشر وشحها بالخير لعباد الله .

٣ـ العداوة والبغضاء فليحذر الإنسان من معاداته للآخرين فإنها تجلب عليه أنواعاً من الأذى والضرر .

٤ـ الجدل والمراء، فإنهما لا يأتيان بخير قط ، فإن جادلت جاهلاً أبغضك وكرهك وحسدك .

٥ـ الكِبْر ، كما حكى الله عن بعض الكفار قولهم : لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .

٦ـ التعزز والأنفة ، فصاحب الأنفة لا يحب أن يعلو عليه أحد، فإن أدركه وإلا حسده .

٧ ـ حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعي صحيح .

٨ـ الخوف من المزاحمة وفوات مقصد من المقاصد بين الأقران في المناصب والأموال مثل الضرات عند زوجهن والتلاميذ عند الأستاذ والأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين ليتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال

٩ـ التعجب : كما أخبر الله عن الأمم الماضية فتعجبوا أن يفوز برتبة الرسول والوحي بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا .

من علامات الحاسد :

قال الجاحظ فى الرسائل : وما لقيت حاسدًا إلا تبين لك مكنونه بتغير لونه، وتخوُّص عينه، وإخفاء سلامه، والإقبال على غيرك، والإعراض عنك، والإستثقال لحديثك، والخلاف لرأيك .

كيفية الوقاية من شر الحاسد :

قال ابن القيّم رحمه الله فى بدائع الفوائد : ويندفع شرّ الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب :

١ـ التعوّذ بالله من شرّه، والتحصّن به واللجوء إليه .

قال تعالى : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ الفلق

٢ـ تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه . فمن اتّقى الله تولّى الله حفظه ولم يكله إلى غيره .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ . رواه أحمد . صحيح الجامع

٣ـ الصبر على عدوّه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه، فما نصر على حاسده وعدوّه بمثل الصبر عليه .

قال تعالى : ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ الحج
٤- التوكل على الله من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم
قال تعالى : وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴿٣﴾ الطلاق .
حسبه : أي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه.
٥- فراغ القلب من الإشتغال به والفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شرّه .
٦- الإقبال على الله والإخلاص له .
قال تعالى : كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ يوسف
٧- تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه . فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه .
قال تعالى : وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ الشورى
٨- الصدقة والإحسان، فإنّ لها تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء والعين وشرّ الحاسد .
فالمحسن المتصدق يستخدم جندًا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه وإن تأخرت مدة الظفر.
٩- وهو من أصعبها على النفس ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه
قال تعالى : ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ فصلت
١٠- تجريد التوحيد والعلم بأنّ هذه الآلات بمنزلة حركات الرّياح وهي بيد بارئها لا تضرّ ولا تنفع إلّا بإذنه
قال تعالى : وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ الأنعام
وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم : وَاعْلَمْ أَنَّ الامَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ الا بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الاقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ . رواه أحمد والترمذى . صححه الألبانى فى المشكاة
وينبغي المحافظة على الطاعات، والعناية بالأذكار المطلقة والمقيدة، كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وأذكار النوم وغير ذلك من الأذكار الواردة في السنة فهي حصنٌ حصين وحرز متين، وبالصدقة والبذل في وجوه الخير، وبسخاء النفس وطيب المعاملة وكريم المعاشرة، وبملازمة الأخلاق الحميدة والخصال الفاضلة ، وبالتعوذ بالله من شر الشيطان الرجيم ومن شر الحاسد إذا حسد، فكل ذلك مما يندفع به شر الحاسد .

أعراض الحسد :

يقول الشيخ عبد الخالق العطار : أعراض الحسد تظهر على المال والبدن والأولاد، فإذا وقع الحسد على النفس يصاب صاحبها بشيء من أمراض النفس، كأن يصاب بالصدود عن الذهاب للكلية أو المدرسة أو العمل أو يصد عن تلقي العلم ومدارسته واستذكاره وتحصيله واستيعابه، وتقل درجة ذكائه وحفظه، وقد يصاب بميل للإنطواء والإنعزال والإبتعاد عن مشاركة الأهل في المعيشة، بل قد يشعر بعدم حب ووفاء وإخلاص أقرب الناس وأحبهم له ونحو ذلك .

أعراض العين :

في الغالب تكون كمرض من الأمراض العضوية إلا أنها لا تستجيب إلى علاج الأطباء، كأمراض المفاصل والخمول والأرق والحبوب والتقرحات التي تظهر على الجلد، والنفور من الأهل والبيت والدراسة، وبعض الأمراض العصبية والنفسية، ومن الملاحظ أن الشحوب في الوجه بسبب انحباس الدم عن عروق الوجه، والشعور بالضيق والتأوه والنسيان والثقل في مؤخرة الرأس والثقل على الأكتاف والوخز في الأطراف يغلب على مرضى العين، وكذلك الحرارة والبرودة في الأطراف .

كيفية التداوي من العين والحسد :

وإذا ابتليت بنظرة حاسد فعليك بالرقية الشرعية وإياك واللجوء إلى العرافين والدجالين، كالإعتقاد في الخرز الأزرق، أو تعليق التمائم الشركية، أو تعليق الأحذية في السيارة أو البيت بزعم دفع الحسد، وغير ذلك من الأمور التى تضر ولا تنفع . وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من الذهاب إلى الكهنة والعرافين أو المنجمين وبين أن من فعل ذلك لا تقبل صلاته أربعين يومًا إن كان لا يصدق هؤلاء . فقال صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . رواه مسلم .

أما إن كان يصدق هؤلاء الكهنة والعرافين الذين يدعون علم الغيب فهذا كفر . قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه . رواه أحمد . صحيح الجامع
فاجعل ناصيتك بيد الله ورجائك في الشفاء من ربك دون سواه وعليك بما ورد في شرعه والأخذ بالرقى الشرعية المأخوذه من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المختصرة في بعض الكتب .

بعض الرقى الشرعية من العين والحسد :

الوقاية من العين : المحافظة على الأذكار والأدعية الصحيحة الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم
عدم إظهار النعمة على أكمل صورة عند من عرف عنه الحسد والغيرة .

رقية ضد السحر والسحرة :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ . رواه مسلم

رقية تحصين البيوت من الشياطين :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ . مسلم
قال المباركفوري : لا تجعلوها خالية عن الذكر والطاعة فتكون كالمقابر وتكونون كالموتى فيها أو لا تدفنوا موتاكم فيها .

الرقية بالإخلاص والمعوذتين :

عن عبد الله بن خُبيب ﷺ قَالَ : خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي لَنَا، قَالَ : فَأَدْرَكْتُهُ فَقَالَ: قُلْ . فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ : قُلْ . فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا قَالَ: قُلْ . قُلْتُ: مَا أَقُولُ ؟ قَالَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . صحيح الترمذي والنسائي

الرقية بالمعوذتين :

وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا . رواه البخاري
وقَالَ صلى الله عليه وسلم: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ فَتَعَوَّذُوا بِهِنَّ، فَإِنَّهُ لَمْ يُتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِنَّ، يَعْنِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ . رواه مسلم

التحصن بخواتيم سورة البقرة :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ . متفق عليه
الرقية بآيات من سورة البقرة وسورة آل عمران :
عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال : اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ :الم اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . رواه أحمد وأبو داود . صحيح الجامع

التحصن بآية الكرسي :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ : اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ . وقال لِي : لاَ يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ . رواه البخاري

القراءة على الماء وشربه :

يؤتى بماء في إناء أو نحوه ثم يقرأ عليه بالرقية المشروعة وينفث فيه، وتقرب فمك من الماء ثم تقرأ سورة الفاتحة (٧) مرات ثم تنفث وآية الكرسي (٣) مرات ثم تنفث وسورة الإخلاص (٣) مرات ثم تنفث والمعوذتين (٣) مرات ثم تنفث ثم تقرأ بعض الأدعية الثابتة ثم تنفث . والرقية على زيت الزيتون يكون بنفس الطريقة .
قال عبدالله بن الإمام أحمد أنه رأى أباه يعوذ في الماء ويقـرأ عليه ويشربه ويصب على نفسه منه .
وقال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ : قد صرح العلماء باستحباب النفث في الماء .
قالت اللجنة الدائمة : يجوز أن يدهن بزيت الزيتون المقروء عليه القرآن، ولا بأس أن يدخل الحمام بعد ذلك .
قال العلامة صالح الفوزان في فتاويه : ما في مانع أن يغتسل بالماء المقروء به في دورة المياه

الرقية بفاتحة الكتاب :

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى ﷺ قَالَ مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أُصَلِّي فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ فَقُلْتُ كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ثُمَّ قَالَ أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَهَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِيَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ . رواه البخارى

يقول الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ :
ينبغي على المرقي أن يتعلم أن يُرقي نفسه ويتعلم الأوراد والأدعية المعروفة فلا يحتاج إلى الناس وعنده فاتحة الكتاب والمعوذتين وآية الكرسي والأدعية النبوية فهذه وغيرها تحصن المرء وتبعد عنه الشياطين وتدفع عنه الأذى بإذن الله.

كيفية الرقية الشرعية :

يجوز النفث قبل الرقية أو أثناء الرقية أو بعدها وينفث أو يتفل على اليسار .
لقول النبي صلى الله عليه وسلم : وانفث عن يسارك ثلاثًا . رواه أحمد وصححه الشيخ ابن باز
وعَنْ أَبِي الْعَلَاءِ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي . رواه مسلم
ثم تقول : بسمِ اللَّهِ أرقيكَ، مِن كلِّ شيءٍ يؤذيكَ، مِن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينٍ أو حاسدٍ اللَّهُ يَشفيكَ، بِسمِ اللَّهِ أَرقيكَ
فعن أبي سعيد ﷺ أنَّ جبرايلَ أتى النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فقالَ : يا مُحمَّدُ اشتَكَيتَ ؟ قالَ : نعَم قالَ : بسمِ اللَّهِ أرقيكَ، مِن كلِّ شيءٍ يؤذيكَ، مِن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينٍ، أو حاسدٍ اللَّهُ يَشفيكَ، بِسمِ اللَّهِ أَرقيكَ . رواه مسلم
وإن كنت سترقي نفسك تقول : بسم الله أرقي نفسي من كل شيء يؤذيني، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيني، بسم الله أرقي نفسي . ثم تقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.
أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .
بسم الله (٣) مرات وتقول : أعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما أجد و أحاذر : (٧) مرات
ثم تقول : اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا .
ثم تضع يدك على رأسك أو صدرك أو غيره من بدنك أو على المكان الذي يؤلمك من جسدك : ثم تقرأ سورة الفاتحة (٧) مرات، ثم سورة الكافرون، ثم سورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس (٣) مرات، ثم تقرأ من سورة البقرة أول أربع آيات والآية (١٦٣) وخواتيم سورة البقرة (٢٨٤ - ٢٨٥ – ٢٨٦)
وأول آيتين من سورة آل عمران . ثم تقرأ آية الكرسى . ثم تقرأ بعض الأدعية الثابتة من الرقية الشرعية من السنة النبوية ، وبعد الانتهاء من الرقية الشرعية يجمع كفيه وينفث بهما ويمسح وجهه وما يلي جسده .

بعض أقوال السلف في ذمّ الحسد :

قال معاوية ﷺ: ليس من خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .
وقال الحسن : أصول الشرِّ ثلاثة : الحسد ، والحرص ، وحب الدنيا .
وقال الأحنف : لَا راحة لحسود، ولا مروءة لكَذوب، وَلَا وَفَاءَ لملوك، وَلَا حِيلَةَ لبخيل، وَلَا سؤدد لسيِّئ الخلق .
وقال قتادة : ما كَثرت النعم على قوم قَط إلَا كثر أعداؤهم .
وقال الجاحظ : ومتى رأيت حاسدًا يصوب إليك رأيًا إن كنت مصيبًا، أو يرشدك إلى صواب إن كنت مخطئًا، أو أفصح لك بالخير في غيبته عنك، أو قصر من غيبته لك؟ فهو الكلب الكَلِب، والنمر النَّمِر، والسمُّ القَشِب، والفحل القَطِم، والسيل العَرِم . إن ملك قتل وسبى، وإن مُلِك عصى وبغى . حياتك موته، وموتك عرسه وسروره. يصدِّق عليك كلَّ شاهد زور، ويكذِّب فيك كلَّ عدل مرضي. لا يحب من الناس إلا من يبغضك، ولا يبغض إلا من يحبك .

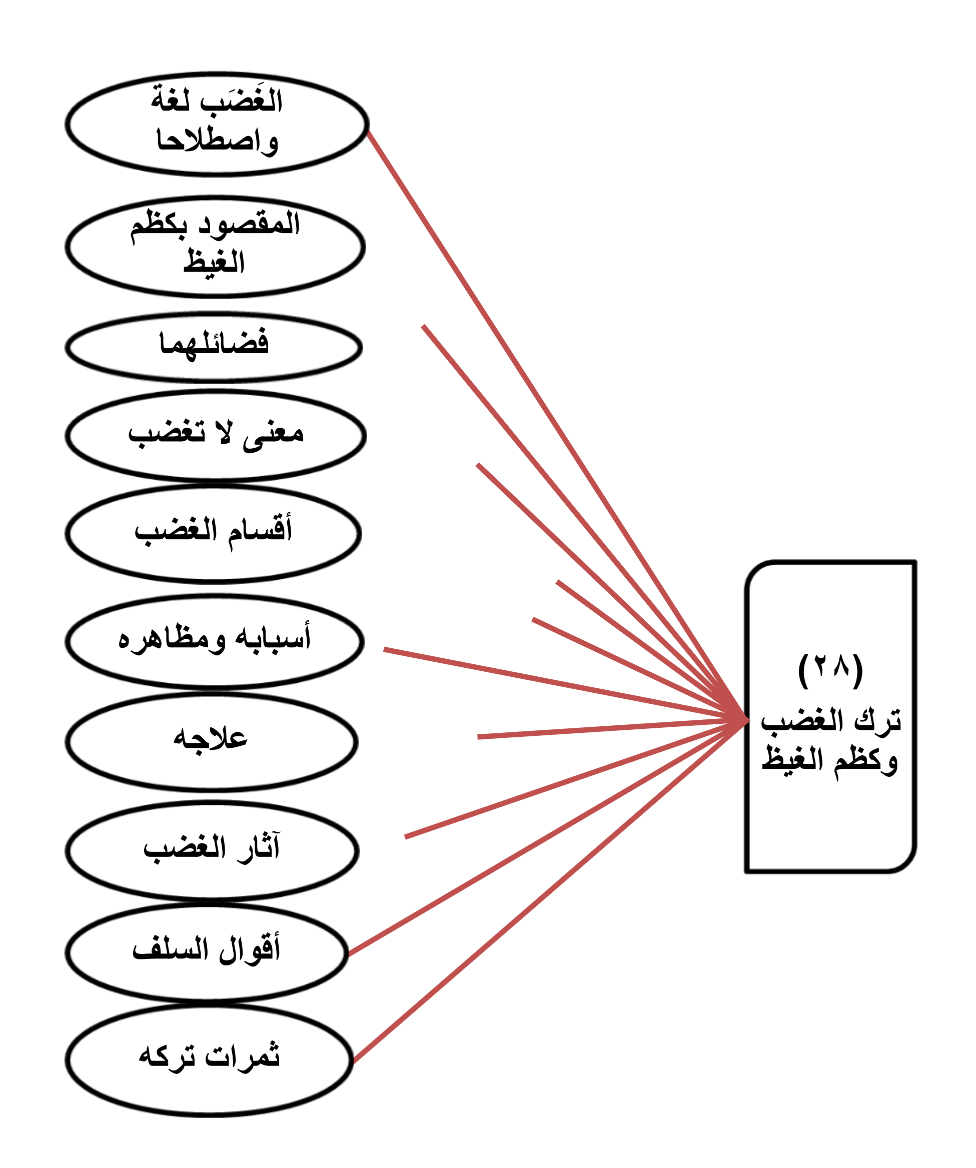
بعض أضرار الحسد :

١- الحسد صفة من صفات اليهود وأشرار الخلق كما حسد إبليس آدم على ما أتاه الله من فضله .
قال تعالى : وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴿١٠٩﴾
٢- الحسد يمنع صاحبه من قبول الحق والإذعان له .
قال تعالى : ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾
٣- الحسد سبب من أساب انتشار الحقد والبغضاء والضغينة في المجتمع .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا . رواه الطبراني .صحيح الترغيب
٤- الحسد يحلق الدين ويستأصله كما يستأصل الموسى الشعر .
عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ أَمَا إِنِّي لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ. رواه أحمد . صحيح الترمذي
٥- انتفاء الإيمان الكامل لأن مقتضى الإيمان التسليم لأفعال الله، والحاسد لا يرضى بأقدار الله

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الإِيمَانُ وَالْحَسَدُ . النسائي . صحيح الترغيب

٦- الحسد شر ووباء وداء فتّاك إذا سرى في الإنسان أفسد دينه ودنياه .

٧- الحسد يجلب النقم ويزيل النعم .


(٢٨)
ترك الغضب
وكظم الغيظ
الغَضَب لغة
واصطلاحا
المقصود بكظم
الغيظ
فضائلهما
معنى لا تغضب
أقسام الغضب
أسبابه ومظاهره
علاجه
آثار الغضب
أقوال السلف
ثمرات تركه

الشعبة الثامنة والعشرون : ترك الغضب و كظم الغيظ

ترك الغضب وكظم الغيظ قربة من القربات التى لها آثارها العظيمة فى تزكية النفوس ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات . وهى صفة من صفات الأنبياء والصالحين . وقد تكاثرت النصوص في فضلها والحث على التحلي بها . والغضب غريزة من الغرائز الكامنة في الإنسان كالحب والكراهية والفرح والحزن وغيرها . وإذا أسرف الإنسان في استخدام هذه الغرائز تحولت إلى بلاء، وتحول الغضب إلى انتقام للذات، وأصبح سبب كل عداوة وشر وورث الحقد والحسد، وكانت آثاره عظيمة وعواقبه وخيمة، فكم دُمِّرت أُسر ومُزقت بيوت، ورُمِّلت نساء، وقُطِّعت أرحام، وأشعلت فتن، وأريقت دماء بسبب الغضب . فالغضب يُعْمِي الأبصار ويُصم الآذان . لذلك جاءت السنة النبوية لتشخص غريزة الغضب وتعالجها، لتبقى مكنونة في النفس لا تظهر إلا في موضعها حفاظًا على الود بين المسلمين ووحدة صفهم وقوتهم ، وحفاظًا على الإنسان من أن يؤدي به هذا الغضب إلى نتائج لا تحمد عقباها .

تعريف الغضب :

لغة : قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : الغين، والضاد، والباء، أصل صحيح يدل على شدة وقوة .
وعرف ابن منظور الغضب هو نقيض الرضا
واصطلاحًا : هو ثوَرَانُ دم القلب لقصد الإنتقام .
قال الجرجاني : الغَضَبُ تغير يحصل عند غليان دم القلب، ليحصل عنه التشفِّي للصَّدر .
وقيل : هو غليانُ دم القلب طلبًا لدفع المؤذي عند خشية وقوعه، أو للإنتقام ممن حصل له منه الأذى .

تعريف كظم الغيظ :

الغيظ : قال الأصفهاني فى المفردات : الغيظ أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه . والمقصود بكظم الغيظ : أى تجرُّعه واحتمال سببه والصَّبر عليه .
وقال القرطبيّ فى الجامع لأحكام القرآن :
كظم الغيظ ردّه في الجوف، والسّكوت عليه وعدم إظهاره مع قدرة الكاظم على الإيقاع بعدوّه .

الفرق بين الغيظ والغضب :

قال ابن عطيَّة الأندلسي فى المحرر الوجيز : الغَيْظ أصل الغَضَب وكثيرًا ما يتلازمان، ولذلك فسَّر بعض النَّاس الغَيْظ بالغَضَب، وليس تحرير الأمر كذلك، فالغَيْظ : فعل النَّفس ولا يظهر على الجوارح . والغَضَبُ : حالٌ لها معه ظهورٌ في الجوارح وفعلٌ ما ولا بدَّ، ولهذا جاز إسناد الغَضَب إلى الله تعالى، إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم، ولا يُسْنَد إليه تعالى غيظ .
وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية في التفريق بين الغيظ والغضب : الإنسان يجوز أن يغتاظ من نفسه ولا يجوز أن يغضب عليها، وذلك أن الغضب إرادة الضرر للمغضوب عليه ولا يجوز أن يريد الانسان الضرر لنفسه، والغيظ يقرب من باب الغم .

بعض ما جاء فى ترك الغضب وكظم الغيظ من الكتاب والسنة :

قال تعالى : وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ آل عمران

وقال تعالى : قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ ﴿٧٧﴾ يوسف

وقال تعالى : وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ يوسف

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ ، دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ . صحيح ابن ماجه
وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمَ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . صحيح ابن ماجه
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : أَوْصِنِي قَالَ : لاَ تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ : لاَ تَغْضَبْ . رواه البخارى

قال السيوطي فى تنوير الحوالك شرح موطأ مالك :
قال الباجي : معنى لا تغضب : أي لا تُمض ما يحملك غضبك عليه وكف عنه، وأما نفس الغضب فلا يملك الإنسان دفعه وإنما يدفع ما يدعوه إليه، وإنما أراد صلى الله عليه و سلم منعه من الغضب في معاني دنياه ومعاملته، وأما فيما يعود إلى القيام بالحق فالغضب فيه قد يكون واجبًا كالغضب على أهل الباطل والإنكار عليهم بما يجوز، وقد يكون مندوبًا وهو الغضب على المخطئ كما غضب صلى الله عليه و سلم لما سأله رجل عن ضالة الإبل ولما شكى إليه معاذ أنه يطول في الصلاة .

أقسام الغضب :

١ـ الغضب المحمود :
وهو ما كان غيرةً لدين الله، وغضبًا لإنتهاك محارمه كمحاربة الدين والإستهزاء بشعائره وتدمير البلاد وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، واستباحة الأموال، ونشر الرذيلة، ومحاربة الفضيلة، وإشاعة الفاحشة، وبث الشبهات، وتزيين المنكر، وإنكار المعروف، ومدح الباطل وأهله من الملاحدة والزنادقة والمبتدعة والفسقة والظلمة وأعوانهم . فهذا مما يوجب الغضب لله تعالى . وهذا الغضب علامة من علامات الإيمان وثمرة من ثمراته، إذ أن الذي لا يغضب عندما تنتهك حرمات الله عز وجل ضعيف الإيمان .

٢ـ الغضب المذموم :
وهو ما كان في غير مَحله لأمر من أمور الدنيا، كالإنتصار للنفس أو العصبية للآخرين . وهو الذي حذرنا منه صلى الله عليه وسلم لأنه مفتاح الشر، يُنبت في القلوب الحِقْد والحسد والضغينة، ويُفسد على صاحبه دينه ودنياه، ويُورده الضلالة بعد الهدى، والبلاء بعد العافية، لذلك أوصانا صلى الله عليه وسلم بعدم الغضب .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَوْصِنِي قَالَ: لاَ تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لاَ تَغْضَبْ . رواه البخارى

٣ـ الغضب المباح :
وهو ما كان في غير معصية الله تعالى ولم يتجاوز حدَّه كأن يجهل عليه أحد، وإن كظمه فهو خير .
قال تعالى : وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ آل عمران
قال ابن حبان رحمه الله: والخلق مجبولون على الغضب والحلم معا، فمن غضب فإن ذلك ليس بمذموم ما لم يخرجه غضبه إلى المكروه من القول والفعل على أن مفارقته في الأحوال كلها أحمد .

من صور الغضب لله تعالى :
ضرب النبى صلى الله عليه وسلم أروعَ الأمثلة في الغضب لله تعالى منها :
١ـ غضبه صلى الله عليه وسلم لما كلمه أسامة في شأن المخزومية التي سرقت، وأراد أن يشفع فى حد من حدود الله تعالى .
عَن عَائِشَةَ قَالَت إِن قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْن الْمَرْأَة المخزومية الَّتِي سرقت فَقَالُوا من يكلم فِيهَا رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا وَمن يَجْرُؤ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَة بن زيد حب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلمهُ أُسَامَة فَقَالَ لَهُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْفَع فِي حد من حُدُود الله . ثمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ إِنَّمَا هلك الَّذين من قبلكُمْ أَنهم كَانُوا إِذا سرق فيهم الشريف تَرَكُوهُ وَإِذا سرق فيهم الضَّعِيف أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَد وَايْم وَالله لَو أَن فَاطِمَة بنت مُحَمَّد سرقت لَقطعت يَدهَا . رواه البخاري ومسلم
٢ـ غضبه صلى الله عليه وسلم حينما تجاوز بعض الصحابة حدود الله وانتهك حُرماته .
عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِى سَرِيَّةٍ فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِى نَفْسِى مِنْ ذَلِكَ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : أَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ . قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاَحِ . قَالَ : أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ . فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَىَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّى أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ . رواه مسلم
٣ـ غضبه صلى الله عليه وسلم لما دخل مرة بيت عائشة فرأى سترًا فيه تصاوير فتلون وجهه صلى الله عليه وسلم وهتكه .
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَفِي الْبَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُوَرٌ فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ وَقَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ . رواه البخارى
٤ـ غضبه صلى الله عليه وسلم لما شُكي إليه الإمام الذي يطيل بالناس في صلاة الفجر .
عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ قَالَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ . رواه البخارى

٥- غضبه صلى الله عليه وسلم حين رأى النخامة في قبلة المسجد فتغير وجهه ثم قام بحكها بيده الشريفة .
عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي رَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِيَدِهِ فَتَغَيَّظَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ حِيَالَ وَجْهِهِ فَلَا يَتَنَخَّمَنَّ حِيَالَ وَجْهِهِ فِي الصَّلَاةِ . رواه البخارى
لكنه صلى الله عليه وسلم كان لا يغضب ولا ينتقم حتى يرى حُرمات الله تُنتَهك فإذا غضب فعل ما تتحقّق به المصلحة الراجحة، فيُعلم الجاهل ويَزجر المتساهِل ويُعاقب مَن يستحق العقوبة الشرعيَّة من حدٍّ أو تعزير .
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ . رواه البخاري

علاج الغضب :

ورد في السنة النبوية علاجات للتخلص من الغضب وللحدّ من آثاره منها :
١- حفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تغضب .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَوْصِنِي قَالَ: لاَ تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لاَ تَغْضَبْ . رواه البخارى
قال ابن عبد البر : لا تغضب : هذا من الكلام القليل الألفاظ الجامع للمعاني الكثيرة والفوائد الجليلة ومن كظم غيظه ورد غضبه أخزى شيطانه وسلمت له مروءته ودينه . فالنهي عن الغضب يشمل النهي عن إنفاذ الغضب وعن مباشرة أسباب الغضب .
٢- الإستعاذة بالله من الشيطان .
قال تعالى : وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فصلت
وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ ﷺ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ وَهَلْ بِي جُنُونٌ . رواه البخاري
فانظر كيف منعه الغضب من قبول النصيحة من خير الناصحين صلى الله عليه وسلم .
٣- الإشتغال بذكر الله لأن ذكر الله يطرد الشيطان ويُبطل تأثيره ويجلب الطمأنينة للقلب .
قال تعالى : وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ الكهف
٤- تغيير الهيئة فإن كان واقفًا فليجلِسْ، وإن كان جالسا فليَضطجعْ، لأن القائم متهيئ للشر، والقاعد دونه، والمضطجع أبْعَد .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ . رواه أحمد . صححه الألباني
٥- السكوت وعدم الرد لأنه إذا سكت سيهدأ الطرف الآخر ويمر الموقف بسلام .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ . رواه أحمد - صحيح الجامع
٦- استحضار الأجر العظيم والثواب الكبير الذي أعده الله تعالى لمن كتم غضبه وكظم غيظه .
قال تعالى : ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ آل عمران
وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عز وجل عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ . رواه أبو داود وحسنه الألباني
٧- استحضار الإنسان صورته لحظة الغضب، من تغير لونه وشدة رعدته وارتجاف أطرافه وتغير خلقته واحمرار وجهه، وجحوظ عينيه وطيش حركاته، فلو تأمل ذلك لأنف من نفسه، واشمأز من هيئته .
٨- استحضار مضار الغضب كالإضرار بالنفس والآخرين وانفصام عرى الأسرة وتحطم كيانها والطلاق وتشريد الأولاد .
٩- استحضار الأضرار الصحية كارتفاع ضغط الدم وزيادة ضربات القلب ومعدل التنفس مما قد يؤدي إلى سكته مميتة أو مرض مزمن .
١٠- التسليم بأن كل شئ بقدر وأن ما جرى على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده هو .
١١- وأخيرًا : اجتناب الأسباب المذمومة المهيجة للغضب : كالزهُو والعجب والظلم والعدوان والحسد والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمراء والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وعدم مجاهدة النفس والغفلة عن عواقب الغضب ونحوها .

آثار الغضب :

قال ابن رجب : وينشأ من الغَضَب كثير من الأفعال المحرمة، كالقتل والضربِ، وأنواع الظلم والعُدوان، وكثير من الأقوال المحرَّمة كالقذفِ والسبِّ والفحش وربما ارتقى إلى الكفر كما جرى لجبلة بن الأيهم، وكالأيمان التي لا يجوزُ التزامُها شرعًا، وكطلاق الزوجةِ الذي يُعقِب الندمَ .

ويقول الدكتور فالح بن محمد الصغيّر : للغضب آثارًا وخيمة وأضرارًا جسيمة يمكن أن نقسمها إلى ما يلي :

أ- آثار اجتماعية :

١- انتشار العداوة والبغضاء بين الناس لأن الغاضب لا يتحكم في أقواله وأفعاله مما يخرج به عن الآداب العامة
٢- كثرة حوادث الطلاق مما يترتب عليه خراب البيوت وضياع الأولاد ودخولهم عالم الجرائم .
٣- كثرة حوادث الإعتداءات المؤلمة بسبب الإنفعال العصبي فتترتب عليه نتائج مرة وقاسية .
٤- تقطيع الأواصر التي أمر الله عز وجل بوصلها كبر الوالدين وصلة الأرحام وأخوة الإيمان .

ب- آثار صحية :

١ – حدوث جلطات دماغية نتيجة إفراز هرمون الأدرينالين الذي يؤدي إلى زيادة ضربات القلب ودفع الدم إلى الدماغ .
٢ – ترسب الدهون والشحوم في الشرايين مما يؤدي إلى تصلبها وعدم وصول الدم إلى الدماغ، فيحدث ذبحة صدرية .
٣ – زيادة حموضة المعدة ومما ينتج عنها قرحة مزمنة قد لا تنفع معها الأدوية .
٤ – حدوث اضطرابًا في عمل الكليتين لأنه يحدث اضطرابًا في توازن الأملاح فيهما .
٥ – الإصابة بمرض القولون العصبي المزمن، بسبب الإنفعالات العصبية الكثيرة .
٦ – الإصابة بالسكر نتيجة زيادة هرمون الأدرينالين والذي يضعف مفعول (الأنسولين) .
٧ – قابلية أكثر المصابين بالإنفعالات للإصابة بالأمراض الخبيثة لأن الغضب يحدث اضطرابًا في الهرمونات في الغدد .

ج- آثار نفسية :

١ – التوتر والقلق المرافقين للإنسان الذي يغضب كثيرًا .
٢ – عدم القدرة على إنجاز الأعمال لعدم القدرة على التركيز .
٣ – عدم إدراك الأشياء على حقيقتها، فتختلط معه الحقيقة بالخيال والواقع بالأحلام .
٤ – قصور في التفكير الصحيح، فالغاضب قد ينصاع لأتفه فكرة أو يقتنع بأسوأ عقيدة .
٥ – تفخيم الأشياء التافهة فيصور له الشيطان أن هذه الصغائر كبائر فيتعامل معها كذلك .
٦ – حدوث أمراض نفسية كثيرة إن لم يتداركها صاحبها تشغله عن المهمات .

بعض أقوال السلف فى الغضب و كظم الغيظ :

قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النار .
قال جعفر بن محمد : الغضب مفتاح كل شر .
وقيل لابنِ المبارك : اجْمَعْ لنا حُسن الخلق في كلمة، قال : تركُ الغضب .
وقال الرَّاغب : كَظْمٌ يتردَّد في حلقي أحبُّ إليَّ من نقص أجده في خُلُقي .
وسبَّ رجلٌ ابنَ عباس ﷺ فلما فرغ قال : يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها ؟ فَنَكَّس الرجل رأسَه واستحى .

وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى :

١- لما ولي عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ودخل المسجدَ في ليلةٍ مظلمة فمرَّ برجل نائم فعَثَر به فرفع الرجلُ رأسَه وقال : أمجنونٌ أنت - وما علم أنَّه أمير المؤمنين - فقال عمر: لا . فهمَّ به الحرس فقال عمر : مَهْ، إنَّما سألني أمجنون ؟ فقلت : لا .
٢- وروى أنَّ جارية كانت تصبُّ الماء لعلي بن الحسين فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجَّه، فرفع رأسه إليها، فقالت له : إنَّ الله يقول : وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ . فقال لها : قد كظمت غيظي . قالت : وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ . قال : قد عفوت عنك . قالت : وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . قال : اذهبي فأنت حرَّة لوجه الله .

من ثمرات ترك الغضب وكظم الغيظ :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى : وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ آل عمران

٢- سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد .

قال تعالى : ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ آل عمران

٣- سبب من أسباب دخول الجنة .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ تَغْضَبْ وَلَكَ الجَنَّةُ . رواه الطبراني . صحيح الترغيب والترهيب

٤- إتقاء غضب الله تعالى .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَمْنَعُنِي مِنْ غَضَبِ اللهِ ؟ قَالَ : لاَ تَغْضَبْ . صحيح ابن حبان .

فالجزاء من جنس العمل ، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله تعالى خيرًا منه .

٥- كظم الغيظ من أفضل الأعمال .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمَ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . صحيح ابن ماجه

٦- كظم الغيظ سبب من أسباب قرب العبد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة .

٧- المباهاة به على رؤوس الخلائق .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ . رواه أحمد . صحيح ابن ماجة

٨- كظم الغيظ دليل قوّة النّفس وقهر شهوة الغضب.

٩- كظم الغيظ دليل تقوى الله وإيثار وعده بالجنّة .

١٠- كاظم الغيظ يأمنه النّاس فيألفونه ويقتربون منه ولا يتحاشونه.

الشعبة التاسعة والعشرون : السرور بالحسنة والإغتمام بالسيئة

السرور بالحسنة والإغتمام بالسيئة شعبة من شعب الإيمان، وهى من عاجل بشرى المؤمن، فالمؤمن يُسر بحسناته ويتمنى زيادتها لأنها تقربه من ربه عز وجل، ويخشى السيئات ويستاء منها ويغتم بها إذا اقترفها لأنها تقربه من الشيطان، ففرحه بالطاعة والتوفيق للقيام بها من الإيمان، كما أن اغتمامه بالسيئة وحزنه من اقترافها خوفًا من الله تعالى والمؤاخذة بها من الإيمان أيضًا فهو يسعد بأعماله الصالحة لا على جهة الغرور أو العجب، وإنما شكرًا لله على توفيقه، أما من يستوي عندهم فعل الحسنات والسيئات، فهؤلاء تستولي الغفلة على قلوبهم، فلا تتغير نفوسهم لرؤية المنكر أو اقترافه، ولا يفرحون لرؤية الخير أو فعله، مما يدل على نقص الإيمان وضعفه. أما المؤمن يَوْجل من فعل الصالحات أن لا تتقبل منه ويتهم نفسه بالتقصير في جَنْبِ الله تعالى

قال تعالى : وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ المؤمنون

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله . وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ، أَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِى يَزْنِي، وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ ؟ قَالَ : لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصَلِّي وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لاَ يُتَقَبَّلَ مِنْهُ . صحيح ابن ماجة

فإذا كان هذا حال من يعمل الصالحات، فكيف بمن تلبس بالموبقات، واستمرأ السيئات ؟ لكن المؤمن يتأمل في ما أحاطه الله تعالى به من نعم وفيرة وعطايا جزيلة ومنن غزيرة، فيستصغر كل عملِ خير قام به، فيشفق على نفسه خوفًا من التقصير .

بعض فضائل السرور بالحسنة والإغتمام بالسيئة :

قال تعالى : قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ يونس

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ : إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ . رواه أحمد والتِّرمِذي . صحيح الجامع

وقوله : إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ، أي إذا عملت سيئة ووقع في قلبك حزن واستياء وجلًا من الله وخوفًا من العقوبة فأنت مؤمن، وإذا فعلت حسنة وحصل لك فرح ومسرَّة دون غرور وعجب فأنت مؤمن لأن المؤمن يُميزُ بين الطاعة والمعصية، ويحتسب الثواب من الله عز وجل، ويعتقد المجازاة عليها يوم القيامة، بخلاف الكافر فإنه لا يفرق بينهما ولا يبالي بفعلهما . فهذا الحديث يبين فيه النبى صلى الله عليه وسلم أن من علامات الإيمان أن تسُرك حسنتك وتسيئُك سيئتك .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ : تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ . رواه مسلم

قال النووي رحمه الله فى شرح صحيح مسلم : قوله : تلك عاجل بشرى المؤمن : معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبته له، فيحببه إلى الخلق، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم وإلا فالتعرض مذموم .

كيفية تحقيق هذه الشعبة :

إذا كان المؤمن يستاء من ذنوبه، فقد حُقٍ له أن يفرح بأعماله الصالحة الخالصة، التي لم يقصد بها سمعة ولا رياء، ولو مدحه الناس من أجلها. بل جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك من عاجل بشرى المؤمن في الدنيا قبل الآخرة .

قال السيوطي رحمه الله : هذه البشرى المعجلةُ دليل للبشرى المؤخرة إلى الآخرة كاستبشاره بأن يشرح الله صدره للعمل الصالح فتكتنفه السكينة عند القيام بهذا العمل، وتلفه الراحة والطمأنينة . ولهذا كانت الصلاة قرة عين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان يقول لبلال : يَا بِلاَلُ، أَقِمِ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا . رواه أحمد . صحيح الجامع . وكاستبشاره بالرؤيا الصالحة يراها أو تُرى له . فمَن سرَّته حسنته وساءَتْه سيئته فهو مؤمن، ومَن لم تسرَّه حسنته ولم تسُؤْه سيِّئته فإنه فى غفلة شديدة، ومن المحزن أنَّ كثير من الناس يُذنِب الذنب ويقع في الخطيئة، ولا يتأثَّر ولا يتألَّم لما وقع فيه، بل ربما جاهَر بالمعصية وتبجَّح بفعلها وأصبح يهتك ستره، وإنْ كان الله قد ستره فهذه من العقوبات والبلايا التي وقَع فيها الكثير وفى الحديث : كلُّ أمَّتي مُعافًى إلا المجاهِرين .

أقوال بعض السلف :

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا . وأشار بيده فوق أنفه . رواه البخاري

وقال الحسن البصري رحمه الله : إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءَة وأمنًا .
وقال ابن الجوزي : إنما كانت هذه صفةَ المؤمن ، لشدة خوفه من العقوبة لأنه على يقين من الذنب، وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله، فلذلك قل خوفه فاستهان بالمعاصي .
يقول الدكتور محمد إبراهيم الحمد :
وقوله : إِذَا سَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ وَسَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ . هذا الحديث أحد المقاييس والمؤشرات المهمة التي تقيسُ مستوى الإيمان عند المسلم، فإن للإيمان مؤشرات، وعلامات بينتها السنة النبوية فينبغي للمسلم الأخذ بها لكي يتدارك إيمانه قبل أن يتدنى ويضمحل، ومتى ما اضمحل فقد أوقع صاحبه في المهالك وعرّضه للعقاب والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، فهل تسوءك سيئتك وتسرك حسنتك ؟ هل يسرك عملك أم يسوؤك ؟
إن من علامات حُزنِك واستياءِك من سيئتك أن تكرهَهَا، ومن ثَمَّ تُقلعَ عنها، وتخافَ أن توردك المهالك وتوقعك في عقاب الله عز وجل فمعظم العصاة والمقصرين في جنب الله يسوؤهم عملهم وتقصيرهم، ولكنهم لا يقلعون عن معصيتهم، ولا يغيرون من أنفسهم ، واعلم أخي المسلم أنه لن تسوؤك سيئتك، ولن تسرك حسنتك في أغلب الأحوال، إلا إذا خالطت الصالحين وتركت رفقة الطالحين، فإن الرفيق الصالح هو الذي سيعينك على أن تُبصِرَ سيئتَك وتستاءَ منها، وأما رفاق السوء، فيهونون عليك المعصية، ويزينوها لك حتى تفرح بها، وربما تجاهر بها، وبالتالي لا تستاء منها ولا تقلع عنها .

الشعبة الثلاثون : شح المرء بدينه ويدخل فيه قصر الأمل

أولًا : شح المرء بدينه

شح الْمَرْءِ بِدِينِهِ شعبة من شعب الايمان، لأن الإيمان نفيس جداً لا يعرف قدره إلا من ذاق طعمه ، ومن أدرك ذلك شحّ به، وحافظ عليه وصانه ولم يفرط فيه، وتحمل كل المشاق في سبيل الحفاظ عليه، وعلامته أن يفرط العبد في بدنه ولا يفرط في دينه، ويتساهل في جميع الأمور ولا يتساهل في إيمانه، فهذه علامة المؤمن الصادق الذى علم ثمن الجنة ودخولها ومن دخل الجنة فلن يخرج منها كما أخبر تعالى فقال : وما هم منها بمخرجين . وهذا يدلك على عظم قدر الإيمان .

المقصود بشح المرء بدينه :

قال الشيخ ناصر السعدي في بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار :
في آخر الزمان يقل الخير وأسبابه ويكثر الشر وأسبابه، فعند ذلك يكون المتمسك بدينه والثابت عليه والعاض عليه بالنواجذ ، كالقابض على الجمر من كثرة الفتن المضلة، فتن الشبهات والشكوك والإلحاد ، وفتن الشهوات وانصراف الخلق إلى الدنيا وانهماكهم فيها ، وضعف الإيمان وشدة التفرد لقلة المعين والمساعد . لكن المتمسك بدينه القائم بدفع هذه العوائق التي لا يصمد لها إلا أهل البصيرة واليقين هم أهل الإيمان المتين من أفضل الخلق ، وأرفعهم عند الله درجة ، وأعظمهم عنده قدرا . فهذا هو الشحيح بدينه .

بعض فضائل شح الْمَرْءِ بِدِينِهِ :

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ : قِيْلَ يَا رَسُولَ اللهِ ، أي الناسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنفسِهِ وَمَالِهِ ، قَالُوا : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: مُؤْمِن فِي شِعْب مِنَ الشّعَابِ، يَتقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَاسَ مِنْ شَرِّهِ . **رواه البخارى ومسلم**

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ اَلْمُسْلِمِ غَنَمًا يَتبع بِهاِ شعف اَلْجِبَالِ ، وَمَوَاقِعَ اَلْقَطْرِ ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ اَلْفِتَنِ . **رواه البخارى ومسلم**

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ . **رواه التِّرْمِذِي . صحيح الجامع**

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيُقْذَفَ فِيهَا . **متفق عليه**

كيف يحقق المسلم هذه الشعبة ؟

قال الشيخ ناصر السعدي في بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار :
نبأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه سيأتي زمان تكثر فيه الفتن والحروب والمحن ، فتصعب الحياة ويشتد البلاء فيصبح المسلم لا يأمن على دينه ونفسه ويشعر بالغربة ويجد دينه في خطر؛ فأرشده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما فيه خير له ولدينه وهو الإعتزال والفرار بالدين من الفتن في الأماكن الخالية من الناس والبعيدة عن مواقع إقامتهم كالشعاب وبطون الأودية ورؤوس الجبال . وهذا من رحمة الله عز وجل بعباده وحفظا لهم ولدينهم. وقد أرشد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته أن يوطنوا أنفسهم على هذه الحالة ، وأن من صبر على دينه وإيمانه فإن له عند الله أعلى الدرجات، وسيعينه مولاه على ما يحبه ويرضاه ، وما أشبه زماننا بهذا الوصف الذي ذكره النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه ما بقي من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه ، إيمان ضعيف وقلوب متفرقة وحكومات متشتتة وعداوات وبغضاء وأعداء ظاهرون وباطنون، يعملون سرا وعلنا للقضاء على الدين وإلحاد وماديات جرفت بأمواجها المتلاطمة الشيوخ والشبان، ودعايات إلى فساد الأخلاق ، وإقبال الناس على زخارف الدنيا، بحيث أصبحت هي مبلغ علمهم وأكبر همهم، ودعاية خبيثة للتزهيد في الآخرة ، والإقبال بالكلية على تعمير الدنيا ، وتدمير الدين واحتقاره والاستهزاء بأهله ، وبكل ما ينسب إليه ، وفخر واستكبار بالمدنيات المبنية على الإلحاد . لكن المؤمن لا يقنط من رحمة الله ولا ييأس من روح الله ، ولا يكون نظره مقصورا على الأسباب الظاهرة بل إلى مسبب الأسباب الكريم الوهاب ويكون الفرج بين عينيه ، ووعده الذي لا يخلفه ، بأنه سيجعل له بعد عسر يسرا ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات . فالمؤمن من يقول في هذه الأحوال : لا حول ولا قوة إلا بالله . وحسبنا الله

ونعم الوكيل . على الله توكلنا . ويقوم بما يقدر عليه من الإيمان والنصح والدعوة . ويقنع باليسير ، إذا لم يمكن الكثير . ويزوال بعض الشر وتخفيفه ، إذا تعذر غير ذلك :

قال تعالى : وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ الطلاق

وقال تعالى : وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ۝٣ الطلاق

وقال تعالى : وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ الطلاق

مسألة : حكم العزلة .

قال ابن حجر فى فتح الباري شرح صحيح البخاري وقد اختلف السلف في أصل العزلة :

قال الجمهور الإختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وايصال أنواع الخير إليهم وقال قوم العزلة أولى لتحقق السلامة بشرط معرفة ما يتعين .

وقال النووي المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى

وقال غيره يختلف باختلاف الأشخاص فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين ومنهم من يترجح وليس الكلام فيه بل إذا تساويا فيختلف باختلاف الأحوال فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر فيجب عليه إما عينا، وإما كفاية بحسب الحال والإمكان وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وممن يستوي من يأمن على نفسه ولكنه يتحقق أنه لا يطاع وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبا من الوقوع في المحذور وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعم من ليس من أهلها

بعض ثمرات الثبات على الدين وقت الفتن :

١ـ تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
٢ـ سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد .
٣ـ سبب من أسباب الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار .
٤ـ سبب من أسباب إغاظة الكافرين والمنافقين .
٥ـ سبب من أسباب تثبيت الناس على الإسلام .
٦ـ سبب من أسباب تفريج الكربات والشدائد والملمات .
٧ـ الفوز بأجر خمسين من الصحابة .
٨ـ الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة .

ثانيًا : قصر الأمل

قصر الأمل خصلة من خصال المؤمنين ، ومفتاح كل خير كما أن طول الأمل وحب الدنيا مفتاح كل شر . وكلما قصر الأمل جاد العمل وما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل . والجاهل يعتمد على الأمل والعاقل يعتمد على العمل . والأنفاس معدودة والأيام مقدرة ، وما فات لن يعود . وطول الأمل حجاب على القلب يمنعه من رؤية قرب الموت ومشاهدته ، وبقدر ما يرفع لك من الحجاب ترى ، وبقدر ما تخفف عن أذنيك من الوقر تسمع . وقصر الأمل يدفع إلى الأعمال الصالحة واغتنام أوقات العمر .
فعن ابن عمر ﷺ قال : أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكبي وقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل . وهذا الحديث العظيم أصل في قصر الأمل، وكأن الإنسان فى الدنيا على جناح سفر فهو يتأهب للرحيل . فطول الأمل من تزيين الشيطان وسلطانه على قلوب الغافلين، فلا آفة أعظم منه، وإنما تفتر الهمم ويسود العجز والكسل ويقدم العبد على المعاصي والشهوات ويغفل عن الإنابة لطول أمله ؛ فإنَّ الاستعداد نتيجة قرب الانتظار ؛ فمن له أَخَوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما في غد وقدوم الآخر بعد عام فإنه لا يستعد للذي يقدم بعد عام وإنما للذي يأتي غداً ؛ فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة مثلاً ، اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة وذلك يمنعه من مبادرة العمل لأنه يرى نفسه في متسع من الزمن فيؤخر العمل .

المقصود بقصر الأمل :

هو استشعار قرب الموت ولهذا قال بعضهم قصر الأمل سبب للزهد لأن من قصر أمله زهد ، كما أن طول الأمل يتولد عنه الكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة والرغبة في الدنيا والنسيان للآخرة والقسوة في القلب .
قال ابن القيم : فأما قصر الأمل فهو العلم بقرب الرحيل وسرعة انقضاء مدة الحياة .
وقصر الأمل بناؤه على أمرين : تيقن زوال الدنيا ومفارقتها وتيقن لقاء الآخرة ودوامها . ثم يقايس بين الأمرين ويؤثر أولاهما بالإيثار .

بعض فضائل قصر الأمل من الكتاب والسنة :

قال تعالى : إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ لقمان

قال تعالى : وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ المنافقون

وَعَنِ اِبْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ : كُنْ فِي اَلدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ . وَكَانَ اِبْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ اَلصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ اَلْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِك ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ . رواه اَلْبُخَارِيُّ
وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ : مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا . فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ : خُصٌّ لَنَا وَهَى ، نَحْنُ نُصْلِحُهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلاَّ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ . رواه البُخَارِيّ
وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا قَالَ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ قَالَ : أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ . صحيح ابن ماجة

كيفية تحقيق قصر الأمل :

قال محمد نصر الدين عويضة فى فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب :
من أكبر البواعث التى تنبه الغافل وتوقظ النائم :
النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها ونقصها وخستها وما في المزاحمة عليها من الغصص والنغص والأنكاد .
النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والإكثار من ذكر الموت والدار الآخرة
تشييع الجنائز والتفكر في مصارع الآباء والإخوان وأنهم لم يأخذوا غير العمل الصالح
الإقبال على طاعة الله وإعمار الأوقات بالذكر وتلاوة القرآن
البذل والإنفاق وكثرة الصدقات
ترك مجالس أهل الدنيا والإشتغال بمجالس الآخرة
الإقلال من الطعام والشراب والنوم والضحك والمزاح
مطالعة أخبار الزاهدين وبخاصة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

أقوال السلف فى قصر الامل :

قال الحسن : ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل .
وقال أبو زرعة : ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنه ، فحدثتني نفسي أن أرجع إليه .
وقال ابن القيم : مفتاح الإستعداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل .
وقال بعض الحكماء : الجاهل يعتمد على الأمل ، والعاقل يعتمد على العمل .
قيل لنوح عليه السلام في طول الأمل وفي قصره وقد عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً : كيف رأيت الحياة ؟ قال : والله لقد رأيت الحياة كبيت ذي بابين دخلت من هذا ، وخرجت من هذا .
قال ابن عقيل : ما تصفو الأعمال والأحوال إلا بتقصير الآمال ، فإن كل من عدّ ساعته التي هو فيها كمرض الموت حسنت أعماله فصار عمره كله صافيا .

أثر طول الأمل وحب الدنيا :

سبب من أسباب العجز والكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة والرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة .
سبب من أسباب جرأة العبد على المعاصي ، والاسترسال في الشهوات .
سبب من أسباب عدم المبادرة إلى اغتنام الأوقات بالأعمال الصالحات .
سبب من أسباب التساهل بتأخير قضاء الديون والقسوة في القلب
مفتاح كل شر .
قال الشاعر : يا غافلاً عن العمل وغره طول الأمل الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل
كان أحد الصالحين إذا أراد الخروج من المسجد بكى ، فقيل له : ما الذي يبكيك ؟ قال : أخاف ألا أرجع إليه مرة ثانية .
وقال آخر : والله ما نمت نومة إلا ظننت أني لا أستيقظ بعدها .

ثمرات قصر الأمل :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
٢- سبب من أسباب حسن الخاتمة .
٣- سبب من أسباب اغتنام الأوقات والأعمال الصالحة .
٤- سبب من أسباب الحياء من الله فلا يقارف المعصية .
٥- علاج لقسوة القلب وجمود العين .

الفصل الثالث : العبادات البدنية

والمقصود بالعبادات البدنية هى كل عبادة أنيطت بالبدن أو بعضو من أعضائه فهي داخلة في هذا النوع من العبادات وهى كثيرة : كالصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد والرباط وغَض البصر، وحِفظ الفرْج، وكفُّ الأذى عن الناس، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران ، والمعاملات، وغير ذلك من الأعمال التى يَجتمع فيها العبادات البدنية والقولية والمالية .

وهذا الفصل يشتمل على { ٢٧ } شعبة على النحو التالى :

الشعبة الأولى : اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
الشعبة الثانية : الطهارة
الشعبة الثالثة : الصلاة
الشعبة الرابعة : الصيام ويدخل فيه الإعتكاف والتماس ليلة القدر
الشعبة الخامسة : الحج والعمرة
الشعبة السادسة : الجهاد ويدخل فيه ترك الفرارمن الزحف
الشعبة السابعة : الرباط في سبيل الله
الشعبة الثامنة : بر الوالدين ويدخل فيه ترك العقوق
الشعبة التاسعة : صلة الأرحام ويدخل فيه ترك القطيعة
الشعبة العاشرة : حق المسلم على المسلم
الشعبة الحادية عشرة : تربية الأولاد والإحسان إلى الأهل
الشعبة الثانية عشرة : الإحسان إلى الجيران
الشعبة الثالثة عشرة : التعاون على البر والتقوى ويدخل فيه : إصلاح ذات البين - تفريج الكربات وقضاء حوائج الناس - إقراض المعسر
الشعبة الرابعة عشرة : حق السادة على المماليك ويدخل فيه : الإحسان إليهم
الشعبة الخامسة عشرة : حفظ الفروج
الشعبة السادسة عشرة : اجتناب المحرم من اللباس و الزينة
الشعبة السابعة عشرة : إماطة الأذى
الشعبة الثامنة عشرة : كف الأذى عن الناس
الشعبة التاسعة عشرة : اجتناب اللهو
الشعبة العشرون : الإعراض عن اللغو
الشعبة الحادية والعشرون : تعظيم شعائر الله وحرماته
الشعبة الثانية والعشرون : طاعة أولي الأمر
الشعبة الثالثة والعشرون : لزوم جماعة المسلمين
الشعبة الرابعة والعشرون : الحكم بما أنزل الله
الشعبة الخامسة والعشرون : إقامة الحدود
الشعبة السادسة والعشرون : إقامة العدل
الشعبة السابعة والعشرون : الستر

الشعبة الأولى : اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

اتباع النبي صلى الله عليه وسلم شعبةٌ من أعظم شُعَب الإيمان، وركن من أركان العبادة التى لا تصح إلا بها . فالعمل لا يقبل إلا بشرطين : الإخلاص لله تعالى واتباع النبي صلى الله عليه وسلم .
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : الإخلاص والمتابعة شرط لكل عبادة ظاهرة وباطنة فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، وكل عمل لا يكون على سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مردود .
فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم قربة من أشرف القربات التى يتقرب بها العبد إلى رب الأرض والسماوات .
والسنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، والمصدر الثانى من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل بإجماع أهل العلم قاطبة، وهي حجة مستقلة على جميع الأمة من جحدها أو أنكرها أو زعم أنه يجوز الإعراض عنها والإكتفاء بالقرآن فقط فقد ضل ضلالًا بعيدًا وكفر كفرًا أكبر .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ النساء

والسنة لها مكانة عظيمة في الشريعة فهي التطبيق العملي لما في كتاب الله، وقد جاءت السنة مفسرة لآياته، موضحة لمعانيه، شارحة لألفاظه، موضحة لمبهمه، مبينة لمجمله، مخصصة لعمومه، مقيدة لمطلقه .

المقصود باتباع السنة :

هو الإقتداء والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في الإعتقادات والأقوال والأفعال والتروك، مع توفر القصد والإرادة في ذلك كله .

قال تعالى : لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ الأحزاب

والرسول صلى الله عليه وسلم هو الميزان الأكبر الذي توزن عليه الأعمال فمهما قال قائل قولًا أو فعل فعلًا أو ادعى دعوى فلا قيمة لها حتى تزن كلامه وفعله بالميزان الأكبر وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مكانة اتباع السنة فى الشريعة :

١- أوجب الله عز وجل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في أكثر من ثلاثين موضعًا من كتابه

قال تعالى : وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ الحشر

٢- اشترط الله عز وجل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعته سبحانه .

قال تعالى : مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ النساء

٣- أوجب الله عز وجل الرد والرجوع عند التنازع والاختلاف إلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴿٥٩﴾ النساء

والرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرجوع إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته .
٤- أوجب الله عز وجل الإنقياد الكامل، والتسليم المطلق لما حكم به، وحكم به رسوله صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ الأحزاب

٥- نفى الله عز وجل الإيمان عمن لم يتحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وإلى سنته بعد موته .

قال تعالى : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ النساء

٦- أكَّد الله عز وجل على وجوب اتِّباع النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأخبر بأنَّه الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة ، التي يَنبغي على كلِّ مؤمن أن يقتدي به في أقواله وأفعاله وأحواله .

قال تعالى : لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ الأحزاب

٧- أمر الله عز وجل المؤمنين بالإستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم، وبين أنها سبب الحياة الطيبة، والسعادة في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴿٢٤﴾ الأنفال

٨- نهى الله عز وجل المؤمنين عن التقدم بين يدي رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ الحجرات

٩- حذر الله عز وجل المؤمنين من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فمن فعل فقد عرض نفسه للفتنة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة .

قال تعالى : فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ النور

١٠- أخبر الله عز وجل أن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم من أعظم أبواب محبته سبحانه .

قال تعالى : قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ آل عمران

١١- بين الله عز وجل أن التولي عن طاعة الرسول إنما هو من شأن الكافرين .

قال تعالى : قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ آل عمران

١٢- قرن الله عز وجل معصية الرسول صلى الله عليه وسلم بمعصيته فى ثلاث مواضع وهى :

١- قال تعالى : وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ النساء

٢- قال تعالى : وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ الأحزاب

٣- قال تعالى : وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ الجن

١٣- بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى . رواه البخاري

١٤- أجمع العلماء على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه، وأن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع

أحوال السنة مع القرآن الكريم :

بين علماء الأصول أن السنة مع القرآن على ثلاثةِ أقسامٍ :

القسم الأول : أن تأتي السنة موافقة ومؤكدة ومؤيدة لما ورد في القرآن الكريم :

المثال الأول : قوله تعالى فى بيان أركان الإيمان :

قال تعالى : وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

وأكدت السنة ذلك في الحديث المشهور بحديث جبريل عَنْ عُمَرَ بن الخطاب ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم،فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ.قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ . رواه مسلم

المثال الثانى : قوله تعالى فى بيان أركان الإسلام :

قال تعالى : وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ البقرة

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ آل عمران

وجاءت السنة النبوية وأكدت كل ذلك في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،وَإِقَامِ الصَّلاةِ،وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،وَالْحَجِّ،وَصَوْمِ رَمَضَانَ . رواه البخاري ومسلم

القسم الثاني : أن تأتي السنة مفسرة وموضحة ومبينة لكتاب الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل

وتنقسم السنة المبينة إلى الأقسام الآتية :
توضيح المجمل ، وتخصِّيص العام ، وتقيِّيد المطلق ، توضيح المُشكِل سواء كان ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم أو بفعله أو بإقراره .

أولًا : مبينةٌ لما أُجْمِل في القرآن الكريم .

جاء كثير من أحكام القرآن مجملة، فبينت السنة إجمالها كأحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والذبائح والصيد والأنكحة، وأحكام البيوع، وأحكام الجنايات والحدود والديات، والنفقات، وغير ذلك مما وقع مجملاً في القرآن وفصله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه .
مثال : أمر الله تعالى بأداء الصلاة فقال تعالى : وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ٤٣ البقرة .
من غير بيان لأوقاتها وأركانها وركعاتها وصفتها، فبينت السنة كل ذلك بفعله وقوله صلى الله عليه وسلم فقال : صلوا كما رأيتموني أصلي . رواه البخاري

ثانيًا : مخصصة لعموم القرآن :

وردت في القرآن أحكام عامة جاءت السنة بتخصيصها .
المثال الأول : قوله تعالى : يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴿١١﴾ النساء

فالآية عامة في جميع الأبناء على اختلاف مللهم، فجاءت السُّنة فخصت الميراث بالولد المسلم غير القاتل
لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ . متفق عليه
وقوله صلى الله عليه وسلم : وَلاَ يَرِثُ الْقَاتِلُ شَيْئًا . رواه أبو داود . صحيح الجامع
فهذان الحديثان يحرمان الولد القاتل لأبيه أو أمه أو غير المسلم من الميراث .
المثال الثانى : حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ ﴿٣﴾ المائدة

خصصتها السنة بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ؛ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ؛ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ . صحيح ابن ماجه .
فأباح النبي صلى الله عليه وسلم ميتتان وهما : الحوت والجراد ، و دمان وهما الكبد والطحال .

ثالثًا : مقيدة لمطلق القرآن :

فقد ورد في القرآن آيات مطلقه جاءت السنة بتقييدها .
المثال الأول : قوله تعالى : مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ﴿١١﴾ النساء

لفظ الوصية الوارد في الآية مطلق غير مقيد بمقدار معين ، فجاءت السنة فقيدت الوصية بالثلث .
المثال الثانى : قوله تعالى : وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴿٣٨﴾ المائدة

فهذا حكم في مُطلَق السرقة وإن قلَّت، فجاءت السُّنة فقيَّدته بحدٍّ مُعيَّن وهو النصاب لا يقلُّ عنه .
فعن عائشة أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تُقطع يدُ السارق إلا في ربُع دينار فصاعدًا . رواه البخارى ومسلم
وقيدت القطع أيضًا بأن يكون من مفصل الكف بالإتفاق، وهذا تقييد لمطلق اليد الواردة فى الآية .

رابعًا : موضحة لمُشكِل القرآن :

قد يكون اللفظُ له أكثر مِن معنًى، فيُشكِل المعنى المراد في الآية على الصحابة، فيسألون النبي صلى الله عليه وسلم فيُبيِّن لهم المراد .

المثال الأول :

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال لما نزلت هذه الآية : ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ الأنعام . قلنا : يا رسول الله، أيُّنا لا يظلِمُ نفسه، قال: ليس كما تقولون، وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ . بشرك أَوَلَمْ تسمعوا إلى قول لقمان لابنه : يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ لقمان . رواه البخارى ومسلم

المثال الثانى : قال تعالى : وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ ١٨٧ البقرة

فقد فهم بعض الصحابة من الخيط الأبيض والخيط الأسود حقيقتهما وأنه يباح الأكل للصائم حتى تتبين له رؤيتهما . فجاءت السنة فرفعت هذا الإشكال، وبينت أن الخيط الأبيض، والخيط الأسود مجازان عن بياض النهار ، وسواد الليل .

فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ . عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ فَلاَ يَسْتَبِينُ لِي فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ . رواه البخارى

القسم الثالث : أن تأتي السنة بأحكام مستقلة شرعها الله عز وجل لم تذكر في كتابه .

مثال : تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، وتحريم الرضاع بالنسب، وتحريم الحُمُر الأهلية وكل ذي ناب من السباع، ورجم الزاني المحصن، والمسح على الخفين، وصلاة الكسوف والخسوف، وميراث الجدَّة، وإيجاب صدقة الفطر، وتحريم الذهب والحرير على الرجال، والشفعة، والمضاربة، واللقطة، والأمثلة كثيرة . وهذا النوع وإن كان زائدًا على ما في القرآن إلا أنه تشريع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب طاعته فيه امتثالاً لما أمر الله به من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ النساء

قال تعالى : وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ٧ الحشر

وقال تعالى : فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ النور

أقوال السلف في التمسك بالسنة :

قال ابن مسعود ﷺ : القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة .
وقال الزهري : كان من مضى من علمائنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة .
وقال الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته ولزم طريقته .
وقال ابن أبي العز : والعبادات مبناها على السنة والإتباع لا على الهوى والابتداع .
وقال أحمد بن حنبل : من رد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة .
وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : المتبِع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من الضرب بالسيوف في سبيل الله .
وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله فى مجموع الفتاوى : أمر الله بطاعة رسوله في أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته؛ كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه .
وقال ابن القيم رحمه الله فى مدارج السالكين : ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرًا وباطنًا، وصدقته خبرًا وأطعته أمرًا وأجبته دعوةً وآثرته طوعًا وفنيت عن حكم غيره بحكمه ، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته وإن لم يكن ذلك فلا تتعنّ، وارجع من حيث شئت فالتمس نورًا فلست على شيئ .
قال شيخ الإسلام رحمه الله : من فارق الدليل ضل السبيل ولا دليل إلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
وقال ابن أبي العز الحنفي : كيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
وقال السيوطي : من أنكر السنة وزعم أنه لا يحتج بها فقد كفر إجماعًا، ونقل كثيرًا من كلام السلف في ذلك .

من ثمرات اتِّباع السُّنَّة :

١- سبب من أسباب محبّة الله عز وجلّ للعبد .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ . رواه البخاري

٢- توفيق الله تعالى لعبده للخير، فلا يصدر من جوارحه إلا ما يرضي ربه عزّ وجلّ لأنه إذا نال المحبة نال المعيَّة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ . رواه البخاري

٣- حياة القلب فالعبد إذا كان محافظًا على السُّنَّة كان لِما هو أهم منها أحفظ، ومن تهاون بالسُّنَن عوقب بحرمان الفرائض .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴿٢٤﴾ الأنفال

٤- جبر النَّقص في الفرائض يوم القيامة، فالنوافل تجبر ما يحصل في الفرائض من خَلَل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِر، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شيءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ . رواه الترمذي . صحيح الترغيب

٥- سبب لنيل رحمة الله للعبد :

قال تعالى : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴿١٥٧﴾ الأعراف

٦- إتباع النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم أسباب دخول الجنة .

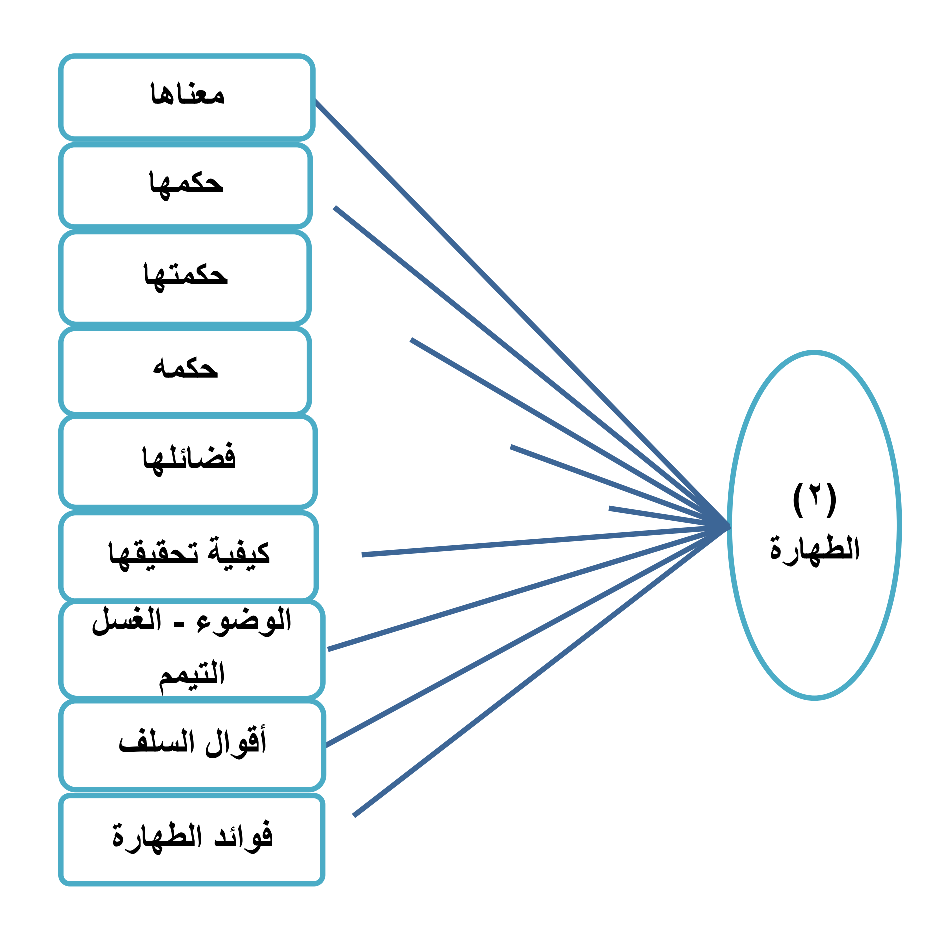
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى . رواه البخاري

٧- اتباع السنة أمان من الفرقة والاختلاف التي تؤدي إلى العداوات والبغضاء .

عن العرباض بن سارية ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ . رواه أبو داود . صحيح الترغيب والترهيب

٨- النجاة والعصمة من الوقوع في البدعة؛ فإنّ من لازم السّنن نجا من البدع بإذن الله .

قَالَ الزُّهْرِيِّ : كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ .


معناها
حكمها
حكمتها
حكمه
فضائلها
كيفية تحقيقها
الوضوء - الغسل
التيمم
أقوال السلف
فوائد الطهارة
(٢)
الطهارة

الشعبة الثانية : الطهارة

الطهارة شعبة من شعب الإيمان، لها مكانة كبيرة، وفوائد عظيمة وثمرات جليلة، ولقد اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بأمر الطهارة، فحث عليها ودعا إليها لتشمل جميع مناحى الشريعة كطهارة العقيدة من الخرافات والأباطيل، وطهارة القلب من الشرك والرياء والنفاق والعجب والكبر، وطهارة الأخلاق من الرَّذائل والمنكرات، وطهارة اللِّسان من الفحش والكفر والسب والشتم وغيره، وطهارة الجوارح من درن المعاصى والآثام، وطهارة الثياب من الأوساخ والأقذار، وطهارة المَساجد من كل ما يدنسها، ونظافة الطريق من كل ما يؤذى المارة . ونظافةُ سائر جوانب الحياة التي يَستخدمها الإنسان في ليله ونهاره ؛ حتى يبدوَ المسلم كأنَّه شامة بين الناس .

معنى الطهارة :

لغة : النظافة والنزاهة عن الأقذار والأوساخ، سواء كانت حسِّية كالبول والغائط، أو معنوية كالذنوب والمعاصي .
الطهارة شرعاً : ارتفاع الحدَث وزوال الخبث .
والحدث : هو وصف قائم بالبدن – يعنى شئ معنوي غير محسوس - يمنع مما تشترط له الطهارة .
والخبث : النجاسة المادية التي قد تصيب الثوب أو البدن أو المكان كالبول أو الغائط أو دم الحيض وغير ذلك
والطهارة قسمين : طهارة حقيقية وطهارة حكمية .
الطهارة الحقيقية : هي الطهارة عن الخبث من البدن والثوب والمكان .
الطهارة الحكمية : هي الطهارة من الحدث وهي تختص بالبدن وهي ثلاثة أنواع الغسل والوضوء والتيمم .
وللطهارة صور كثيرة فمنها :
طهارة القلب من الكفر والشرك والنفاق والرياء والحسد والكبر والعجب وغير ذلك من الصفات المذمومة
طهارة اللسان من الزور والسباب واللعان والكلام البذيء والغيبة والنميمة .
طهارة البدن من الحدث الأكبر والأصغر وما يتعرض له من الأوساخ، بالوضوء أو الغسل بالماء .
طهارة الثياب من القذر والأذى .
وطهارة الأماكن العامة والخاصة والطرقات من النجاسات والقاذورات الحسية والمعنوية .
والنجاسات هي كل عين يجب التَّطهُّرُ منها، ومن زعم نجاسة عين ما فعليه بالدليل، وإن عجز عنه فالواجب الوقوف على ما يقتضيه الأصل والبراءة لأن الحكم بالنجاسة حكم تكليفي فلا يحل إلا بعد قيام الحجة .
والقاعدة الأصولية : أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة إلا بدليل .

أقسام النجاسات:

النجاسة المعنوية : وهي نجاسة الشرك وهذه لا يطهرها إلا التوحيد ولو اغتسل بماء البحر لأنها معنوية فطهارتها شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
النجاسة الحكمية : وهي النجاسة الطارئة على محل طاهر مثل الثوب إذا أصابه البول . والنعل إذا وطئ بها الغائط . والماء إذا وقعت فيه شاة فغيرت رائحته ونحو ذلك . وطهارتها إزالتها .
النجاسة العينية : هى التى لا يمكن تطهيرها بالماء لأنها نجسة العين . وهي أن يكون الشيء نجساً بذاته كبول الآدمي وغائطه والمذى والودي والدم المسفوح ودم الحيض والنفاس . ولعاب الكلب ولحم الخنزير وجميع أجزائه والميتة ويستثنى من ذلك الجلد بعد الدبغ، وعظم وقرن وريش وشعر وظفر الميتة وميتة مالا دم سائل له كالذباب والنمل والنحل، وميتة السمك والجراد ، ودم وبول وروث ما لا يؤكل لحمه وما قطع من الحيوان وهو حي .

درجات النجاسة :

النجاسة المخففة : كبول الصبي الرضيع الذي لم يأكل الطعام، إذا أصاب الثوب ونحوه . وتطهيرها أن يرش عليها الماء .
النجاسة المتوسطة : كبول الآدمي وغائطه، ودم الحيض والنفاس، وغالب النجاسات من هذا النوع . وتطهيرها أن يغسلها بالماء حتى تزول، وإن كان لها جرم أزاله قبل ذلك، ولا يضر بقاء اللون بعد الغسل .
النجاسة المغلظة : وهي نجاسة ما ولغ فيه الكلب . وتطهيرها أن تغسل سبع مرات أولاهن بالتراب .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ : طُهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاَهُنَّ بِالتُّرَابِ . متفق عليه

كيفية تطهير النجاسات :

تختلف بحسب نوعها فقد يكون تطهيرها عن طريق غسلها بالماء وهو الأكثر، ويمكن أن يكون التطهير بالوسائل الحديثة إذا كانت طاهرة في نفسها فالذي يجب هو إزالة عين النجاسة بأي مزيل
ولو تطهرت النجاسة بالشمس وزال عينها فقد تطهر المكان منها
تطهير الثوب من بول الصبي الرضيع ما لم يطعم بالرش على إن كان غلاماً ويغسل ان كانت جارية.
وتطهير الثوب إذا أصابه دم الحيض يكون بفركه وقشره ودلكه بإطراف الأصابع ثم بغسله.
وتطهير الأرض من النجاسة بصب الماء عليها.
وتطهير نجاسة لعاب الكلب إن أصاب إناءًا بغسله سبع مرات أولاهن بالتراب .
وتطهير الثوب من المذى بأن يرش بالماء في مكان المذي .
وتطهير أسفل النعل بمسحه بالأرض . وتطهير جلد الميتة بالدباغ

أقسام السؤر :

السؤر هو ما بقي في الإناء بعد الأكل أو الشرب وهو أنواع :
قال النووي في المجموع : ومراد الفقهاء بقولهم سؤر الحيوان : لعابه ورطوبة فمه .
سؤر الآدمي طاهر سواء كان مسلمًا أو كافرًا جنبًا أو إمرأة حائضًا .
سؤر ما يؤكل لحمه طاهر لأن لعابه متولد من لحم طاهر فأخذ حكمه .
قال ابن المنذر ، أجمع أهل العلم على أن سؤر ما يؤكل لحمه يجوز شربه والوضوء به.
٣- سؤر ما لا يؤكل لحمه كالحمار والبغل والسباع وجوارح الطير مختلف فيه وقيل طاهر .
وكان النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يركَبُ الحُمُر والبِغال، كما أنَّها كانت تُركَبُ في زمنه، ولا يخلو راكبُها من ملامسةِ لُعابِها وعَرَقِها، وغير ذلك، ولو كانتْ نجسةً لتحرَّزَ منها النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولأمَرَ بالتحرُّزِ منها.
وقياسًا على الهِرَّةِ فالبِغالُ والحُمُرُ الأهليَّةُ في حُكمِ الطوَّافينَ لكثرةِ الملابسةِ، ولأنه تعم به البلوى فيشقُّ التحرُّزِ منها.
وهو مذهَبُ المالكيَّة والشَّافعيَّة وروايةٌ عن أحمد واختاره ابنُ قدامة وابنُ باز وابنُ عثيمين وبه أفتت اللَّجنةُ الدائمةُ.
٤- سؤر الهرة طاهر، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في الهِرَّة : إنَّها ليست بنجس، إنَّها من الطَّوَّافين عليكم والطَّوَّافات. رواه الخمسة . صححه الألباني
وهو مذهَبُ جُمهورِ: المالكيَّة والشافعيَّة والحنابلة وأبي يوسفَ مِن الحنفيَّة وهو قَولُ أكثَرِ أهلِ العِلمِ
والطَّوَّافُ معناه كثير التِّرداد وعلى هذا كلُّ ما يكثر التطواف على النَاس مما يشقُّ التَّحرُّز منه فحكمه كالهِّرة لكن يُستثنى من ذلك ما استثناه الشَّارع وهو الكلب فسؤره نجس .
٥- سؤر الكلب والخنزير نجس .
عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : طُهورُ إناءِ أحَدِكم إذا وَلَغ فيه الكَلبُ أن يَغسِلَه سبعَ مرَّاتٍ، أولاهنَّ بالتُّراب . رواه أحمد ومسلم
وقوله تعالى : فَإِنَّهُ رِجْسٌ . الأنعام

أقسام الدم :

ينقسم الدم من حيث الطهارة والنجاسة إلى طاهر ونجس :
أولًا : الدم الطاهر وهو أربعة أقسام :
دم حيوان البحر
الدم الخارج من بدن الإنسان غير الفرجين
دم ما لا نفس له سائلة كالبعوض
الدم المتبقي في في لحم وعروق الحيوان بعد تذكيته وهو الجمهور .
ثانيًا : الدم النجس، وهو ثلاثة أقسام :
الدم المسفوح وهو الجاري الذي يسيل ويتدفّق من عروق المذبوح، وهو نجس بالإجماع . لقوله تعالى أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً
دم الحيض والنفاس، نجس بالإجماع .
الدم الخارج من الحيوان غير المأكول .

بعض فضائل الطهارة :

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ المائدة

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۞ البقرة

وعَنْ عُثْمَانَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوضُوء خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ ، حَتَّى تَخْرُجَ مِن تَحْتِ أَظْفَارِهِ . رواه مسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ . رواه مسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ . رواه مسلم

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ تَرَ مِنْ أُمَّتِكَ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غُرٌّ مُحَجَّلُونَ بُلْقٌ مِنْ آثَارِ الْوَضُوءِ . صحيح ابن ماجة

وعَنْ ثَوْبَانٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ يُحَافِظُ عَلَى الْوضُوءِ إِلاَّ مُؤمِنٌ . صحيح ابن ماجة

آداب قضاء الحاجة :

عند دخول الخلاء يقول بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، وعند الخروج يقول : غفرانك، ويقدم الرجل اليسرى عند الدخول واليمنى عند الخروج . والسنّة أن يقضي حاجته جالسا وأن يدنو من الأرض لأنّه أستر وآمن من ارتداد رشاش البول عليه وتلويث بدنه وثيابه فإن أَمِن ذلك جاز البول قائما، وأن يستتر عن أعين الناس عند قضاء الحاجة وإذا كان الإنسان في الفضاء ولم يجد شيئا يستره فليبتعد، ويحرم استقبال القبلة أو استدبارها في الفضاء . ولا يمسّ ذَكَرَه ولا يزيل النّجاسة بيمينه . وأن يكون غسل النجاسة أو مسحها ثلاث مرات أو وترًا بعد الثلاث، ولا يستعمل العظم ولا الرّوث في الإستجمار، وإنما يستعمل الحجارة أو المناديل ونحوها . وأن يجتنب البول في الماء الراكد حتى لا ينجسه أو يفسده . ويجتنب الملاعن الثلاث وهي طريق الماء، وطريق الناس، وظلّهم، ويكره الكلام أثناء قضاء الحاجة إلاّ لحاجة . ومن كان حدثه دائم كصاحب السلس، يتوضأ لكل صلاة عند دخول الوقت، وإذا خرج منه بول أو ريح في أثناء الصلاة، أو فيما بين وضوئه وصلاته ، لا يضره وصلاته صحيحة قياساً على المستحاضة .

أولًا : الوضوء :

هو التعبد لله عز وجل بغسل الأعضاء الأربعة على صفة مخصوصة ، كما يعرف بأنه الطهارة التي يرتفع بها الحدث الأصغر .
وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع .
قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ٦ المائدة
وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا تُقْبَلُ صَلاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ . متفق عليه
وانعقد إجماع المسلمين على مشروعية الوضوء من عهد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا .

حكم الوضوء :

الوضوء واجب لما تشترط له .
قال تعالى : وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ المدثر
وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول : لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ . رواه مسلم

ما يستحب له الوضوء :

ذكر الله تعالى - قبل النوم - الجنابة - قبل الغسل - لكل صلاة - عند كل حدث - من حمل الميت - القيء .

شروط الوضوء :

الإسلام - العقل - التمييز - النية - دخول الوقت لمن حدثه دائم - طهورية الماء - إزالة ما يمنع وصول الماء إلى البشرة

فروض الوضوء ستة :

غسل الوجه ومنه المضمضة والإستنشاق - غسل اليدين إلى المرفقين - مسح الرأس والأذنان من الرأس - غسل الرجلين إلى الكعبين – الترتيب – الموالاة وهي المتابعة بين أعضاء الوضوء في الغسل بحيث لا يجف العضو قبل غسل ما يليه .
وحد الوجه ما يحصل به المواجهة، من منحنى الجبهة من الرأس إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً، ويجوز للمرأة أن تمسح على خمارها .

سنن الوضوء :

السواك - غسل الكفين ثلاثا في أول الوضوء - الجمع بين المضمضة والإستنشاق بغرفة واحدة - المبالغة في الإستنشاق لغير الصائم – التيامن - غسل الأعضاء ثلاثاً إلا الرأس فيمسح مرة واحدة – الدلك - الدعاء بعده - صلاة ركعتين .
والسنة في الوضوء أن لا يجاوز المسلم في غسل أعضائه أكثر من ثلاث مرات، ومن زاد فقد أساء وتعدى وظلم . ويسن أن يتوضأ بمد، ومن زاد على ذلك بلا إسراف فلا حرج .
جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ عَنْ الْوُضُوءِ فَأَرَاهُ الْوُضُوءَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ . رواه النسائي . صحيح الجامع

نواقض الوضوء :

١ - الخارج من السبيلين كالبول والغائط، والحيض والنفاس والدم والمني، والريح وغير ذلك .
٢ - زوال العقل بنوم طويل، أو إغماء، أو سكر، أو جنون . والنوم اليسير من قائم وجالس ومضطجع لا ينقض الوضوء .
عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أُقِيمَتْ صَلاةُ العِشَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ : لِي حَاجَةٌ، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُنَاجِيهِ حَتَّى نَامَ القَوْمُ أَوْ بَعْضُ القَوْمِ ثُمَّ صَلَّوْا . متفق عليه
٣ - مس الفرج بشهوة .
٤ - أكل لحم الجزور .
عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَأَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الغَنَمِ؟ قال: إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ . وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ . قال : أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الإِبِلِ ؟ قال: نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الإِبِلِ . رواه مسلم
٥ - الردة عن الإسلام .

مسألة : لمس المرأة لا ينقض الوضوء مطلقاً، سواء كان مَحْرماً أو غير مَحْرم، بحائل أو بغير حائل، بشهوة أو بغير شهوة، ما لم ينزل منياً فيغتسل، أو مذياً فيغسل ذكره ويتوضأ . ومن قبّل زوجته ولو بشهوة، لم ينتقض وضوءه، إلا أن يخرج منه شيء.

وضوء النبى صلى الله عليه وسلم :

دعا عُثْمَان بنُ عَفَّان ﷺ بوضوء فتوضأ، فغسل كفيه ثلاث مرات ثم مضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ثم غسل اليسرى مثل ذلك ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال : من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدّث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه . وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثًا ثلاثًا . وخالف بين أعضائه في عدد الغسلات فغسل وجهه ثلاثًا ويديه مرتين ورجليه مرة . وإذا توضأ المؤمن فقد أدى طهارة بدنه ، فيقول كلمة التوحيد تأكيدًا على طهارة قلبه من الشرك .

فعن أبي سعيد ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم : مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ وُضُوئِهِ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِله إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ كُتِبَ فِي رَق، ثُمَّ جُعِلَ في طَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . رواه النسائي والحاكم . صحيح الجامع

المسح على الخفين :

أجمع العلماء على مشروعية المسح على الخفين في السفر والحضر سواء كان لحاجة أو لغير حاجة
وشروط المسح على الخفين وما يقوم مقامهما من الجوارب :
أن يلبسهما على طهارة من الحدث . وأن يكون في المدة المحددة وهي ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوم وليلة للمقيم وتحسب المدة من أول مسح على الخفين وليس من أول لبسهما . وأن يكون الإنسان حال لبسهما على طهارة من الحدث.
ونواقض المسح هي : انقضاء المدة والجنابة ونزع الممسوح عليه من الرجلين . ولا يجوز المسح على الخفين إلا فى الحدث الأصغر . والمحل المشروع مسحه ظهر الخف وصفة المسح أن يضع أصابع يديه مبلولتين بالماء على أصابع رجليه ثم يمررهما إلى ساقه، ويمسح الرجل اليمنى باليد اليمنى، واليسرى باليد اليسرى ويفرج أصابعه، ولا يكرر المسح .

الحكمة من الوضوء :

قال ابن القيم رحمه الله فى شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر :
تأمل كون الوضوء في الأطراف التي هي محل الكسب والعمل فجُعل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق وهذه الأبواب هي أبواب المعاصي والذنوب كلها منها يدخل إليها، ثم جعل في اليدين وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويعطي ثم في الرجلين اللتين بهما يمشي ويسعى ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة جعل مكانه المسح وجعل ذلك مخرجا للخطايا من هذه المواضع حتى يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره .
عن أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ . رواه مسلم . فهذا من أجل حكم الوضوء وفوائده

ثانيًا : الغسل

وهو التعبد لله بغسل جميع البدن بالماء الطهور على وجه مخصوص .
وللغسل صفتان : صفة مجزئة وأخرى مستحبة .
والغسل المجزئ أن ينوي بقلبه الغسل، ثم يعم بدنه كله بالماء مرة واحدة
وأما الغسل المستحب هو أن ينوي الغسل ثم يغسل يديه ثلاثاً، ثم يغسل فرجه، ويُفرغ الماء بيمينه ويغسل بشماله ثم يتوضأ وضوءاً كاملاً ثم يفيض على رأسه ثلاثاً ويخلل بأصابعه أصول شعر رأسه ثم يفيض الماء على جسده مبتدءاً بالأيمن ولا يسرف في الماء وإن كان المكان غير نظيف تحوّل من مكانه وغسل قدميه .
وغسل المرأة كالرجل، ولا يجب عليها نقض شعرها في غسل الجنابة، ويستحب في غسل الحيض والنفاس
وغسل الجمعة كغسل الجنابة ويستحب يوم الجمعة المبالغة في نظافة جسده، ويسن للرجل استعمال الطيب .
عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ ﷺ قالَ: قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إلا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى . رواه البخاري
وغسل الحيض والنفاس كغسل الجنابة إلا أنه يستحب فيه ـ نقض الشعر عند الغسل ـ الغسل بماء وسدر أو نحوهما ـ دلك الرأس دلكاً شديداً ـ مسح الفرج بقطعة فيها مسك لإزالة الرائحة الكريهة .
عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ غُسْلِ المَحِيضِ؟ فَقَالَ: تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكاً شَدِيداً، حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا المَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا . فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ! تَطَهَّرِينَ بِهَا . فَقَالَتْ عَائِشَةُ تَتَبَّعِين أَثَرَ الدَّمِ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الجَنَابَةِ ؟ فَقَالَ : تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ، حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا المَاءَ . متفق عليه

أركان الغسل :

النية ـ تعميم سائر الجسد بالماء ويدخل فيه المضمضة والإستنشاق .

موجبات الغسل خمسة :

خروج المنى ـ التقاء الختانين ـ انقطاع الحيض والنفاس

ما يستحب له الغسل :

المستحاضة لكل صلاة ـ معاودة الجماع ـ تغسيل الميت ـ دخول مكة ـ الوقوف بعرفة ـ الإغتسال للعيدين ـ الإحرام بالعمرة أو الحج ـ بعد الإغماء ـ يوم الجمعة – كل اجتماع للمسلمين .
سنن الغسل : غسل الكفين ابتداء . غسل الفرج وما أصابه من الأذى . غسل اليدين بعد غسل الفرج . الوضوء قبل الغسل . تخليل أصول الشعر بالماء .التيامن في الغسل . تأخير غسل القدمين . استعمال الطيب .
مسألة : من اغتسل غسلًا شرعيًا وأراد ان يصلي فلا يلزمه الوضوء ، فإن طهارة الجنابة تجزيء عن الحدث.
والقاعدة الفقهية : إذا اجتمع عبادتان من جنس واحد فى وقت واحد دخلت إحداهما فى الأخرى .
ويجوز للجنب تأخير الغسل وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا ينام قبل أن يغتسل، غير أنه كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ قبل النوم . ويجوز للرجل أن يغتسل بما تبقى من الماء الذي اغتسلت منه المرأة ، كما أنه يجوز للمرأة أن تغتسل بما تبقى من الماء الذي اغتسل منه الرجل . ويجزيء عن الغسل صاع وهو حوالي من أربعة إلى خمسة أمداد أو ثمانية أرطال

الحكمة من الغسل :

قال ابن القيم رحمه الله فى إعلام الموقعين :

الإغتسال من خروج المني من أنفع شيء للبدن، والقلب، والروح، بل جميع الأرواح القائمة بالبدن فإنها تقوى بالإغتسال، والغسل يُخلف عليه ما تحلل منه بخروج المني، وهذا أمر يُعرف بالحسِّ . والجنابة توجب ثقلاً وكسلاً، والغسل يُحدث له نشاطاً وخفةً، ولهذا قال أبو ذر لمَّا اغتسل من الجنابة : كأنما ألقيتُ عنِّي حِملاً . ولهذا قال غير واحد من الصحابة : إن العبد إذا نام عرجت روحه، فإن كان طاهراً أذن لها بالسجود، وإن كان جنباً لم يؤذن لها، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم الجنُب إذا نام أن يتوضأ . وقد صرح أفاضل الأطباء بأن الإغتسال بعد الجماع يعيد إلى البدن قوته، ويخلف عليه ما تحلل منه، وإنه من أنفع شيء للبدن والروح، وتركه مُضرٌّ، ويكفي شهادة العقل والفطرة بحُسنه .

ثالثًا : التيمم

لغة هو القصد وشرعًا هو القصد إلى وجه الأرض للتطهير. والتيمم طهارة ترابية بدل عن الوضوء والغسل عند انعدام الماء أو تعذر استعماله . وهو من خصائص الأمة الإسلامية، وأجمع المسلمون على مشروعيته لمن لم يجد الماء أو وجده ولم يقدر على استعماله. ويصح التيمم بكل ما صعد على وجه الأرض من تراب وطين وحجر ورمل : ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ النساء .
والصعيد هو وجه الأرض والطيب هو الطاهر
قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في الشرح الممتع : والصَّواب أنَّ كلَّ ما على الأرض من تُراب، ورَمْل، وحجر محتَرِق أو غير محتَرِق، وطين رطب، أو يابس فإنه يُتيمَّم به .
والصفة الصحيحة في التيمم أن يضرب على الصعيد بباطن يديه ضربة واحدة ناويا التيمم ثم ينفخهما لتخفيف الغبار عنهما ثم يمسح بهما وجهه ثم كفيه فيمسح ظهر اليد اليمنى بباطن اليسرى ثم يمسح ظهر اليد اليسرى بباطن اليمنى .
ويجوز التيمم بالجدار من طين كان أو من الحجر مدهون بالزيت أو غيره إذا كان عليه غبار .
ويباح بالتيمم ما يباح بالوضوء، فيجوز التيمم قبل دخول الوقت، ويصلى به ما يشاء من الصلوات .
والقاعدة الفقهية : أن البدل يقوم مقام المبدَل إذا تعذر الأصل .
فالتيمم يقوم مقام الوضوء عند فقد الماء أو التضرر باستعماله، ويؤدَّى به ما يؤدَّى بالوضوء من فرض ونفل ونحوهما .
ومن عدم الماء والتراب بكل حال أو لم يقدر على استعمالهما صلى على حسب حاله بلا وضوء ولا تيمم ولا إعادة عليه.
ويبطل التيمم إذا وجد الماء أو قدر على استعماله . أو إذا حدث أي ناقض من نواقض الوضوء .
وإن وجد الماء بعد أن صلى فلا إعادة عليه . وإن حضرت الماء وهو يصلى فلا يقطع صلاته بل يتمها وصلاته صحيحة .
والقاعدة الفقهية : كل من فعل عبادة كما أمر بحسب وسعه فلا إعادة عليه .

بعض أقوال السلف عن الطهارة :

قال أبو أمامة الباهليّ ﷺ : إذا وضعت الطّهور مواضعه قعدت مغفورًا لك .
وقال أبو العالية في قوله تعالى : وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ، إنّ الطّهور بالماء لحسن ، ولكنّهم المطهّرون من الذّنوب .
وقال ابن القيم : ومن الإسراف في المياه ، والإبتداع في الوضوء : الزيادة على ثلاث غسلات
وقال الإمام أحمد : من فقه الرجل قلةُ ولوعه بالماء، ولا يزيد على الثلاثِ إلا رجلٌ مبتلًى .
وقال ابن القيّم في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان :
الله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفًا على الطهارة فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطهر وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفًا على الطيب والطهارة فلا يدخلها إلا طيب طاهر فهما طهارتان : طهارة البدن وطهارة القلب ولهذا شرع للمتوضىء أن يقول عقيب وضوئه أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، فطهارة القلب بالتوبة وطهارة البدن بالماء فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى والوقوف بين يديه ومناجاته .

بعض فوائد الطهارة :

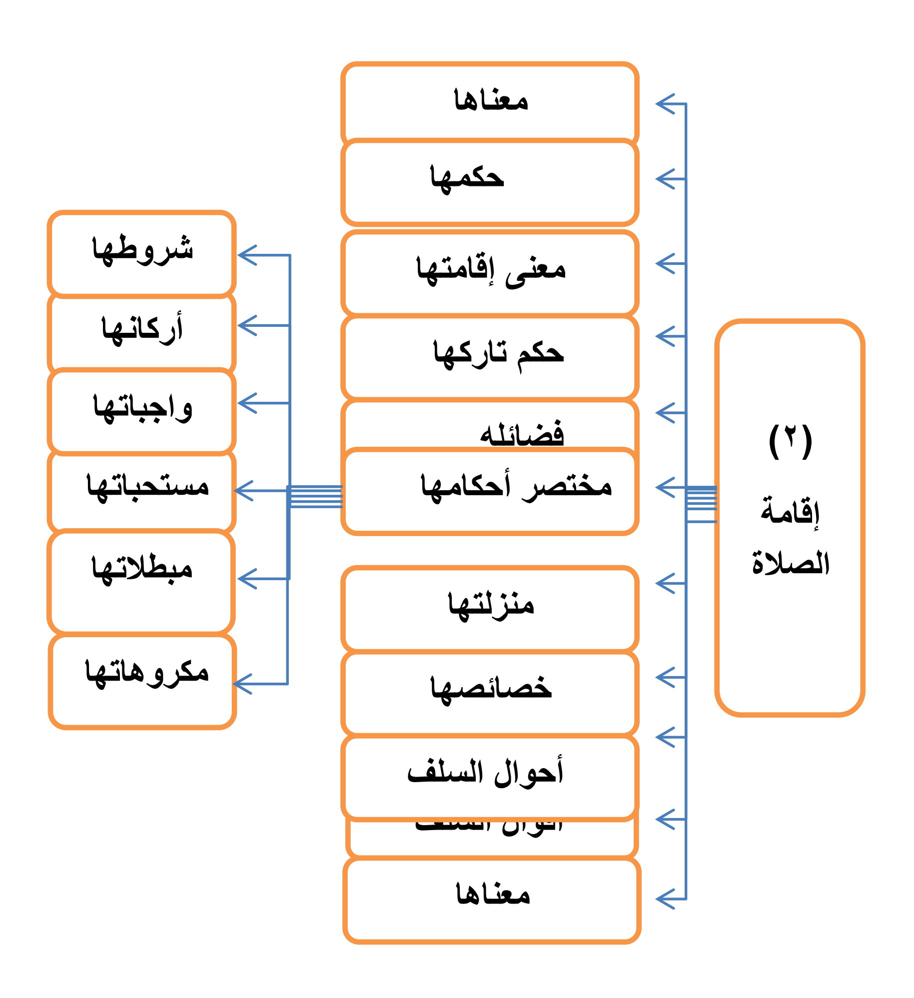
تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ . رواه مسلم
سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد
قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة
سبب من أسباب مغفرة الذنوب وتكفير الخطايا .
عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ قَالَ . رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَاعِدًا فِي الْمَقَاعِدِ فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَقْعَدِي هَذَا تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : وَلاَ تَغْتَرُّوا . رواه البخاري ومسلم
تمييز هذه الأمة عن سائر الأمم يوم القيامة بآثار وجوههم وأطرافهم .
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ .كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ تَرَ مِنْ أُمَّتِكَ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غُرٌّ مُحَجَّلُونَ بُلْقٌ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ . صحيح ابن ماجة
الوضوء سلاح المؤمن .
قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ . رَوَاهُ أحمد . صحيح الجامع

تنشيط الجوارح وإعادة النشاط والقوة للبدن .
قَالَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم : إذا أَتَى أحدكُم أَهله ثمَّ أَرَادَ أَن يعود فَلْيَتَوَضَّأ . رواه مسلم
دعاء الملك لمن بات طاهرًا بالمغفرة .
عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلاَّ، قَالَ الْمَلَكُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلاَنٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا . رواه ابن حبان في صحيحه . صحيح الترغيب والترهيب
محو الخطايا ورفع الدرجات .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ . قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ . رواه مسلم
صحة كثير من العبادات، ومن أهمها الصلاة .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ . متفق عليه
جاء فى موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم فى معرض الحديث عن الطهارة :

حدث في إنجلترا :

عام ١٩٦٣وبالتحديد في مدينة داندي انتشر مرض التيفود بشكل عاصف مما أصاب السكان بالذعر الشديد ، وبذل الجميع طاقاتهم في محاولات شتى لوقف انتشار المرض ، وفي النهاية اتفق العلماء على إذاعة تحذير في مختلف وسائل الإعلام يأمرون الناس بعدم استعمال الأوراق في دورات المياه ، واستبدالها باستخدام المياه مباشرة في النظافة وذلك لوقف انتشار العدوى ، وبالفعل استجاب الناس ، وللعجب الشديد توقف فعلاً انتشار الوباء وتمت محاصرته ، وتعلم الناس هناك عادة جديدة عليهم بعد معرفة فائدتها وأصبحوا يستخدمون المياه في النظافة بدلا من المناديل الورقية ، والسؤال : ماذا يقول هؤلاء لو علموا أن المسلمين يفعلون هذا من أكثر من ألف وأربعمائة سنة ؟ ليس لأن التيفود تفشى بينهم ولكن لأن خالق التيفود وغيره من الأمراض أمرهم بكل ما يجلب لهم الصحة والعافية فقالوا سمعنا وأطعنا :

قال تعالى : أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ الملك


(٢)
إقامة
الصلاة
معناها
حكمها
معنى إقامتها
حكم تاركها
فضائله
مختصر أحكامها
منزلتها
خصائصها
أحوال السلف
معناها
شروطها
أركانها
واجباتها
مستحباتها
مبطلاتها
مكروهاتها

الشعبة الثالثة : الصلاة

الصلاة شعبة من شعب الإيمان، وركن من من أركان الإسلام، وهى عبادة من أجل العبادات، وطاعة من أفضل الطاعات، وقربة من أشرف القربات التى يتقرب بها العبد إلى رب الأرض والسماوات، التى لها آثارها العظيمة فى تزكية النفوس وإصلاح القلوب وحفظ الجوارح من الفتن والشرور وتهذيب الأخلاق ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات والفوز بأعالي الدرجات . وهي أعظم أركان الإسلام وآكد الْفروض بعْد الشهادتين وأفضلها، وهى عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين، وهي العبادة اليومية لكل مسلم يدخل بها على ربه كل يوم خمس مرات في صلة وثيقة وارتباط عميق وولاء كامل، مناجيا خالقه مقبلا عليه إقبال العبد الفقير على سيده الغني الكبير، مستمدا منه المعون والرحمة والهداية والعطاء، قائما وراكعا وساجدا بين يديه . وهي الصلة بين العبد وربه، وهي مظهر للإسلام وعلامة للإيمان، وهى قرة العين، وعلامة محبة العبد لربه وتقديره لنعمه . وتكاد تكون الصلاة جماعاً لأركان الإسلام .

قال ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد عن فوائد الصلاة :

والصلاة مجلبةٌ للرزق، حافظةٌ للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوّية للقلب، مبيِّضة للوجه، مُفْرِحةٌ للنفس، مُذهبة للكسل، منشِّطةٌ للجوارح، ممدَّة للقُوَى، شارِحة للصَّدر، مغذِّية للروح، مُنوِّرة للقلب، حافِظةٌ للنعمة ، دافعة للنقمة ، جالِبة للبركة ، مُبعِدة من الشيطان ، مُقرِّبة من الرحمن . وبالجملة . فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما ، ودفع المواد الرديئة عنهما ، وما ابتُلى رجلان بعاهةٍ أو داءٍ أو محنةٍ أو بَليةٍ إلا كان حظ المُصَلِّى منهما أقلَّ ، وعاقبتُه أسلم .

وللصلاة تأثيرٌ عجيب فى دفع شُرور الدنيا ، ولا سِيَّما إذا أُعطيت حقها من التكميل ظاهراً وباطناً ، فما استُدْفعَتْ شرورُ الدُّنيا والآخرة ، ولا استُجْلِبَت مصالحُهُمَا بمثل الصلاة ، وسِرُّ ذلك أنَّ الصلاة صِلةٌ باللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وعلى قدر صِلَةِ العبد بربه عَزَّ وجَلَّ تُفتح عليه من الخيرات أبوابَها ، وتُقطعُ عنه من الشرور أسبابَها ، وتُفِيضُ عليه موادَ التوفيق مِن ربه عَزَّ وجَلَّ ، والعافية والصحة ، والغنيمة والغِنى ، والراحة والنعيم ، والأفراح والمسرَّات ، كلها محضرةٌ لديه ، ومسارِعةٌ إليه .

معنى الصلاة :

الصلاة في اللغة : الدعاء

وفى الشرع : هى أقوال وأفعال مفتتحة بالتّكبير مختتمة بالتّسليم ، بشرائط مخصوصة .

قال ابن القيم رحمه الله فى أسرار الصَّلاة :

الصلاة مبناها على خمسة أركان : القراءة والقيام والركوع والسجود والذكر .

لذلك سمّيت باسم كل واحد من هذه الخمس :

فسمّيت قياماً لقوله : قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ المزمل

وسمّيت قراءة لقوله : وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨ الإسراء

وسمّيت ركوعاً لقوله : وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣ البقرة

وسمّيت سجوداً لقوله : فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ الحجر

وسمّيت ذكراً لقوله : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ۝٩ الجمعة

وأشرف أفعالها السجود، وأشرف أذكارها القراءة، وأول سورة أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم سورة : اقرأ باسم ربّك افتتحت بالقراءة، وخُتمت بالسجود، فوضعت الركعة على ذلك، أولها قراءة وآخرها سجود .

حكم الصلاة :

الصلاة واجبة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة على كل مسلم بالغ عاقل ذكر .

قال تعالى : وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ البينة

قال تعالى : إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ۝١٠٣ النساء

وعن ابن عمر ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدا رسول الله، وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة والحجّ وصوم رمضان . رواه مسلم

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ .رواه البخارى

وقد أجمعت الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة .
وقد جاء الأمر بإقامة الصلاة في آيات كثيرة :
قال تعالى : وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ هود
وقال تعالى : وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ طه
وقال تعالى : رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ إبراهيم
فلن تكاد تجد ذِكْرَ الصلاة في موضع من التنزيل إلاَّ مقرونًا بإقامتها، فالمصلون في الناس قليل، ومُقيم الصلاة منهم أقلُّ القليل

ما المقصود بإقامة الصلاة ؟

المقصود بإقامة الصلاة : أداؤها بشروطها، وأركانها، وواجباتها، ومستحبَّاتها
قال ابن عباس ﷺ : إقامة الصلاة إتمامُ الركوع والسجود، والتلاوة والخشوع، والإقبال عليها فيها
وقال قتادة رحمه الله : إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها، وركوعها وسجودها .

مراتب الناس فى الصلاة :

قال ابن القيّم رحمه الله : والنّاس في الصّلاة على مراتب خمس :
أحدها : مرتبة الظّالم لنفسه المفرّط ، وهو الّذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها .
الثّاني : من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظّاهرة ووضوئها لكن قد ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة ، فذهب مع الوساوس والأفكار
الثّالث : من يحافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوّه لئلّا يسرق صلاته ، فهو في صلاة وجهاد .
الرّابع : من إذا قام إلى الصّلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها ، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلّا يضيّع شيئا منها ، بل همّه كلّه مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها ، قد استغرق قلبه شأن الصّلاة وعبوديّة ربّه تبارك وتعالى فيها.
الخامس : من إذا قام إلى الصّلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربّه عزّ وجلّ ناظرا بقلبه إليه، مراقبا له ممتلئا من محبّته وعظمته كأنّه يراه ويشاهده، وقد اضمحلّت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربّه ، فهذا بينه وبين غيره في الصّلاة أفضل وأعظم ممّا بين السّماء والأرض وهذا في صلاته مشغول بربّه تعالى قرير العين به .
فالقسم الأوّل معاقب، والثّاني محاسب، والثّالث مكفّر عنه، والرّابع مثاب، والخامس مقرّب من ربّه عزّ وجلّ .

حكم تارك الصلاة

قال الإمامُ النووي رحمه الله فى شرح مسلم :
إن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر باجماع المسلمين خارج من ملة الاسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلًا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فيه : فذهب مالك والشافعى رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزانى المحصن ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروى عن على بن أبى طالب وهو إحدى الروايتين عن أحمد رحمه الله وبه قال ابن المبارك واسحاق وهو وجه لبعض أصحاب الشافعى رضوان الله عليه وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزنى صاحب الشافعى رحمهما الله أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلى .

منزلة الصلاة في الإسلام :

١ـ الصلاة عمود الدين الذي لا يقوم إلا به فإذا سقط العمود سقط ما بني عليه .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ . صحيح الترمذي
٢ـ الصلاة آكد وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين :
عَنْ عبدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ . رواه البخاري ومسلم
٣ـ الصلاة من أحبَّ الأعمال إلى الله بعد التوحيد :

عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا. قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ ؟قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي . رواه البخاري و مسلم

٤- الصلاة أول ما يُحاسب الله عليه العبد من الأعمال يوم القيامة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ . صحيح الترمذي للألباني

٥- الصلاة آخر ما يُفقد من الدين، فإذا ذهب آخر الدين لم يبق شيء منه .

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَيُنْتَقَضَنَّ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةٌ عُرْوَةٌ، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ . رواه أحمد . صحيح الجامع

٦- الصلاة آخر وصية أوصى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته قبل وفاته .

عَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالب ﷺ قَالَ :كَانَ آخِرُ كَلامِ رَسُولِ اللَّهِ: الصَّلاةَ الصَّلاةَ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ . صحيح أبي داود

٧- أثنى الله عز وجل على المقيمين للصلاة في كثير من المواضع ووعدهم بالأجر الكبير؛ ليحث على إقامتها والالتزام بها

قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾ الأنفال

وإقامة الصلاة تعني أداءها بإتمام شروطها وأركانها وواجباتها وسننها مع الخضوع والخشوع لله تعالى

٨- ذم الله عز وجل المضيعين لها والمتكاسلين عنها .

قال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝﴾ مريم

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ النساء

٩- توعد الله تعالى الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ويغفلون عنها بسبب لهوهم في الحياة الدنيا بالويل وهو العذاب الأليم أو وادٍ في جهنم .

قال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ الماعون

١٠- افتتح الله أعمال المفلحين بالصلاة واختتمها بها، مما يؤكد على أهميتها .

قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝﴾ المؤمنون

١١- أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه أن يأمروا بها أهليهم .

قال تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝﴾ طه

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ . صحيح أبي داود

١٢- أَمرَ النائم والناسي بقضاء الصلاة، وهذا يؤكد أهميتها

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ نَسِيَ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا . رواه مسلم

١٣- الصلاة عاصمة للدماء والأموال .

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يشهَدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويُقيمُوا الصلاةَ، ويُؤتُوا الزكاةَ؛ فإذا فعلوا ذلك عصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّ الإسلامِ، وحسابُهم على الله . رواه البخاري

١٤- الصلاة موجِبة للأخوة في الدين .

قال تعالى : ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾ التوبة

١٥- الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر إذا استوفت أركانها وشروطها وواجباتها وسننها من الأقوال والأفعال

قال تعالى : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۝﴾ العنكبوت

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : نفس فعل الطاعات يتضمن ترك المعاصي ونفس ترك المعاصي يتضمن فعل الطاعات ولهذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فالصلاة تضمنت شيئين أحدهما نهيها عن الذنوب والثاني تضمنها ذكر الله .

١٦ـ الصلاة يمحو الله بها الخطايا والسيئات .

قال تعالى : وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴿١١٤﴾ هود

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا . رواه البخاري

١٧ـ الصلاة تكفر ما قبلها من الذنوب .

لحديث عثمان ﷺ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ما من امرئٍ مُسلمٍ تحضُرُه صلاةٌ مكتوبةٌ فيُحسِنُ وضوءَها وخشوعَها وركوعَها إلا كانت كفَّارةً لما قبلَها من الذنوبِ ما لم تُؤتَ كبيرةٌ، وذلك الدهر كلَّه . رواه مسلم

١٨ـ الصلاة تكفر السيئات وترفع الدرجات وتضاعف الحسنات .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ . رواه البخاري

١٩ـ الصلاة انتظارها رباط في سبيل الله عز وجل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ . رواه مسلم

خصائص الصلاة في الإسلام :

الصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال الصالحة منها :

١ـ خصَّها الله من بين العبادات بفرضِها بدون واسطة في السماء حينما عُرجَ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سِدرة المنتهى من فوق سبع سموات مما يدل على عظم شأنها .

٢ـ فرضت خمسين ثم خففت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، فهي خمس في العمل وخمسون في الأجر والثواب

عن أَنَسٍ ﷺ قال وهو يتحدث عن رحلة الإسراء والمعراج قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قَالَ قُلْتُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ لِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام : فَرَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ.قَالَ : فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَقُلْتُ : قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي . رواه البخاري ومسلم

٣ـ أول فريضة بعد التوحيد :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ . رواه البخاري و مسلم

٤ـ سماها الله عز وجل إيمانًا .

قال تعالى : وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ البقرة

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا وُجِّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالُوا: كَيْفَ بِمَنْ مَاتَ مِنْ إِخْوَانِنَا قَبْلَ ذَلِكَ وَهُمْ يُصَلُّونَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ . تفسير الطبري

٥ـ خصها بالذكر تمييزًا لها من بين شرائع الإسلام

قال تعالى : ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ العنكبوت

وتلاوته اتباعه والعمل بما فيه من جميع شرائع الدين، ثم قال : وَأَقِمِ الصَّلَاةَ فخصها بالذكر تمييزًا لها .

٦ـ أمر الله عز وجل نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصطبر عليها .

قال تعالى : وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ طه

٧ـ وصي الله عز وجل المؤمنين بالإستعانة بها على جميع أمور الدنيا والآخرة :

قال تعالى : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ البقرة

وعَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليمان ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى . صحيح أبي داود

٨- المحافظة عليها من أسباب رؤية وجه الله الكريم في الجنة .

عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ فَقَالَ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا . متفق عليه

قال ابن رجبٍ رحمه الله : أعلى ما في الجنة رُؤيةُ الله، وأشرفُ ما في الدنيا من الأعمال هاتان الصلاتان أي : الفجرُ والعصر، فالمُحافظةُ عليها يُرجى بها دخولُ الجنة ورُؤيةُ الله فيها .

٩- الصلاة تميز بين المؤمنين والمنافقين في الدنيا والآخرة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا. لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ الْمُؤَذِّنَ فَيُقِيمَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا يَؤُمُّ النَّاسَ ثُمَّ آخُذَ شُعَلًا مِنْ نَارٍ فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لَا يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ بَعْدُ . رواه البخاري ومسلم

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا . رواه البخاري

١٠- الصلاة جعلَها الله سبحانه علامةً بين الكفر والإيمان .

عَنْ جابر ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ . رواه مسلم

وعَنْ بريدة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ . رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي . صحيح الترغيب والترهيب

١١- حرم الله عز وجل على النار أن تأكل آثار السجود .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ . متفق عليه

١٢- لم يسقطها الله عز وجل مع ثبوت العقل لأن العقل مناط التكليف مع مراعاة التخفيف بحسب الإستطاعة .

عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ : عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ. أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة والنَّسائي . صحيح الجامع

١٣- اشترط الله لها أكمل الأحوال من الطهارة، والزينة باللباس، واستقبال القبلة مما لم يشترط في غيرها.

قال تعالى : ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الأعراف

١٤- أمر الله عز وجل بحفظها، حتى من بالخطرة، واللفظة، والفكرة .

قال تعالى : ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ البقرة

وعَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَيَرُدُّ عَلَيْنَا فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا وَقَالَ إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغْلًا (لَشُغْلًا) . رواه البخاري

١٥- جعلها الله عز وجل سببا من أسباب تفريج الكربات .

عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى . رواه أحمد. صحيح الجامع

١٦- شهود الملائكة لصلاة الصبح والعصر .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ فَيَقُولُ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ. رواه البخاري ومسلم

١٧- قرة عين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ :

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . صحيح النسائي للألباني

١٨- توعد الله عز وجل من تهاون بها وأخرها عن وقتها بوعيد شديد .

قال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ الماعون

١٩- أخبر النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أن من ترك صلاة العصر حتى يخرج وقتها عامداً ذاكراً حبط عمله .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ . رواه البخاري

٢٠- من فاتته العصر أصابه من الحسرة والغم والحزن كمن سلب أهله وماله، فبقي وترًا فردًا بلا أهل ولا مال

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ . رواه البخاري

كيف يحقق المسلم هذه الشعبة ؟

إذا قام المسلم إلى الصلاة ، فليقم إليها في أول وقتها، مبادرًا إليها ، نشطًا لأدائها فرحًا بها متطهرًا ، ساترًا عورته ، مستقبلًا قبلة المسلمين، ثم يكبر محرمًا رافعًا يديه إلى محاذاة منكبيه أو أذنيه، ثم يجعل يمينه على شماله يضعهما على صدره، ثم يقرأ دعاء الاستفتاح، ثم يستعيذ بالله ويبسمل ثم يقرأ الفاتحة وما يتيسر من كتاب الله تعالى، ثم يركع مكبرًا رافعًا يديه يمكنهما من ركبتيه ويمد ظهره ولا يطأطئ رأسه ولا يرفعه وإنما يجعله في مستوى ظهره ، ثم يقول : سبحان ربي العظيم ثلاث مرات، فإن زاد إلى خمس أو سبع كان أولى، ثم يرفع من الركوعَ رافعًا يديه حتى يعتدل قائمًا قائلًا : سمع الله لمن حمده وبعد اعتداله : ربنا ولك الحمد، ثم يهوي ساجدًا مكبرًا يسجد على سبعة أعضاءٍ : ركبتيه وأطراف قدميه وكفيه وجبهته مع أنفه ويبسط أصابع يديه ويجافي بطنه عن فخذيه وعضديه عن جنبيه ومرفقيه عن ركبتيه وساعديه عن الأرض، ثم يسبح الله قائلاً : سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات، فإن زاد موترًا كان أولى ، ثم يرفع من السجود جالسًا مفترشًا رجله اليسرى ناصبًا رجله اليمنى، جاعلًا رؤوس الأصابع إلى جهة القبلة وباسطًا يديه على فخذيه قائلًا : رب اغفر لي ثلاث ثم يسجد كما سجد أولاً، ثم يقوم للركعة الثانية، ويفعل مثل ذلك في بقية صلاته وإن كانت الصلاة ثلاثية أو رباعية يجلس بعد الركعتين الأوليين مثل جلوسه بين السجدتين إلا أنه يقبض ثلاثة من أصابع يديه اليمنى الخنصر والبنصر والوسطى ويبسط السبابة والإبهام مشيرًا بالسبابة قارئًا التشهد . ثم يقوم بعد الأوليين قارئًا في كل ركعة فاتحة الكتاب فقط ، فإذا جلس للتسليم جلس مثل جلوسه بعد الركعتين الأوليين إلا أنه يتورك، فيخرج رجله اليسرى من تحت قدمه اليمنى المنصوبة، ثم يقرأ بعد التشهد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء والأفضل أن يدعو بما ورد، فيستعيذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال . ثم يسلم يمينًا وشمالًا السلام عليكم ورحمة الله .

ويستحب لكل مسلم ومسلمة أن يحافظ على الرواتب بأن يصلي قبل صلاة الظهر أربع ركعات وبعدها ركعتين ، وبعد المغرب ركعتين وبعد العشاء ركعتين وقبل الفجر ركعتين . أى اثنى عشرة ركعة، وهذه الركعات تسمى الرواتب لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحافظ عليها في الحضر، أما في السفر فكان يتركها إلا سنة الفجر والوتر فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحافظ عليهما حضراً وسفراً ، ولنا فى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة ، لقول الله تعالى : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صلوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي . رواه البخاري . والأفضل أن تصلي هذه الرواتب والوتر في البيت فإن صلاها في المسجد فلا بأس لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَفْضَلُ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ . مُتَّفَقٌ عَلَيْه . والمحافظة على هذه الركعات من أسباب دخول الجنة : لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا ، غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلاَّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ . أَوْ إِلاَّ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِى الْجَنَّةِ . رواه مسلم . وقد جاء بيانها فى سنن الإمام الترمذي .

بعض أقوال السلف فى الصلاة :

قال ابن مسعود ﷺ : ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق. ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام في الصف .

وقال أبو هريرة ﷺ : إن الرجل ليصلي ستِّين سنة ولا تُقبَل منه صلاةٌ، فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: لا يتم ركوعَها، ولا سجودها، ولا قيامها، ولا خشوعها . السلسلة الصحيحة

وقال الحسن البصري رحمه الله : يا بن آدم، إنما الصلاةُ التي تَنْهَاك عن الفحشاء والمنكر، فإن لم تَنْهَك صلاتُك عن الفحشاء والمنكر، فإنك لستَ تصلِّي .

وعن نافع أن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء في جماعة أحيا بقية ليلته .

وقال عدي : ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها .

وقال ابن المسيب : ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة . ومن حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة.

وقال سفيان بن عيينة : لا تكن مثل عبد سوء لا يأتي حتى يدعى ... ائت الصلاة قبل النداء .

وقال إبراهيم التيمي : إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه.

وقال الأوزاعي : من أطال قيام الليل هوّن الله عليه وقوف يوم القيامة .

وقال ابن كثير : كان عمر يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر .

ودَخَلَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي طُعِنَ فِيهَا، فَأَيْقَظَ عُمَرَ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ عُمَرُ : نَعَمْ وَلاَ حَظَّ فِي الإِسْلاَمِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ. فَصَلَّى عُمَرُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَماً . رواه مالك في الموطأ

وكان أنس بن مالك ﷺ يبكي بكاءً مراً كلما تذكر موقعة فتح مدينة تستر الفارسية . المدينة الحصينة التي حاصرها المسلمون قرابة العام والنصف وقادها جيش المسلمين من ثلاثين ألف مسلم ضد مائة وخمسين ألف فارسي .. معركة ضارية تحقق فيها النصر للمسلمين بعد شروق الشمس ففاتت علي المسلمين صلاة الصبح . معذورين بالإنشغال بالمعركة والجهاد في سبيل الله

. وعلي الرغم من ذلك يبكي أنس ويقول : وما تستر لقد ضاعت مني صلاة الصبح . ما وددت أن لي الدنيا جميعاً بهذه الصلاة .

أحوال السلف مع الصلاة :

ركع ابن الزبير يوماً فقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه .
وقال ابن وهب : رأيت الثوري في الحرم بعد المغرب صلّى ثم سجد سجدة فلم يرفع حتى نودي بالعشاء .
وقال أبو بكر بن عياش : رأيت حبيب بن أبي ثابت ساجداً ، فلو رأيته قلت : ميت . يعني من طول السجود .
وقال أبو قطن : ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه نسي ، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه نسي .
وقال ثابت البناني : كنت أمر بعبدالله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام ، كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك .
وقال يحيى بن وثاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره، تصعد وتنزل ولا تراه إلا جذم حائط
وقال ميمون بن مهران : ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتًا في صلاة قط ، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدمها ، وإنه في المسجد يصلي فما التفت . ولما هنئ بسلامته عجب وقال : ما شعرت .

بعض ثمرات المحافظة على الصلاة :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
عَنْ ا بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ . رواه البخاري ومسلم
٢- مُرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة لمن أكثر منها
عَنْ رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ ﷺ قَالَ كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِى : سَلْ . فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِى الْجَنَّةِ. قَالَ : أَوَغَيْرَ ذَلِكَ . قُلْتُ هُوَ ذَاكَ . قَالَ : فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ . رواه مسلم
٣- الصلاة حصن حصين .
عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ سَمِعْتُ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِى ذِمَّةِ اللَّهِ فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَىْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِى نَارِ جَهَنَّمَ. رواه مسلم
٤- عهد عند الله بدخول الجنة لمن حافظ عليها .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ . رواه أبو داود . صححه الألباني
٥- صلاة الملائكة على المصلى ما دام في مُصلاّه .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ . رواه البخارى ومسلم
٦- نورٌ وبرهان ونجاة لصاحبها في الدنيا والآخرة .
عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : بَشِّرْ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . صحيح أبي داود
٧- راحة للنفس، وطمأنينة للقلب .
قال تعالى : وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ الحجر
ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر قال : يَا بِلاَلُ أَقِمَ الصلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا. رواه أحمد وأبو داود . صحيح الجامع
٨- تكفير السيئات وغفران الذنوب :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ . رواه مسلم
٩- من توضأ فى بيته لأداء الفريضة في المسجد كان أجره كأجر الحاج المحرم، ومن صلى الضحى في المسجد له أجر عمرة
عَنْ أَبِى أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لاَ يُنْصِبُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ وَصَلاَةٌ عَلَى أَثَرِ صَلاَةٍ لاَ لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِى عِلِّيِّينَ . صحيح أبي داود

١٠- من صلى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعًا بنى الله له بيتاً في الجنة .
عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلاَّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ أَوْ إِلاَّ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِى الْجَنَّةِ . رواه مسلم
١١- ركعتا الفجر خير من متاع الدنيا وما فيها .
عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . رواه مسلم
١٢- وعد النبى صلى الله عليه وسلم من حافظ على الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها بأنه لن يلج النار
عَنْ أَبِى بَكْرِ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا . رواه مسلم
١٣- صلاة الضحى تجزئ عن الصدقات شكراً لله تبارك وتعالى عن جميع مفاصل البدن .
عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى . رواه مسلم
١٤- من صلى أربع ركعات من أول النهار كفاه الله عز وجل وحفظه مما يضره في دينه أو دنياه .
عن نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ الْغَطَفَانِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ لا تَعْجِزْ عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ . رواه أحمد وغيره . صحيح الجامع
قيل هي رغيبة الفجر وصلاة الفجر ، وقيل هي صلاة الضحى وتكون هذه الصلاة ركعتين ركعتين .
١٥- من واظب على أربع ركعات قبل صلاة الظهر ، وأربع بعدها حرمه الله عن النار .
عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرُمَ عَلَى النَّارِ . صحيح أبي داود . وهى تدخل فى السنة الراتبة لصلاة الظهر .
١٦- رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا .
عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا . صحيح أبي داود والترمذي
١٧- صلاة الليل من أسباب دخول الجنة بسلام .
قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ . رواه أحمد والدارمي . صحيح ابن ماجة
صحيح الترمذي
١٨- من صلى العشاء والصبح في جماعة كان كمن قام الليل كله، وأن من صلى واحدا منهما في جماعة كان كقيام نصف ليلة.
قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ . رواه مسلم
١٩- وعد النبي صلى الله عليه وسلم الذي يحافظ على صلاة الصبح وصلاة العصر أنه لن يلج النار .
عَنْ عُمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا . رواه مسلم
٢٠- من صلى الصبح فهو في ذمة الله له الضمان والعهد عند الله سبحانه أن يدافع عنه، وأن ينتصر له، وينتقم له ممن ظلمه
عَنْ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِى ذِمَّةِ اللَّهِ فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَىْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِى نَارِ جَهَنَّمَ . رواه مسلم

مختصر أحكام الصلاة :

الصلاة هي العبادة اليومية لكل مسلم يدخل بها على ربه كل يوم خمس مرات قائمًا وراكعًا وساجدًا بين يديه سبحانه وتعالى.
وهذه الصلاة لها شروط وأركان وواجبات وسنن يجب على المسلم أن يتعلم كيف تصح صلاته بشروطها وأركانها وواجباتها ، وفيما يلى أحكام الصلاة مختصرة :

أولًا : شروط الصلاة :

الشروط جمع شرط وهو: ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم .
وشروط الصلاة هي التي لا تصح الصلاة إلا بها، ويجب استصحابها من أول الصلاة إلى آخرها بخلاف الركن فإنه ينقضي ويأتي غيره وهى :
١- دخول الوقت .

لقوله تعالى : إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ النساء

٢ – الطهارة بأقسامها الثلاثة :

أ- طهارة البدن : لقوله صلى الله عليه وسلم : لا تُقْبَلُ صَلاةُ مَنْ أحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ . متفق عليه

ب- طهارة الثوب : لقوله تعالى :وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ المدثر

ج- طهارة المكان : لقوله تعالى : وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ البقرة

٣- استقبال القبلة :

قال تعالى : فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴿١٤٤﴾ البقرة

٤-ستر العورة :

لقوله تعالى : يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ ﴿٣١﴾ الأعراف

والإجماع منعقد على أن ستر العورة شرط من شروط صحة الصلاة .

٥ - النية بأن ينوي بقلبه الصلاة لله قبل تكبيرة الإحرام، ولا يتلفظ بها بلسانه.

لقوله تعالى : وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿٥﴾ البينة

ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى . رواه البخارى

ثانيًا : أركان الصلاة :

وهي الأقوال والأفعال التي تتركب منها حقيقة الصلاة وماهيتها، وإذا ترك منها شيء بطلت الصلاة، سواء كان تركه عمدا أو سهوا، أو بطلت الركعة التي تركه منها، وقامت التي تليها مقامها وهي أربع عشر ركنًا :

١- ثلاثة فى القيام { القيام مع القدرة - تكبيرة الإحرام - قراءة الفاتحة }

لقوله صلى الله عليه وسلم : صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ. رواه البخارى

وقوله صلى الله عليه وسلم : مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ الطُّهُورُ وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ . صحيح أبي داود

وقوله صلى الله عليه وسلم : لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ . متفق عليه

٢ - ثلاثة فى الركوع { الركوع - والرفع منه - والاعتدال }

لقوله تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴿٧٧﴾ الحج

وقوله صلى الله عليه وسلم : لاَ تُجْزِئُ صَلاَةٌ لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ . صحيح ابن ماجة

وقوله صلى الله عليه وسلم : لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَلاَةِ رَجُلٍ لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ . رواه أحمد

٣ - ثلاثة فى السجود { السجود - والرفع منه - والجلسة بين السجدتين }

لقوله تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴿٧٧﴾ الحج

والرفع منه والجلسة بين السجدتين لقوله صلى الله عليه وسلم : في حديث المسيء في صلاته : ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا. رواه البخارى

ثلاثة فى الجلسة الأخيرة { التشهد الأخير - والجلوس له – التسليم }

لقوله صلى الله عليه وسلم : مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ الطُّهُورُ وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ . صحيح أبي داود

وقوله صلى الله عليه وسلم : وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي . رواه البخارى

الطمأنينة في الجميع - الترتيب

لقوله صلى الله عليه وسلم : وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي . رواه البخارى

والمراد بالطمأنينة في الصلاة : السكون بقدر الذكر الواجب

قال ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج : وضابطها أن تسكن وتستقر أعضاؤه .

ثالثًا : واجبات الصلاة

وهى ما يجب فعله أو قوله في الصلاة ، ويسقط بالسهو ويجبره سجود السهو لمن تركه سهوًا ، أما من تركه عمدًا بطلت صلاته فى أحد قولى العلماء إذا كان عالمًا بوجوبه ، وواجبات الصلاة ثمانية وهي :

تكبيرات الانتقال عدا تكبيرة الإحرام، ومحلها عند الركوع والسجود والرفع من السجود وعند القيام للثالثة

قول سمع الله لمن حمده .
٣- قول ربنا ولك الحمد عند الاعتدال من الركوع.
٤- قول سبحان ربي العظيم في الركوع.
٥- قول سبحان ربي الأعلى في السجود.
٦- قول ربي اغفر لي بين السجدتين.
٧- التشهد الأول .
٨- الجلوس للتشهد الأول.

رابعًا : سنن الصلاة :

أولًا : السنن القولية :

وهى دعاء الإستفتاح والإسرار به بعد تكبيرة الإحرام - التعوذ قبل القراءة والإسرار بالبسملة - قول آمين بعد الفاتحة - قراءة سورة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين - إطالة الركعة الأولى من صلاة الصبح والعصر - الجهر فى الركعتين الأوليين من صلاة المغرب والعشاء والفجر - ما زاد على المرة في تسبيح الركوع والسجود - استحباب قول ربنا ولك الحمد بعد الرفع من الركوع - استحباب قول : ملء السموات وملء الأرض وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد - استحباب الدعاء بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ - الجهر في الجهرية - الإسرار في السرية - الدعاء بعد التشهد الأخير - الإسرار بالتشهد - التسليمة الثانية

ثانيًا : السنن الفعلية وتسمى الهيئات :

وهى رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع والرفع منه وعند القيام من التشهد الأول - وضع اليد اليمنى على اليسري أو قبض اليمنى على كوع رسغ اليسري - النظر إلى موضع سجوده - التفريق بين القدمين تفريقًا يسيرًا – وضع اليمين على الشمال فوق الصدر - قبض ركبتيه بيديه مفرجتي الأصابع في ركوعه ، ومد ظهره فيه ، وجعل رأسه حياله - التفريق بين ركبتيه في السجود - وضع يديه أثناء السجود حذو منكبيه أو الأذنين - بسط اليدين أثناء السجود - جعل بطون أصابع رجليه على الأرض - القدمان تكونان مرصوصتان أثناء السجود - إطالة الجلوس بين السجدتين - وضع اليدين على الفخذين فى التشهد - جلسة الإستراحة بعد السجود قبل القيام للركعة الثانية والرابعة - الإشارة بالسبابة في التشهد الأول والثاني من حين يجلس إلى نهاية التشهد وتحركيها ورمى البصر إليها - مجافاة العضدين عن الجنبين، و البطن عن الفخذين، و الفخذين عن الساقين في السجود - وضع اليدين على الفخذين مبسوطتين مضمومتي الأصابع بين السجدتين - رفع الذراعين عن الأرض حين السجود - الإفتراش فى التشهد الأول والتورك فى الأخير - الإلتفات عن اليمين والشمال في التسليمتين .

خامسًا : مبطلات الصلاة :

تبطل الصلاة بفعل ما يحرم فيها أو بترك ما يجب فيها ومبطلات الصلاة على سبيل الإجمال هى :
١- ترك ركنًا أو شرطًا سهوًا أو عمدًا أو زيادة ركن فعلي كركوع أو سجود عمدًا .
لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم للأعرابِيِّ لَمَّا ترك الاطمئنان، وهو ركن من أركان الصلاة : ارجِعْ فصَلِّ؛ فإنك لم تُصلِّ . رواه البخاري
١- ترك الركن يبطل الصلاة، وكذلك الشرط .
٢- الضحك عمدًا . قال ابن المنذر: الإجْماع على بُطْلان الصَّلاة بالضَّحِك
٣- الأكل أو الشرب عمدًا .
قال ابن المنذر : أجمعَ أهل العلم على أنَّ مَن أكل أو شرب في صلاة الفَرْض عامدًا أنَّ عليه الإعادة
٤- الكلام عَمْدًا لغير مصلحة اللصلاة .
لقوله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ . رواه مسلم
٥- ترك واجب من واجبات الصلاة عمدًا .
٦- الحركة الكثيرة المتوالية لغير ضرورة .
قال ابن عبد البر: وأجمعوا أن العمل الكثير في الصلاة يفسدها .

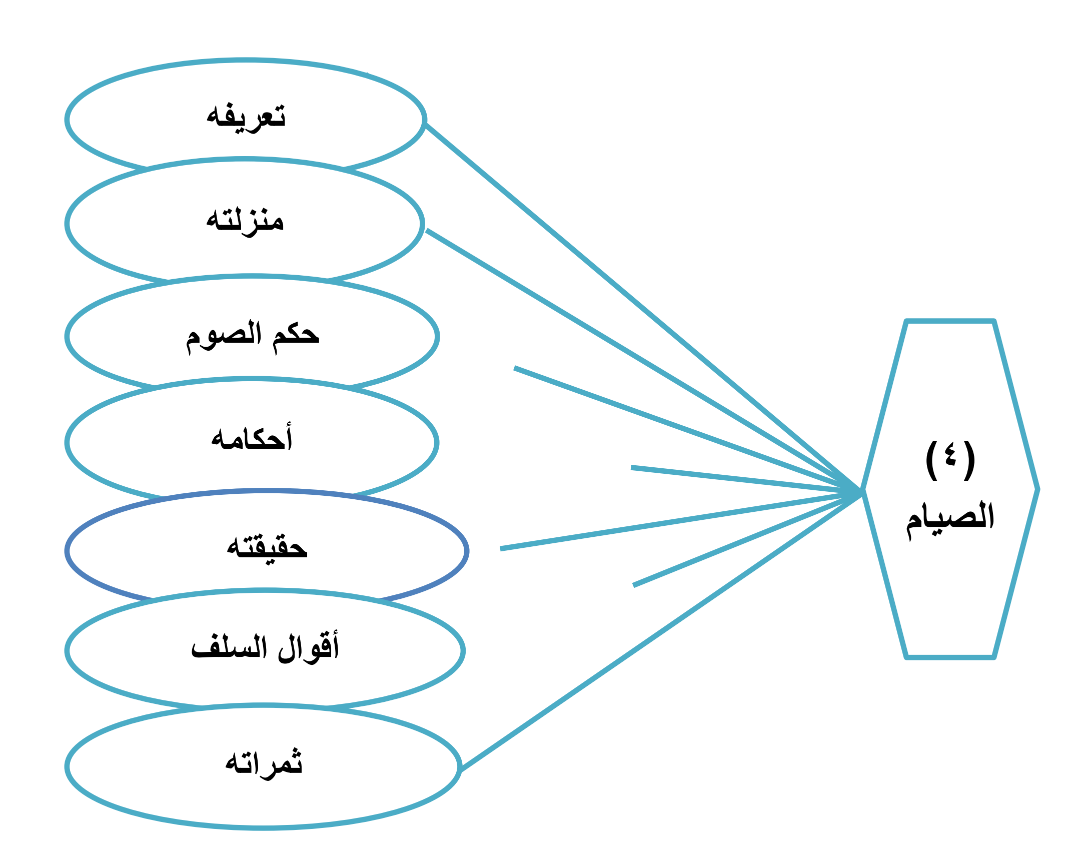
سادسًا : مكروهات الصلاة :

يكره ترك سنة من سنن الصلاة عمدًا
ويكره كل ما ينافي الخشوع في الصلاة كاحتباس البول، أو الغائط، أو الريح، أو حال الجوع، أو العطش، أو بحضرة طعام يشتهيه وهو قادر على تناوله، أو عنده أو أمامه أو معه ما يلهيه عن الخشوع في الصلاة . أو كالعبث بالثوب أو البدن، أو العمامة أو تشبيك الأصابع وفرقعتها ونحو ذلك .

ويكره التفات المصلي إلا لحاجة كخوف ونحوه .
ويكره نقر الصلاة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب .
ويكره تغطية وجهه والتخصر، وهو أن يضع يده على خاصرته، والسدل : وهو تغطية الفم.، وافتراش ذراعيه في السجود، وتشبيك الأصابع، وكف الشعر والثوب من غير حاجة. ورفع البصر إلى السماء

سابعًا : مباحات الصلاة :

يباح للمصلي أثناء الصلاة :
المشي اليسير للحاجة . حمل الطفل اثناء الصلاة . قتل الأسودين وهما الحية والعقرب . البصق والتنخم في الصلاة عن يساره عند الحاجة . البصاق في الثوب أو المنديل عند الحاجة . الإلتفات والإشارة المفهمة عند الحاجة . الإشارة برد السلام على من سلم عليه . الفتح على الإمام بالتسبيح للرجال والتصفيق للنساء . مدافعة المار أمامه في الصلاة . إصلاح الثوب وحك الجسد . رفع الرأس في السجود للتحقق من الأمر إذا أطال الامام . البكاء . السجود على ثياب المصلي أو عمامته لعذر كشدة حر ونحوه . حمد الله تعالى إذا رأى ما يستدعيه .


(٤)
الصيام
تعريفه
منزلته
حكم الصوم
أحكامه
حقيقته
أقوال السلف
ثمراته

الشعبة الرابعة : الصيام

ويدخل فيه : الإعتكاف والتماس ليلة القدر

أولًا : الصيام :

الصيام شعبة من شعب الإيمان وركن من أركان الإسلام وعبادة من أجل العبادات العظيمة وطاعة من أفضل الطاعات الكبيرة وقربة من أعظم القربات التي لها آثارها العظيمة فى تزكية النفوس، وإصلاح القلوب وحفظ الجوارح من الفتن والشرور، وتهذيب الأخلاق، ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات، والفوز بأعالي الدرجات . ويكفى أن الله تعالى اختصه من بين سائر الأعمال، كما في الحديث القدسي : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به . فكفى بذلك تنبيهًا على شرفه وعظم فضله . وهو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام ، وهو من أكبر الأسباب لكسر الشهوة وتحصيل التقوى ومخالفة الهوى . وتربية النفس على معانى الإخلاص والصبر والإحتمال والإحسان إلى الفقراء ومواساة المساكين، وتقدير النعمة وصفاء القلب وتطهير الروح، والإكثار من ذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن الكريم .

تعريف الصوم :

هو الإمساك عن الطعام والشّراب والجماع وسائر المفطرات بنيّة التعبد لله تعالى من طلوع الفجر الصّادق إلى غروب الشّمس

مكانة الصيام فى الإسلام :

١- الصوم من أركان الإسلام الخمسة وهو من أفضل العبادات لأن الله جل وعلا اختصه لنفسه .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ . رواه البخاري ومسلم

٢- الصوم من أعظم أسباب تحصيل التقوى لما فيه من إنكسار الشهوة وانقماع الهوى وامتثال أمر الله واجتناب نهيه .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ البقرة

وعلاقة الصوم بالتقوى أن الصوم أمره موكول إلى نفس الصائم، فلا رقيب عليه إلا الله ، فهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه أحد سواه، كما أن الصوم فيه تقديم رضا الله على رضا النفس فالصائم يترك ما حرم الله عليه من الطعام والشرب والجماع ونحوها مما تميل إليها نفسه، متقربًا بذلك إلى الله راجيًا بتركها ثوابه . فمواصلة ذلك شهرًا كاملًا فيه تربية على هذه الخصلة العظيمة .

٣- أضاف الله الصيام إليه من بين سائر الأعمال تشريفًا لقدره وتعريفًا بعظيم أجره .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ . رواه مسلم

٤- الأعمال الصالحة تضعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلا الصوم فإن الله سبحانه تولى جزاءه بغير حصر .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فى الحديث القدسى : إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ . رواه البخاري ومسلم

الخلوف : تغير ريح الفم

٥- خص الله عز وجل الصائمين بباب فى الجنة يقال له الريان لا يدخل منه سواهم إكرامًا لهم، من دخله لم يظمأ أبداً .

عَنْ سَهْلٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ . رواه البخارى

قال ابن حجر عن الريان : وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه ، لأنه مشتق من الرى وهو مناسب لحال الصائمين .

٦- الصوم من أفضل الأعمال عند الله تعالى .

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ مُرْنِي بِعَمَلٍ قَالَ : عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لا عَدْلَ لَهُ .

وَفِي لَفْظ : عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ . رواه أحمد والنسائي . صححه الألباني

فالصوم لا مثل له في الأعمال الصالحة، لا مثل له في إصلاح القلوب وتزكية النفوس، لا مثل له في الإنتصار على شياطين الجن والإنس، لا مثل له في رفع الدرجات وتكفير السيئات، لا مثل له في التراحم بين المسلمين، لا مثل له في إصلاح الأبدان وحفظ عافيتها وبقاء صحتها .

٧- بشر النبى صلى الله عليه وسلم من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة :

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ : وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب

٨- الصوم سبيل تطهير النفس وتهذيبها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الصِّيَامُ جُنَّة، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ . رواه البخاري
وقَالَ صلى الله عليه وسلم : مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ . رواه البخاري
٩- الصوم طريق سلامة الصدر من وساوس الشياطين من الحِقْد والغل والعَداوَة .
قَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ بِوَحَرِ الصَّدْرِ . رواه أحمد . صححه الألبانى
وحر الصدر : أى وساوسه وقيل الحقد والغيظ وقيل العداوة .
١٠- الصوم فيه تربية للنفس على الإخلاص والمراقبة والإحسان ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي . رواه البخارى
قال بدر الدين العيني فى عمدة القاري شرح صحيح البخاري : قوله الصوم لي : سائر العبادات لله تعالى ووجه التخصيص به هو أنه لم يعبد أحد غير الله به إذ لم تعظم الكفار في عصر من العصور معبودًا لهم بالصيام بخلاف السجود والصدقة ونحوهما وقيل الصوم لي : لأنه سر بين العبد وربه ، ولا يدخله الرياء . قال الإمام أحمد : ليس في الصوم رياء .
١١- الصوم طريق كسر ثوران الشهوة وحفظ الجوارح واجتناب المعاصي .
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ . رواه البخاري ومسلم
قال ابن العربي : إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات .
١٢- الصوم كفارة لفتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره .
عن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ ﷺ فَقَالَ أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْفِتْنَةِ قُلْتُ أَنَا كَمَا قَالَهُ قَالَ إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ قُلْتُ : فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ . رواه البخارى

حكم الصوم :

الصوم ينقسم إلى قسمين : واجب ، ومندوب .
والواجب ثلاثة أقسام : منه ما يجب للزمان نفسه وهو صوم شهر رمضان بعينه . ومنه ما يجب لعلة وهو صيام الكفارات .
ومنه ما يجب بإيجاب الإنسان ذلك على نفسه وهو صيام النذر .
والمندوب : هو الذي سنّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته ليعتادوا الصوم ويتزوّدوا من التقوى مثل :
صيام ستّة أيّام من شوّال :
عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ . رواه مسلم
صيام يوم عرفة لغير الحاج :
عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ : سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ ، قَالَ وَسُئِلَ

عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ . رواه مسلم

صيام التسع الأول من ذي الحجة :
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ يَعْنِى أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ وَلاَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَىْءٍ . رواه البخاري
صيام أكثر شعبان :
عَنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ﷺ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِى وَأَنَا صَائِمٌ . رواه أحمد . حسنه الألباني
صيام شهر الله المحرم بعد رمضان :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ ، وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ ، أَوْ الْفَرْضِ ، صَلاَةُ اللَّيْلِ . رواه مسلم
صيام يوم عاشوراء ويوم قبله أو يوم بعده :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِى تَصُومُونَهُ؟ فَقَالُوا هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا فَنَحْنُ نَصُومُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ . رواه البخاري

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ ؟ فَقَالَ : يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ : وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ؟ فَقَالَ : يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ . رواه مسلم

صيام يومي الإثنين والخميس من كلّ أسبوع :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ أَكْثَرَ مَا يَصُومُ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ ، فَقَالَ : تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ . رواه مسلم

صيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر :

وهي الأيام البيض اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ نَصُومَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامِ الْبِيضَ : ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ . رواه النسائي . صحيح الجامع

صيام يوم وإفطار يوم :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ وَأَحَبَّ الصَّلاَةِ إِلَى اللهِ صَلاَةُ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا . البخاري

بعض أحكام الصيام :

شروط الصيام :

يجب الصيام على كل مسلم عاقل بالغ قادر مقيم سالم من الموانع : وهي الحيض والنفاس، و ينبغي أن يُؤمر الصبيان بالصيام ويُشَجَّعوا عليه لفعل الصحابة رضي الله عنهم ؛ حتى يعتاد الصبي ذلك ويتدرب عليه .

أركان الصيام :

النية ، والإمتناع عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

آداب الصيام :

السحور والأفضل تأخيره إلى قبيل الفجر، وتعجيل الإفطار، والإفطار على رُطبات أو تمرات أو حسواتٍ من ماء ، الدعاء والذكر وأنواع البر، والإكثار من تلاوة القرآن بالتدبر، فإن من أحب الله أكثر من تلاوة كتابه .

مفسدات الصيام :

الجماع في نهار رمضان ، وإخراج المني باختياره ، والأكل والشرب متعمدًا ، وما يقوم مقام الأكل والشرب كالإبر المغذية، وإخراج الدم بالحجامة، والقئ عمدًا، وخروج دم الحيض والنفاس .

ويباح الفطر في رمضان للمريض والمسافر والعاجز عن الصيام : كالشيخ الهرم أو العجوز الهرمة ومن احتاج إلى إنقاذ معصوم إذا لم يُمكن إنقاذه إلا بالإفطار، والحامل والمرضع إذا خافتا الضرر ، وكل هؤلاء يقضون الصيام إلا العاجز بمرض لا يرجى برؤه أو الهرم فيطعمان عن كل يوم مسكينًا ولا قضاء عليهما .

مباحات الصيام :

المضمضة والإستنشاق بدون مبالغة . والإغتسال وصبّ الماء البارد على الرأس من العطش أو الحر . تذوق الطعام عند الحاجة ، القبلة إذا أمن الوقوع في ما حرم الله تعالى . شمُّ الروائح الطيبة ، إلا أنه لا يستنشق دخان البخور لأن فيه خلافاً . تحليل الدم والحقن التي ليس فيها غذاء ولا يقصد بها التغذية . إستعمال البخاخ في الأنف لمرضى الصدر . إستعمال السواك وفرشة الأسنان لتنظيف الأسنان ، ولكن يحتاط الصائم من دخول شيء إلى الجوف . وضع المراهم على الجلد وأخذ اللبوس، والكشف النسائي للمرأة، والحقنة الشرجية كل ذلك جائز .

كيفية تحقيق الصوم :

قال الغزالي في إحياء علوم الدين . اعلم أن للصّوم ثلاث مراتب :

صوم العموم وهو كفّ البطن والفرج عن قضاء الشّهوة .

٢ـ صوم الخصوص وهو كفّ اللّسان واليد والرّجل والسّمع والبصر وسائر الجوارح عن الآثام .

٣ـ صوم خصوص الخصوص وهو صوم القلب عمّا سوى الله تعالى بالكلّيّة .

لذلك قبل أن يصوم المرء يسأل نفسه لماذا أصوم ؟ فلو علم ذلك لأمكنه تحقيق الصوم ومعناه ، فالمسلم يصوم امتثالًا لأمر الله تعالى ولأن الصوم ركن من أركان الدين وشعيرة من شعائر الإسلام ، وباعثًا على التقوى ، وحفظًا للسان حتى عن الكلام المباح لأن كثرة الكلام تقسى القلب ، وغضًا للبصر عن الحرام ، و تربية للنفس فالصوم يمنع عن الحلال فكيف بالحرام .

عن جَابِرٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ عَنْ الْكَذِبِ وَالْمَأْثَمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلاَ تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صَوْمِكَ سَوَاءً . رواه البخاري

بعض أقوال السلف في الصوم :

قيل للأحنف بن قيس : إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك . فقال : إني أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه .

وقال الحسن البصري : كفى بقوله الصوم لي فضلًا للصيام على سائر العبادات .

وقال ابن الجوزي : ليس الصوم صوم جماعة عن الطعام وإنما الصوم صوم الجوارح عن الآثام وصمت اللسان عن فضول الكلام وغض العين عن النظر إلى الحرام وكف الكف عن أخذ الخطام ومنع الأقدام عن قبيح الإقدام .

وقال الشّافعي : ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة اطَّرحتها، يعني فطرحتها ؛ لأنَّ الشِّبَع يثقل البدن ويقسِّي القلب ويزيل الفِطْنَة ، ويجلب النَّوم ويُضعف صاحبه عن العبادة .

وقال ابن القيّم في زاد المعاد : الصّوم هو لجام المتّقين وجنّة المحاربين ورياضة الأبرار والمقرّبين وهو لربّ العالمين من بين سائر الأعمال فإنّ الصّائم يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النّفس وتلذّذاتها إيثاراً لمحبّة الله ومرضاته .

بعض ثمرات الصوم :

١ـ تحقيق شعبة من شعب الإيمان .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ البقرة

٢ـ مغفرة الذنوب وتكفير السيئات .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . رواه البخاري ومسلم

إيماناً : أي رضاً وتصديقاً بفرضية صومه ، واحتساباً : أي إحتساب الأجر والمثوبة عند الله ، لا كارهاً للفرضية، فإن من الناس من يصومه كارهاً وهذه كرامة عظيمة لا يتركها إلا خاسر .

٣ـ استجابة الدعاء :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ يَعْنِي : فِي رَمَضَانَ وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً . رواه البزار . صحيح الترغيب والترهيب

٤ـ تشريف الله والملائكة له بالصلاة على المتسحرين .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ فَلاَ تَدَعُوهُ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ . رواه أحمد . صحيح الجامع

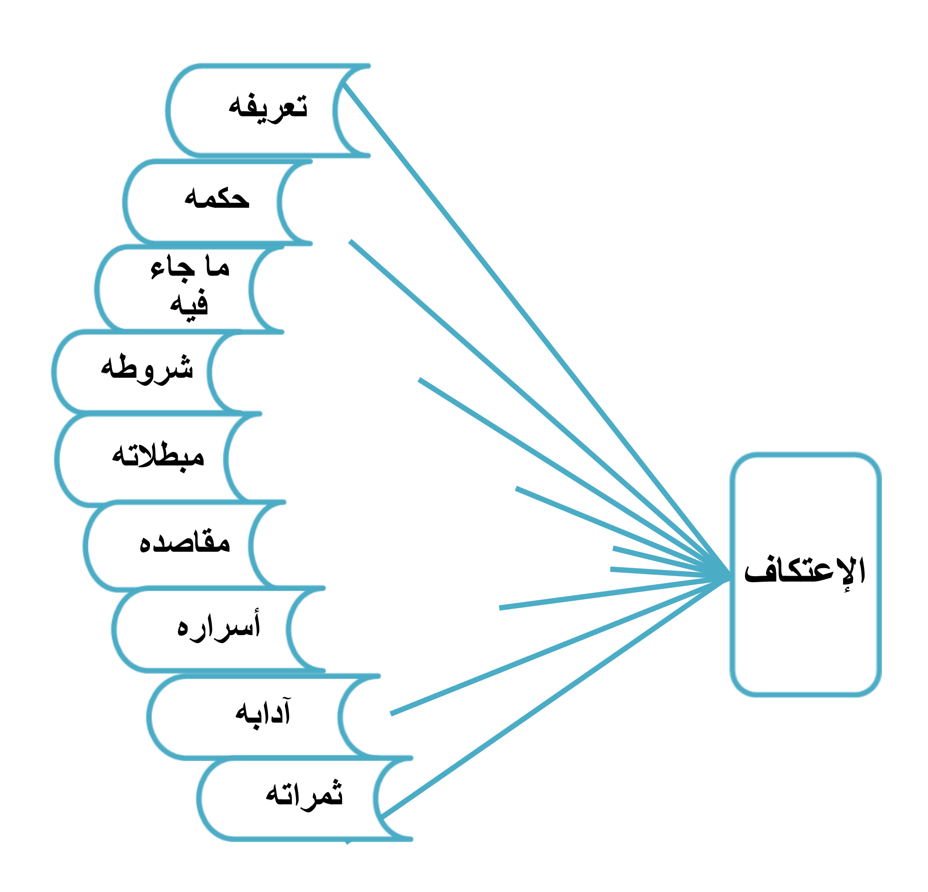
فإذا كان الله وملائكته يصلون على المتسحرين، والسحور عون على الصيام فما ظنك بالصيام؟ فأكرم بها من عبادة يصلي الله عليك بها والملأ الأعلى .

٥ـ مباعدة النار عن الصائم .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً . متفق عليه

فإذا كان صوم يوم واحد بهذه المنزلة فما بالك بصيام شهر أو ثلاثة أيام من كل شهر نافلة أو غير ذلك .

قال ابن الجوزي : إذا أطلق ذكر سبيل الله ، فالمراد به الجهاد .
قال الملا عليّ القاريء في مرقات المفاتيح : في سبيل الله أي في الجهاد أو في طريق الحج أو العمرة أو طلب العلم أو ابتغاء مرضاة الله .
٦- حصول الفرحة في الدنيا والآخرة .
كما فى الحديث القدسى : لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ . متفق عليه
قال العلامة ابن رجب رحمه الله : أما فرحة الصائم عند فطره ، فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح ، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما مُنعت منه خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه . وأما فرحه عند لقاء ربه : فيما يجده من ثواب الصيام مدّخرًا فيجده أحوج ما كان إليه .
٧- يشفع لصاحبه يوم القيامة .
عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ . رواه أحمد والطبراني . صحيح الترغيب والترهيب
٨- وقاية من شهوات الدنيا وحصن حصين من النار :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الصِّيَامُ جُنَّةٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ . رواه أحمد . صحيح الجامع
٩- خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . رواه البخاري ومسلم
قال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري
ويؤخذ من قوله أطيب من ريح المسك أن الخلوف أعظم من دم الشهادة لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك والخلوف وصف بأنه أطيب ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشهادة لما لا يخفى ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل منهما فإن أصل الخلوف طاهر وأصل الدم بخلافه فكان ما أصله طاهر أطيب ريحًا .
وقال ابن جماعة : وفيه أن خلوف فم الصائم أفضل من دم الجريح في سبيل الله لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الشهيد إن ريحه ريح المسك، وقال في خلوف الصائم أنه أطيب منه، ووجهه أن الجريح يظهر أمره للناس فربما دخله رياء، والصائم لا يعلم بصومه إلا الله، فلعدم دخول الرياء فيه صار أرفع .


الإعتكاف
تعريفه
حكمه
ما جاء فيه
شروطه
مبطلاته
مقاصده
أسراره
آدابه
ثمراته

ثانيًا : الإعتكاف

الإعتكاف عبادة من العبادات وطاعة من الطاعات وقربة من القربات التى لها آثارها العظيمة فى تزكية النفوس، وإصلاح القلوب وحفظ الجوارح، وتهذيب الأخلاق، وتربية النفس على معانى الإخلاص والصبر والتحمل، وتقدير النعمة وصفاء القلب، والإنشغال بلذة العبادة، والتزود من ذكر الله تعالى والتعود على تلاوة القرآن الكريم. والإعتكاف ينطوي على سر عظيم وهو حماية العبد من آثار فضول الخلطة والصحبة، و يؤصل في النفس مفهوم العبودية الحقة لله عز وجل، ويدربه على تعوّد المكث في المسجد والبعد عن الترف المادي، والإقلاع عن كثير من العادات التى استحكمت في النفوس . ويعين على قيام الليل وعمارة الوقت وتزكية النفس .

تعريف الإعتكاف :

هو لزوم مسجد على وجه القربة من شخص مخصوص بصفة مخصوصة .

وقال الجرجاني رحمه الله فى التعريفات :

الاعتكاف: هو في اللغة المقام والاحتباس، وفي الشرع: لبث صائم في مسجد جماعةٍ بنية .

وقد ذكر الله تبارك وتعالى الاعتكاف في الآيات التي ذكر الصيام فيها في سورة البقرة، ونهى عن مباشرة النساء حال كونهم عاكفين في المساجد، وهذا دليل على كون الاعتكاف في المسجد، كما في قوله تعالى : وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ . أي : لا تقربوهن ما دمتم عاكفين في المسجد ولا في غيره.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسيره :

كان الفقهاء المصنفون يتبعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف، اقتداءً بالقرآن العظيم، فإنه نبه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم، وفي ذكره تعالى الاعتكاف بعد الصيام إرشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام، أو في آخر شهر الصيام .

ما جاء فى الإعتكاف من الكتاب والسنة :

قال تعالى : وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ البقرة

وقال تعالى : وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا ﴿١٨٧﴾ البقرة

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ. ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ . متفق عليه

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا . رواه البخاري

وقال الزهري : عجبًا للمسلمين تركوا الإعتكاف مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل .

بعض أحكام الإعتكاف :

حكم الإعتكاف :

سنة مؤكدة وذلك لمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليه حتى توفي .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ . متفق عليه

وقد انعقد الإجماع على استحبابه وعدم وجوبه .

قال ابن المنذر فى الإجماع : أجمع أهل العلم على أن الإعتكاف سنة لا يجب إلا أن يوجب المرء على نفسه نذرًا . والإعتكاف معروف في الشرائع السابقة

قال تعالى : وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ البقرة

شروط صحة المعتكف :

أن يكون مسلمًا فلا يصح من كافر أو مرتدًا .

أن يكون عاقلًا مميزًا فلا يصح من مجنون ولا طفل لعدم النية .

أن يكون طاهرًا فلا يصح من جنب ونحوه، ولا تمنع المستحاضة منه .

مبطلات الإعتكاف :

ويبطل بالجماع ومباشرة الزوجة والأمة بشهوة والجنابة والحيض والنفاس . وذهاب العقل والردة وقطع نية الإعتكاف .
ويشترط لبطلانه أن يكون عالمًا ذاكرًا مختارًا ، فإن كان جاهلًا أو ناسيًا أو مكرهًا لم يبطل اعتكافه لأنه من باب التروك يعذر فيه بالجهل والنسيان والإكراه . ويجوز للمعتكف الخروج من المسجد لما لابد منه شرعًا أو طبعًا ، كالأكل أو الشرب أو قضاء الحاجة أو العلاج . ويجوز إن اشترط أن يخرج لزيارة مريض أو تشييع جنازة .

قضاء الإعتكاف :

من شرع في الإعتكاف متطوعًا ثم قطعه استحب له قضاءه .
قال الترمذي : واختلف أهل العلم في المعتكف إذا قطع اعتكافه قبل أن يتمه على ما نوى .
قال مالك : إذا انقضى اعتكافه وجب عليه القضاء، واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من اعتكافه فاعتكف عشرًا من شوال .
وقال الشافعي : إن لم يكن عليه نذر إعتكاف أو شيء أوجبه على نفسه وكان متطوعًا، فخرج فليس عليه قضاء، إلا أن يحب ذلك اختيارًا منه أما من نذر أن يعتكف يومًا أو أيامًا ثم شرع فيه وأفسده وجب عليه قضاؤه متى قدر عليه بالإتفاق ، فإن مات قبل أن يقضيه لا يقضى عنه . وعن أحمد : أنه يجب على وليه أن يقضي ذلك عنه .

وقت الإعتكاف ومكانه :

الجمهور على أنه يسن في كل وقت، وأفضله في رمضان وآكده في العشر الأواخر .
وأفضل أماكنه المسجد الحرام ثم المسجد النبوي ثم المسجد الأقصى ثم المسجد الجامع .
وأقله يوم وليلة، وما دون ذلك يؤجر عليه ولا يسمى اعتكافًا، ويدخل المعتكف قبل غروب الشمس من يوم عشرين . ويستحب له أن لا يخرج من المسجد إلا لصلاة العيد ، ولو خرج بعد غروب الشمس من آخر يوم من رمضان فقد تم اعتكافه بالإجماع .
قال القرطبي فى أحكام القرآن : أجمع العلماء على أن الإعتكاف لا يكون إلا في مسجد . ولا يشترط له الصوم ويستحب الجمع بين الصيام والإعتكاف وهو الأصح ، ولا يوجد دليل صحيح صريح على اشتراط الصوم له .

ثواب الإعتكاف :

لم يرد حديث صحيح في فضل الإعتكاف وثوابه . وإنما يؤخذ فضله من مدح أهله : أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآيِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ومن فعل النبي صلى الله عليه وسلم والمواظبة عليه وإجماع أهل العلم

مقاصد الإعتكاف :

الإشتغال بالذكر والدعاء والإستغفار والتوبة وقراءة القرآن والتدبر فيه والصلاة . والتفكر والتأمل من أعظم مقاصد الإعتكاف . ومحاسبة النفس على تقصيرها، فالخلوة تعطيك فرصة للتفكر والتدبر، فإنك ستموت وحدك وتقبر وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك وتعبر الصراط وحدك .
قال الشيخ ابن باز رحمه الله : روح الإعتكاف هو الإشتغال بالخالق عن المخلوقين .

كيفية تحقيق الإعتكاف :

قال الشيخ محمد صالح المنجد فى الإعتكاف فضله وآدابه وأحكامه :
أكمل الهدى وأيسره هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإعتكاف، فكان إذا أراد أن يعتكف وُضع له سريره وفراشه في مسجده ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضرب له خباء مثل هيئة الخيمة ، فيمكث فيه غير أوقات الصلاة حتى تتم الخلوة له بصورة واقعية . وكان دائم المكث في المسجد لا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان من بول أو غائط ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤتي إليه بطعامه وشرابه إلى معتكفه وكان يحافظ على نظافته، إذْ كان يخرج رأسه إلى حجرة عائشة رضي الله عنها لكي ترجّل له شعر رأسه . وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة ، وذلك من أجل الإنقطاع الكلي لمناجاة الله عز وجل . وكان أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزرْنه في معتكفه ، وحدث أنه خرج ليوصل إحداهن إلى منزلها ، وكان ذلك لحاجة إذ كان الوقت ليلًا ، فخرج معها من معتكفه ، ليوصلها إلى بيتها . وخلاصة القول : أن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإعتكاف كان يتسم بالإجتهاد ، فقد كان جل وقته مكث في المسجد ، وإقبال على طاعة الله عز وجل ، وترقب لليلة القدر .

أسرار الإعتكاف :

بين ابن القيم السر والحكمة من مشروعية الإعتكاف ومقصوده فقال :

شرع الله لعباده الإعتكاف الذى مقصودُه وروحُه عُكوفُ القلب على الله تعالى، وجمعيَّتُه عليه، والخلوةُ به، والإنقطاعُ عن الإشتغال بالخلق والإشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذِكره وحبه، والإقبالُ عليه فى محل هموم القلب وخطراته، فيستولى عليه بدلَها، ويصير الهمُّ كُلُّه به، والخطراتُ كلُّها بذكره، والتفكُر فى تحصيل مراضيه وما يُقرِّب منه، فيصيرُ أُنسه بالله بدَلاً عن أُنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوَحشة فى القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرحُ به سواه، فهذا مقصود الإعتكاف الأعظم . ولما كان هذا المقصود إنما يتمُّ مع الصوم ، شُرِع الإعتكاف فى أفضل أيام الصوم، وهو العشر الأخير من رمضان.

آداب الإعتكاف :

للإعتكاف جملةٌ من الآداب يحسن بالمعتكفين مراعاتُها، ليكون اعتكافُهم كاملًا مقبولًا بإذن الله، وهذه الآداب هي :

إستحضارُ النيَّةِ الصالحةِ، واحتسابُ الأجر على الله عز وجل .

استشعارُ الحكمةِ من الإعتكاف، وهي الإنقطاع للعبادة، وجَمْعِيَّةُ القلب على الله تعالى .

ألا يخرجَ المعتكفُ إلاَّ لحاجته التي لا بد منها.

المحافظةُ على أعمال اليوم والليلة من سنن وأذكار مطلقة ومقيَّدة ، كالسنن الرواتب وسنَّة الضحى وصلاة القيام وسنَّة الوضوء، وإجابة المؤذن، ونحو ذلك من الأمور التي يحسن بالمعتكف ألا يفوته شيء منها.

الحرصُ على الإستِيقاظ من النوم قبل الصلاة بوقتٍ كاف ، ليتهيأ لها، ويأتِيَها بسكينة ووقار وخشوع.

الإكثار من النوافل عمومًا، والإنتقالُ من نوع إلى نوع آخر من العبادة؛ لأجل ألا يدبَّ الفتور والملل إلى المعتكف؛ فَيُمْضِيَ وقته بالصلاة تارة، وبقراءة القرآن تارة، وبالتسبيح تارة، وبالتهليل تارة، وبالتحميد تارة، وبالتكبير تارة، وبالدعاء تارة، وبالإستغفار تارة، وبالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تارة، وبـ : لا حول ولا قوة إلا بالله تارة، وبالتدبُّر تارة، وبالتفكُّر تارة ، وهكذا .

اصطحاب بعض كتب أهل العلم، وخصوصًا التفسير؛ حتى يستعانَ به على تدبُّر القرآن .

الإقلال من الطعام، والكلام والنوم فذلك أدعى لرقَّة القلب، وخشوع النفس، وحفظ الوقت، والبعد عن الإثم .

التواصى بالحق والصبر والتعاون على البر والتقوى، والإيقاظ من النوم، وأن يَقْبَل بعضُهم من بعض .

الحرص على تطبيق السنَّة ، و على كل قربة ، والبعد عن كل ما يفسد اعتكافه أو ينقص ثوابه.

من ثمرات الإعتكاف :

التربية على الإخلاص وعلى العبادة وخاصة قيام الليل وقراءة القرآن والذكر والمناجاة .

التخلص من فضول الكلام والطعام والنوم والخلطة .

تقوية الصلة بالله تعالى واللجوء إليه ومناجاته .

التعود على الإستخدام الأمثل لنعمة الوقت والعقل وخاصة في زمن الفتن والمحن .

مراجعة النفس ومحاسبتها في أمور الدين والدنيا لتعويض جوانب التقصير .

إحياء سنة عظيمة من أعظم السنن التي هجرها كثير من الناس وهي سنة الإعتكاف .

التربية على الصبر ومجاهدة النفس وعدم اتباع الهوى والشيطان .

الحرص على تحرى ليلة القدر .

ثالثا : التماس ليلة القدر

التماس ليلة القدر عبادة من أعظم العبادات، وطاعة من أفضل الطاعات، وقربة من أجلّ القُربات . وليلة القدر عظَّم الله أمرَها ورفع شأنها وأعلى قدرَها . قال تعالى : إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣
ولقد شرف الله عز وجل هذه الأمة بأعظم الأحداث وهو نزول القرآن، وشرف هذه الليلة بإنزال القرآن فيها .
قال تعالى : إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ . وقد وصفها الله عز وجل بأنها ليلة مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها . فهى ليلة عظيمة القدر من تُقبِّل منه فيها، صارت عبادته تلك خير من عبادة ألف شهر، وهذا ثواب كبير، وأجر عظيم على عمل يسير . من حرمها حرم الخير كله لذلك ينبغي على المسلم أن يجتهد فى تحريها، ولو ثبتت عنده لا ينبغي أن يشيعها ؛ لأن إخفائها له حكم عظيمة، لأنه لو عينت غالب الناس يتعمدون قيامها ويتركون ما عداها، وينبغي على المسلم اغتنام الأزمنة الفاضلة، فيجدّ ويجتهد في عبادة الله، وألا يضيّع ساعات هذه الأيام والليالي، فلعله لا يدركها مرة أخرى باختطاف هادم اللذات ومفرق الجماعات ، فحينئذ يندم حيث لا ينفع الندم . وكان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسلف من بعدهم، يعظمون هذه العشر ويجتهدون فيها بأنواع الخير من الصلاة وقراءة القرآن وأنواع الذكر والعبادة إيماناً واحتساباً حتى يفوزوا بمغفرة الذنوب وحط الأوزار والعتق من النيران .

فضائل ليلة القدر :

قال الشيخ ابن عثيمين مبينًا فضل ليلة القدر :
أنزل الله تبارك وتعالى فيها القرآن الكريم الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة .
قال تعالى : إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ القدر

الإستفهام فى قوله تعالى : وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ . يدل على التفخيم والتعظيم تنويهاً بشأنها ، وإظهاراً لعظمتها .
العمل الصالح فيها من الصيام والقيام والدعاء وقراءة القرآن خيرٌ من العمل في ألف شهر .
قال تعالى : لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ القدر
تنزُّل الملائكة فيها إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة لأهل الإيمان
قال تعالى : تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ القدر
أنها سلام هي حتى مطلع الفجر : لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل .
وقيل سلام : أي سالمة من الشرور ، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو أذى كما قاله مجاهد .
قال تعالى : سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ القدر
أنزل الله في فضلها سورة كاملة تُتلَى إلى يوم القيامة .
ليلة مباركة لكثرة خيرها، وعظم فضلها، وجليل ما يعطي الله مَن قامها إيمانًا واحتسابًا ، من الخير الكثير، والأجر الوفير
قال تعالى : إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ الدخان
فيها تُقدر أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم إلى السنة القابلة .
قال تعالى : فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ الدخان
تُغفر فيها الذنوبُ وتفتح فيها أبواب الخير، فمَن قامها إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . متفق عليه
مَن حُرِمَ خيرها فهو المحروم .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ .
رواه أحمد . صحيح الجامع
ليلة القدر يُفتح فيها الباب، ويُقرب فيها الأحباب، ويُسمع الخطاب، ويُرد الجواب، ويُكتب للعاملين فيها عظيم الأجر، ليلة القدر خير من ألف شهر، فاجتهدوا في طلبها ، فهذا أوان الطلب ، واحذروا من الغفلة ففيها العطب

سبب تسميتها بليلة القدر :

اختلف العلماء في سبب تسميتها بليلة القدر على أقوال :

١- لأن الله تعالى يقدّر فيها الأرزاق والآجال وما هو كائن .

قال تعالى : فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ الدخان

لأنها ليلة ذات قدْر وشرف، نزل فيها كتاب ذو قدر على أمة ذات قدرٍ بواسطة ملك ذي قدر .

لأنها تكسب من أحياها قدرًا عظيمًا لم يكن له قبل ذلك ، وتزيده شرفًا عند الله تعالى .

٤- القدر الضيق ؛ لأن الأرض تضيق من كثرة الملائكة التي نزلت من السماء .

قال تعالى : وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴿٧﴾ الطلاق : أي ضيق عليه رزقه .

لأنّ العمل فيها له قدرٌ عظيمٌ أفضل من عبادة ٨٤ عاما .

لقوله تعالى :لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ القدر

لأنها ليلة الحكم والفصل . قال مجاهد : ليلة القدر ليلة الحكم

سبب رفعها :

عن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَإِنَّهُ تَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ ، الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ . رواه البخاري . تلاحى : أى تخاصم

انتقالها :

اختلف العلماء في هذا على قولين :

القول الأول : أنها تنتقل من عام إلى آخر . وهو قول : مالك والثوري وأحمد وإسحاق والحنفية وقولٌ للشافعية القول الثاني : أنّها في ليلةٍ واحدة بعينها لا تنتقل . وهو مذهب ابن حزم ، وبعض الشافعية .

والراجح : قول الجمهور لتضافر الأدلة على انتقالها ، فقد ثبت في السنة ما يدل على أنها ليلة إحدى وعشرين ، وأنها ليلة ثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، وآخر ليلة من رمضان .

عَنْ عَائِشَةَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ . متفق عليه

وهذا يدل على أنها متنقلة في العشر الأخيرة من رمضان كما يقول المحققون

وفي حديث أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِىَّ ﷺ : مُطِرْنَا لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ فِى مُصَلَّى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَدِ انْصَرَفَ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ ، وَوَجْهُهُ مُبْتَلٌّ طِينًا وَمَاءً. رواه مسلم

ولحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أنسيتُهَا وَأَرَانِى صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِى مَاءٍ وَطِينٍ قَالَ: فَمُطِرْنَا لَيْلَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَانْصَرَفَ وَإِنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ . رواه مسلم

قال ابن حجر : وأرجحها كلها أنها في وترٍ من العشر الأخير ، وأنها تنتقل ، كما يُفهم من أحاديث هذا الباب .

وقال المزني وابن خزيمة أنها منتقلة في ليالي العشر تنتقل في بعض السنين إلى ليلة وفى بعضها إلى غيرها جمعا بين الأحاديث وهذا هو الظاهر المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك .

قال النووي فى المجموع : وهذا هو المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها .

أقوال العلماء في تعيينها :

اختلف العلماء في تعيينها على أقوال كثيرة ، أوصلها الحافظ في الفتح إلى ستةٍ وأربعين قولاً ، وذهب بعض الصحابة كأبي إلى أنها ليلة سبع وعشرين وإلى هذا ذهب الجمهور وقال بعضهم أرجاها ليلة السابع والعشرين

قال الحافظ ابن حجر فى فتح الباري شرح صحيح البخاري :

وأرجاها أوتار العشر ، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين

الترجيح : ولعل أرجح الأقوال فيها أنها في العشر الأواخر من رمضان؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : إني أريت ليلة القدر ثم أُنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر . ويستحب تحرِّيها في الأوتار من العشر الأواخر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتاوى :

ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان هكذا صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : هي في العشر الأواخر من رمضان . وتكون في الوتر منها . لكن الوتر يكون باعتبار الماضي فتطلب ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين . ويكون باعتبار ما بقي كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لتاسعة تبقى لسابعة تبقى لخامسة تبقى لثالثة تبقى . فإذا كان الشهر ثلاثين يكون ذلك ليالي الأشفاع . وتكون الاثنين والعشرين تاسعة تبقى وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى . وإن كان الشهر تسعا وعشرين كان التاريخ بالباقي كالتاريخ الماضي . وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحراها المؤمن في العشر الأواخر جميعها كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ . متفق عليه . وتكون في السبع الأواخر أكثر . وأكثر ما تكون ليلة سبع وعشرين وكان أبي بن كعب يحلف أنها ليلة سبع وعشرين .

علاماتها :

ذكر الشيخ ابن عثمين رحمه الله في الشرح الممتع : أن ليلة القدر لها علامات مقارنة وعلامات لاحقة :

١ـ علامات مقارنة

قوة الإضاءة في تلك الليلة وهذه العلامة لا يحس فيها بالمدن .
عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ بَلَجَةٌ لا حَارَّةٌ وَلا بَارِدَةٌ وَلا يُرْمَى فِيهَا بِنَجْمٍ وَمِنْ عَلامَةِ يَوْمِهَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ لا شُعَاعَ لَهَا . رواه أحمد والطبراني . صحيح الجامع
طمأنينة القلب وإنشراح الصدر من المؤمن فإنّه يجد راحة وطمأنينة في هذه الليلة أكثر ما يجده في غيرها
الرياح تكون فيها ساكنة .
المنام . فقد يري الله الإنسان في المنام كما حصل مع بعض الصحابة .
اللذة . أى أن الإنسان يجد في القيام لذة أكثر من غيرها من الليالي .

٢ـ علامات لاحقة .

تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء صافية لا شعاع لها
لحديث أبيّ بن كعب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن من أَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِى صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لاَ شُعَاعَ لَهَا. رواه مسلم
قال الشنقيطي : لأن الملائكة تصعد بعد الفجر إلى السماء بعد أن كانت على الأرض فتحجب شعاع الشمس .

بعض الأخطاء حول ليلة القدر : :

١ـ اعتقاد البعض أن لها علامات تحصل لهم وتقع لبعض العباد فيها وينسجون حول ذلك خرافات .
اعتقاد أن الشجر يسجد وأن المباني تنام ثم تعود إلى وضعها بعد تأديتها عبادة السجود وهذا لا يصح .
٣ـ اعتقاد أن تُرى الأنوار فيها ساطعة حتى في الأماكن المظلمة ، وأن يُسمع كلام الملائكة .
٤ـ اعتقاد توقف الكلاب عن النباح في ليلتها ، وهذا لا يصح .
٥ـ إنشغالهم بالإحتفالات والكلمات والمسابقات وتوزيع الحلوى ، والأناشيد والقصائد عن الطاعات والقربات ٦ـ اعتقاد تحول المياه المالحة فيها إلى حلوة، وهذا هُراء .
٧ـ تخصيص ليلة السابع والعشرين بصلاة التسابيح جماعة .

مسألة : هل يشترط رؤيتها والعلم بها ؟

لا يشترط وإنما العبرة بالإجتهاد والإخلاص ، سواء علم بها أم لم يعلم ، ورب قائم فيها لم يحصل منها إلا على العبادة ولم ير شيئاً من علاماتها وهو أفضل عند الله ممن رآها وأكرم . وقد يكون بعض الذين لم يعلموا بها أفضل عند الله تعالى وأعظم درجة ومنزلة ممن عرفوا تلك الليلة وذلك لاجتهادهم . وليس بصحيح أيضاً أنّ من لم ير علامة ليلة القدر ، فإنه لا يدركها .

الحكمة من إخفائها :

قال الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب : أخفى الله تعالى هذه الليلة لوجوه :
أحدها : أنه تعالى أخفاها ، كما أخفى سائر الأشياء :
أخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل .
أخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات .

أخفى الإسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء .
أخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل .
أخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة .
أخفى وقت الموت ليخاف المكلف ، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان .
وثانيها : كأنه تعالى يقول لو عينت ليلة القدر ، وأنا عالم بتجاسركم على المعصية ، فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة إلى المعصية ، فوقعت في الذنب ، فكانت معصيتك مع علمك أشد من معصيتك مع عدم علمك ، فلهذا السبب أخفيتها عليك .

وقيل أن الحكمة من إخفاءها :

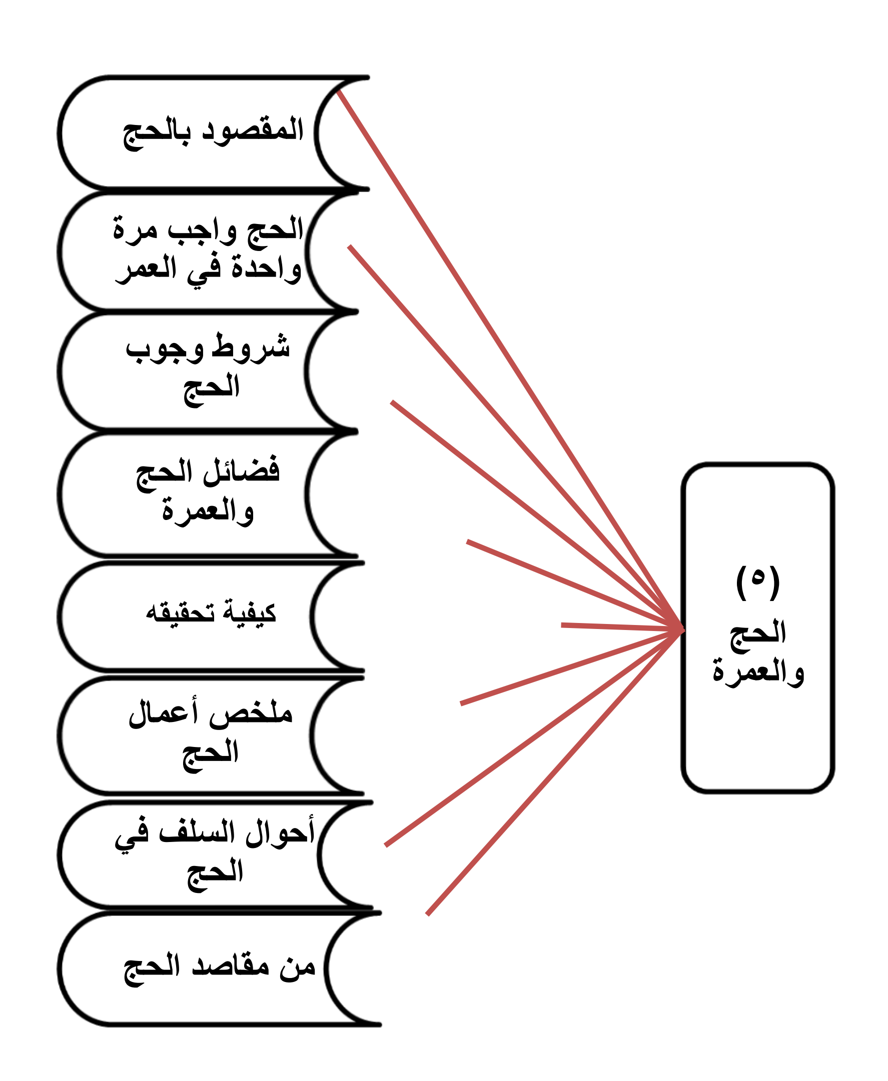
أنه لو علم الأخيار والأشرار لتسلط الأشرار على الناس بالدعاء .
ربما أنهم يسألوا فتن الدنيا التي تكون سببا في شقائهم في دنياهم وأخراهم.
بيان الصادق في طلبها من المتاكسل لأنّ الصادق في طلبها لا يهمه أن يتعب عشر ليالي من أجل إدراكها .
كثرة ثواب المسلمين بكثرة الأعمال لأنّه كلما كثر العمل كثر الثواب .
فينبغي على المؤمن أن يجتهد في العشر الأواخر طلباً لليلة القدر ، اقتداءً بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ما يستحب في ليلة القدر :

ينبغي أن ينشغل المسلم بليالي العشر الأخيرة كلها طلباً لليلة القدر ويجتهد بالأعمال الصالحة ومنها :
١- القيام : لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . رواه البخاري
٢- الإكثار من الدعاء المأثور : لقول عائشة رضي الله عنها : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُولِي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي . صحيح الترمذي
٣- المحافظة على الفرائض : لأنها أحب الأعمال إلى الله .
المحافظة على المغرب والعشاء في جماعة : لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ . رواه مسلم
٥- الإجتهاد في العبادة والإكثار من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والدعاء بخيري الدنيا والآخرة .
قَالَتْ عَائِشَةَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ . رواه البخاري
قال أهل العلم : كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك طلباً لليلة القدر .
٦- الإعتكاف : وبه يتمكن المسلم من التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله .
قالت عائشة رضي الله عنها . كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانٍ . رواه البخاري
إيقاظ الأهل والأولاد وحثهم ليشاركوا المسلمين في إظهار هذه الشعيرة ويشتركوا معهم في الأجر ، ويتربوا على عبادة الله وطاعته .

من ثمرات ليلة القدر :

١- العمل فيها من صّلاة وتّلاوة وذّكر ونحوه خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .
لقوله تعالى :إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ القدر
٢- نزول البركة والرّحمة لتنزل الملائكة كما تنزل عند حلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم تعظيما له .
قال تعالى : تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ القدر
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَكْثَرُ فِي الأَرْضِ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى . رواه ابن خزيمة وحسنه الألباني
٣- غفران الذنوب :
لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . رواه البخاري
٤-إستجابة الدعاء :
وَعَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ، قَالَت : قلتُ يَا رَسُول الله ، أرأيتَ إنْ علمتُ أيَّ لَيْلَة القدر مَا أَقُول فِيهَا ؟ قَالَ : قولي اللَّهُمَّ ، إنَّك عَفْو تحب الْعَفو فَاعْفُ عني . صحيح الترمذي
٥- عتق الرقبة من النّار : وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ . رواه الترمذي . صحيح الترغيب والترهيب
وأخيرًا : مما ينبغي التفطن له تربيةُ الأهل على العناية بهذه الليالي الشريفة ، وإظهار تعظيمها ، والأخذ بسُنة النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فيها، فقد كان يوقظ أهله وكل من يطيق القيام للصلاة والذكر ، والتنافس فيما ينال به عظيم الأجر، من خصال البر، حرصًا على إغتنام هذه الليالي المباركة ، فيما يقرب إلى الله تعالى ، فإنها من فرص العمر، وغنائم الدهر .


(٥)
الحج والعمرة
المقصود بالحج
الحج واجب مرة واحدة في العمر
شروط وجوب الحج
فضائل الحج والعمرة
كيفية تحقيقه
ملخص أعمال الحج
أحوال السلف في الحج
من مقاصد الحج

الشعبة الخامسة : الحج والعمرة

الحج شعبة من شعب الإيمان، وعبادة من أجلّ العبادات وقربة من أعظم القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه تعالى، وهو ركن من أركان الإسلام العظيمة التي يقوم عليها بنيانه . وهو من أفضل الأعمال فى تكفير السيئات ورفع الدرجات . ونفي الفقر ومحو الذنوب، والحج المبرور يهدم ما قبله وليس له ثواب ولا جزاء إلا الجنة . وهو جهاد الصغير والكبير، والمرأة والضعيف ومن لا يقوى على الجهاد . والحُجاج والعُمار وفد الله الكريم الوهاب . فمن خرج حاجًا أو معتمرًا فمات كُتب له أجر الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة، فيا لفرحته ويا لسعادته ذلكم الذي يموت في الحج محرمًا، فيبعث يوم القيامة ملبيًا والناس يبعثون من قبورهم في فزع وخوف، فالأهوال جسيمة والكروب عظيمة، فبينما الحال هكذا يأتي صوت لطالما اهتزت له قلوب، واشتاقت له أنفس، وتهافتت عليه أرواح وطربت له آذان وردّدته ألسن ودمعت له عيون، يُبعث ملبيًا يقول : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك . لذلك الصالحون تهفوا أرواحهم وتطير قلوبهم وتشتاق نفوسهم وتدمع عيونهم شوقًا لبيت الله الحرام .

المقصود بالحج :

لغةً : قصدُ الشيء المعظَّم وإتيانه .

اصطلاحا : قصْد البيت الحرام والمشاعر العِظام وإتيانها، في وقتٍ مخصوص، على وجهٍ مخصوص

وهو الصفة المعلومة في الشَّرع من : الإحرام، والتلبية، والوقوف بعرفة، والطَّواف بالبيت، والسَّعي بين الصفا والمروة، والوقوف بالمشاعر ورمْي الجمرات وما يتبع ذلك من الأفعال المشروعة فيه، فإنَّ ذلك كلَّه من تمام قصْد البيت .

حكم الحج :

الحج واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة مرة واحدة في العمر .

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۝٩٧﴾ آل عمران

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتُ : نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ . رواه مسلم

وأجمَعَ المسلمون على أنَّه رُكنٌ من أركان الإسلام، وهو من العِلم المستفيض الذي توارثَتْه الأمَّة خلفًا عن سَلَفٍ .

شروط وجوب الحج خمسة :

الشرط الأول : الإسلام، فالكافر لا يجب عليه الحج ، بل لو حج الكافر لم يقبل منه

الشرط الثاني : البلوغ، والصبى لو حج صح حجه تطوعاً وله أجره ، فإذا بلغ أدى الفريضة .

الشرط الثالث : العقل، فالمجنون لا يجب عليه الحج ، ولا يحج عنه .

الشرط الرابع : الحرية، فالمملوك لا يجب عليه الحج ، ولو حج وقع حجه تطوعاً .

وقال بعض العلماء : إذا حج الرقيق بإذن سيده أجزأه عن الفريضة ، وهذا القول هو الراجح .

الشرط الخامس : الإستطاعة بالمال والبدن، ومن الإستطاعة أن يكون للمرأة محرم .

بعض فضائل الحج والعمرة :

١ـ الحجُّ أحد أركان الإسلام الْخَمسة :

عن ابن عمر ﷺ : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ . متفقٌ عَلَيْه

٢ـ الحج من أفضل الأعمال :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : حَجٌّ مَبْرُورٌ . متفقٌ عَلَيْه

٣ـ من حج ولم يرفث ولم يفسق تطهَّر من ذنوبه ورجع كيوم ولدته أمه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. متفقٌ عَلَيْه

٤ـ العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور الذي لا يخالطه إثمٌ ليس له جزاء إلاّ الجنّة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ . مُتَّفَق عَلَيْهِ

٥- المتابعة بين الحج والعمرة تنفي الفقر والذنوب :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب

٦- الحج جهاد لا شوكة فيه :

عَنِ الْحُسَيْنِ بن عَلِيِّ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنِّي جَبَانٌ وَإِنِّي ضَعِيفٌ، قَالَ : هَلُمَّ إِلَى جِهَادٍ لا شَوْكَةَ فِيهِ الْحَجُّ . رواه الطبراني . صحيح الترغيب والترهيب

٧- الحج أفضل الجهاد للنساء :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: يَارَسُولَ اللهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ . أَفَلا نُجَاهِدُ؟ قال : لا َ. لَكُنَّ أَفْضَلُ الْجِهَادِ حجّ مَبْرُور. رواه البخاري

٨- العمرة في رمضان تعدل حجة .

عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِامْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّى مَعَنَا الْعَامَ قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ لَنَا نَاضِحَانِ فَرَكِبَ أَبُو فُلاَنٍ وَابْنُهُ لِزَوْجِهَا وَابْنِهَا نَاضِحًا وَتَرَكَ نَاضِحًا نَنْضَحُ عَلَيْهِ . فَقَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِى فِيهِ فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً . رواه البخاري

٩- الحجاج والعمار هم وفد الله عز وجل .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الْغَازِى فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّهِ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ . صحيح ابن ماجة

١٠- ما من شئ يسمع تلبية الملبين إلا لبى معه : قال ابن عثيمين : والمعنى أن هذه الأشياء تشهد للملبي يوم القيامة .

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلاَّ لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا . رواه الترمذي . صحيح المشكاة

١١- مَن مات مُلبِّيًا بُعث مُلبِّيا .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَعِيرِهِ فَوُقِصَ فَمَاتَ فَقَالَ: اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا . رواه مسلم

١٢- ما من يوم كيوم عرفة تُرجى فيه مغفرة الذنوب ورحمة علام الغيوب فهو يوم من أيام العتق من النار والمباهاة بأهله من الله للملائكة الكرام .

عَنْ عَائِشَةُ قَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِى بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ . رواه مسلم

١٣- دعا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمغفرة للمحلقين ثلاثا والمقصرين واحدة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا وَلِلْمُقَصِّرِينَ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا وَلِلْمُقَصِّرِينَ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ وَلِلْمُقَصِّرِينَ . رواه البخاري

١٤- صلاة في الحرم أفضل من مائة ألف صلاة في غيره :

قالَ رسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم : صلاةٌ في مَسْجِدي هذا أَفضَلُ مِن أَلفِ صَلاةٍ فيما سِواهُ إلا المَسجِدَ الحَرامَ، وصلاةٌ في المسجِدِ الحَرامِ أَفضَلُ من صلاةٍ في مسجدِي هذا بمِائةِ صلاةٍ . رواهُ أحمدُ . صحيح الجامع

وقوله صلاة عمومه يدل على أن المضاعفة تعم الفريضة والنافلة واختاره الشيخ ابن باز وابن عثيمين .

والقاعدة الأصولية : أن النكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق .

والظاهر أن المضاعفة عامة لسائر الحرم لأن الغالب في إطلاق المسجد أن يراد به الحرم كله .

كيف يحقق المسلم هذه العبادة :

الحج عبادة جامعة اشتملت على معظم أركان الدين لأنها عبادة بدنية كالصلاة والصيام والجهاد، وعبادة مالية كالزكاة والصدقة، وعبادة قلبية كالإخلاص والتوكل والخوف والرجاء ونحوه، وعبادة قولية كالشهادتين والدعاء وسائر الأذكار . لذلك كان الحج عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام، وكمال الدّين، فاحرص على أن يكون حجك حجًا مبرورًا خالصًا لله تعالى مع مراعاة آدابه بدءًا بالتّوبة وردّ المظالم وقضاء الدّيون وإعداد النّفقة لكلّ من تلزمك نفقته إلى وقت الرّجوع ، وردّ ما عندك من الودائع واستصحاب المال الحلال الطّيب ما يكفي لذهابك وإيابك، فالمال الحلال عونًا لصاحبه على جَلْب ما يُقَرِّبه إلى الله ويُجيبه إذا دعاه، فأطِبْ مطعمَك تَكُن مستجاب الدَّعوة،كما ينبغي أن تلتمس رفيقًا صالحًا محبّا للخير معينًا عليه، إن ذكرت الله أعانك، وإن عجزت قوّاك، وإن ضاق صدرك صبّرك . واجتنب اللهو والرفث والفسوق والجدال، متّبعاً في ذلك رسولك الكريم

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ولا تنسى أن تحمد الله كثيرًا على نعمته العظيمة عليك، بالتوفيق لأداء هذه الطاعة، وتحقيق هذه العبادة ، والتشرف برؤية بيت الله العتيق ، قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

ملخص أعمال الحج للشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

أعمال الحج تستمر لمدة ستة أيام تبدأ من اليوم الثامن إلى الثالث عشر من ذى الحجة على النحو التالى :

أولًا : عمل اليوم الثامن من ذى الحجة (يوم التروية) :

١ - يُحرِمُ بالحج من مكانه فيغتسل ويتطيب ويلبس ثيابَ الإحرام ويلبى : لبَّيْك حجاً، لبيك اللهم لبيك، لبَّيْك لا شريك لك لبَّيْك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

٢ - يتوجه إلى منى ويُصلي فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء كل صلاة في وقتها، ويقصُر الرباعية. ويبقى فيها حتى يُصلي فجر اليوم التاسع ثم يمكث إلى طُلوعِ الشمسِ .

ثانيًا : عمل اليوم التاسع من ذى الحجة (وقفة عرفات) :

١- يتوجه بعد طلوع الشمس إلى عرفة، ويُصلي الظهر والعصر قصراً وجمعَ تقديمٍ، وينزل قبل الزوال بنمرة إن تيسر له .

٢- يتفرغ بعد الصلاة للذكر والدعاء مستقبل القبلةِ رافعًا يديه إلى غُروب الشمس.

يتوجه بعد غروب الشمس إلى مُزدلفة فَيُصلي فيها المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين، ويبيتُ فيها حتى يطلع الفجر .

٤- يُصلي الفجر ثم يتفرغ للذكر والدعاء حتى يُسفرَ جداً (أى حتى يتضح النور قبل طلوع الشمس) .

٥- يتوجه قبل طلوع الشمس إلى منى .

ثالثًا : عمل اليوم العاشر من ذى الحجة (يوم النحر) :

١- عند الوصول إلى منى، يرمى جمرة العقبة بسبع حَصَياتٍ مُتعاقبات، واحدةً بعد الأخرى يكبر مع كل حصاة.

٢- يذبحُ هَديه إن كان له هديٌ .

٣- يحلق رأسه أو يُقصره. ويتحلل بذلك التحلُّلَ الأولَ فيلبس ثيابه ويتطيب وتحِلُّ له جميع محظورات الإحرام سوى النساء.

٤- ينزل إلى مكة فيطوف بالبيت طواف الإفاضة، وهو طوافُ الحج، ويسعى بين الصفا والمروة للحج، إن كان متمتعًا، وكذلك إن كان غير متمتع ولم يكن سعى مع طواف القدوم. وبهذا يَحل التحلل الثاني، ويَحل له جميع محظورات الإحرام حتى النساء.

٥- يرجع إلى منى فيبيت فيها ليلة الحادي عشر .

رابعًا : عمل اليوم الحادى عشر من ذى الحجة (يوم القر) :

١- يَرمي الجمرات الأولى ثم الوسطى ثم العقبة، كل واحدة بسبع حصيات متعاقبات يُكبر مع كل حصاة، بعد الزوال ويدعو بعد الأولى والوسطى .

٢- يبيت في منى ليلة الثاني عشر .

خامسًا : عمل اليوم الثانى عشر من ذى الحجة (يوم النفرة الأولى) :

١- يرمي الجمرات الثلاث كما رماهُنَّ في اليوم الرابع .

٢- ينفر من منى قبل غروب الشمس إن أراد التعجل، أو يبيت فيها إن أراد التأخر .

سادسًا : عمل اليوم الثالث عشر من ذى الحجة (يوم النفرة الثانية) :

هذا اليوم خاص بمن تأخر ويرمي الجمرات الثلاث كما سبق في اليومين قَبلَه. ثم يَنفر بعد ذلك .

وآخر الأعمال طواف الوداع عند سفره .

أحوال السلف في الحج والعمرة :

قال هلال بن خباب : خرجت مع سعيد بن جبير وكان يخرج كل سنة مرتين، مرة للحج ومرة للعمرة .

وحج الأسود بن يزيد النخعي ثمانين، ما بين حج وعمرة .

وحج ابن المسيب : أربعين حجة .

وحج الحسين بن علي خمسًا وعشرين حجة ماشيًا .

وحج أبو داود ستين حجة .

وحج عبد الملك الأنصاري سبعاً وسبعين حجة .
وقَالَ الحسنُ بنُ عمران : حججتُ مع عمي سفيان بن عيينة آخر حجة حجَّها سنة سبع وتسعين ومائة ، فلمَّا كنا بجمع وصلى ، استلقى على فراشه ، ثم قَالَ : قد وافيتُ هذا الموضعَ سبعين عاماً أقولُ في كلّ سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان وإني قد استحييتُ مِنْ الله من كثرة ما أسأله ذلك ، فرجع فتوفي رحمه الله .
وحج صفوان بن سليم ومعه سبعة دنانير فاشترى بها بدنه فقيل له : ليس معك إلا سبعة دنانير، تشتري بها بدنه ؛ قال : إني سمعت الله عز وجل يقول : لكم فيها خير .
وكان محمد بن المنكدر يحج وعليه دين؛ فقيل له : أتحج وعليك دين ؟ فقال : الحج أقضى للدين .
وكان طاووس وأصحابه إذا صلوا العصر لم يكلموا أحدًا؛ وابتهلوا في الدعاء .

من مقاصد الحج :

١ـ تربية النفس على تعظيم ذكر الله عز وجل لذلك كان الذِّكر من أول مقاصد الحجِّ .

قال تعالى : لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴿٢٨﴾ الحج
والمتأمل فى رحلة الحجِّ من بدايتها إلى نهايتها يجدها كلها ذِكْرٌ لله عز وجل .
فالحاج يَذْكر الله عز وجل في عشر ذي الحجَّة .
ويَذْكر ربه عند خروجه من بيته .
ويَذْكر ربه عند ركوبه لراحلته بأذكار السَّفر
ويَذْكر ربه عند إحرامه من الميقات بالتَّلبية .
ويَذْكر ربه في الطَّواف والسَّعي بالأذكار المشروعة فيهما .
ويَذْكر ربه عند الصعود إلى عرَفات، وعند وقوفه فيها، فيناجيه ويتضرَّع بين يديه ويسأله حاجته .
قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . صحيح الترمذي .
ويَذْكر ربه عند الإفاضة من عرَفاتٍ إلى مزدلفة، وعند المَشْعَر الحرام : فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ لبقرة .
ويَذْكر ربه عند فراغه من أداء المناسك : فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴿٢٠٠﴾ البقرة
ويَذْكر ربه في أيام التشريق : وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴿٢٠٣﴾ البقرة
و قال صلى الله عليه وسلم : أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ عز وجل . رواه مسلم . وهو مع ذلك كله يقضي جل وقته في فعل الخيرات، والدلالة عليها، وقراءة القرآن، والدعاء بالأدعية الجامعة لخيرى الدُّنيا والآخرة كقوله :
رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ البقرة .
كل ذلك يربي المسلم على أن يرتبط بربه تعالى من خلال ذكره ودعائه والإلتجاء إليه .

٢ـ تربية النفس علي تحقيق الإتباع والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم :

فالحج مدرسة يتربى المسلم فيها على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في جميع شؤون الحياة، وقد أكَّد النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم في حجته على أهمية المتابعة، فقال مخاطِبًا الصحابة : لتأخذوا مناسِكَكم؛ فإنِّي لا أدري لعلِّي لا أحجُّ بعد حجتي هذه . رواه مسلم . وهو خِطابٌ لجميع الأمة؛ وكأنَّه صلى الله عليه وسلم يقول : تعلَّموا كيفية الحجِّ؛ فأحرِموا من الميقات كما أحرَمْتُ، ولَبُّوا كما لبَّيت، وطوفوا بالبيت سبعًا كما طُفْتُ، وقِفُوا في عرفات كما وقَفْتُ، وهكذا افعلوا في جميع مناسك الحجِّ، فأدُّوا مناسك الحجِّ كاملةً بشروطه وأركانه، وواجباته وسُنَنه . وحذَّرهم عليه الصَّلاة والسَّلام من اتِّباع الهوى، والإبتداع في الدِّين، فقال وهو على ناقته بعرفات : أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا وَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا وَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا بَلَدٌ حَرَامٌ ، وَشَهْرٌ حَرَامٌ ، وَيَوْمٌ حَرَامٌ قَالَ : أَلاَ وَإِنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي يَوْمِكُمْ هَذَا، أَلاَ وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَأُكَاثِرُ بِكُمُ الأُمَمَ، فَلاَ تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلاَ وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ أُنَاسًا، وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّي أُنَاسٌ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي ؟ فَيَقُولُ : إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي . صحيح ابن ماجه

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يُتابع النبيَّ في كلِّ شيء؛ حتَّى إنه لَمَّا أتى الحجر الأسود قبَّله كما قبَّله الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم وقال : إنِّي لأَعْلم أنَّك حجر لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقبِّلك ما قبَّلْتُك .

٣ـ تربية النفس على الإنقياد والإستسلام لأوامر الله عز وجل ورسوله .

فيتربى العبد في الحج على الإستسلام والإنقياد والخضوع والطاعة المطلقة لله، سواء في أعمال الحج نفسها، من التجرد من المخيط، والخروج من الزينة والطواف والسعي والوقوف والرمي والمبيت والحلق أو التقصير ونحو ذلك من الأمور التي قد لا تكون جلية المعنى . فيأتى الحاج في هذا المكان المخصوص من بين بقاع الأرض كلها، لأداء هذه العبادة في هذا الوقت المحدَّد لها، ويطُوف بهذا البيت ويقبِّل الحجر، ويرمي الجمرات، انقيادًا لأمر الله عز وجل ؛ فيهون عليه تنفيذُ سائر الأحكام الشرعية، وإن لم يظهر الحكمة منها .

٤ ـ تربية عملية على توحيد الأمة واجتماع كلمتها ولم شملها وجمع قلوبهم وتحقيق الأخوة الإيمانية .

قال تعالى : إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ الأنبياء

فالتوحيد رابطة إيمانية من أقوى الروابط في الإسلام؛ لكونه يحقق التعاون والتآلف والمحبة والبر والصلة بين المسلمين رغم اختلاف جنسياتهم وتباعد أقطارهم ، فيجتمع الحجيج فى بقعة واحدة وهى مكة، تحت راية واحدة وهى راية التوحيد، مرتدين لباسًا موحدًا وهو الإحرام ، لا يتميز شرقيهم عن غربيهم، ولا عربيهم عن عجميهم، يتجهون إلى قبلة واحدة فى صلواتهم وهى الكعبة، متوجهين إلى رب واحد بدعاء واحد : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ . تاركين الشعارات القومية، والرايات العصبية، رافعين راية واحدة وهي : لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يطوفون حول بيت واحد، مختلطة أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، مؤدين نسكًا واحدًا . مهما اختلفت اللغات وتعددت الجهات وتنوعت الجنسيات، فديننا واحد، وربنا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ونحن أمة واحدة . فما أجملها من مناسبة وما أعظمه من اجتماع لتوحيد كلمة المسلمين .

٥ـ تربية النفس على تعظيم شعائر الله وحرماته ومنها تعظيم البلد الحرام والشهر الحرام وتعظيم محظورات الإحرام .

قال تعالى في ثنايا آيات الحج : ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ الحج

وقال تعالى : ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴿٣٠﴾ الحج

وشعائر الله : جمع شعيرة، والشعيرة هي كل ما أشعر الله بتعظيمه . وشعائر الله هي المعالم الظاهرة من دينه . كالصلاة ، والأذان ، والصوم ، والزكاة ، ومناسك الحج ، والعمرة ، والكعبة ، والمساجد ، والهدى ، وتعظيم القرآن والسنة . وكل ما يشعرك بالله فهو من دين الله تعالى .

والمقصود بتعظيم شعائر الله : تعظيم كل شعيرة بحسبها من الإجلال والقيام بها بتوفيتها حقّها وحفظها عن الإضاعة ، وإحلالها المكانة الرفيعة في المشاعر والقلوب، وأداؤها برغبةٍ ومحبةٍ وعدم انتهاك حُرمتها بأيِّ نوع من أنواع الإنتهاك سواء بقول أو فعل .

وحرماتُه هي : كلُّ ما له حرمة، وأمر باحترامه؛ بعبادة، أو غيرها؛ كالمناسك، والحرم والإحرام، والعبادات الَّتي أمر الله العبادَ بالقيام بها، فتعظيمُها إجلالها ومحبَّتُها، وتكميل العبوديَّة فيها، غيرَ مُتهاوِن، ولا متكاسل .

قال تعالى : ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ الحج . فكلما عمل الحاج عملاً من المناسك تذكر عظمة الله تعالى وهو واقف بعرفات يناجي ربه، ويسكب العبرات في تلك الرحبات فما أروع هذا المشهد! وما أعظمه! والحجُّ يُربِّى في قلب العبد تعظيم شعائر الله وحرماته فإذا دخل إلى تلك البقاع المقدَّسة، حرم عليه أن يسفك فيها دمًا كان مباحًا له، أو يصطاد صيدًا، أو يلتقط لُقَطَة إلاَّ لِمُنشد، أو يقطع فيها شجرة ونحوه .

٦ـ تربية النفس على الصبر وتحمل الشدائد :

الحجُّ من أوَّله إلى آخره يقوم على الصَّبر؛ فحينما يخرج العبدُ من بيته قاصدًا بيت الله الحرام؛ يصبر على التحمل والشدائد ويصبر على مفارقة الأهل والأولاد . فيتحمَّل عناء السَّفر ويصبر على الإحرام ومحظوراته وترك الزينة والشهوة والرفاهية والترف، ويصبر على أداء مناسك الحجِّ وشعائره والطَّواف والسعي، ويصبر على التنقُّل بين المشاعر والوقوف بعرفات، ويصبر على مخالطة الناس وأذاهم .

٧- تربية النفس على اكتساب الأخلاق الحسنة، والإبتعاد عن الأخلاق السيِّئة .

فيبتعد عن أذيَّة الآخرين، والتكبُّر عليهم، والبخل، والفسوق، والمُجادَلة بالباطل :

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴿١٩٧﴾ البقرة

والجدال هو المُماراة والمنازعة والمخاصمة؛ لكونها تثير الشرَّ، وتوقع العداوة، والمقصود من الحجِّ : الذلُّ والإنكسار لله، والتقرُّب إليه بما أمكن من القربات، والتَّنَزُّه عن مقارفة السيِّئات؛ فإنه بذلك يكون حج مبرور، والمبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنَّة، والفُسوق والجِدال وإن كانت ممنوعةً في كل زمان ومكان، فإنه يتغلَّظ المنع عنها في الحج : مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . متفقٌ عَلَيْهِ

فالشرط لغفران الذنوب هو عدم الرفث والفسوق . والحج ميدان لتربية النفس على غض البصر و البذل والصدقة وعلى الإيثار .

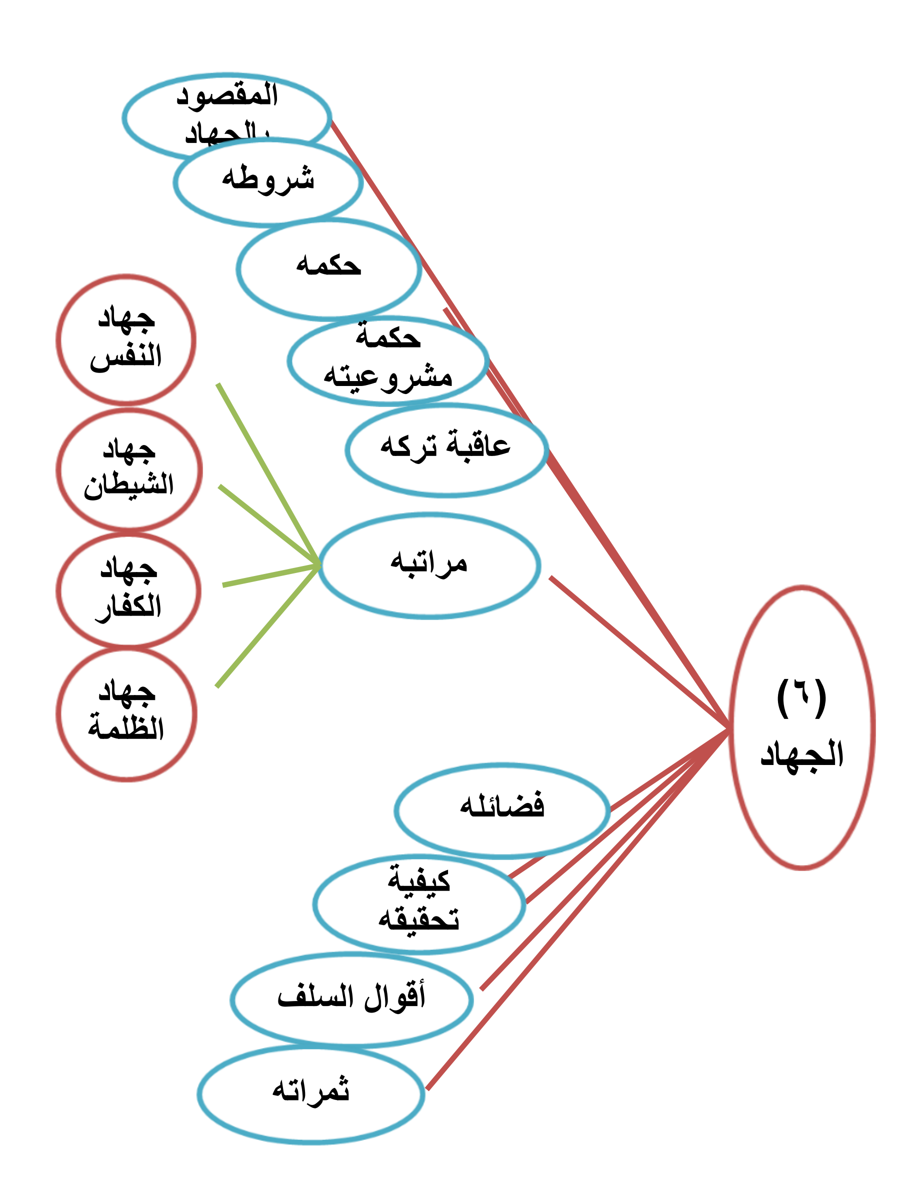
٨- تربية النفس على تذكر الموت والوقوف بين يدي الله يوم القيامة :

الحج فيه تذكير بالدَّار الآخرة حيث يصور الحج ذلك تصويرًا عجيبًا، فالميت يتنقل من دار الدُّنيا إلى دار الآخرة، والحاج ينتقل من بلادٍ إلي أخرى، والميت يُجرد من ثيابه، والحاج يتجرد من المخيط، والميت يغسَّل بعد تجريده، والحاج يغتسل عند ميقاته، والميت يُكفَّن في ثياب بيضاء وكذا الحاج يلبس إزارًا ورداء بيضاء، والأموات يحشرون سواء، وكذا الحجاج يقفون سواء، والناس جميعاً في الحج وقوف وفي زحام شديد في مكان واحد، وهكذا يحشر الناس في مكان واحد يوم القيامة .

قال تعالى : وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ الصافات

والناس في الحج في حر وعرق شديدين وكذلك يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم، وهناك علاقة بين الحج ويوم القيامة ولذلك بدأ الله سبحانه وتعالى سورة الحج بالتذكير بيوم القيامة .

قال تعالى : يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ الحج


المقصود بالجهاد
شروطه
حكمه
حكمة مشروعيته
عاقبة تركه
مراتبه
جهاد النفس
جهاد الشيطان
جهاد الكفار
جهاد الظلمة
(٦) الجهاد
فضائله
كيفية تحقيقه
أقوال السلف
ثمراته

الشعبة السادسة : الجهاد فى سبيل الله تعالى

الجهاد في سبيل الله شعبة من شعب الإيمان، وهو قربة من أعظم القربات، وطاعة من أجلِّ الطاعات، وهو ذروة سنام الإسلام، وهو من أفضل التجارات الرابحة، وهو من أحب الأعمال إلى الله تعالى، فالروحة والغدوة في الجهاد خير من الدنيا وما عليها، وهو خير من استيعاب الليل والنهار بالصيام والقيام ، والمجاهد المصابر إذا مات وَجَبَتْ له الجنة وأجري له عمله الذي كان يعمله في الدنيا إلى يوم القيامة وأمن من فتنة القبر وعذابه ، وفي الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين . وفضائل الجهاد لا تعد ولا تحصى، ففيه عز الإسلام والمسلمين وإقامة شعائر وشرائع الدين، وقمع الطاغين والمعتدين . والمجاهد يشارك المصلين في صلاتهم والمتعبدين في عباداتهم والعاملين في أعمالهم لأنه لا سبيل لقيام هذه الأعمال إلا بالجهاد والذب عن الأوطان والأديان، فالجهاد سور الدين وحصنه، وبه يتم قيامه وأمنه ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . { فضل الجهاد في سبيل الله للشيخ عبدالرحمن السعدي }

المقصود بالجهاد :

قال ابن حجر فى فتح الباري شرح صحيح البخاري :

الجهاد هو بذل الجهد في قتال الكفّار . ويطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق .

ومقصوده إعلاء دين الله ونشره وإزالة المعوقات التي تحول بين دخول الناس فيه أفواجا .

حكم الجهاد في سبيل الله تعالى :

قال الشيخ الشنقيطي فى شرح زاد المستقنع فى بيان حكم الجهاد :

أجمع العلماء على فرضية الجهاد من حيث الجملة، والجمهور على أنه فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين

وقد حكى ابن رشد في بداية المجتهد : إجماع العلماء على أنه فرض كفاية .

قال تعالى : وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ التوبة

مسألة : متى يصير الجهاد فرض عين ؟

فى ثلاث حالات :

إذا التقى الصفان وتقابل الزحفان فيحرم على من حضر الإنصراف .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ الأنفال

إذا هجم العدو على بلد أو حاصر مدينة وجب على أهلها دفعُهم وقتالهم، وهذه الحالة يسميها العلماء النفير العام، وهى في حكم تقابل الصفين .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ التوبة

إذا استنفر الإمام طائفة معينة صار الجهاد في حقِّهم فرضَ عين ، يأثَم الإنسانُ بتركه بالإجماع .

قال تعالى : ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ التوبة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإذا استُنفِرْتُم فانْفِروا . متفق عليه

شروط وجوب الجهاد في سبيل الله:

الإسلام : فلا يُقبل الجهاد من الكافر؛ لأن الجهاد عبادة .

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴿١١﴾ الصف

العقل فلا يجب الجهاد على المجنون .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ ، عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ . صحيح ابن ماجة

البلوغ : فلا يجب الجهاد على الصبي الصغير .
عن ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : عَرَضَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ فِي القِتَالِ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يَوْمَ الخَنْدَقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي . رواه البخاري ومسلم
الذكورة : فلا يجب الجهاد على النساء بالإجماع .
عن عائشة قالت: يَا رَسُولَ الله، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلا نُجَاهِدُ ؟ قال لا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ . رواه البخاري
قال ابن قدامة رحمه الله في المغني : ولأنها ليست من أهل القتال؛ لضعفها وخورها .
السلامة من الضرر (كالمرض والعمى والعرج) فلا يجب الجهاد على العاجز بسبب علّة تمنعه من الركوب أو القتال .
قال تعالى : لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴿١٧﴾ الفتح
القدرة على مؤنة الجهاد من تحصيل السلاح، ونفقة المجاهد وعياله وغيرها
قال تعالى : لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ التوبة
الحرية وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبايع الحر على الإسلام والجهاد، ويبايع العبد على الإسلام دون الجهاد .
إذن الوالدين المسلمين لأن برهما فرض عين، والجهاد فرض كفاية، والواجب تقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية.
جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ . متفق عليه
قال ابن حزم في مراتب الإجماع : واتَّفقُوا أن من له أبوان يضيعان بِخروجه أنّ فرض الجهاد سَاقِط عنه .
إذن الدائن :
قال ابن قدامة رحمه الله : ومن عليه دين حالٌ أو مؤجل، لم يَجُزْ له الخروج إلى الغزو إلا بإذن غريمه، إلا أن يترك وفاء، أو يقيم به كفيلًا، أو يوثّقه برهن. وبهذا قال الشافعي
إذن الإمام وهذا ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان يبعث البعوث ويؤمّر عليهم .
قال ابن قدامة في المغني : وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه .

الشروط الواجب توافرها في جهاد الدفع :

يشترط في جهاد الدفع القدرة فقط، فيجب على كل أحد أن يدافع بما يقدر .
وقال الكاساني رحمه الله في بدائع الصنائع : إذا عمّ النفير لا يتحقق القيام به إلا بالكل، فبقي فرضًا على الكل عينًا بمنزلة الصوم والصلاة، فيخرج العبد بغير إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها؛ لأن منافع العبد والمرأة في حق العبادات المفروضة عينًا مستثناة عن ملك المولى والزوج شرعًا، كما في الصوم والصلاة، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه؛ لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة، والله أعلم

مراتب الجهاد في سبيل الله :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى زاد المعاد :
الجهاد أربع مراتب : جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين .

أولًا : جهاد النفس وهو أربع مراتب أيضًا :

أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به .
أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .
أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.
أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله.
فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيًا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلّمه فمن علِم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات.

ثانيًا : جهاد الشيطان وهو مرتبتان :

جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان .
جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات .

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر .

قال تعالى : وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ السجدة

فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات، واليقين يدفع الشكوك والشبهات .

ثالثًا : جهاد الكفار والمنافقين وهو أربع مراتب :

بالقلب واللسان والمال والنفس . وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان .

رابعًا : جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات وهو ثلاث مراتب :

الأولى : باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه. فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد،
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ .
رواه مسلم

وأكملُ الخَلْقِ عند الله، من كَمَّلَ مراتبَ الجهاد كُلَّهَا، والخلق متفاوِتونَ فى منازلهم عند الله، تفاوتهم فى مراتب الجهاد، ولهذا كان أكملَ الخَلقِ وأكرمهم على الله خاتِمُ أنبيائِه ورُسُلِه، فإنه كمَّل مراتبَ الجهاد، وجاهد فى الله حقَّ جهاده .

مقاصد الجهاد :

لم يشرع الجهاد عبثًا، ولا لتحقيق أهداف شخصية، أو مطامع مادية، أو مكاسب سياسية، أو لبسط نفوذ، أو لإزهاق النفوس وسفك الدماء، والتسلط على الناس واستعبادهم، وإنما شرع لأهداف جليلة، وغايات نبيلة، ومقاصد سامية، بينها الله عز وجل في كتابه العزيز أهمها :

١ ـ إعلاء كلمة الله ، ويكون الدين كله لله و تعبيد الناس لله وحده .

قال تعالى : وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴿٣٩﴾ الأنفال

وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ، لا شَرِيكَ لَهُ . رواه أحمد صحيح الجامع

٢ـ إنقاذ المستضعفين ونصر المظلومين وإقامة العدل بإحقاق الحق وإبطال الباطل ومنع الظلم والفساد .

قال تعالى : وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ النساء

وجدير بالذكر أن فك الأساري واجب على الأمة أن يفدوهم بأموالهم، ورسولنا الكريم أمر المسلمين بذلك .
فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فُكُّوا الْعَانِيَ يَعْنِي (أي) الأَسِيرَ وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ . رواه البخاري

٣ـردّ العدوان وحفظ الإسلام . وأجمع العلماء على أن رد اعتداء الكفار فرض عين على القادر عليه .

قال تعالى : وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ البقرة

٤ـ حفظ العالم من الفساد باستيلاء الكفرة وارتفاع راية الشرك، وأهل الشر والفساد على الأرض .

قال تعالى : وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ البقرة

٥ـ إرهاب الكفار وإذلالهم وإخزاؤهم .

قال تعالى : وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾ الأنفال

ولذلك شرع في القتال ما يسبب الرعب في قلوب الأعداء .

٦ـ كشف المنافقين، فإنهم في حال الرخاء عن غيرهم فإذا جاءت البأساء انكشفوا للمؤمنين .

قال تعالى : مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ آل عمران

٧ـ تمحيص المؤمنين من ذنوبهم ومحق الكافرين .

قال تعالى : إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ آل عمران

٨ـ اتخاذ الله من عباده شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته.وهم خواصه والمقربون من عباده .

قال تعالى : وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴿١٤٠﴾ آل عمران
٩- تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس والإيثار .
قال تعالى : أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ آل عمران
١٠- تأديب المتمردين والناكثين للعهود المنتهزين سماحة الإسلام وأهله .

منزلة الجهاد في سبيل الله تعالى في الإسلام :

١- الجهاد ذروة سنام الإسلام؛ لما فيه من المصالح العظيمة في حفظ الإسلام وأهله، ودفع عدوان المعتدين .
عَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب
٢- الجهاد في سبيل الله تجارة رابحة مع الله عز وجل :
قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ الصف
٣- الجهاد في سبيل الله لا يعدله شيء :
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ قَالَ : لا أَجِدُهُ . قَالَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلا تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلا تُفْطِرَ ؟ قَالَ : وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . رواه البُخاري
٤- الجهادُ في سبيل الله تعالى سبيل الهداية .
قال تعالى : وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ العنكبوت
٥- الجهادُ في سبيل الله بابُ الشهادة، والشهادة ثوابُها الجنَّة .
قال تعالى : وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ آل عمران
٦-الجهاد في سبيل الله سبب لنيل رحمة الله ورضوانه .
قال تعالى : ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ التوبة
٧- النفقة في سبيل الله تعالى بسبعمائة ضعف :
قال تعالى : مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ البقرة
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُضَاعَفُ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ . رواه أحمد . صحيح الجامع
وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ : هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ، كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ . رواه مسلم
٨- فضل من احتبس فرسًا في سبيل الله تعالى :
عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إِيمَانًا بِاللهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه البخاري
٩- فضل من جهز غازيًا في سبيل الله تعالى :
عَنْ زَيْدِ بن خَالِدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا . متفق عليه
١٠- الغدوة أو الروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها .
عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . متفق عليه
١١- فضل من اغبرَّت قدماه في سبيل الله :
عَنْ أبي عَبْسٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ . رواه البخاري
١٢- الجنة تحت ظلال السيوف :
قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ . رواه البخاري

١٣- عظم درجات المجاهدين في سبيل الله :
قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ . رواه البخاري
١٤- عظم خصال الشهداء عند ربهم :
عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ﷺعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ : لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ ستُّ خِصَالٍ : يُغْفرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ ، ويُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، ويُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، ويَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ . صحيح ابن ماجة
١٥- دم الشهيد يوم القيامة :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ . رواه البخاري
١٦- تمني الشهيد أن يرجع إلى الدنيا ليقتل عشر مرات :
قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ الشَّهِيدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ . رواه البخاري
١٧- الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأرواحهم تسرح في الجنة :
قَالَ مَسْرُوقٍ سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ : وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِى إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا قَالُوا أَىَّ شَىْءٍ نَشْتَهِى وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا . رواه مسلم
١٨- ضمن الله تعالى لمن خرج من بيته مجاهدًا دخول الجنة، وإن رجع سالما رجع بأجر عظيم وغنيمة
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ . رواه البُخاري
١٩ - المجاهد في سبيل الله تعالى بمنزلة من لا يفتر عن الصلاة والصيام وهما أفضل الأعمال
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ . رواه البُخاري
٢٠- الرمي بسهم في سبيل الله يعدل عتق رقبة :
عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ رَمَى الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ، فَبَلَغَ سَهْمُهُ الْعَدُوَّ، أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، فَعَدْلُ رَقَبَةٍ . صحيح ابن ماجة

الترهيب من ترك الجهاد :

١- ترك الجهاد مع القدرة عليه شعبة من شعب النفاق وخلق من أخلاق المنافقين، وكبيرة من كبائر الذنوب .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ . رواه مسلم
٢- ترك الجهاد سبب للهلاك في الدنيا والآخرة بالذلة والإستعباد وتسلط الكفار عليهم .
قال تعالى : وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ البقرة
٣- ترك الجهاد سبب لعذاب الله وبطشه .
قال تعالى : إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔا ٣٩ التوبة
٤- ترك الجهاد والفرح بالقعود من صفات المنافقين .
قال تعالى : لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥ التوبة
٥- ترك الجهاد سبب لإفساد أهل الأرض بالقضاء على دينهم .
قال تعالى : وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١ البقرة
٦- ترك الجهاد سبب للذل والهوان .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ . رواه أبو داود . صحيح الجامع

٧- ترك الجهاد يفوت مصالح عظيمة وفضائل جمة منها الأجر والثواب والشهادة والمغنم والتربية ودفع شر الكفار وإذلالهم، ورفع شأن المسلمين وإعزازهم.

عوامل النصر :

١ - استيفاء مقتضيات الإيمان والأعمال الصالحة .

قال تعالى : وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴿٥٥﴾ النور

٢- الإعداد الجيد من القوة الضاربة والمال اللازم والجنود الصالحين .

قال تعالى : وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾ الأنفال

٣ - الثبات وكثرة ذكر الله، وطاعة الله ورسوله، وعدم التنازع ولزوم الصبر.

قال تعالى : وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ الأنفال

٤- الإخلاص لله تعالى في القتال، فلا يقاتل حمية ولا عصبية ولا رياء وسمعة .

قال تعالى : وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ الأنفال

٥- تطهير الجيش من العناصر الفاسدة والضعيفة .

قال تعالى : لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴿٤٧﴾ التوبة

٦- التوكل على الله بإعداد العدة والأخذ بأسباب النصر دون النظر إليها فإنها لا تغني من الحق شيئاً .

قال تعالى : إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ آل عمران

٧- الدعاء .

قال تعالى : وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ آل عمران

٨- التوبة، واجتناب المعاصي، وعدم العجب والبطر والرياء.

قال تعالى : أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ آل عمران

٩- ترغيب المؤمنين في الجهاد والتحريض على القتال وذلك بإقامة الخطب المؤثرة .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴿٦٥﴾ الأنفال

١٠- الحذر من تغرير الشيطان بالمؤمنين، وذلك بأن يتكلوا على أسبابهم المادية، أو يعجبوا بأعمالهم وينسوا ذنوبهم كما فعل بالمشركين في بدر

قال تعالى : وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ الأنفال

١١- إيهام العدو بغير الحقيقة، كأن يوهمهم المجاهدون أن عددهم قليل، ليتقدم العدو ثم ينقض عليهم المجاهدون، أو يوهمهم بكثرة عدوهم ليرهبوهم .

عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : الحَرْبُ خَدْعَةٌ . متفق عليه

١٢- أخذ الحذر من العدو .

قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ النساء

١٣- التنظيم . قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ الصف

كيفية تحقيقه :

لا يتحقق المفهوم الشامل لمعنى الجهاد إلا بمجاهدة النّفس والشّيطان والكفّار والفسّاق . فأمّا مجاهدة النّفس فتكون بتعلّم أمور الدّين ثمّ العمل بها وتعليمها . وأمّا مجاهدة الشّيطان تكون بدفع ما يأتي به من الشّبهات ويزيّنه من الشّهوات . وجهاد النّفس وجهاد الشّيطان فرض عين . أمّا جهاد الكفّار فهو فرض كفاية إذا حصل منه مقصود الجهاد، ويكون باليد والمال .
وأمّا مجاهدة الفسّاق وأهل البدع فيكون بالحجة والبيان . وأكمل الخلق عند الله تعالى من كمّل مراتب الجهاد كلّها . واعلم أن كل سعي وعمل فيه صلاح المسلمين ونفعهم وعزهم فهو من الجهاد، وكل سعي وعمل فيه دفع لضرر على المسلمين وإيقاع الضرر بالكافرين فهو من الجهاد . وكل إعانة للمجاهدين فإنها من الجهاد . فمن جهز غازياً فقد غزى ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا، والله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة : صانعه يحتسب فيه الأجر، والذي يساعد به المجاهدين، والذي يباشر به الجهاد . ومن مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق . ومن غزا في سبيل الله أو استعد للغزو عند الحاجة إليه فقد برئ من النفاق . والجهاد في سبيل الله أنواع فتارة يكون بالمال وتارة باللسان وتارة بالقلم وأعلى هذه الدرجات الجهاد بالنفس لأنه أشق على المقاتلين وأشد نكاية بالعدو مما سواه من أنواع الجهاد، ولأن ما سواه من الجهاد مكمل له والجهاد بالنفس هو الذي يرهب العدو ويحطم معنوياته ويتحقق به النصر وتتم به حماية بلاد المسلمين والذب عن حرماتهم .

بعض أقوال السلف فى الجهاد :

قال ابن دقيق العيد : الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا ؛ لأنّه وسيلة إلى إعلان الدّين ونشره ، وإخماد الكفر ودحضه .
وقال العزّ بن عبد السّلام : إذا كانت مشقّة الغبار عاصمة من عذاب النّار فما الظّنّ بمن بذل ماله وغرّر بنفسه في قتال الكفّار .
وقال أيضًا : إنّما شرفت النّفقة في سبيل الله ؛ لأنّها وسيلة إلى أفضل الأعمال بعد الإيمان ، وإذا كانت حسنة الوسيلة بسبعمائة فما الظّنّ بحسنة الجهاد في سبيل الله .
وقال أيضًا : لمّا بذل الشّهداء أنفسهم من أجل الله ، أبدلهم الله حياة خيرًا من حياتهم الّتي بذلوها وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه ويسرحون من الجنّة حيث شاءوا، لمّا انقطعت آثارهم من السّروح في الدّنيا .
وقال الإمام أحمد : لا أعلم شيئًا من الأعمال بعد الفرائض أفضل من الجهاد . وليس يعدل لقاء العدو شيء .

ترك الفرار من الزحف

الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف طاعة من أجلِّ الطاعات، وقربة من أعظم القربات التى يتقرب بها العبد إلى رب الأرض والسماوات، وهو أحد عوامل النصر الخمس التى بينها الله عز وجل فى سورة الأنفال وهى : الثبات أمام العدو وعدم الفرار حين اللقاء، والإكثار من ذكر الله تعالى والتضرع واللجوء إليه، وطاعة الله ورسوله، وعدم التنازع والاختلاف، والصبر والإخلاص . فأثبت الفريقين أغلبهما . وما يدري الذين آمنوا أن عدوهم يعاني أشد مما يعانون، ويألم كما يألمون، ولكنه لا يرجو من الله ما يرجون ، فلا مدد له من رجاء في الله أن يثبت أقدامه وقلبه، وليعلم الذين آمنوا أنهم لو ثبتوا لحظة فسينخذل عدوهم وينهار، وأن الله وعدهم إحدى الحسنيين : إما الشهادة وإما النصر، بينما عدوهم حريص على هذه الحياة الدنيا التي لا أمل له وراءها ولا حياة له بعدها، والفرار من الزحف من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب . لأنه يدل على الجبن والضعف والخور والإسلام يربي المسلم على الشجاعة والثبات والعزة، والفرار أمام الأعداء يسلب الأمة عزتها وكرامتها، ويجعل السلطة لأعدائها . فالتولي فيه إضعاف لصفوف المسلمين وتثبيط لعزائم المقاتلين، وتقوية للكافرين .

معنى التولي يوم الزحف :

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في القول المفيد شرح كتاب التوحيد :

التولي : بمعنى الإدبار والإعراض ، ويوم الزحف ؛ أي : يوم تلاحم الصفين في القتال مع الكفار ، وسمي يوم الزحف ؛ لأن الجموع إذا تقابلت تجد أن بعضها يزحف إلى بعض كالذي يمشي زحفا كل واحد منهم يهاب الآخر ، فيمشي رويدا رويدا .

حكم الفرار من الزحف :

من أعظم الكبائر بإجماع أهل العلم، وفاعله مستحق لغضب الله ومقته ، وأليم عذابه ، سواء كان الجهاد فرض عين أو فرض كفاية ، طالما شهد القتال، ووقف في الصف .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ . وذكر منها : وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ . رواه البخاري

إلا أنه يستثنى من ذلك ثلاثة مواضع :

الأول : أن يكون الفرار تحرُّفا لقتال .

الثاني : أن يكون الفرار تحيزًا إلى فئة من المسلمين ولو بَعُدَت .

الثالث : أن يزيد عدد الكفار على ضعف المسلمين فيجوز الفرار حينئذ . وهذا ما ذهب إليه الجمهور .

لقوله تعالى : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأنفال

فلا يجوز لعشرة أن يفروا من عشرين ، ولا لمائة أن يفروا من مائتين ، فإن زاد الكفار عن الضعف جاز الفرار . وهذا تخفيف من الله تعالى . ولو أن المسلمين ثبتوا مع أضعافهم جاز ذلك ، وهذا ما كان عليه حال المسلمين في أكثر معاركهم .

معنى التحرف للقتال :

قال ابن قدامة فى الشرح الكبير : أن ينحاز إلى موضع يكون القتال فيه أمكن مثل أن ينحاز من مواجهة الشمس أو الريح إلى استدبارهما أو من نزول إلى علو أو من معطشة إلى موضع ماء أو يفر بين أيديهم لتنتقض صفوفهم أو تنفرد خيلهم من رجالتهم أو ليجد فيهم فرصة أو ليستند إلى جبل ونحو ذلك مما جرت به عادة أهل الحرب .

معنى التحيز إلى فئة :

قال ابن قدامة فى الشرح الكبير : هو أن يصير إلى فئة من المسلمين ليكون معهم فيقوى بهم على عدوه وسواء بعدت المسافة أو قربت ، قال القاضي لو كانت الفئة بخراسان والفئة بالحجاز جاز التحيز إليها .

الأدلة علي تحريم الفرار والتولي من الزحف :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ الأنفال

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ . رواه البخارى ومسلم

عوامل الثبات للعدو :

قال الشيخ الشنقيطى : إذا قابل العدو ولقيه فما عليه إلا أن يصبر وأن يتوكل على الله عز وجل

قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ الأنفال

فأمر الله بأمرين :

الأمر الأول : يتعلق بالقلوب : وهو ما عناه سبحانه بقوله : فَاثْبُتُوا .

الأمر الثاني : فيما يجمع بين القلب والقالب (وَاذْكُرُوا اللَّهَ) فإن رأيتم عظَمةً من عدو الله فاعلموا أن الله أعظم، وإن كبُر في أعينكم فالله أكبر وأجل، يَغلِب ولا يُغلَب وهو القوي العزيز . فإذا تقابل الزحفان فإنه يتعين الجهاد بإجماع العلماء، وفي هذه الحالة إذا فر الإنسان أو عَدَل عن الجهاد أو انخذل فإنه يبوء بغضب من الله إلا فيما استثنى الله عز وجل المتحرف للقتال أو المتحيز إلى فئة . والتولي يوم الزحف فيه غضب الله وسخطه قال العلماء : لأنه يدل على الخوف من أعداء الله ، وخذلان دين الله لأن العدو ينظر للإسلام بمن حضر الوقعة فإذا كان أهل الإسلام على ثبات وقوة كان ذلك أرضى لله سبحانه وتعالى وأعلى لدينه ، وأقوى شكيمةً في وجه العدو ، وأقوى بأساً في طاعة الله ومرضاته ، والله يحب الذين يجاهدون ويُظْهِرون القوة والجَلَدة في جهادهم ، وإذا أظهر الخذلان ونكص على عقبيه فهذا خذلان لدين الله ولعباده ، فإنه إذا تولى خذَّل غيره بخلاف ما إذا ثبت وذكر الله تعالى وقويت عزيمته على الخير وطاعة الله ومرضاته ، فإنها تقوى عزائم مَن معه وإذا تولى وكان قدوة للغير فالأمر أعظم وأشد : وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ . والعكس بالعكس .

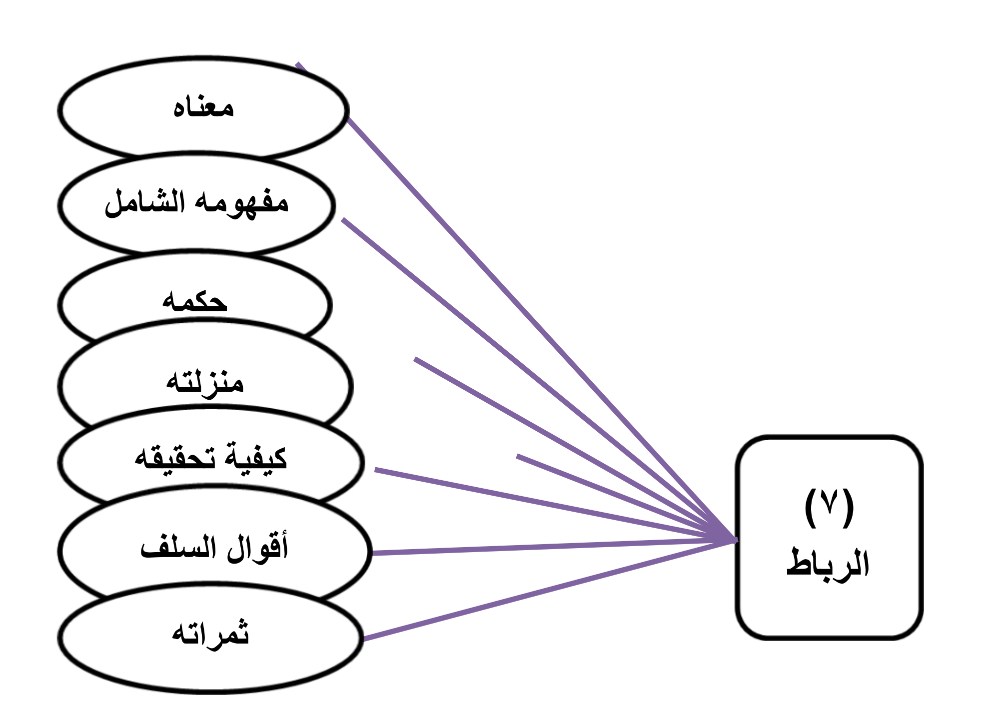
مسألة : حكم الفرار إذا كان عدد المسلمين أكثر من اثني عشر ألفاً :

قال القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن :

قال ابن القاسم رحمه الله : يجوز الفرار من أكثر من ضعفهم، وهذا ما لم يبلغ عدد المسلمين إثني عشر ألفاً، فإن بلغ إثني عشر ألفاً لم يحل لهم الفرار، وإن زاد عدد المشركين على الضعف لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ولن يغلب إثنا عشر ألفاً من قلة . والحديث البعض ضعفه والبعض حسنه .

والخلاصة : إن الفرار من الزحف والتولي منه من عظائم الأمور الجالبة للشرور في الدارين ، وأن الإقدام في حرب العدو والثبات في الصف لن يقدم الأجل ، وأن الفرار من ذلك لا يؤخره .

ورضي الله عن خالد بن الوليد ذلك البطل المغوار الشجاع، حيث قال عندما حضرته الوفاة : لقد خضت عشرين زحفاً ، ومافي جسمي موضع شبر إلا فيه طعنة برمح، أوضربة بسيف، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء


معناه
مفهومه الشامل
حكمه
منزلته
كيفية تحقيقه
أقوال السلف
ثمراته
(٧)
الرباط

الشعبة السابعة : الرباط في سبيل الله

الرباط في سبيل الله شعبة من شعب الإيمان، وقربة من أعظم القربات وطاعة من أجلِّ الطاعات، وهو من أحب الأعمال إلى الله تعالى، وقد شرع الله تعالى الرباط في سبيله وحراسة الثغور لحفظ الدين والأنفُس والأموال والديار وحتى يتم ردع كل من تسول له نفسه الإعتداء على المسلمين أو الإعتداء على حرماتهم، وحتى لا يؤتى المسلمون وهم في غفلة من أمرهم، لذلك كان المرابط يشارك المصلين في صلاتهم والمتعبدين في عباداتهم والعاملين في أعمالهم لأنه لا سبيل لقيام هذه الأعمال إلا بالذب عن الثغور التي يمكن أن تكون منافذ ينطلق منها العدو إلى دار الإسلام .
قال الشيخ الشنقيطي فى شرح زاد المستقنع : المرابط إذا مات في رباطه فله أجره وثوابه إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وهذا لعظيم بلائه، رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه . لأن المرابط في سبيل الله عينه تحرس المسلمين، وتحرس عوراتهم وأعراضهم وأموالهم ودماءهم، فهو قائم على ثغر عظيم من ثغور الإسلام، فإذا سَهرَت عينُه على هذا الثغر، فإن الله يحرِّمها على النار؛ والعين التي تسهر في حراسة الثغور، تُعْتَبر ساهرةً في مرضاة الله عز وجل .

معنى الرباط :

الأَصل في الرباط هو الإقامة بالثغور لحراستها واستعدادًا لجهاد الكفار .
والثغور هي الحدود التي تكون بين المسلمين والكفار .
قال ابن قدامة المقدسي فى المغني : الرباط هو الإقامة بالثغر مقويًا للمسلمين على الكفار والثغر كل مكان يخيف أهله العدو ويخيفهم، وأصل الرباط من رباط الخيل لأن هؤلاء يربطون خيولهم وهؤلاء يربطون خيولهم كل يعد لصاحبه فسمي المقام بالثغر رباطًا وإن لم يكن فيه خيل .

مفهوم الرباط العام والخاص :

قال الشيخ الشنقيطي فى شرح زاد المستقنع : الرباط له معنيان :
الأول : رباط عام وهو الرباط على الطاعة وهو الذي عناه الله عز وجل .
قال تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ آل عمران
وهذا هو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أحب الأعمال إلى الله قال : ما كان ديمة ، وإن قل . أي : ما دام عليه الإنسان، وإن كان شيئاً قليلاً . وقوله صلى الله عليه وسلم : أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ . رواه مسلم . فهذه الأعمال الصالحة والمداومة عليها عدها الشرع رباط .
الثانى : رباط خاص وهو رباط الثغر في الجهاد في سبيل الله عز وجل .
قال ابن عطية فى المحرر الوجيز :
القول الصحيح أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله وأصلها من ربط الخيل ثم سُمي كل ملازم لأي ثغر من ثغور المسلمين مرابطًا .

حكم الرباط في سبيل الله :

فرض كفاية إذا قام به من يكفى سقط عن الباقين . وأقله ساعة وتمامه أربعون يومًا وأفضله ما كان بأشد الثغور خوفًا ومنفعة

منزلة الرباط في سبيل الله :

١- الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت .
عَنْ سَلْمَانَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ . رواه مسلم
وَعَنْ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ . صحيح أبو داود
قال القرطبي في تفسيره : وفي هذين الحديثين دليل على أن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ . فالصدقة الجارية والعلم المنتفع به ، والولد الصالح الذي يدعو لأبويه ؛ ينقطع ذلك بنفاد الصدقات، وذهاب العلم، وموت الولد، أما

٢- الرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة لأن معنى النماء المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه ، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة ، وهذا لأن أعمال البر لا يُتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منه بحراسة بَيضة الدين، وإقامة شعائر الإسلام ، وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة .

٣- رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها :

عن سهل بن سعد ﷺ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : رِباطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا عَلَيْهَا وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا عَلَيْهَا ، والرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرُ مِنَ الدُّنْيا وَمَا عَلَيْهَا . متفق عليه

٤- رباط ليلة في سبيل الله أفضل من قيام ليلة القدر :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ؟ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوفٍ لَعَلَّهُ أَنْ لاَ يَرجِعَ إِلَى أَهْلِهِ . رواه الحاكم ـ صحيح الترغيب والترهيب

٥-رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه .

عَنْ سَلْمَانَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ . رواه مسلم

٦- رباط شهر في سبيل الله خير من صيام دهر .

عن أبي الدرداء ﷺ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : رِباطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيامِ دَهْرٍ ، وَمَنْ ماتَ مُرابِطاً فِي سَبِيلِ اللهِ أَمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَغُدِيَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيحَ مِنَ الجَنَّةِ وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ المُرابِطِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ . رواه الطبراني . صحيح الترغيب

٧- إذا مات المرابط في سبيل الله في رباطه أمن من فتنة القبر، وبعثه الله آمنا من الفزع الأكبر يوم القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ : مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَجْرَى عَلَيْهِ أَجْرَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقَهُ ، وَأَمِنَ مِنَ الْفَتَّانِ ، وَبَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مِنَ الْفَزَعِ . رواه مسلم

٨- العين التى باتت تحرس في سبيل الله المقيمة على الثغور الحارسة للحدود المدافعة عن الدين والبلاد لا تمسها النار .

عن ابن عباس ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . رواه الترمذي . صحيح الترغيب والترهيب

كيفية تحقيق الرباط :

مع تقدم أساليب وطرق الحرب الحديثة اتسع مفهوم الرباط ليشمل ثغورًا أخرى، ومن أخطر الثغور المفتوحة اليوم والتى لا تقل خطرًا عن الثغور الجغرافية والفكرية والأمنية والإعلامية وما شابه ذلك ، تحت مسميات زائفة كتبادل الثقافات والتقاء الحضارات وتقارب الأديان وحرية الرأى . وهذا غزو فكرى لا يقل خطرًا عن الغزو العسكرى، وهذه دعوات تصب فى نشر الكفر والإلحاد والشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام وتشكيك المسلمين فى عقائدهم وثوابت دينهم حتى انشغل العلماء بالدفاع عن المعلوم من الدين بالضرورة ، ناهيك عن الشبهات الباطلة التى يثيرونها ليل نهار فى مؤتمرات تعقد للكيد للإسلام وأهله . فلا شك أن هذه ثغور تحتاج إلي من يرابط فيها لرصد تحركاتهم ضد الإسلام وأهله ، وكشف زيفها وبطلانها . فكل سعي وكل عمل فيه صلاح المسلمين ونفعهم وعِزهم وجلب الخير لهم أو دفع شر عنهم في دينهم أو صحتهم أو سمعتهم أو ثرواتهم يعتبر نوع من الرباط ، وصاحبه المحتسب عين ساهرة تحرس في سبيل الله . فالرباط هو الإقامة بالثغور لحراستها وهو المنصوص على فضله ، ولا يبعد أن يدخل فيه كل عمل يلازمه المسلم بنية الحفاظ علي مصالح المسلمين ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

قال الشيخ الشنقيطي فى شرح زاد المستقنع : قال العلماء :

من سعى في حراسة المسلمين أثناء نومهم وحرس أعراضهم أو كان يعس في الليل ، فإنه لا يبعُد أن ينال من الأجر ما هو قريب من الرباط ، لأن مثل هذه الثغرات التي يخاف الناس فيها على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم بلاؤها عظيم .

ويُروَى عن الإمام مالك رحمه الله : أنه كان يرى أن تأمين السبُل للحجاج والمسافرين خوفًا ممن يقطع الطريق عليهم أفضل من جهاد الطلب وذلك لعظيم البلاء فيه .

أقوال السلف فى الرباط فى سبيل الله عز وجل :

قال أبو هريرة ﷺ : لأن أرابط في سبيل الله أحب إلي من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود .

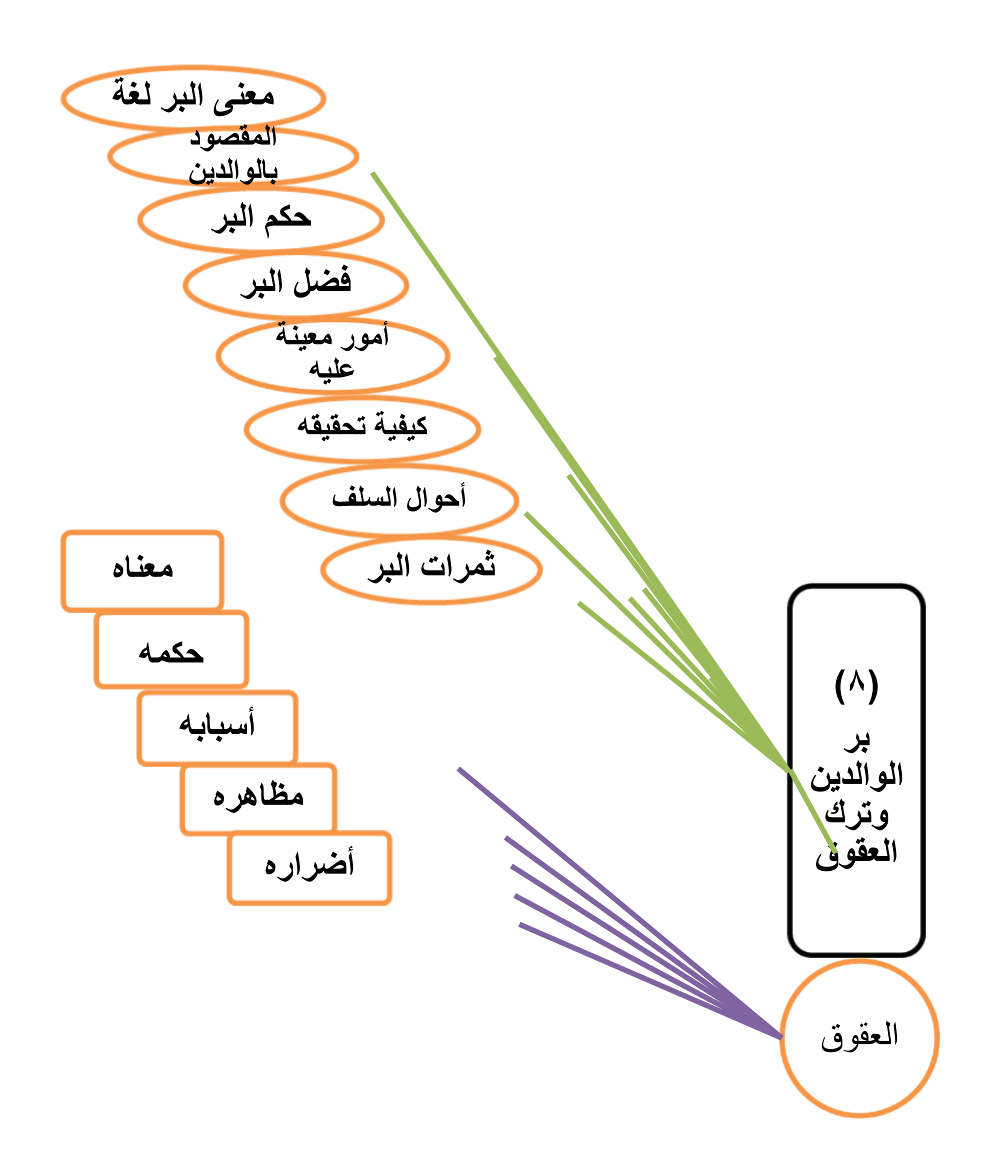
وقال عبد الله بن عمر ﷺ : فرض الله الجهاد لسفك دماء المشركين وفرض الرباط لحقن دماء المسلمين ، وحقن دماء المسلمين أحب إلي من سفك دماء المشركين .

وسئل الإمام أحمد رحمه الله أيهما أحب إليك الإقامة بمكة أم الرباط في الثغور ؟ فقال : الرباط أحب إلي .

وقال أيضًا رحمه الله : ليس عندنا شيء من الأعمال الصالحة يعدل الجهاد والغزو والرباط .
ونقل شيخ الاسلام إجماع العلماء على أن إقامة الرجل بأرض الرباط مرابطًا أفضل من إقامته بمكة والمدينة وبيت المقدس .
وقال الإمام البيهقي في شعب الإيمان : والمُرابطة في سبيل الله تنزل من الجهاد منزلة الإعتكاف في المساجد من الصلاة، لأن المرابط يقيم في وجه العدو متأهبا حتى إذا أحس من العدو بحركة أو غفلة نهض، فلا يفوته بالتأهب والإتيان من بُعْدٍ فرصه .
كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدًا، فإذا دخل الوقت وحضر الإمام قام إلى الصلاة، ولم يشغله عن إتيانِ المساجد شاغل، ولا حال بينه وبين الصلاة مع الإمام حائل، ولا شك أن المرابطة أشق من الإعتكاف، فإذا كان الإعتكاف مستحبًا مندوبًا إليه فالمرابطة مثله والله أعلم .

ثمرات الرباط فى سبيل الله عز وجل :

تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
سبب من أسباب محبة الله تعالى للعبد .
سبب من أسباب الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار.
يجري عليه أجر عمله الصالح من الرباط وغيره إلى يوم القيامة .
أمان من فتنة القبر والفزع الأكبر يوم القيامة إذا مات فى رباطه .
يبعث يوم القيامة شهيدا إذا مات فى رباطه .
حفظ بلاد المسلمين ودمائهم وحرماتهم .
ردع لكل عدو وإشعاره بأنك في حالة استعداد غير غافل عنه .
تحقيق الأمن والإستقرار للمسلمين عندما يشعرون بأن هناك من يقوم بحمايتهم .


معنى البر لغة
المقصود بالوالدين
حكم البر
فضل البر
أمور معينة عليه
كيفية تحقيقه
أحوال السلف
ثمرات البر
معناه
حكمه
أسبابه
مظاهره
أضراره
(٨)
بر الوالدين وترك العقوق
العقوق

الشعبة الثامنة : بر الوالدين

بر الوالدين شعبة من شعب الإيمان، وطاعة من أفضل الطاعات وقربة من أشرف القربات التى يتقرب بها العبد إلى رب الأرض والسموات، وهو أعظم الفروض بعد توحيد الله عز وجل . وهو مما اتفقت عليه الشرائع السماوية، وأقرته الفِطر السوية، وهو خلق الأنبياء، ودأب الأخيار وشيم الصالحين، وسبب من أعظم أسباب تنزل الرحمات والفوز بالجنات ورفعة الدرجات، ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات . وهو سبب من أسباب تفريج الكربات وإجابة الدعوات، وانشراح الصدر وطيب الحياة، وبر الأبناء وصلاحهم، ودليل على صدق الإيمان وكرم النفس وحسن الوفاء . وحصول البركة فى الأعمار والأوقات والزيادة فى الأرزاق والخيرات . لذا عظَّم الإسلام شأنَه وأعلى مكانتَه .

معنى البر لغة :

قال السفاريني في غذاء الألباب : البر اسم جامع لكل معاني الخير .
ولفظ البر جاء على عدة صور منها :
البَر بالفتح وهو ضد البحر ويطلق على المكان المتسع الذي لاتكاد ترى حدوده بسبب إتساعة فهو يطلق على ما انبسط من سطح الأرض . ويأتي بمعنى المتسع أو الزيادة في الشي الحسن الطيب بدون حدود ولا نهاية .
والبُرُّ بالضم وهو حَبُّ القمح وهو أوسع المطعومات ومنه يصنع معظم المأكولات .
والبَرُّ اسم من أسماء الله الحُسْنَى . أى واسع العطاء واسع الرحمة واسع المغفرة واسع الجود واسع الكرم واسع الإحسان .
والبِرّ بالخفض هو الصِلة وإسداء المعروف والمبالغة في الإحسان والرحمة .
وقيل البر بالخفض : هو التوسّع في الطاعات وأعمال الخير .
إذاً : لا يوصف الإنسان بأنه بار بوالديه إلا إذا كان واسع العطاء لهما، باذل النفس والمال فى إرضائهما، كثير العفو عن زلاتهما، دائم الصحبة لهما، عظيم الإحسان إليهما . فيكون البر بحسن المعاملة وجميل المعاشرة، وبالصلة والإنفاق بغير عوض .

المقصود بالوالدين :

الوالدان هما الأب والأم، سواء كانا من نسب أو رضاع، مسلمين كانا أم كافرين، وإن عليا، فالأجداد والجدات آباء وأمهات، سواء كانوا من قِبل الأب أو الأم، والخالة بمنزلة الأم كما صح بذلك الخبر .

حكم بر الوالدين :

واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة . وليس هناك حق بعد حقوق الله ورسوله أوجب على العبد ولا آكد من حقوق والديه عليه، ولهذا فقد أمره الإسلام ببرهما والإحسان إليهما ، وقرن ذلك بعبادته وطاعته .
قال تعالى : وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴿٢٣﴾ الإسراء
وأجمعت الأمة على وجوب بر الوالدين وأن عقوقهما من أكبر الكبائر .

منزلة بر الوالدين فى الإسلام :

١- أمر الله عز وجل ووصى ببر الوالدين في مواضع كثيرة وأكد أنها من أهم الفرائض وأعظم الواجبات .
قال تعالى : وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ الإسراء
٢- عطف الله سبحانه الأمر بتوحيده والنهي عن الشرك به على بر الوالدين، لبيان أهمية البر في الإسلام .
قال تعالى : وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴿٣٦﴾ النساء
٣- قرن الله عز وجل شكره بشكر الوالدين .
قال تعالى : أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ لقمان
٤- أمر الله عز وجل ببر الوالدين ولو كانا مشركين :
قال تعالى : وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿١٥﴾ لقمان

وعَنْ أَسْمَاءَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ : نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ . رواه مسلم

٥- أخبر رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله وأفضلها :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . رواه البخاري ومسلم

٦- بيَّن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بر الوالدين أقرب طريق إلى الجنة :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ : الصَّلَاةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا . قُلْتُ وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ : بِرُّ الْوَالِدَيْنِ . قُلْتُ وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . رواه مسلم

٧- بيَّن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله لن يرضى عنك حتى يرضى عنك والداك .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ . رواه التِّرمِذي . صحيح الجامع

٨- الوالد أوسط أبواب الجنة ومن أسباب رضا الرب :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ أَوْ احْفَظْهُ . قَالَ: وَقَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: رُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: إِنَّ أُمِّي وَرُبَّمَا قَالَ: أَبِي . رواه أحمد. صححه الألباني

٩- جعل النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برّ الوالدين أفضل من جهاد التطوع في سبيل الله تعالى .

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﷺ يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ . رواه البخاري

بعض الأمور التى تعين الإنسان على بر الوالدين :

١- الإستعانة بالله عز وجل لكي يوفّقك ويعينك على بر والديك .
٢- استحضار فضائل البر من أكبر الدواعي إلى فعله .
٣- النظر في عواقب العقوق وما يجلبه من غمٍّ وحسرةٍ وندامةٍ من أكبر الدواعي إلى تركه .
٤- صلاح الآباء سبب لصلاح أبنائهم وبرِّهم بهم .
٥- التواصي بالبر وتذكير الأبناء بفضائل البر ، ونصح العاقين وتذكيرهم بعواقب العقوق .
٦- إعانة الأولاد على البر بتشجيعهم وشكرهم والدعاء لهم .
٧- أن يضع الولد نفسه موضع الوالدين .
٨- قراءة سير البارّين والعاقّين مما يشحذ الهمة، ويرغب على البر، وينفر عن العقوق .

{محمد بن إبراهيم الحمد - عقوق الوالدين}

بعض صور البر بالوالدين :

١- حسن صحبتهما :

عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﷺ قَالَ أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ. قَالَ : فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ . قَالَ نَعَمْ بَلْ كِلاَهُمَا . قَالَ : فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا . رواه مسلم

٢- الإنفاق عليهما :

عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ أَعْتَقَ مَمْلُوكًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ مِنْهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَاعَهُ وَدَفَعَ إِلَيْهِ ثَمَنَهُ، وَقَالَ : ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، ثُمَّ عَلَى أَبَوَيْكَ، ثُمَّ عَلَى قَرَابَتِكَ، ثُمَّ هَكَذَا، ثُمَّ هَكَذَا . رواه أحمد ومسلم

عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي مَالًا وَوَلَدًا، وَإِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي، فَقَالَ : أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ . رواه ابن ماجة وصححه الألباني

٣- كثرة الدعاء والإستغفار لهما في حياتهما وبعد مماتهما .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ . رواه مسلم

وعنه ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللهَ عز وجل لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ ؟ فَيَقُولُ : بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ . رواه أحمد . صحيح الجامع

٤- إنفاذ وصيتهما .

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها: أنَّ رجلًا قال للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّ أمِّي افتُلتَتْ نفسُها، وأظنُّها لو تكلَّمَت تصدَّقَتْ؛ فهل لها أجرٌ إن تصدَّقْتُ عنها ؟ قال : نعمْ . رواه البخاري ومسلم

٥- الوفاء بنذرهما في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اسْتَفْتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ، فَقَالَ اقْضِهِ عَنْهَا. رواه البخاري ومسلم
٦- الصيام عنهما إذا ماتا .
عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلَّم :مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ. رواه البخاري ومسلم
٧- قضاء الدّين عنهما .
وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا فَقَالَ : لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى . رواه البخاري ومسلم
٨- الحج أو العمرة عنهما حال كبرهما أو مرضهما :
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ وَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ قَالَ نَعَمْ ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ . رواه البخاري
٩- الحج عنهما بعد وفاتهما .
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنْ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ، أَفَأَحُجَّ عَنْهُ قَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ . قَالَ : نَعَمْ قَالَ : حُجَّ عَنْ أَبِيكَ . رواه ابن حبان وصححه الألباني
١٠- التصدق عنهما بعد وفاتهما .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا، وَلَمْ يُوصِ، فَهَلْ يُكَفِّرُ عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . رواه مسلم
١١- بر صديقهما وصلة أرحامهما بعد وفاتهما .
عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ﷺ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فقَالَ: أَتَدْرِي لِمَ أَتَيْتُكَ ،قَالَ: قُلْتُ لا ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ وَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَبِي عُمَرَ وَبَيْنَ أَبِيكَ إِخَاءٌ وَوُدٌّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذاك . رواه ابن حبان . صحيح الجامع
١٢- تقديم بر الأم والإحسان لها على بر الأب والإحسان إليه .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ قَالَ :ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ :ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ : مَّ مَنْ ؟ قَالَ :ثُمَّ أَبُوكَ . رواه البخاري

كيفية تحقيق بر الوالدين :

قال الشيخ موسى الزهراني في تهميش الوالدين في حياتنا :

بر الوالدين يكون بالإحسان إليهما بالقول والعمل، وتعظيم قدرهما وإكرام شأنهما وإجلال مقامهما . وطاعتهما واجتناب معصيتهما إلا الزوجة فإنها تقدم طاعة زوجها . وخفض الجناح بالتذلل لهما. والسلام عليهما عند الدخول والخروج وقرن السلام بتقبيل أيديهما. والتأدب عند مخاطبتهما ولين القول لهما وعدم رفع الصوت فوق صوتهما . وتلبية ندائهما والمسارعة لقضاء حوائجهما . وإدخال السرور على قلبيهما بفعل كل ما يحبانه والمحافظة على أموالهما وسمعتهما، والحذر من التسبب في شتمهما . وتفقد مواضع راحتهما واجتناب مقاطعتهما أو مجادلتهما أو السخرية منهما . وتجنب مد اليد الى الطعام قبلهما . وتجنب التقدم في المشي عليهما أو الدخول أو الخروج أو الجلوس قبلهما. وتجنب الإضطجاع أو مد الرجل أمامهما أو الجلوس في مكان أعلى منهما .واستشارتهما وقبول نصائحهما . وعدم مناداتهما بأسماءهما . والإكثار من زيارة قبريهما وإصلاح ذات بينهما . وتذكيرهما بالله دائمًا بتعليمهما ما يجهلانه من أمور الدين وأمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر .وتجنّب الأمور المؤدية الى عقوقهما .

أمثلة رائعة وصور مشرقة للبر بالوالدين :

قال عثمان ﷺ : ما قدرت أن أتأمل أمي منذُ أسلمت .
وكان حارثة بن النعمان ﷺ : يطعم أمه بيده ، ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به حتى يسأل من عنده بعد أن تخرج : ماذا قالت أمي ؟
وقال الحسن ﷺ : لا يعدل بر الوالدين لا حج ولا جهاد ولا صدقة . ودعاء الوالدين للولد نجاة، ودعاؤهما عليه إستئصال وبوار
وقال ابن عباس ﷺ : ليس شئ أحط للذنوب من بر الوالدين .
وسُئل الحسن رحمه الله : ما بر الوالدين ؟ قال : أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به، إلا أن يكون معصية .

وقال ابن عباس ﷺ : ما من مؤمن له أبوان فيصبح ويمسي وهو محسن إليهما إلا فتح الله له بابين من الجنة .
وقال سفيان بن عيينه رحمه الله : من صلى الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه عقبهما فقد شكرهما .
وقال عروة بن الزبير : ما بر والديه من أَحَدَّ النظر إليهما .
وكان كهمس : يعمل في الجص كل يوم بدانقين فإذا أمسى أشترى به فاكهة فأتى بها إلى أمه .
وقال رجل لكعب : أحتسب عند الله ما فاتني من بر الوالدين، قال لم يفتك برهما أستغفر لهما وأجعل لهما حظا من طاعاتك .
حيوة بن شُريح : يجلس في حلقته يعلم الناس، فتقول له أمه : قم يا حيوة فألق الشعير للدجاج فيقوم ويترك الناس .

ثمرات بر الوالدين :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : منْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ . رواه البخاري ومسلم
٢- بر الوالدين سبب من أسباب محبة الله عز وجل للعبد .
وعَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ : الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا ، قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ . رواه البخارى ومسلم
٣- بر الوالدين سبب من أسباب الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار .
عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ . رواه أحمد . صحيح الجامع
٤- بر الوالدين سبب من أسباب زيادة الأعمار والأرزاق .
عَنْ أَنَسُ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ . مسلم
٥- بر الوالدين سبب من أسباب رضا الرب عز وجل عن العبد .
عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ . رواه التِّرمِذي . صحيح الجامع
٦ - بر الوالدين سبب في بر الأبناء والجزاء من جنس العمل .
قال تعالى : هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝ الرحمن
٧- بر الوالدين سبب من أسباب تكفير الذنوب العظيمة :
عن عطاء عن ابن عباس ﷺ : أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ،فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا،فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ:لَا، قَالَ: تُبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ، فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عز وجل من بر الوالدة. رواه البخاري في الأدب المفرد . السلسلة الصحيحة
٨- بر الوالدين سبب من أسباب قبول التوبة :
عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٌ ؟ قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَبِرَّهَا . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب
٩- بر الوالدين سبب من أسباب استجابة الدعاء :
عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ . قَالَ : نَعَمْ قَالَ لَكَ وَالِدَةٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ . فَاسْتَغْفِرْ لِي . فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : الْكُوفَةَ . قَالَ : أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا ؟ قَالَ : أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ . رواه مسلم
١٠- بر الوالدين سبب من أسباب تفريج الكربات .
كما جاء فى قصة أصحاب الغار الذين آواهم المبيت إلى غار : فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمُ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا،فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَىَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ . رواه البخارى ومسلم .

فصل فى العقوق

العقوق كبيرة من أكبر الكبائر وأقبح الذنوب بعد الشرك . والعقوق قرين الشرك، وجحودٌ للفضل، ونكرانٌ للجميل، وعنوانٌ على الخسةِ والدناءةِ وحقارةِ النفس، وهو موجب للعقوبة في الدنيا، ودخول النار في الآخرة

العقوق لغة :

من العق ، وهو القطع .
قال ابن منظور فى لسان العرب : عقَّ والدَه: شق عصا طاعته، وعق والديه: قطعهما ولم يصل رحِمه منهما .
والعقوق ضدُّ البر وفي الحديث : نهى عن عقوق الأمهات وهو ضد البر، وأصله من العق : الشق والقطع
العقوق شرعاً : كل فعل أو قول يتأذى به الوالد من ولده ما لم يكن شركاً أو معصية .

حكم العقوق :

حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو من أكبر الكبائر .
قال تعالى : إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ الإسراء
وعن أَبي بكرة ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ثلاثاً قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُول الله قَالَ : الإشْرَاكُ بالله وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وكان مُتَّكِئاً فَجَلَسَ فَقَالَ : ألاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ . فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ . مُتَّفَقٌ عَلَيه
وأجمعت الأمة على حرمة العقوق وأنه من الكبائر المتفق عليها .

أسباب عقوق الوالدين :

الجهل بعواقب العقوق وثمرات البر في الدنيا والآخرة .
سوء التربية وعدم تنشئة الأولاد على البر والصلة، والتقصير في الإنفاق في الصغر وإهمالهم .
رفقاء السوء فهي مما تفسد الأولاد، وتجرِّئهم على العقوق .
عقوق الوالدين لوالدَيْهما فالجزاء من جنس العمل .
التفرقة بين الأولاد فإنه يورث روحُ الكراهيَة، ويقودهم ذلك إلى بُغْض الوالدَينِ وقطيعتهما .
قلة تقوى الله تعالى في حالة الطلاق .
سوء خُلُق الزوجة فتجعل الزوج يتمرد على والديه، لتستأثرَ به دون غيره .

من صور عقوق الوالدين

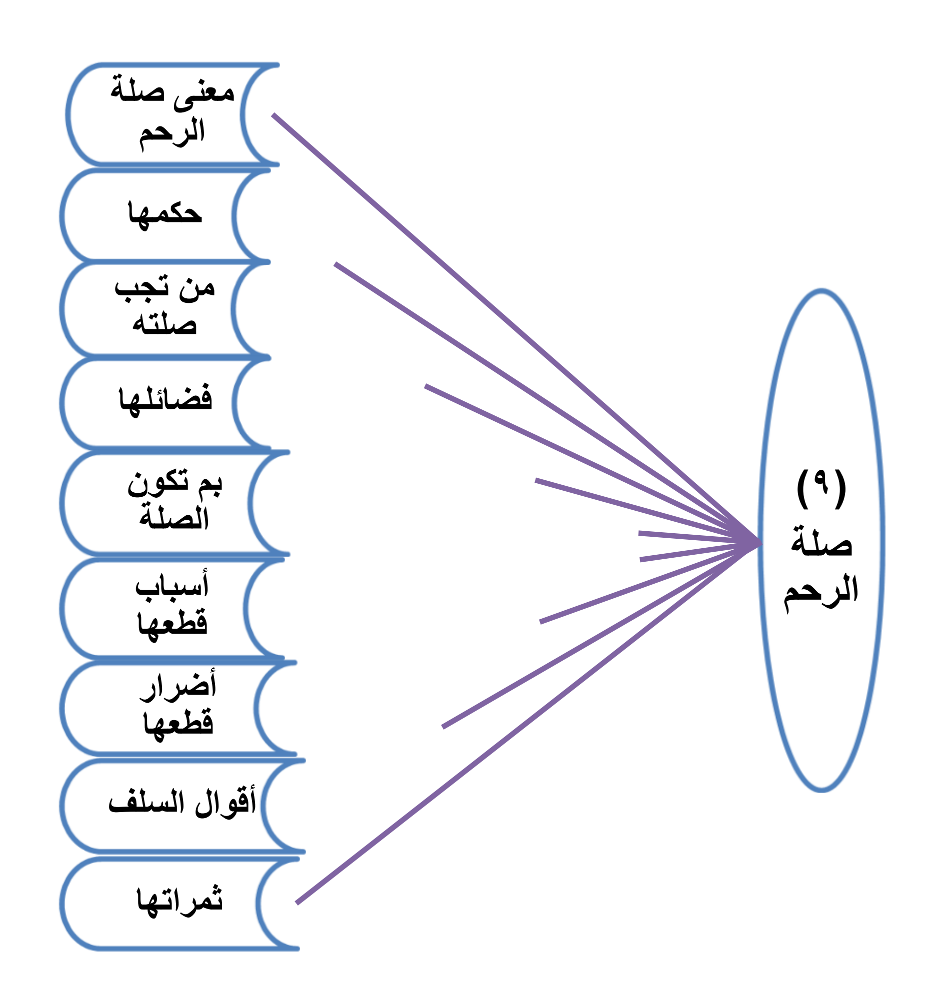
قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد فى عقوق الوالدين : للعقوق صور كثيرة منها :

١- إبكاء الوالدين وتحزينهما سواء بالقول أو الفعل أو بالتسبب في ذلك .
٢- نهرهما وزجرهما برفع الصوت والإغلاظ عليهما بالقول .
٣ - التأفف والتضجر من أوامرهما .
٤- إحداد النظر إليهما وتقطيب الجبين أمامهما .
٥- الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا وترك الإصغاء إليهما ومقاطعتهما .
٦- قلة الإعتداد برأيهما ، وترك الإستئذان حال الدخول عليهما .
٧- ذمهما عند الناس والقدح فيهما ، وذكر معايبهما .
٨- التعدي عليهما بالضرب أو بالشتم أو لعنهما ، إما مباشرة ، أو بالتسبب في ذلك .
٩- إدخال المنكرات وآلات اللهو والفساد للبيت .
١٠- فعل المنكرات أمامهما كشرب الدخان أو استماع آلات اللهو بحضرتهما، أو النوم عن الصلاة المكتوبة .
١١- تشويه سمعتهما وذلك باقتراف الأعمال السيئة، والأفعال الدنيئة، التي تخل بالشرف، وتخرم المروءة .
١٢- إيقاعهما في الحرج كحال من يستدين أموالاً ثم لا يسددها، والإثقال عليهما بكثرة الطلبات .
١٣- المكث طويلاً خارج المنزل دون حاجة .
١٤- تقديم طاعة الزوجة وإيثارها عليهما .

١٥- التبرؤ منهما والحياء من ذكرهما والخجل من وجودهما .
١٦- إيداعهم دور العجزة والمسنين فهذا غاية في البشاعة ونهاية في القبح والشناعة .
١٧- البخل والتقتير عليهما في النفقة .
١٨- المنة وتعداد الأيادي على الوالدين .

بعض أضرار العقوق :

١- عقوق الوالدين سبب من أسباب عدم قبول العمل الصالح .
عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَشِيَّةَ كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فَلا يَقْبَلُ عَمَلَ قَاطِعِ رَحِمٍ . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب
٢- بغض الله عز وجل للعاق وسخطه عليه .
عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ .
رواه التِّرمِذي . صحيح الجامع
٣- استحقاق لعنة الله لمن سب والديه أو لعنهما :
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ . رواه مسلم
٤- عدم استجابة الدعاء .
عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ .
رواه مسلم
٥- لا يدخل الجنة مع أول الداخلين .
عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ . رواه البخارى ومسلم
٦- لا ينظر الله إليه .
عَنْ ابْنِ عمر ﷺ قَالَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ وَالدَّيُّوثُ . أَخْرَجَهُ أحمد والنَّسائي . صحيح الجامع
٧- تعجيل العقوبة للعاق في الدنيا قبل الآخرة :
عَنْ أَبِى بَكْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِى الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِى الآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ . رواه أحمد وأبو داود . صحيح الجامع


معنى صلة الرحم
حكمها
من تجب صلته
فضائلها
بم تكون الصلة
أسباب قطعها
أضرار قطعها
أقوال السلف
ثمراتها
(٩) صلة الرحم

الشعبة التاسعة : صلة الأرحام

صلة الأرحام شعبة من شعب الإيمان، وعبادة من أجل العبادات، وقربة من أفضل القربات، وسبب من أعظم أسباب تنزل الرحمات والفوز بالجنات ورفعة الدرجات، وحلول البركات فى الأعمار والأوقات، وزيادة الأرزاق والخيرات . والذكر الحسن فى الحياة وبعد الممات، وهى من محاسن الأخلاق التي حث عليها الإسلام ودعا الله عز وجل إليها في تسع عشرة آية من كتابه الكريم ، وأنذر قاطع الرحم باللعن والعذاب في ثلاث آيات . ولهذا دأب الصالحون من سلف الأمة على صلة أرحامهم .
وأدنى الصلة أن تصل أرحامك ولو بالسلام .

معنى صلة الرحم :

قال الراغب الأصفهاني : الرحم : رحم المرأة . ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة .
والمراد بالرحم : الأقرباء في طرفي الرجل والمرأة من ناحية الأب والأم .
وصلة الرحم تعني الإحسان إلى الأقربين وإيصال ما أمكن من الخير إليهم ودفع ما أمكن من الشر عنهم .

الأرحام الذين تجب صلتهم هم الأقارب من النسب من جهة الأب والأم .

قال الشيخ ابن عثيمين فى شرح رياض الصالحين :
الأرحام والأنساب هم أقارب الإنسان نفسه كأمه وأبيه وابنه وابنته، وكل من كان بينك وبينه صلة من قبل الأب أو من قبل الأم ، أو من قبل الابن أو من قبل البنت . ومن نعم الله تعالى على الإنسان أن جعل له أرحام يرتاح بلقائهم، ويهرع إليهم عند المصائب والمحن، ويستأنس بهم عند الوحشة والخوف، ويستعين بهم عند الملمات والبليات .

حكم صلة الرحم :

واجبة في الجملة، وقطيعتها محرمة من كبائر الذنوب .
قال القرطبي رحمه الله : اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة وأن قطيعتها محرمة
وقال النووي فى شرح صحيح مسلم :
قال القاضي عياض: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية من كبائر الذنوب ولكنّ الصّلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسّلام، وتختلف صلة الرحم باختلاف قدرة الواصل وحاجة الموصول والشيء الذي يوصل به . فمنها واجب، ومنها مستحبّ . ولو وصل بعض الصّلة ولم يصل غايتها لا يسمّى قاطعًا، ولو قصّر عمّا يقدر عليه لا يسمّى واصلًا .

منزلة صلة الرحم فى الإسلام :

١- أخبر الله عز وجل أن الرحم لهم حق عظيم في المرتبة الثالثة بعد حق الله ورسوله ثم حق الوالدين .
قال تعالى : وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴿٣٦﴾ النساء
٢- جمع الله عز وجل أصول الشريعة في ثلاثة أمور لا يصلح شأن الإنسان إلا بها، في آية جامعة، وهى العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى .
قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ ﴿٩٠﴾ النحل
٣- أمر الله عز وجل بإعطاء القريب حقه من النفقة والهدية والسلام والإكرام والعفو عن زلته ونحوه .
قال تعالى : فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ ﴿٣٨﴾ الروم
٤- أوصى الله تعالى بذى القربى في آية فذَّة جامعة جمعت خمسة عشرة شعبة من شعب الإيمان منها :
خمس في الإعتقاد وهى : الإيمان بالله، واليوم الآخِر، والملائكة، والكتاب، والنبيِّين
وستة فى حُسن معاشرة العباد وهي : إيتاء المال لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب .
وأربع في تهذيب النفس وتزكيتها وتطهيرها وهي : إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد والتحلى بالصبر
قال تعالى : لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة

٥- بشر النبى صلى الله عليه وسلم الذى يصل قرابته ويقطعوه بأن الله عز وجل ناصره ومؤيده ومعينه .
عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ : لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ . رواه مسلم
قال النووي : يعني كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ، ولا شيء على هذا المحسن إليهم لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخال الأذى عليه .
٦- أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن الصدقة على ذى الرحم من أفضل الصدقات .
عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ، الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ . رواه أحمد . صحيح الجامع
ومعنى الحديث : أن أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو الذي اضمر العداوة في كشحه؛ لأنها تكون صلة وصدقة لذي رحم مقاطع .
٧- بين النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة الصلة وهو أن تصل من قطعك وتحسن إلى من أساء إليك .
عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا . رواه البخاري
٨- من سماحة شريعة الإسلام أنها أمرت بصلة الأرحام حتى وإن كانوا مشركين .
عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِيهَا فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ . رواه البُخَارِي

كيفية صلة الرحم :

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم : صلة الرّحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزّيارة والسّلام وغير ذلك .
يقول الدكتور محمد إبرهيم الحمد :
صلة الرحم تكون بأمور عديدة مثل : زيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والإهداء إليهم، وإنزالهم منازلهم، والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع غنيهم، وتوقير كبيرهم ورحمة ضعيفهم، وتعاهدهم بكثرة السؤال واستضافتهم، وحسن استقبالهم وإعلاء شأنهم . ومشاركتهم في أفراحهم ومواساتهم في أتراحهم، والدعاء لهم، وسلامة الصدر نحوهم، وإصلاح ذات البين إذا فسدت بينهم، وعيادة مرضاهم، وإجابة دعوتهم . وأعظم ما تكون بدعوتهم إلى الهدى، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . وتستمر الصلة هذه إذا كان الرحم صالحة مستقيمة أو مستورة . أما إذا كانت الرحم سافرة أو فاسقة فتكون صلتهم بالعظة والتذكير .

بعض أسباب قطيعة الرحم :

الجهل بفضل صلة الرحم وعاقبة قطيعتها . الكِبر . الحسد . سوء الظن . التقليد. العتاب الشديد . الشح والبخل . التكلف عند الزيارة . تأخير قسمة الميراث . الإنشغال بالدنيا . بعد المسافة . عدم الصبر عليهم . نسيان الأقارب عند المناسبات . عدم الإحترام المتبادل . قلة الإهتمام بالزائر . السعي بالنميمة . بعض الزوجات . المعاملات المالية .

أقوال السلف فى صلة الرحم :

قال عطاء : لدرهم أضعه فى قرابتي أحبّ إليّ من ألف أضعها في فاقة . قال له قائل : يا أبا محمّد ، وإن كان قرابتي مثلي في الغنى . قال : وإن كان أغنى منك .
قال سعيد بن المسيّب : لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه ، ويصل رحمه ، ويكفّ به وجهه .
قال عمرو بن دينار : ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجرًا من خطوة إلى ذي الرّحم .
وقال علي بن الحسين لولده : يا بني لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع.
وقال الشعبي : والله ما مات ذُو قرابةٍ لي وعليهِ دين إلا وقضيت عنه دينه

ثمرات صلة الأرحام :

١- تحقيق شعبة من شعب الإيمان .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ . رواه البخاري ومسلم
٢- صلة الرحم سبب من أسباب صلة الله للواصل .
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ . البخاري
٣- صلة الرحم سبب من أعظم أسباب سعة الرزق وزيادة العمر .
عن أنس قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ . متفق عليه
ينسأ : يؤخر له في أجله ويزداد له في عمره .

٤- صلة الرحم سبب من أسباب دخول الجنّة .
قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ . رواه أحمد والترمذي وابن ماجة . صححه الألباني
٥- صلة الرحم كفارة للكبائر .
عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: يَرَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ ؟ قَالَ لاَ. قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَبِرَّهَا . رواه الترمذي . صحيح الترغيب والترهيب
٦- صلة الرحم سبب من أسباب محبة الأهل للواصل .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ . رواه أحمد والترمذي . صحيح الجامع
٧- صلة الرحم تدفع ميتة السوء :
عَنْ عَلِيٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ . رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر
٨- من أحب الأعمال إلى الله تعالى :
عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَثْعَمَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ . قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ . مسند أبي يعلى . صحيح الجامع

أضرار قطيعة الرحم :

١- لعن الله عز وجل قاطع الرحم في كتابه .
قال تعالى : فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ محمد
٢- حذر الله عز وجل الذين يقطعون أرحامهم بأن لهم سوء الدار .
قال تعالى : وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ الرعد
٣- جعل الله عز وجل من صفات الفاسقين الخاسرين قطع ما أمر الله به أن يوصل ومن ذلك صلة الأرحام .
قال تعالى : وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ البقرة
٤- أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن من موانع إجابة الدعاء أن يدعو العبد بإثم أو قطيعة رحم .
عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ . رواه مسلم
٥- بين النبى صلى الله عليه وسلم أن قاطع الرحم لا يقبل له عمل .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال : إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَشِيَّةَ كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فَلاَ يَقْبَلُ عَمَلَ قَاطِعِ رَحِمٍ . رواه أحمد . صحيح الترغيب والترهيب
٦- حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قطيعة الأرحام، وعدَّها مانعاً من دخول الجنة مع أول الداخلين .
عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٍ . متفق عليه
قال سفيان بن عيينة أحد رواة الحديث يعني : قاطع رحم .
٧- قاطع الرحم تعجل له العقوبة في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى إن لم يتب أويتغمده الله برحمته .
عَنْ أَبِى بَكْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِى الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة . صحيح الترغيب والترهيب
٨- قاطع الرحم يقطعه الله عز وجل .
عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِى وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِى قَطَعَهُ اللَّهُ . رواه مسلم

الخاتمة

هذا آخِر ما تيسَّر لى جمعه في الكتاب . والله اسأل أن يَكتب له القَبول، وأن يتقبَّله منَّا بقَبول حسن ، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع به مؤلفه وقارئه وسامعه . والوصية لمن انتفع بشيء منه ، أن يدعو لمؤلفه فإنه من أفقر عباد الله إلى الله عز وجل ، ومن أحوجهم لرحمة الله لما يعلمه من نفسه من الوقوع في الزلل والخطأ . وإن وجدت عيبًا فبادر بإصلاحه وبتوجيهي فإن المسلم قوي بإخوانه ضعيف بنفسه والعذر ثم العذر مما تراه عينك من مجانبة الصواب ومخالفة الدليل ، فإن هذا جهد مقصر هو فيه عالة على غيره . هذا وما كان فيه من صواب فمِن الله وحدَه، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بَراء، وهذا شأنُ أيِّ عمل بشري يَعتريه الخطأ والصواب؛ فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقَبول والتوفيق، وإن كان ثَم خطأٌ فاستغفر لي . ولا أقول إلا كما قال الإمام الشافعي رحمه الله : لقد ألفت هذه الكتب ولم آل جهدًا فيها ولا بد أن يوجد فيها الخطأ، لأن الله تعالى يقول : وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا - فما وجدتم في كتابي هذا مما يخالف الكتاب أو السنة فقد رجعت عنه . فاللهم اجعل عملي كلَّه صالحًا، ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا .

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات . وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .

كتبه العبد الفقير / محمد أحمد الكوت
الأسكندرية فى ٨ / ربيع الأول /١٤٤٢هـ الموافق ٢٥ / ١٠ / ٢٠٢٠م
الهاتف : ٠١١١٩٧٤٠٣٥٠ - ٠١١١٥٩٥٠٢٩٠
البريد الالكترونى : mohamed.elkout@yahoo.com

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ــ الحديث

١ـ صحيح البخارى
٢ـ صحيح مسلم
٣ـ سنن أبى داود
٤ـ سنن الترمذى
٥ـ سنن النسائى
٦ـ سنن اين ماجه
٧ـ موطأ مالك
٨ـ مسند أحمد
٩ـ سنن الدارمى
١٠ـ سنن البيهقى
١١ـ صحيح الأدب المفرد
١٢ـ صحيح ابن حبان
١٣ـ المعجم الكبير للطبرانى
١٤ـ الحلية لأبى نعيم
١٥ـ صحيح الجامع
١٦ـ السلسلة الصحيحة
١٧ـ صحيح الترغيب والترهيب
١٨ـ إرواء الغليل

٣ـ التفسير

١ـ جامع البيان الطّبريّ
٢ـ أحكام القرآن الإمام ابن العربي المالكي
٣ـ الجامع لأحكام القرآن القرطبيّ
٤ـ مفاتيح الغيب الرازي
٥ـ تفسير القرآن العظيم ابن كثير
٦ـ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير
٧ـ معالم التنزيل تفسير البغويّ
٨ـ فتح القدير الشوكاني
٩ـ أضواء البيان الشنقيطى
١٠ـ زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزى
١١ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ السعدي
١٢ـ التحرير والتنوير ابن عاشور
١٣ـ المحرر الوجيز ابن عطية
١٤ـ الفتح الربانى الشوكاني
١٥ـ الأمثال القرآنية القياسية عبد الله بن عبد الرحمن
١٦ـ قصة آدم عليه السلام ياسر برهامي
١٧ـ بصائر ذوي التمييز الفيروز آبادي

٤ـ شروح السنة

١ـ شرح صحيح البخاري ابن بطال
٢ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ابن رجب

٣- فتح الباري في شرح صحيح البخاري ابن حجر
٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني
٥- شرح صحيح مسلم النووى
٦- معالم السنن الخطابي
٧- عون المعبود العظيم آبادي
٨- شرح سنن أبي داود عبد المحسن العباد
٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المباركفوري
١٠- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك السيوطي
١١- فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوي
١٢- سبل السلام الصنعاني
١٣- شرح الترمذي الشنقيطي
١٤- مرقات المفاتيح الملا عليّ القاريء
١٥- شرح رياض الصالحين ابن عثيمين
١٦- الأربعين النووية ابن دقيق العيد
١٧- شرح الأربعين النووية عطية سالم
١٨- النهاية في غريب الحديث والأثر ابن الأثير
١٩- الترغيب والترهيب الحافظ المنذري
٢٠- تأويل مختلف الحديث ابن قتيبة
٢١- إحياء علوم الدين الغزاليّ
٢٢- جامع العلوم الحكم ابن رجب
٢٣- نيل الأوطار الشوكاني

٥- كتب العقيدة

١- شرح العقيدة الواسطية صالح آل الشيخ
٢- شرح العقيدة الطحاوية صالح آل الشيخ
٣- شرح الأصول الثلاثة صالح آل الشيخ
٤- إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ
٥- التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ
٦- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صالح آل فوزان
٧- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد صالح الفوزان
٨- شرح العقيدة الواسطية صالح الفوزان
٩- كتاب التوحيد صالح الفوزان
١٠- التعليقات المختصرة على متن الطحاوية صالح الفوزان
١١- شرح الواسطية ابن عثيمين
١٢- شرح ثلاثة الأصول ابن عثيمين
١٣- فتاوى العقيدة ابن عثيمين
١٤- القول المفيد شرح كتاب التوحيد ابن عثيمين
١٥- شرح كتاب الأصول الثلاثة محمد حسان
١٦- شرح عقيدة أهل السنة إسماعيل الأصبهاني
١٧- شرح العقيدة الواسطية محمد خليل هراس
١٨- شرح كتاب التوحيد عبد الله بن محمد الغنيمان
١٩- شرح عقيدة أهل السنة إسماعيل الأصبهاني
٢٠- شرح العقيدة الواسطية محمد خليل هراس
٢١- شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي
٢٢- شرح أُصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

٢٣- شرح العقيدة الطحاوية سفر الحوالي
٢٤- شرح السنة البربهاري
٢٥- شرح السنة البغوي
٢٦- الإيمان بالقضاء والقدر الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد
٢٧- الإيمان بالله الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد
٢٨- الإيمان بالقدر الدكتور عبد العزيز عبد اللطيف
٢٩- الإيمان حقيقته ، خوارمه ، نواقضه عبد الله بن عبد الحميد الأثري
٣٠- نواقض الإيمان القولية والعملية الدكتور عبد العزيز علي عبد اللطيف
٣١- نواقض الإيمان الاعتقادية الدكتور محمد علي الوهيبي
٣٢- أصول السنة الإمام أحمد
٣٣- أصول الدين عند أبي حنيفة محمد عبد الرحمن الخميس
٣٤- أصل السنة ابن أبي حاتم
٣٥- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة
٣٦- تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول عبد المحسن القاسم
٣٧- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد سليمان بن عبد الله
٣٨- رسالة تحكيم القوانين محمد بن إبراهيم آل الشيخ
٣٩- رسالة أوثق عرى الإيمان سليمان بن عبد الله
٤٠- أعلام السنة المنشورة حافظ حكمي
٤١- معارج القبول حافظ حكمي
٤٢- المعتصر شرح كتاب التوحيد
٤٣- أركان الإسلام الدكتور عبد الله الطيار
٤٤- الوجيز في عقيدة السلف الصالح عبد الله بن عبد الحميد الأثري
٤٥- السنة الخلال أبو بكر
٤٦- الشريعة الآجري
٤٧- قضايا الإيمان والكفر محمد إسماعيل المقدم
٤٨- جواب في الإيمان ونواقضه عبد الرحمن البراك
٤٩- مجموع فتاوي عبد العزيز بن باز
٥٠- وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه عبد العزيز بن باز
٥١- القول السديد عبد الرحمن السعدي
٥٢- فتاوى الشيخ عبد الرحمن السعدي
٥٣- الولاء والبراء محمد سعيد القحطاني
٥٤- معالم غائبة في الولاء والبراء الدكتور عبد العزيز عبد اللطيف
٥٥- مسائل الإيمان القاضي أبو يعلى
٥٦- تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
٥٧- أقوال ذوي العرفان في أن أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان الدكتور عصام السناني
٥٨- مفاسد الإعراض عن الحكم بما أنزل الله : للدكتور عصام العبد زهد - والدكتور جمال الهوبي
٥٩- مفاهيم إسلامية الدكتور عبدالسلام محمد عبده
٦٠- مسألة الإيمان دراسة تأصيلية علي عبد العزيز الشبل
٦١- أشراط الساعة الشيخ عبد الله بن سليمان الغفيلي
٦٢- محبة الرسول بين الاتباع والابتداع الشيخ عبد الرءوف عثمان
٦٣- الاعتصام الشاطبي
٦٤- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام الإمام بدر الدين ابن جماعة
٦٥- المعتصر شرح كتاب التوحيد
٦٦- أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر عبدالعزيز الراجحي
٦٧- الإيضاح والتبيين لبعض صفات المؤمنين عبدالعزيز الراجحي
٦٨- تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

٦٩- حقيقة الإيمان بالقدر الشافعي
٧٠- عقيدة السلف أصحاب الحديث أبو إسماعيل الصابوني
٧١- الشرح والإبانة ابن بطة العكبري
٧٢- القواعد المذاعة في مذهب أهل السنة والجماعة وليد السعيدان

٦- كتب الفقــه

١- الإجماع ابن عبد البر
٢- الإجماع ابن حزم
٣- الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية
٤- الإجماع ابن المنذر
٥- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ابن عبد البر
٦- التمهيد ابن عبد البر
٧- المجموع النووي
٨- المغنى ابن قدامة
٩- الشرح الكبير ابن قدامة
١٠- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل الإمام الحجاوي
١١- بدائع الصنائع الكاساني
١٢- كشاف القناع البهوتي
١٣- - الشرح الممتع على زاد المستقنع الشيخ ابن عثيمين
١٤- شرح زاد المستقنع الشيخ الشنقيطى
١٥- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع
١٦- شرح زاد المستقنع الشيخ حمد بن عبد الله الحمد
١٧- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد
١٨- شرح بلوغ المرام عطية سالم
١٩- منحة العلام شرح بلوغ المرام الشيخ عبد الله الفوزان
٢٠- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ الكتور وهبه الزحيلى
٢١- الموسوعة الفقهية الكويتية
٢٢- الموسوعة الفقهية الكويتية
٢٣- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء
٢٤- النهاية في غريب الحديث والأثر ابن الأثير
٢٥- شرح كتاب الجنائز من بلوغ المرام الشيخ ابن عثيمين
٢٦- أحكام الجهاد وفضله العزّ بن عبد السّلام
٢٧- شرح كتاب الجنائز من بلوغ المرام الشيخ ابن عثيمين
٢٧- دروس صوتية محمد المختار الشنقيطي
٢٨- أحكام الصلاة على الميت الشيخ صالح الفوزان العبد الله
٢٩- رسالة في الفقه الميسر الشيخ صالح السدلان
٣٠- الاعتكاف فضله وآدابه وأحكامه الشيخ محمد صالح المنجد
٣١- أحكام الجهاد وفضله العزّ بن عبد السّلام
٣٢- المختصر البسيط لكتاب تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة عادل العزازي
٣٣- النظرية العامة لموجبات الحدود الدكتور عبد الله الركبان
٣٤- رسالة في زكاة الحلي محمد بن صالح العثيمين
٣٥- مجموع الفتاوى ابن العثيمين

٧- كتب شيخ الإسلام ابن تيمية

١- الصارم المسلول ابن تيمية
٢- مجموع الفتاوى ابن تيمية
٣- شرح العمدة ابن تيمية
٤- الاستقامة ابن تيمية
٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيخ الإسلام ابن تيمية
٦- الزهد والورع والعبادة ابن تيمية
٧- الاحتجاج بالقدر ابن تيمية
٨- الإيمان
٩- منهاج السنة النبوية
١٠- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية

٨- كتب الإمام ابن القيّم

١- زاد المهاجر
٢- شفاء العليل
٣- بدائع الفوائد
٤- عدة الصابرين
٥- طريق الهجرتين
٦- إعلام الموقعين
٧- أسرار الصَّلاة
٨- كتاب الروح
٩- الصلاة وحكم تاركها
١٠- مفتاح دار السَّعادة
١١- الصواعق المرسلة
١٢- التبيان في أقسام القرآن
١٣- تحفة المودود بأحكام المولود
١٤- زاد المعاد في هَدْي خير العباد
١٥- روضة المحبين ونزهة المشتاقين
١٦- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان
١٧- الوابل الصيب من الكلم الطيب
١٨- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي
٢٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
٢١- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام

٩- كتب الآداب

١- مختصر منهاج القاصدين ابن قدامة المقدسي
٢- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة علي بن نايف الشحود
٣- موسوعة فقه القلوب الشيخ محمد بن إبراهيم التويجري
٤- موسوعة الدين النصيحة علي بن نايف الشحود
٥- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم
٦- الآداب الشرعية ابن مفلح الحنبليّ
٧- إحياء علوم الدين الغزالي
٨- غذاء الألباب السفاريني

٩- الصلات والبشر الفيروزبادي
١٠- أدب الدين والدنيا الماورديّ
١١- موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز بن محمد السلمان
١٢- تربية الأولاد على الآداب الشرعية عبدالرحمن العايد
١٣- عقوق الوالدين محمد بن إبراهيم الحمد
١٤- تهميش الوالدين في حياتنا موسى الزهراني
١٥- الأخلاق الإسلامية وأسسها عبد الرحمن الميداني
١٦- الأذكار النووي
١٧- أدب الاسلام الشيخ عبدالله الظاهر
١٨- تربية الأولاد على الآداب الشرعية عبدالرحمن العايد
١٩- صلة الرحم الشيخ عبد الرحمن العايد
٢٠- فقه الأدعية والأذكار عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر
٢١- آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة سعيد القحطاني
٢٢- مختصر منهاج القاصدين ابن قدامة المقدسي
٢٣- أخلاق الكبار الدكتور خالد السبت
٢٤- الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة محمد إبراهيم الحمد
٢٥- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان
٢٦- أحكام السلام عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم
٢٧- أحكام السلام يحيى بن موسى الزهراني

١٠- كتب متنوعة

١- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة علي بن نايف الشحود
٢- الطبقات الكبرى ابن سعد
٣- الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي
٤- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ناصر السعدي
٥- الفتاوى المعاصرة في الحياة الزوجية
٦- التوبة وظيفة العمر الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد
٧- كلمات في الصلاة الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد
٨- التقصير في حقوق الجار الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد
٩- فضل الدعاء مصطفى العدوى
١٠- دليل الطالبة المؤمنة ابن العثيمين
١١- إن الله كتب الإحسان الدكتور فالح بن محمد الصغيِّر
١٢- قصة آدم عليه السلام الدكتور ياسر برهامي
١٣- صلة الرحم الشيخ عبد الرحمن العايد
١٤- فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين عويضة
١٥- المستطرف في كل فن مستظرف الأبشيهي
١٦- الغفلة عن شكر النعم صالح بن حميد
١٧- طيب الكسب الشيخ صالح بن حميد
١٨- جامع شعب الإيمان للدكتور عبد العلي حامد
١٩- علوم الحديث ابن الصلاح
٢٠- التذكرة الحمدونية ابن حمدون
٢١- النكت والعيون الماوردي
٢٢- العمل الصالح سامي محمد
٢٣- المستجاد من فعلات الأجواد القاضي التنوخي

٢٤- فضائل الصوم نداء الريان في فقه الصوم سيد بن حسين بن عبد الله العفاني
٢٥- ضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر د. علي بن عمر بادحدح
٢٦- الفتاوى المعاصرة في الحياة الزوجية
٢٧- الإعتصام الشاطبي
٢٨- البداية والنهاية ابن كثير
٢٩- التحذير من الكذب الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني
٣٠- دليل الفالحين ابن علّان
٣١- نصائح غالية لطلبة العلم الشنقيطي
٣٢- حقوق الكبار الشنقيطي
٣٣- السلوك الإسلامي القويم الشَّوكاني
٣٤- أساس البلاغة الزمخشري
٣٥- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر عدنان عرعور
٣٦- تسهيل النظر وتعجيل الظفر الماورديّ
٣٧- تحفة المحتاج ابن حجر الهيتمي
٣٨- الأشباه والنظائر السيوطي
٣٩- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام بدر الدين ابن جماعة
٤٠- الإيضاح والتبيين لبعض صفات المؤمنين عبدالعزيز الراجحي
٤١- خطورة أذية المسلم الدكتور صالح آل طالب
٤٢- أسباب زيادة الإيمان و نقصانه محمد المختار الشنقيطي
٤٣- البدر في فضل سلامة الصدر الدكتور نايف بن أحمد الحمد
٤٤- دراسة حديثية دعوية نفسية الدكتور فالح بن محمد الصغيّر
٤٥- شرح حديث شعب الإيمان الشيخ عبدالمحسن الزامل
٤٦- استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس ابن رجب
٤٧- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ابن رجب
٤٨- رسالة تحكيم القوانين محمد بن إبراهيم
٤٩- المواعظ الإيمانية من الآيات القرآنية أمير المدري
٥٠- الأمثال القرآنية القياسية عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع

١١- كتب المعاجم

١- لسان العرب ابن منظور
٢- مقاييس اللغة ابن فارس
٣- الصحاح للجوهري
٤- الكلّيّات للكفويّ
٥- التعريفات الجرجانيّ
٦- الفروق اللغوية أبو هلال العسكريّ
٧- تهذيب اللغة الأزهري
٨- المفردات الرّاغب
٩- التوقيف على مهمات التعاريف المناويّ
١٠- النهاية في غريب الحديث والأثر ابن الأثير